AUC Library
BP 130.4 I23 1936 v.3-4 main
IBN JUZAYY/KITAAB AL-TAS-HIIL LI-'ULUUM
3 8534 00911386 5

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

Ibn Juzayy, Muhammad ibn Ahmad.
Kitāb al-tashīl.

BP
130.4
I29
1936
v.3-4

كتاب التسهيل

لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن احمد بن جزيّ الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN CAIRO
LIBRARY

الجزء الثالث

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

B13202546
1504399X

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم

مكية إلا آيتى ٥٨ و ٧١ فمدنيتان وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم * كهيعص * ذكر رحمت ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا * وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا * يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لى غلام وكانت

سورة مريم

(كهيعص) قد تكلمنا فى أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل فى هذا إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادى، والياء من علىّ، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان على بن أبى طالب يقول فى دعائه: يا كهيعص، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى، أو ينادى بالأسماء التى اقتطعت منها هذه الحروف (ذكر) تقديره هذا ذكر (عبده زكريا) وصفه بالعبودية تشريفا له وإعلاما له بتخصيصه وتقريبه، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة، فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول، وقيل هو مفعول بفعل مضمر، تقديره رحمة عبده وعلى هذا يوقف على ما قبله وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له (إذ نادى ربه) يعنى دعاه (نداء خفيا) أخفاه لأنه يسمع الخفى كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد (وهن العظم) أى ضعف (واشتعل) استعارة للشيب من اشتعال النار (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى قد سعدت بدعائى لك فيما تقدم، فاستجب لى فى هذا فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه (وإنى خفت الموالى) يعنى الأقارب قيل خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل خاف أن يضيعوا الدين من بعده (من ورائى) أى من بعدى (عاقرا) أى عقيما (فهب لى من لدنك وليا) يعنى وارثا يرثنى، قيل يعنى وراثة المال، وقيل وراثة العلم والنبوة، وهو أرجح لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: نحن معاشر الأنبياء لا نورث وكذلك (يرث من آل يعقوب) العلم والنبوة، وقيل الملك، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح (رضيا) أى مرضيا فهو فعيل بمعنى مفعول (سميا) يعنى من سمى باسمه، وقيل مثيلا ونظيرا، والأول أحسن هنا (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته فسأل ذلك أولا لعلمه بقدرة الله عليه، وتعجب منه

امْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا * قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۞ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۞ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا * وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ

لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو فى سنّ من يرجوه ، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ (عتيا) قيل يبسا فى الأعضاء والمفاصل ، وقيل مبالغة فى الكبر (كذلك) الكاف فى موضع رفع أى الأمر كذلك تصديقاله فيماذكر من كبره وعقم امرأته ، وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يبتدأ قال ربك ، وقيل إن الكاف فى موضع نصب بقال ، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره : هو علىّ هين (اجعل لى آية) أى علامة على حمل امرأته (سويا) أى سليما غير أخرس وانتصابه على الحال من الضمير فى تكلم ، والمعنى أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس ، وقيل إن سويا يرجع إلى الليالى أى مستويات (فأوحى إليهم) أى أشار ، وقيل كتبه فى التراب إذ كان لا يقدر على الكلام (أن سبحوا) قيل معناه صلوا ، والسبحة فى اللغة الصلاة ، وقيل قولوا سبحان الله (يايحيى) التقدير قال الله ليحيى بعد ولادته (خذ الكتاب) يعنى التوراة (بقوة) أى فى العلم به والعمل به (وآتيناه الحكم صبيا) قيل الحكم معرفة الأحكام ، وقيل الحكمة ، وقيل النبوة (وحنانا) قيل معناه رحمة وقال ابن عباس لا أدرى ما الحنان (وزكاة) أى طهارة ، وقيل ثناء كما يزكى الشاهد (واذكر فى الكتاب مريم) خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب القرآن (إذ انتبذت من أهلها) أى اعتزلت منهم وانفردت عنهم (مكانا شرقيا) أى إلى جهة الشرق ولذلك يصلى النصارى إلى المشرق (أرسلنا إليها روحنا) يعنى جبريل ، وقيل عيسى ، والأول هو الصحيح لأن جبريل هو الذى تمثل لها باتفاق (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) لما رأت الملك الذى تمثل لها فى صورة البشر ، قد دخل عليها خافت أن يكون من بنى آدم ، فقالت له هذا الكلام ، ومعناه إن كنت ممن يتقى الله فابعد عنى ، فإنى أعوذ بالله منك ، وقيل إن تقيا اسم رجل معروف بالشر عندهم وهذا ضعيف وبعيد (لأهب لك غلاما زكيا) الغلام الزكى هو عيسى عليه السلام ، وقرئ ليهب بالياء ، والفاعل فيه هو ضمير الرب سبحانه وتعالى ، وقرئ بهمزة التكلم ، وهو جبريل ، وإنما نسب الهبة إلى نفسه ، لأنه هو الذى أرسله الله بها أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى (ولم أك بغيا) البغى هى المرأة المجاهرة بالزنا ووزن بغى فعول (ولنجعله آية) الضمير للولد واللام

مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَىٰهَا
مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا *
فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ
إِنسِيًّا ۝ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ
وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ

تتعلق بمحذوف تقديره لنجعله آية فعلنا ذلك (فحملته) يعنى فى بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر ، وقال ابن عباس حملته وولدته فى ساعة (مكانا قصيا) أى بعيدا ، وإنما بعدت حياء من قومها أن يظنوا بها الشر (فأجاءها) معناه ألجأها وهو منقول من جاء بهمزة التعدية (المخاض) أى النفاس (إلى جذع النخلة) روى أنها احتضنت الجذع لشدة وجع النفاس (قالت ياليتنى مت) إنما تمنت الموت خوفا من إنكار قومها وظنهم بها الشر ووقوعهم فى دمها وتمنى الموت جائز فى مثل هذا ، وليس هذا من تمنى الموت لضر نزل بالبدن فإنه منهى عنه (وكنت نسيا) النسى الشىء الحقير الذى لا يؤبه له ، ويقال بفتح النون وكسرها (فناداها من تحتها) قرئ من بفتح الميم وكسرها ، وقد اختلف على كلتا القراءتين ، هل هو جبريل أو عيسى ، وعلى أنه جبريل قيل إنه كان تحتها كالقابلة ، وقيل كان فى مكان أسفل من مكانها (أن لا تحزنى) تفسير للنداء ، فأن مفسرة (سريا) جدولا وهى ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم فسره بذلك ، وقيل يعنى عيسى فإن السرى الرجل الكريم (وهزى إليك بجذع النخلة) كان جذعا يابسا فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا ، وقد استدل بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغى له أن يتسبب فى طلب الرزق ، لأن الله أمر مريم بهز النخلة ، والباء فى بجذع زائدة كقوله : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (تساقط عليك رطبا جنيا) الفاعل بتساقط النخلة ، وقرئ بالياء والفاعل على ذلك الجذع ، ورطبا تمييز والجنى معناه الذى طاب وصلح ، لأن يجتنى (فكلى واشربى) أى كلى من الرطب ، واشربى من ماء الجدول ، وهو السرى (وقرى عينا) أى طيبى نفسا بما جعل الله لك من ولادة نبى كريم أو من تيسير المأكول والمشروب (فإما ترين) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد ، وترين فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد (نذرت للرحمن صوما) أى صمتا عن الكلام ، وقيل يعنى الصيام لأن من شرطه فى شريعتهم الصمت ، وإنما أمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها ، ولأن عيسى تكلم عنها فإخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام ، وقيل بالإشارة ، ولا يجوز فى شريعتنا نذر الصمت (فأتت به قومها) لما رأت الآيات : علمت أن الله سيبين عذرها فجاءت به من المكان القصى إلى قومها (شيئا فريا) أى شنيعا وهو من الفرية (ياأخت هارون) كان هارون عابدا من بنى إسرائيل شبهت به مريم فى كثرة العبادة فقيل لها أخته بمعنى أنها شبهه ، وقيل كان أخاها من أبيها ، وكان رجلا صالحا ، وقيل هو هارون النبى أخو موسى وكانت من ذريته ، فأخت على هذا كقولك أخو بنى فلان أى واحد منهم ، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة ، فإن

الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا
بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَالسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ
مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ۝ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ ۝ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

بين زمانهما دهراً طويلا (فأشارت إليه) أى إلى ولدها ليتكلم وصمتت هى كما أمرت (كان فى المهد صبيا) كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف ، وقيل المهد هنا حجرها (آتانى الكتاب) يعنى الإنجيل ، أوالتوراة والإنجيل (مباركا) من البركة وقيل نفاعا ، وقيل معلم للخير واللفظ أعم من ذلك (وأوصانى بالصلاة والزكاة) هما المشروعتان ، وقيل الصلاة هنا الدعاء ، والزكاة : التطهير من العيوب (وبرا) معطوف على مباركا ، روى أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو فى المهد ، ثم عاد إلى حالة الأطفال على عادة البشر ، وفى كلامه هذا رد على النصارى ، لأنه اعترف أنه عبد الله ورد على اليهود لقوله : وجعلنى نبيا (والسلام علىّ) أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر فى قصة يحيى ، فهو كقولك : رأيت رجلا فأكرمت الرجل ، وقال الزمخشرى : الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلغة من اتهم مريم كأنه قال السلام كله علىّ لا عليكم ، بل عليكم ضده (قول الحق) بالرفع خبر مبتدإ تقديره هذا قول الحق أو بدل أو خبر بعد خبر ، وبالنصب على المدح بفعل مضمر أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم (فيه يمترون) أى يختلفون فهو من المراء ، أو يشكون فهو من المرية ، والضمير لليهود والنصارى (وأن الله ربى) من كلام عيسى وقرئ بفتح الهمزة تقديره ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه ، وبكسرها لابتداء الكلام ، وقيل هو من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، والمعنى يامحمد قل لهم ذلك عيسى ابن مريم وأن الله ربى وربكم والأول أظهر (فاختلف الأحزاب) هذا ابتداء إخبار ، والأحزاب اليهود والنصارى ، لأنهم اختلفوا فى أمر عيسى اختلافا شديدا فكذبه اليهود وعبده النصارى ، والحق خلاف أقوالهم كلها (من بينهم) معناه من تلقائهم ومن أنفسهم وأن الاختلاف لم يخرج عنهم (من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أى ماأسمعهم وماأبصرهم يوم القيامة على أنهم فى الدنيا فى ضلال مبين (يوم الحسرة) هو يوم يؤتى بالموت فى صورة كبش فيذبح ثم يقال ياأهل الجنة خلود لاموت وياأهل النار خلود لاموت ، وقيل هو يوم القيامة وانتصاب يوم على المفعولية ، لاعلى الظرفية (وهم فى غفلة) يعنى فى الدنيا فهو متعلق بقوله فى ضلال مبين أو بأنذرهم (صديقا) بناء مبالغة من الصدق أومن

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَـٰنَ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ۝ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ۝ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ۝ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ

التصديق، ووصفه بأنه صدّيق قبل الوحى نبئ بعده، ويحتمل أنه جمع الوصفين (مالا يسمع ولا يبصر) يعنى الأصنام (صراطا سويا) أى قويما (لأرجمنك) قيل يعنى الرجم بالحجارة وقيل الشتم (واهجرنى مليا) أى حينا طويلا، وعطف اهجرنى على محذوف تقديره احذر رجمى لك (قال سلام عليك) وداع مفارقة، وقيل مسالمة لا تحية لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز (سأستغفر لك) وعد وهو الذى أشير إليه بقوله عن موعدة وعدها إياه قال ابن عطية، معناه سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك، وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز، وقيل وعده أن يستغفر له مع كفره، ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه بذلك، ويقوى هذا القول قوله واغفر لأبى إنه كان من الضالين، ومثل هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى طالب لأستغفرن لك مالم أنه عنك (حفيا) أى بارّا متلطفا (وأعتزلكم وما تدعون) أى ما تعبدون (إسحاق ويعقوب) هما ابنه وابن ابنه وهبهما الله له عوضا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم (من رحمتنا) النبوة، وقيل المال والولد، واللفظ أعم من ذلك لسان صدق يعنى الثناء الباقى عليهم إلى آخر الدهر (مخلصا) بكسر اللام أى أخلص نفسه وأعماله لله وبفتحها أى أخلصه الله للنبوة والتقريب (وكان رسولا نبيا) النبى أعم من الرسول لأن النبى كل من أوحى الله إليه ولا يكون رسولا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة فكل رسول نبئ وليس كل نبى رسولا (وناديناه) هو تكليم الله له (الطور) وهو الجبل المشهور بالشام (الأيمن) صفة للجانب وكان على يمين موسى حين وقف عليه ويحتمل أن يكون من اليمن (نجيا) النجى فعيل وهو المنفرد بالمناجاة وقيل هو من المناجاة، والأول أصح (من رحمتنا) من سببية أو للتبعيض وأخاه على الأول مفعول وعلى الثانى بدل (إنه كان صادق الوعد) روى أنه وعد رجلا إلى مكان فانتظره فيه سنة، وقيل الإشارة إلى صدق وعده فى قصة الذبح فى قوله ستجدنى إن شاء الله من الصابرين، وهذا يدل على قول من قال إن الذبيح هو إسماعيل (إدريس) هو أول نبئ بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط بالقلم، ونظر فى علم النجوم

النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۞ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۞ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۞ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا * وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ

وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا) قال ابن عباس رفعه الله إلى السماء وهناك مات، وفى حديث الإسراء وإنه فى السماء الرابعة، وقيل يعنى رفعة النبوة وتشريف منزلته، والأول أشهر ورجحه الحديث (أولئك) إشارة إلى كل من ذكر فى هذه السورة من زكريا إلى إدريس (من النبيين) من هنا للبيان، والتى بعدها للتبعيض (من ذرية آدم) يعنى نوحا وإدريس (وممن حملنا) يعنى إبراهيم (ومن ذرية إبراهيم) يعنى إسماعيل وإسحاق ويعقوب (وإسرائيل) يعنى أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الأولى أو الثانية (بكيا) جمع باك ووزنه فعول (فخلف من بعدهم خلف) يقال فى عقب الخير خلف بفتح اللام وفى عقب الشر خلف بالسكون وهو المعنى هنا واختلف فيمن المراد بذلك، فقيل النصارى لأنهم خلفوا اليهود، وقيل كل من كفر وعصى من بعد بنى إسرائيل (أضاعوا الصلوة) قيل تركوها، وقيل أخرجوها عن أوقاتها (يلقون غيا) الغى الخسران، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف تقديره يلقون جزاء غىّ (إلا من تاب) استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع (بالغيب) أى أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم (مأتيا) وزنه مفعول، فقيل إنه بمعنى فاعل، لأن الوعد هو الذى يأتى وقيل إنه على بابه لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها (لغوا) يعنى ساقط الكلام (إلا سلاما) استثناء منقطع (بكرة وعشيا) قيل المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالى، إذ ليس فى الجنة نهار ولا ليل، وقيل المعنى أن الرزق يأتيهم فى كل حين يحتاجون اليه، وعبر عن ذلك بالبكرة والعشى على عادة الناس فى أكلهم (وما نتنزل إلا بأمر ربك) حكاية قول جبريل حين غاب عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له أبطأت عنى واشتقت إليك فقال إنى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست ونزلت هذه الآية (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أى له ما قدامنا وما خلفنا وما نحن فيه من الجهات والأماكن، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله، وقيل ما بين أيدينا: الدنيا إلى النفخة الأولى فى الصور، وما خلفنا: الآخرة، وما بين ذلك: ما بين النفختين وقيل ما مضى من أعمارنا وما بقى منها، والحال التى نحن فيها، والأول أكثر مناسبة لسياق الآية (وما كان ربك نسيا) هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول وقيل بمعنى الترك، والأول أظهر (هل تعلم له سميا) أى مثيلا ونظيرا

يَكُ شَيْئًا ۞ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۞ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ۞ قُلْ

فهو من المسامى والمضاهى ، وقيل من تسمى باسمه ، لأنه لم يتسم باسم الله غير الله تعالى (ويقول الإنسان أئذامامت لسوف أخرج حيا) هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور ، والإنسان هنا جنس يراد به الكفار ، وقيل إن القائل لذلك أبىّ بن خلف ، وقيل أمية بن خلف والهمزة التى دخلت على أئذامامت للإنكار والاستبعاد ، واللام فى قوله لسوف : سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى ، والإخراج يراد به البعث (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل) احتجاج على صحة البعث ، ورد على من أنكره ، لأن النشأة الأولى دليل على الثانية (لنحشرنهم والشياطين) يعنى قرناءهم من الشياطين الذين أضلوهم ، والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه (جثيا) جمع جاث ، ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف (ثم لننزعن من كل شيعة) الشيعة : الطائفة من الناس التى تتفق على مذهب أو اتباع إنسان ، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار ، وقال بعضهم المعنى نبدأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما (أيهم) اختلف فى إعرابه ، فقال سيبويه هو مبنى على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة ، وكأن التقدير أيهم أشد فوجب البناء ، وقال الخليل هو مرفوع على الحكاية تقديره الذى يقال له أشد ، وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء (أولى بها صليا) الصلى : مصدر صلى النار ، ومعنى الآية : أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب (وإن منكم إلا واردها) خطاب لجميع الناس عند الجمهور ، فأما المؤمنون فيدخلونها ، ولكنها تخمد فلا تضرهم ، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله حصب جهنم أنتم لها واردون ، وأوردهم النار ، وقيل الورود بمعنى القدوم عليها كقوله وردماء مدين ، والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفار فلا إشكال (حتما) أى أمرا لا بد منه (ثم ننجى الذين اتقوا) إن كان الورود بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردا وسلاما ، ثم بالخروج منها وإن كان بمعنى المرور على الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) الفريقان هم المؤمنون والكفار ، والمقام اسم مكان من قام ، وقرئ بالضم من أقام ، والندىّ المجلس ، ومعنى الآية : أن الكفار قالوا المؤمنين : نحن خير منكم مقاما : أى أحسن حالا فى الدنيا ، وأجمل مجلسا فنحن أكرم على الله منكم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم مفعول بأهلكنا ، ومعنى الآية : رد على الكفار فى قولهم المذكور : أى ليس حسن الحال فى الدنيا دليلا على الكرامة عند الله ، لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم فى الدنيا (هم أحسن) قال الزمخشرى هذه الجملة فى موضع نصب صفة لكم (أثاثا) أى متاع البيت ، وقال ابن عطية هو اسم عام فى المال العين والعروض والحيوان ، وهو اسم جمع ، وقيل هو جمع ، واحده أثاثة (ورئيا) بهمزة ساكنة قبل الياء : معناه منظر حسن ، وهو من الرؤية ، والرئى اسم المرئى ، وقرئ بتشديد

مَن كَانَ فِى الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا * وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا * أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا * وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا الشَّيَٰطِينَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا * يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا * لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا * وَقَالُوا ٱتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا *

الياء من غير همز ، وهو تخفيف من الهمز ، فالمعنى متفق ، وقيل هو من رى الشارب أى التنعم بالمشارب والمآكل، وقرأ ابن عباس زيا بالزاى (فليمددله الرحمن مدا) أى يمهله ويملى له ، واختلف هل هذا الفعل دعاء أوخبر سيق بلفظ الأمر تأكيدا (حتى) هنا غاية للمد فى الإضلال (إما العذاب) يعنى عذاب الدنيا (شر مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن نديا (والباقيات الصالحات) ذكر فى الكهف (خير مردا أى مرجعا وعاقبة (أفرأيت الذى كفر) هو العاصى بن وائل (وقال لأوتين مالا وولدا) كان قد قال لئن بعثت كما يزعم محمد ليكونن لى هناك مالا وولدا (أطلع الغيب) الهمزة الإنكار ، والرد على العاصى فى قوله (كلا) رد له عن كلامه (سنكتب مايقول) إنما جعله مستقبلا لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب فى المستقبل (ونمد له من العذاب مدا) أى نزيده فيه (ونرثه مايقول) أى نرث الأشياء التى قال إنه يؤتاها فى الآخرة ، وهى المال والولد ووراثتها هى بأن يهلك العاصى ويتركها ، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو رضى الله عنهما (ويأتينا فردا) أى بلا مال ولا ولد ولا ولى ولا نصير (سيكفرون بعبادتهم) قيل إن الضمير فى يكفرون للكفار وفى عبادتهم للمعبودين ، فالمعنى كقولهم ما كنا مشركين ، وقيل إن الضمير فى يكفرون للمعبودين ، وفى عبادتهم للكفار ، فالمعنى كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون (ويكونون عليهم ضدا) معناه يكون لهم خلاف ما أملوه منهم فيصير العز الذى أملوه ذلة ، وقيل معناه أعداء (أرسلنا الشياطين على الكافرين) تضمن معنى سلطانا ، ولذلك تعدى بعلى (تؤزهم أزا) أى تزعجهم إلى الكفر والمعاصى (فلا تعجل عليهم) أى لا تستبطئ عذابهم وتطلب تعجيله (إنما نعد لهم عدا) أى نعد مدة بقائهم فى الدنيا . وقيل نعد أنفاسهم (وفدا) قيل معناه ركبانا ، ومعنى الوفد لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك ، وقيل مكرمون ، لأن العادة إكرام الوفود (وردا) معناه عطاشا لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش (لا يملكون الشفاعة) الضمير يحتمل أن يكون للكفار ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لهم ، ويكون من اتخذ : استثناء منقطعا بمعنى لكن ، أو يكون الضمير للمتقين فالاستثناء متصل ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهدا أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهدا ، أو يكون الضمير للفريقين إذ قد ذكروا قبل ذلك ؛ فالاستثناء أيضا متصل ، ومن اتخذ : يحتمل أن يراد به

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا *

سـورة طه

مكية إلا آيتى ١٣ و ١٣١ فمدنيتان وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ

الشافع أو المشفوع له (عهدا) يريد به الإيمان والأعمال الصالحة ، ويحتمل أن يريد به الإذن فى الشفاعة . وهذا أرجح لقوله لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ، والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الموقف حين ينفرد بها ويقول غيره من الأنبياء نفسى نفسى (شيئا إدّا) أى شيئا صعبا (يتفطرن منه) أى يتشققن من قول الكفار : اتخذ الله ولدا (هدّا) أى انهداما (أن دعوا) أى من أجل أن دعوا (للرحمن ولدا) وقرئ ولدا بضم الواو وإسكان اللام ، وهى لغة (إن كل من فى السموات والأرض) ردّ على مقالة الكفار ، والمعنى أن الكل عبيده ، فكيف يكون أحدمنهم ولداله ، وإن نافية ، وكل مبتدأ وخبره آتى الرحمن (سيجعل لهم الرحمن ودّا) هى المحبة والقبول الذى يجعله الله فى القلوب لمن شاء من عباده ، وقيل إنها نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله عنه (يسرناه بلسانك) الضمير للقرآن وبلسانك أى بلغتك (قوما لدا) جمع ألد ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة ، والمراد بذلك قريش ، وقيل معناه فجارا (أو تسمع لهم ركزا) هو الصوت الخفى ، والمعنى أنهم لم يبق منهم أثر ، وفى ذلك تهديد لقريش

سـورة طه

قيل فى طه إنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يارجل ، وانظر الكلام على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة (ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى) قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم قام فى الصلاة حتى تورمت قدماه ، فنزلت الآية تخفيفا عنه ، فالشقاء على هذا إفراط التعب فى العبادة ، وقيل المراد به التأسف على كفر الكفار ، واللفظ عام فى ذلك كله ، والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء فى الدنيا والآخرة لأنه أنزل عليه القرآن الذى هو سبب السعادة (إلا تذكرة) نصب على الاستثناء المنقطع ، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من موضع لتشقى إذ هو فى موضع مفعول من أجله ، ومنع ذلك الزمخشرى لاختلاف الجنسين ، ويصح أن ينتصب بفعل مضمر تقديره أنزلناه تذكرة (تنزيلا) نصب على المصدرية والعامل فيه مضمر وما أنزلنا وبدأ السورة بلفظ المتكلم فى قوله ماأنزلنا ثم رجع إلى الغيبة فى قوله تنزيلا ممن خلق الأرض الآية : وذلك هو الالتفات

خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمٰوٰتِ الْعُلَى ۝ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى ۝ لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرٰى ۝ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝ اللَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَى ۝
وَهَلْ أَتٰىكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوٓا إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ
أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّآ أَتٰىهَا نُودِىَ يٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِىٓ أَنَا اللَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِىٓ ۝ إِنَّ السَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۞ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوٰىهُ فَتَرْدَىٰ ۝

(والسموات العلى) جمع عليا (على العرش استوى) تكلمنا عليه فى الأعراف (الثرى) هو فى اللغة التراب الندى، والمراد به هنا الأرض (وإن تجهر) مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك لأنه يعلم السرّ وأخفى (يعلم السر وأخفى) السر الكلام الخفىّ، والأخفى ما فى النفس، وقيل السر ما فى نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه (الأسماء الحسنى) تكلمنا عليها فى الأعراف (وهل أتاك) لفظ استفهام والمراد به التنبيه (إذ رأى) العامل فى إذ حديث لأن فيه معنى الفعل وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر فسار بالليل واحتاج إلى نار فقدح بزناده فلم ينقدح، فرأى نارا فقصد إليها فناداه الله، وأرسله إلى فرعون (آنست نارا) أى رأيت (بقبس) هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبة ونحوها (أو أجد على النار هدى) يعنى هدى إلى الطريق من دليل أو غيره (فاخلع نعليك) قيل إنما أمر بخلع نعليه، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع فى مقام مناجاة الله وهذا أحسن (الوادى المقدس) أى المطهر (طوى) فى معناه قولان: أحدهما أنه اسم الوادى، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة، والثانى أن معناه مرتين، فإعرابه على هذا مصدر: أى قدس الوادى مرة بعد مرة أو نودى موسى مرة بعد مرة (وأقم الصلاة لذكرى) قيل المعنى لتذكرنى فيها، وقيل لأذكرك بها، فالمصدر على الأول مضاف للمفعول وعلى الثانى مضاف للفاعل، وقيل معنى لذكرى: عند ذكرى كقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس: أى عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم استدل بالآية: على وجوب الصلاة على الناسى إذا ذكرها (أكاد أخفيها) اضطرب الناس فى معناه، فقيل أخفيها بمعنى أظهرها، وأخفيت هذا من الأضداد، وقال ابن عطية: هذا قول مختل، وذلك أن المعروف فى اللغة أن يقال: أخفى بالألف من الإخفاء وخفى بغير ألف بمعنى أظهر فلو كان بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك فى الشاذ، وقال الزمخشرى قد جاء فى بعض اللغات أخفى بمعنى خفى: أى أظهر، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة، وقيل أكاد بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها وقيل إن المعنى إن الساعة آتيـــة أكاد، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها، وقيل المعنى أكاد أخفيها عن نفسى فكيف عنكم، وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ۝ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۝ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا الْكُبْرَى ۝ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ اشْدُدْ بِهِٓ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۞ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۞ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ

المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد ، حتى أنه كاد أن يخفى وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف فى اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشىء دون وقوعه وهذا المعنى هو اختيار المحققين (لتجزى) يتعلق بآتية (بما تسعى) أى بما تعمل (فلا يصدنك عنها) الضمير للساعة : أى لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها ، وقيل الضمير للصلاة وهو بعيد ، والخطاب لموسى عليه السلام ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك بعيد (فتردى) معناه تهلك ، والردى هو الهلاك وهذا الفعل منصوب فى جواب لا يصدنك (وما تلك بيمينك ياموسى) إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله فى العصا من قلبها حية فمعنى السؤال تقرير أنها عصى فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، وقيل إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام (وأهش بها على غنمى) معناه أضرب بها الشجر لينتشر الورق للغنم (مآرب) أى حوائج (حية تسعى) أى تمشى (سيرتها الأولى) يعنى أنه لما أخذها عادت كما كانت أول مرة ، وانتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول بإسقاط حرف الجر (واضمم يدك إلى جناحك) الجناح هنا الجنب أى تحت الإبط ، وهو استعارة من جناح الطائر (تخرج بيضاء) روى أن يده خرجت وهى بيضاء كالشمس (من غير سوء) يريد من غير برص ولا عاهة (لنريك من آياتنا الكبرى) يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لنريك ، وأن تكون صفة الآيات ويختلف المعنى على ذلك (اشرح لى صدرى) إن قيل لم قال اشرح لى ويسر لى ، مع أن المعنى يصح دون قوله لى ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة (واحلل عقدة من لسانى) العقدة هى التى اعترته بالجمرة حين جعلها فى فيه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجرّ به ، وإنما قال عقدة بالتنكير لأنه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله ولم يطلب الفصاحة الكاملة (وزيرا) أى معينا ، وإعراب هارون بدل أو مفعول أول (أزرى) أى ظهرى والمراد القوة ومنه فآزره أى قواه (قال قد أوتيت سؤلك) أى قد أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة (إذ أوحينا إلى أمك) يحتمل أن يكون وحى كلام بواسطة ملك ، أو وحى إلهام كقوله : وأوحى ربك إلى النحل (ما يوحى) إبهام يراد به تعظيم الأمر (أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم) الضمير الأول لموسى والثانى للتابوت أو لموسى واليم البحر ، والمراد به هنا النيل ، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بنى إسرائيل ، فأمر

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝

بذبح كل ولد ذكر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه فى التابوت وتلقى التابوت فى البحر ففعلت ذلك، وكان فرعون فى موضع يشرف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه وامرأته معه ففتحه فأشفقت عليه امرأته وطلبت أن تتخذه ولدا فأباح لها ذلك (يأخذه عدو لى وعدوله) هو فرعون (محبة منى) أى أحببتك، وقيل أراد محبة الناس فيه إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه، وقيل أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له، وقوله منى: يحتمل أن يتعلق بقوله ألقيت، أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف (ولتصنع على عينى) أى تربى ويحسن إليك بمرأى منى وحفظ، والعامل فى لتصنع محذوف (إذ تمشى أختك) العامل فى إذ تصنع أو ألقيت، أو فعل مضمر تقديره ومننا عليك (فتقول هل أدلكم على من يكفله) كان لا يقبل ثدى امرأة فطلبوا له مرضعة، فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه (وقتلت نفسا) يعنى القبطى الذى وكزه فقضى عليه (فنجيناك من الغم) يعنى الخوف من أن يطلب بثأر المقتول (وفتناك فتونا) أى اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة، وقيل خلصناك من محنة بعد محنة، لأنه خلصه من الذبح ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل، والفتون: يحتمل أن يكون مصدرا أو جمع فتنة (فلبثت سنين) يعنى الأعوام العشرة التى استأجره فيها شعيب (جئت على قدر) أى بميقات محدود قدره الله لنبوتك (واصطنعتك لنفسى) عبارة عن الكرامة والتقريب أى استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتى وإحسانى (ولا تنيا) أى لا تضعفا ولا تقصرا، والونى هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها (أن يفرط) أى يعمل بالشر (فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى سرحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وتسريح بنى إسرائيل (ولا تعذبهم) كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم فى خدمته وإذلالهم (قد جئناك بآية) يعنى قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدهما وهما آيتان، لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد (والسلام على من اتبع الهدى) يحتمل أن يريد التحية أو السلامة (قال فمن ربكما ياموسى) أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه، لأنه الأصل فى النبوة وأخوه تابع له (الذى أعطى كل شىء خلقه) المعنى أن الله أعطى خلقه كل شىء يحتاجون إليه فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين، وإعرابه مفعول أول، وكل شىء

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ۝ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ۝ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ

مفعول ثان ، وقيل المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته : أى أكمل ذلك وأتقنه فالخلق على هذا بمعنى الخلقة وإعرابه مفعول ثان ، وكل شيء مفعول أول ، والمعنى الأول أحسن (ثم هدى) أى هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم وعلمهم كيف ينتفعون به (قال فما بال القرون الأولى) يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى محاجة ومناقضة لموسى : أى ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى أو ما بالها لم تكن على دين موسى أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى فى قوله : أن العذاب على من كذب وتولى ، ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعا للكلام الأول وروغانا عنه وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة ولذلك أضرب موسى عن الكلام فى شأنها ، فقال علمها عند ربى ، ثم عاد إلى وصف الله رجوعا إلى الكلام الأول (فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (الذى جعل لكم الأرض مهدا) أى فراشا ، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز ، ولو قال له هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدعى ذلك لنفسه (وسلك لكم فيها سبلا) أى نهج لكم فيها طرقا تمشون فيها (فأخرجنا) يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير يقول الله عز وجل فأخرجنا ، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله وأنزل من السماء ماء ثم ابتدأ كلام الله (فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) أى أصنافا مختلفة (كلوا وارعوا أنعامكم) المعنى أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام ، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن فى ذلك فكأنه أمر به (لأولى النهى) أى العقول واحدها نهية (منها خلقناكم) الضمير للأرض يريد خلقة آدم من تراب (وفيها نعيدكم) يعنى بالدفن عند الموت (ومنها نخرجكم) يعنى عند البعث (أريناه آياتنا) يعنى الآيات التى رآها فرعون وهى تسع آيات ، وليس يريد جميع آيات الله على العموم ، فالإضافة فى قوله آياتنا تجرى مجرى التعريف بالعهد : أى آياتنا التى أعطينا موسى كلها ، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفا (فاجعل بيننا وبينك موعدا) يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان ويدل على أنه اسم مكان قوله مكانا سوى ، ولكن يضعف بقوله موعدكم يوم الزينة ، لأنه أجاب بظرف الزمان ، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله يوم الزينة ولكن يضعف بقوله مكانا سوى ، ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله لا نخلفه ، لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان ، ولكن يضعف ذلك بقوله مكانا وبقوله يوم الزينة ، فلابد على كل وجه من تأويل أو إضمار ويختلف إعراب قوله مكانا باختلاف تلك الوجوه فأما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله موعدا ومكانا مفعولين لقوله اجعل ، ويطابقه قوله يوم الزينة

النَّاسُ ضُحًى ۝ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۝ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ۝ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ۝ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ
يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ۝ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ
الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۝ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ
وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ۝
وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ
سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ

من طريق المعنى ، لامن طريق اللفظ ، وذلك أن الاجتماع فى المكان يقتضى الزمان ضرورة ، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكانا على أنه ظرف زمان ، والتقدير موعدا كائنا فى مكان وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد ، أو بفعل من معناه ، ويطابقه قوله يوم الزينة على حذف مضاف تقديره موعدكم وعد يوم الزينة ، وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف (مكانا سوى) معناه مستوى فى القرب منا ومنكم ، وقيل معناه مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع ، وقرئ بكسر السين وضمها ، والمعنى متفق (يوم الزينة) يوم عيد لهم وقيل يوم عاشوراء (وأن يحشر) عطف على الزينة ، فهو فى موضع خفض أو على اليوم فهو فى موضع رفع وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤس الأشهاد لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس (فيسحتكم) معناه يهلككم ، يقال سحت وأسحت ، وقد قرئ بفتح الياء وضمها ، والمعنى متفق (قالوا إن هذان لساحران) قرئ إن هذين بالياء ولا إشكال فى ذلك ، وقرئ بتخفيف إن وهى مخففة من الثقيلة ، وارتفع بعدها هذان بالابتداء ، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان ، فقيل إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب ، ومنه ماروى فى الحديث أن الحمد لله بالرفع ، وقيل اسم إن ضمير الأمر والشأن تقديره إن الأمر ، وهذان لساحران مبتدأ وخبر فى موضع خبر إن ، وقيل جاء القرآن فى هذه الآية بلغة بنى الحرث بن كعب وهو إبقاء التثنية بالألف حال النصب والخفض ، وقالت عائشة رضى الله عنها هذا مما لحن فيه كتاب المصحف (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أى يذهب بسيرتكم الحسنة (فأجمعوا كيدكم) أى اعزموا وأنفذوه (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) استدل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييل لاحقيقة ، وقال بعضهم إن حيلة السحرة فى سعى الحبال والعصى هى أنهم حشوها بالزئبق ، وأوقدوا تحتها نارا وغطوا النار لئلا يراها الناس ، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم ، وقيل جعلوها للشمس ، فلما أحس الزئبق بحر النار أو الشمس سال ، وهو فى حشو الحبال والعصى فحملها فتخيل للناس أنها تمشى فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا فابتلعتها (إنما صنعوا كيد

فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّن خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝ قَالُوا
لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَاجَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَٰتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۝
إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَٰتُ الْعُلَىٰ ۝
جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ
أَسْرِ بِعِبَادِى فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۞ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم
مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۝ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۞ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۝ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ۞ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۞
وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا

ساحر) ما هنا موصولة وهى اسم إن وكيد خبرها (آمنا برب هارون وموسى) قدم هارون لتعادل رؤس الآى (من خلاف) أى قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (والذى فطرنا) معطوف على ماجاءنا من البينات ، وقيل هى واو القسم (هذه الحياة) نصب على الظرفية أى إنما قضاؤك فى هذه الدنيا (إنه من يأت ربه مجرما) قيل إن هنا وما بعده من كلام السحرة لفرعون على وجه الموعظة ، وقيل هو من كلام الله (أن أسر بعبادى) يعنى بنى إسرائيل ، وأضافهم إلى نفسه تشريفا لهم ، وكانوا فيما قيل ستمائة ألف (يبسا) أى يابسا ، وهو مصدر وصف به (لاتخاف دركا ولا تخشى) أى لاتخاف أن يدركك فرعون وقومه ، ولا تخشى الغرق فى البحر (ماغشيهم) إبهام لقصد التهويل (وما هدى) إن قيل إن قوله وأضل فرعون قومه يغنى عن قوله وماهدى ، فالجواب أنه مبالغة وتأكيد ، وقال الزمخشرى هوتهكم بفرعون فى قوله . وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (يابنى إسرائيل) خطاب لهم بعد خروجهم من البحر ، وإغراق فرعون ، وقيل هو خطاب لمن كان منهم فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبنى إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه ربه ، والطور هو الجبل ، واختلف هل هذا الطور هوالذى رأى فيه موسى النار فى أول نبوته ، أوهو غيره (ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكر فى البقرة (فقد هوى) أى هلك ، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفل (وإنى لغفار لمن تاب) المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد والمغفرة للمؤمن الذى لم يتب فى مشيئة الله عند أهل السنة ، وقالت المعتزلة لايغفر إلا لمن تاب (ثم اهتدى) أى استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح ، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله فى قلب من تاب وآمن وعمل صالحا ، (وما أعجلك عن

قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۞ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا
حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى * قَالُوا مَآ أَخْلَفْنَا
مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۞ فَأَخْرَجَ لَهُمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ

قومك ياموسى) قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله ، وطلبا لرضاه ، وأمر بنى إسرائيل أن يسيروا بعده ، واستخلف عليهم أخاه هارون ، فأمرهم السامرىّ حينئذ بعبادة العجل ، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى : ماأعجلك عن قومك ، وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل ، وقيل سأله على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرين : أحدهما أن قومه على أثره : أى قريب منه ، فلم يتقدم عليهم بكثير فيوجب العتاب ، والثانى أنه إنما تقدم طلبا لرضا الله (وأضلهم السامرىّ) كان السامرىّ رجلا من بنى إسرائيل يقال إنه ابن خال موسى ، وقيل لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة ، وكان ساحراً منافقا (فرجع موسى إلى قومه) يعنى رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يوما التى كلمه الله فيها (أسفا) ذكر فى الأعراف (ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا) يعنى ماوعدهم من الوصول إلى الطور (أفطال عليكم العهد) يعنى المدة وهذا الكلام توبيخ لهم (بملكنا) قرئ بالفتح والضم والكسر ، ومعناه ماأخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا ، ولكن غلبنا بكيد السامرىّ فيحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم ، واعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم فى النظر وعدم توفيقهم للرأى السديد ، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر (حملنا أوزارا من زينة القوم) الأوزار هنا الأحمال سميت أوزارا لثقلها ، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أى الذنوب وزينة القوم هى حلىّ القبط قوم فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم ، وقيل أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامرىّ : اجمعوا هذا الحلىّ فى حفرة حتى يحكم الله فيه ، ففعلوا ذلك وأوقد السامرىّ نارا على الحلىّ وصاغ منه عجلا وقيل بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامرى ، ولذلك قال لموسى قد فتنا قومك من بعدك (فقذفناها) أى قذفنا أحمال الحلىّ فى الحفرة (فكذلك ألقى السامرىّ) كان السامرىّ قد رأى جبريل عليه السلام ، فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب وألقى الله فى نفسه أنه إذا جعلها على شىء موانا صار حيوانا فألقاها على العجل فخار العجل أى صاح صياح العجول . فالمعنى أنهم قالوا كما ألقينا الحلى فى الحفرة ألقى السامرىّ قبضة التراب (جسداً) أى جسما بلا روح ، والخوار صوت البقر (فقالوا هذا إلهكم) أى قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض (فنسى) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من كلام بنى إسرائيل والفاعل موسى : أى نسى موسى إلهه هنا ، وذهب يطلبه فى الطور ، والنسيان على هذا بمعنى الذهول ، والوجه الثانى : أن يكون من كلام الله تعالى ، والفاعل على هذا السامرىّ : أى نسى دينه وطريق الحق ، والنسيان على هذا المعنى : الترك (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا) معناه لايرد عليهم كلاما إذا

لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۞ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا أَمْرِى ۞ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۞ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۞ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ۞ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۞ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِى ٱلْيَمِّ

كلموه وذلك رد عليهم فى دعوى الربوبية له ، وقرئ يرجع بالرفع ، وأن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب وهى مصدرية (قال ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) لازائدة للتأكيد ، والمعنى مامنعك أن تتبعنى فى المشى إلى الطور ، أو تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتالهم بمن لم يعبده (قال يابن أم) ذكر فى الأعراف (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه لما وجد بنى إسرائيل قد عبدوا العجل (إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) أى لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم ، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعنى فى الزجر والقتال ولو اتبعتك فى المشى إلى الطور لاتبعنى بعضهم دون بعض فتفرقت جماعتهم وهذا على أن يكون معنى تتبعنى فى المشى إلى الطور (ولم ترقب قولى) يعنى قوله له : اخلفنى فى قومى وأصلح (قال فما خطبك ياسامرى) أى قال موسى ماشأنك ولفظ الخطب يقتضى الانتهار ، لأنه يستعمل فى المكاره (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى رأيت مالم يروه يعنى جبريل عليه السلام وفرسه (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل ، وقرأ ابن مسعود «من أثر فرس الرسول» وإنما سمى جبريل بالرسول ، لأن الله أرسله إلى موسى ، والقبضة مصدر قبض ، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير ، ويقال قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه ، وبالصاد المهملة : إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرئ كذلك فى الشاذ (فنبذتها) أى ألقيتها على الحلى ، فصار عجلا أو على العجل فصار له خوار (فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس) عاقب موسى عليه السلام السامرى بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ، ومكالمته وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لامساس : أى لامماسة ولا إذاية ، وروى أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحمى له والمذى مسه فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه (وإن لك موعدا) يعنى العذاب فى الآخرة وهذا تهديد ووعيد (ظلت) أصله ظللت ، حذفت إحدى اللامين والأصل فى معنى ظل : أقام بالنهار ، ثم استعمل فى الدأب على الشىء ليلا ونهاراً (لنحرقنه) من الإحراق بالنار ، وقرئ بفتح النون وضم الراء بمعنى نبرده بالمبرد ، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى ، لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار ، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته ، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) أى نلقيه فى البحر ، والنسف تفريق الغبار ونحوه

نَسْفًا ۝ إِنَّمَا إِلَـٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا * كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَاقَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

(إنما إلهكم الله) الآية : من كلام موسى لبنى إسرائيل (كذلك نقص عليك) مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم , وأنباء ماقد سبق : أخبار المتقدمين (ذكرا) يعنى القرآن (من أعرض عنه) يعنى إعراض تكذيب به (وزرا) الوزر فى اللغة الثقل ، ويعنى هنا العذاب لقوله « خالدين فيه » أوالذنوب لأنها سبب العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) شبه الوزر بالحمل لثقله ، قال الزمخشرى ساء تجرى مجرى بئس ، ففاعلها مضمر يفسره حملا ، وقال غيره فاعلها مضمر يعود على الوزر (يوم ينفخ فى الصور) أى ينفخ الملك فى القرن ، وقرئ ننفخ بالنون أى بأمرنا (زرقا) أى زرق الألوان كالسواد ، وقيل زرق العيون من العمى (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) أى يقول بعضهم لبعض فى السر إن لبثتم فى الدنيا إلا عشر ليال وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا ، وقيل يعنون لبثهم فى القبور (يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) أى يقول أعلمهم بالأمور ، فالإضافة إليهم إن لبثتم إلا يوما واحدا فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره (ينسفها ربى) أى يجعلها كالغبار ثم يفرقها (فيذرها قاعا صفصفا) الضمير فى يذرها للجبال ، والمراد موضعها من الأرض ، والقاع الصفصف : المستوى من الأرض الذى لا ارتفاع فيه (لاترى فيها عوجا) المعروف فى اللغة أن العوج بالكسر فى المعانى ، وبالفتح فى الأشخاص والأرض شخص ، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح ، وإنما قاله بالكسر مبالغة فى نفيه ، فإن الذى فى المعانى أدق من الذى فى الأشخاص ، فنفاه ليكون غاية فى نفى العوج من كل وجه (ولا أمتا) الأمت : هو الارتفاع اليسير (يتبعون الداعى) يعنى الذى يدعو الخلق إلى الحشر (لاعوج له) أى لا يعوج أحد عن اتباعه والمشى نحو صوته ، أولا عوج لدعوته لأنها حق (همسا) هو الصوت الخفى (لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا ، ومن فى موضع نصب بتنفع ، وهى واقعة على المشفوع له ، فالمعنى لاتنفع الشفاعة أحد إلا من أذن له الرحمن فى أن يشفع له ، وأن يكون الاستثناء منقطعا ومن واقعة على الشافع ، والمعنى لكن من أذن له الرحمن يشفع (ورضى له قولا) إن أريد بمن أذن له الرحمن المشفوع فيه ، فاللام فى له بمعنى لأجله ، أى رضى قول الشافع لأجل المشفوع فيه ، وإن أريد الشافع فالمعنى رضى له قوله فى الشفاعة (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) الضميران

ظُلْمًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا * وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ

لجميع الخلق ، والمعنى ذكر فى آية الكرسى (ولا يحيطون به علما) قيل المعنى لايحيطون بمعلوماته كقوله ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، والصحيح عندى أن المعنى لايحيطون بمعرفة ذاته إذ لايعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولوأراد المعنى الأول لقال ولايحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى إلابماشاء هناك ولم يستثن هنا (وعنت الوجوه) أى ذلت يوم القيامة (ولا هضما) أى بخسا ونقصا لحسناته (أو يحدث لهم ذكرا) أى تذكرا ، وقيل شرفا وهو هنا بعيد (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أى إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت فالآية : كقوله لاتحرك به لسانك لتعجل به ، وقيل كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه فى الحين ، فأمر بأن يتأنى حتى تفسر له المعانى ، والأول أشهر (عهدنا إلى آدم) أى وصيناه أن لايأكل من الشجرة (فنسى) يحتمل أن يكون النسيان الذى هو ضد الذكر ، فيكون ذلك عذراً لآدم أو يريد الترك ، وقال ابن عطية : ولايمكن غيره ، لأن الناسى لاعقاب عليه ، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس فى البقرة (فلايخرجنكما من الجنة فتشقى) أى لاتطيعاه فيخرجكما من الجنة فجعل المسبب موضع السبب وخص آدم بقوله فتشقى لأنه كان المخاطب أولا ، والمقصود بالكلام ، وقيل لأن الشقاء فى معيشة الدنيا مختص بالرجال (لاتظمأ فيها ولاتضحى) الظمأ هو العطش ، والضحى هو البروز للشمس (يخصفان) ذكر فى الأعراف وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك فى البقرة (اهبطا خطاب لآدم وحواء (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة وجوابها فمن اتبع (فلا يضل ولايشقى) أى لايضل فى الدنيا ولايشقى فى الآخرة (معيشة ضنكا) أى ضيقة ، فقيل إن ذلك فى الدنيا ، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وإن كان واسع الحال ، وقد قال بعض الصوفية لايعرض أحد عن ذكر الله إلاأظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه ، وقيل إن ذلك فى البرزخ ، وقيل فى جهنم بأكل الزقوم ، وهذا

حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ۝ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ

ضعيف لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى يعنى أعمى البصر (فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) من الترك لا من الذهول (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى عذاب جهنم أشد وأبقى من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى (أفلم يهدلهم) معناه أفلم يتبين لهم ، والضمير لقريش والفاعل يهد مقدر تقديره أولم يهدلهم الهدى أو الأمر ، وقال الزمخشرى الفاعل الجملة التى بعده ، وقيل الفاعل ضمير الله عز وجل ، ويدل عليه قراءة أفلم نهد بالنون ، وقال الكوفيون الفاعل كم (يمشون فى مساكنهم) يريد أن قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود ، ويعاينون آثار هلاكهم (لأولى النهى) أى ذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) الكلمة هنا القضاء السابق ، والمعنى لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما : أى واقعا بهم (وأجل مسمى) معطوف على كلمة : أى لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزاما وإنما أخره لتعتدل رؤس الآى ، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر ، وبذلك ورد تفسيره فى البخارى ، وقيل المراد به أجل الموت ، وقيل القيامة (وسبح) يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة ، أو قول سبحان الله وهو ظاهر اللفظ (بحمد ربك) فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح ، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك فيكون أمرا بالجمع بين قوله سبحان الله وقوله الحمد لله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح : الصلاة ، فالتى قبل طلوع الشمس الصبح ، والتى قبل غروبها الظهر والعصر ، ومن آناء الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح ، وكرر الصبح فى ذلك تأكيدا للأمر بها ، وسمى الطرفين أطرافا لأحد وجهين : إما على نحو فقد صغت قلوبكما ، وإما أن يجعل النهار للجنس ، فلكل يوم طرف ، وآناء الليل ساعاته ، واحدها إنى (ولا تمدن عينيك) ذكر فى الحجر ومد العينين هو تطويل النظر ففى ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه (زهرة الحياة الدنيا) شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار ، لأن الزهر له منظر حسن ، ثم يذبل ويضمحل ، وفى نصب زهرة خمسة أوجه أن ينتصب بفعل مضمر على الذم ، أو يضمن متعنا معنى أعطينا ، ويكون زهرة مفعولا ثانيا له ، أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور أو يكون بدلا من أزواجا على تقدير ذوى زهرة أو ينتصب على الحال (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم (لا نسألك رزقا) أى لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن

نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ * وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ * قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ الصِّرَاطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ *

سـورة الأنبيـاء

مكية وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ بَلْ قَالُوٓا

نرزقك ، ، كان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمركم الله ، ويتلو هذه الآية (أولم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى) البينة هنا البرهان ، والصحف الأولى هى التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ، والضمير فى قالوا وفى أولم تأتهم لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت : أجابهم الله بهذا الجواب ، والمعنى قد جاءكم برهان مافى التوراة والإنجيل من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فلأى شىء تطلبون آية أخرى ، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص مافى الصحف الأولى ، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) الآية : معناها لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لاحتجوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا ، ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه صلى الله عليه وسلم (قل كل متربص) أى قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر (فتربصوا) تهديد (الصراط السوى) المستقيم

سـورة الأنبيـاء عليهم السلام

(اقترب للناس حسابهم) الناس لفظ عام ، وقال ابن عباس : المراد به هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك ، لأنه من صفاتهم ، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب ، لأن الذى مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقى لها ولأن كل آت قريب (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى بالذكر القرآن ، ومحدث : أى محدث النزول (وأسروا النجوى الذين ظلموا) الواو فى أسروا ضمير فاعل يعود على ماقبله ، والذين ظلموا : بدل من الضمير ، وقيل إن الفاعل هو الذين ظلموا ، وجاء ذلك على لغة من قال أكلونى البراغيث ، وهى لغة بنى الحارث بن كعب ، وقال سيبويه لم تأت هذه اللغة فى القرآن ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوباً بفعل مضمر على الذم أو خبر ابتداء مضمر ، والأول أحسن (هل هذا إلا بشر مثلكم) هذا الكلام فى موضع نصب بدل من النجوى ، لأنه هو الكلام الذى تناجوا به ، والبشر المذكور فى الآية هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قال ربى يعلم القول) إخبار بأنه ما تناجوا به على أنهم أسروه ، فإن قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسروا النجوى؟ فالجواب : أن القول يشمل السر والجهر

أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۝ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ۝ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ

فحصل به ذكر السر وزيادة (بل قالوا أضغاث أحلام) أى أخلاط منامات ، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم (كما أرسل الأولون) أى كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية فالتشبيه فى الإتيان بالمعجزة (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها) لما قالوا فليأتنا بآية أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا ، ثم قال (أفهم يؤمنون) أى أن حالهم فى عدم الإيمان وفى الهلاك كحال من قبلهم ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك ولا يكون على هذا جواباً لقولهم فليأتنا بآية بل يكون إخبارا مستأنفاً على وجه التهديد ؛ وأهلكناها فى موضع الصفة لقرية ، والمراد أهل القرية (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا) رد على قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى أن الرسل المتقدمين رجالا من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا (أهل الذكر) يعنى أحبار أهل الكتاب (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) أى ما جعلنا الرسل أجساداً غير طاعمين ، ووحد الجسد لإرادة الجنس ، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد ، وفى الآية رد على قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام (ومن نشاء) يعنى المؤمنين (فيه ذكركم) أى شرفكم وقيل تذكيركم (قصمنا) أى أهلكنا ، وأصله من قصم الظهر أى كسره (من قرية) يريد أهل القرية ؛ قال ابن عباس : هى قرية باليمن يقال لها حضور بعث الله إليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل ، وظاهر اللفظ أنه على العموم لأن كم للتكثير ، فلا يريد قرية معينة (يركضون) عبارة عن فرارهم ، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجرى أو شبهوا فى سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة (لا تركضوا) أى قيل لهم لا تركضوا والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم ، أو رجال بختنصر إن كانت القرية المعينة قالوا ذلك لهم خداعاً ليرجعوا فيقتلوهم (أترفتم) أى نعمتم (لعلكم تسئلون) تهكم بهم وتوبيخ أى ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون عما جرى عليكم ، ويحتمل أن يكون تسئلون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم وهذا أيضاً تهكم (قالوا ياويلنا) الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم (حصيداً خامدين) شبهوا فى هلاكهم بالزرع المحصود ، ومعنى خامدين : موتى وهو تشبيه بخمود النار (لاعبين) حال منفية أى ما خلقنا السموات

لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ * وَلَهُۥ مَن فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ * أَمِ اتَّخَذُوٓا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ

والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها (لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا) اللهو فى لغة اليمن : الولد، وقيل المرأة، ومن لدنا : أى من الملائكة، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ ولداً لاتخذناه من الملائكة، لا من بنى آدم، فهو رد على من قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب لاتصاله بقوله لاعبين، وقال الزمخشرى المعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ لهواً لكان ذلك فى قدرتنا ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة، وفى كلا القولين نظر (إن كنا فاعلين) يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية، والأول أظهر (بل نقذف بالحق على الباطل) الحق عام فى القرآن والرسالة والشرع وكل ماهو حق، والباطل عام فى أضداد ذلك (فيدمغه) أى يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ (ومن عنده) يعنى الملائكة (ولا يستحسرون) أى لا يعيون ولا يملون (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أم هنا للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها من الأرض يتعلق بينشرون والمعنى أن الآلهة التى اتخذها المشركون لا يقدرون أن ينشروا الموتى من الأرض فليست بآلهة فى الحقيقة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة (لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير فى قوله فيهما للسموات والأرض، وإلا الله صفة لآلهة، وإلا بمعنى غير، فاقتضى الكلام أمرين أحدهما نفى كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً، والأمر الثانى : أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله إلا الله، وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لو لم تذكر هذه الكلمة، وقال كثير من الناس فى معنى الآية : إنها دليل على التمانع الذى أورده الأصوليون، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما، وذلك أيضاً محال، لأن النقيضين لا يرتفعان معاً، ولأن ذلك يؤدى إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذى تنفذ إرادته هو الإله، والذى لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد. وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع فى التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة، ولا وليان لخطة واحدة (لا يسئل عما يفعل) لأنه مالك كل شىء والمالك يفعل فى ملكه مايشاء، ولأنه حكيم، فأفعاله كلها جارية على الحكمة (وهم يسئلون) لفقد العلتين (أم اتخذوا من دونه آلهة) كرر هذا الإنكار استعظاما للشرك. ومبالغة فى تقبيحه لأن قبله من صفات الله مايوجب توحيده ولياط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل ولا من جهة الشرع

هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۝ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝

(هاتوا برهانكم) تعجيز لهم وقد تكلمنا على هاتوا فى البقرة (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) رد على المشركين والمعنى هذا الكتاب الذى معى والكتب التى من قبلى ليس فيهما مايقتضى الإشراك بالله ، بل كلها متفقة على التوحيد (وما أرسلنا) لآية : رد على المشركين ، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بلا إله إلا الله (عباد مكرمون) يعنى الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض الكفار أنهم بنات الله ، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض البنوة ، ووصفهم بالكرامة ، لأن ذلك هو الذى غر الكفار حتى قالوا فيهم ماقالوا (لايسبقونه بالقول) أى لايتكلمون حتى يتكلم هو تأدبا معه (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أى لمن ارتضى أن يشفع له ، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة فى الآخرة أو فى الدنيا وهى استغفارهم لمن فى الأرض (مشفقون) أى خائفون (ومن يقل منهم) الآية على فرض أن لو قالوا ذلك ، ولكنهم لا يقولونه ، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين وقيل إن الذى قال إنى إله هو إبليس لعنه الله (كانتا رتقا ففتقناهما) الرتق مصدر وصف به ، ومعناه الملتصق بعضه ببعض الذى لاصدع فيه ولافتح ، والفتق الفتح فقيل كانت السموات ملصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء ، وقيل كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والأرضون كذلك ففتقهما الله سبعا سبعا والرؤية فى قوله أولم ير على هذا رؤية قلب ، وقيل فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات ، فالرؤية على هذا رؤية عين (وجعلنا من الماء كل شىء حى) أى خلقنا من الماء كل حيوان ويعنى بالماء المنى وقيل الماء الذى يشرب لأنه سبب لحياة الحيوان ، ويدخل فى ذلك النبات باستعارة (رواسى) يعنى الجبال (أن تميد) تقديره كراهية أن تميد (فجاجا) يعنى الطرق الكبار ، وإعرابه عند الزمخشرى حال من السبل ، لأنه صفة تقدمت على النكرة (لعلهم يهتدون) يعنى فى طرقهم وتصرفاتهم (سقفا محفوظا) أى حفظ من السقوط ومن الشياطين (عن آياتها معرضون) يعنى الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك (كل فى فلك يسبحون) التنوين فى كل عوض عن الإضافة أى كلهم فى فلك يسبحون يعنى الشمس والقمر دون الليل والنهار ، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح فى الفلك فالجملة فى موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفا ، فإن قيل : لفظ كل ويسبحون جمع ، فكيف يعنى الشمس والقمر وهما اثنان ؟ فالجواب : أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهى كثيرة

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ * خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ

قاله الزمخشرى وقال القزنوى: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وعبر عنهما بضمير الجماعة العقلاء فى قوله يسبحون، لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال فى فلك، وهى أفلاك كثيرة؟ فالجواب أنه أراد كل واحد يسبح فى فلكه، وذلك كقولهم: كساهم الأمير حلة أى كساكل واحد منهم حلة، ومعنى الفلك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين إنه من موج، وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يجرون، أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم فى الماء، وقوله كل فى فلك من المقلوب الذى يقرأ من الطرفين (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) سببها أن الكفار طعنوا على النبى صلى الله عليه وسلم بأنه بشر يموت، وقيل إنهم تمنوا موته ليشمتوا به، وهذا أنسب لما بعده (أفإن مت فهم الخالدون) موضع دخول الهمزة فهم الخالدون وتقدمت لأن الاستفهام له صدر الكلام (كل نفس ذائقة الموت) أى كل نفس مخلوقة لابد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة (ونبلوكم بالشر والخير) أى نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير، أو خلاف ذلك (فتنة) مصدر من معنى نبلوكم (أهذا الذى يذكر آلهتكم) أى يذكرهم بالذم دلت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بذم أو مدح، والجملة تفسير للهزء أى يقولون أهذا الذى (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) الجملة فى موضع الحال أى كيف ينكرون ذكك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق بالملامة، وقيل معنى بذكر الرحمن تسميته بهذا الاسم، لأنهم أنكروها، والأول أغرق فى ضلالهم (خلق الإنسان من عجل) خلق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة للمبالغة: كقولهم خلق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التى اقترحوها والعذاب الذى طلبوه، فذكر الله هذا توطئة لقوله فلا تستعجلون، وقيل المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم. وهذا ضعيف، وقيل من عجل: أى من طين، وهذا أضعف (سأريكم آياتى) وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل (ويقولون) الآية: تفسير لاستعجالهم (الوعد) القيامة وقيل نزول العذاب بهم (لو يعلم) جواب لو محذوف (حين) مفعول به ليعلموا: أى لو يعلمون الوقت الذى يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا (بل تأتيهم) الضمير الفاعل للنار، وقيل للساعة (تبهتهم) أى تفجؤهم (ولا هم ينظرون) أى لا يؤخرون عن العذاب (ولقد استهزئ) الآية تسلية بالتأسى (فحاق) أى أحاط (من يكلؤكم) أى من

رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۞ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ * وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۞ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ

يحفظكم من أمر الله ، ومن استفهامية ، والمعنى تهديد ، وإقامة حجة ، لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ ، ثم جاء قوله (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) بمعنى أنهم إذا سئلوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه لأنهم تقوم عليهم الحجة إن أجابوا ، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله : أى عن الجواب الذى فيه ذكر الله ، وقال الزمخشرى معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أى تمنعهم من العذاب ، وأم هنا للاستفهام ، والمعنى الإنكار والنفى ، وذلك أنه لما سألهم عمن يكلؤهم : أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله : لا يستطيعون نصر أنفسهم ، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره (ولا هم منا يصحبون) الضمير للكفار : أى لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) أى متعناهم بالنعم والعافية فى الدنيا فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله ، والإضراب ببل عن معنى الكلام المتقدم : أى لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصر ولا حفظ ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم (ننقصها من أطرافها) ذكر فى الرعد (ولا يسمع الصم الدعاء) إشارة إلى الكفار ، والصم استعارة فى إفراط إعراضهم (نفحة) أى خطرة وفيها تقليل العذاب ، والمعنى أنهم لو رأوا أقل شىء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم (ونضع الموازين القسط) أى العدل ، وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع ، لأنه مصدر وصف به كالعدل والرضا ، وعلى تقدير ذوات القسط ، ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال ، والخفة والثقل متعلقة بالأجسام ، إما صحف الأعمال ، أو ما شاء الله ، وقالت المعتزلة : إن الميزان عبارة عن العدل فى الجزاء (ليوم القيامة) ، وقال ابن عطية تقديره لحساب يوم القيامة ، أو لحكمة ، فهو على حذف مضاف وقال الزمخشرى هو كقولك كتبت الكتاب لست خلون من الشهر (مثقال حبة) أى وزنها والرفع على أن كان تامة ، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمر (الفرقان) هنا التوراة ، وقيل التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة (وهذا ذكر) يعنى القرآن (رشده) أى إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك (من قبل) أى قبل موسى وهارون ، وقيل آتيناه رشده قبل النبوة (وكنا به

التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي
فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا
إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ
يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۝ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۝
قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۝ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۝
ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ۝ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا

عالمين) أى علمناه أنه يستحق ذلك (التماثيل) يعنى الأصنام وكانت على صور بنى آدم (وجدنا آباءنا) اعتراف بالتقليد من غير دليل (قالوا أجئتنا بالحق) أى هل الذى تقول حق أم مزاح ، وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل ، وعن اللعب بالجملة الإسمية ، لأنه أثبت عندهم (فطرهن) أى خلقهن ، والضمير للسموات والأرض ، أو التماثيل ، وهذا أليق بالرد عليهم (بعد أن تولوا مدبرين) يعنى خروجهم إلى عيدهم (جذاذاً) أى فتاتاً ، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح ، وهو من الجذ بمعنى القطع (إلا كبيراً لهم) ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدوم فى يده (لعلهم إليه يرجعون) الضمير للصنم الكبير أى يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شىء ، وقيل الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أى يرجعون إليه فيبين لهم الحق (قالوا من فعل هذا) قبله محذوف تقديره فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة ، فقالوا من فعل هذا (فتى يذكرهم) أى يذكرهم بالذم وبقوله لأكيدن أصنامكم (يقال له إبراهيم) قيل إن إعراب إبراهيم منادى ، وقيل خبر ابتداء مضمر ، وقيل رفع على الإهمال ، والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله ، لأن المراد الاسم لا المسمى وهذا اختيار ابن عطية والزمخشرى (لعلهم يشهدون) أى يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له (قال بل فعله كبيرهم) قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم ، كأنه يقول إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل ، وإن لم يقدر فليس بإله ولم يقصد الإخبار المحض ، لأنه كذب ، فإن قيل : فقد جاء فى الحديث إن ابراهيم كذب ثلاث كذبات : أحدها قوله فعله كبيرهم ، فالجواب أن معنى ذلك أنه قال قولا ظاهره الكذب ، وإن كان القصد به معنى آخر ، ويدل على ذلك قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) لأنه أراد به أيضا تبكيتهم وبيان ضلالهم (فرجعوا إلى أنفسهم) أى رجعوا إليها بالفكرة والنظر ، أو رجعوا إليها بالملامة (فقالوا إنكم أنتم الظالمون) أى الظالمون لأنفسكم فى عبادتكم مالا ينطق ولا يقدر على شىء أو الظالمون لإبراهيم فى قولكم عنه إنه لمن الظالمين ، وفى تعنيفه على أعين الناس (ثم نكسوا على رءوسهم) استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة (فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون ،

وَلَا يَضُرُّكُمْ ۖ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ۖ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا

وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال فى فعلهم ، وغاية المكابرة والمعاندة فى جدالهم ، ويحتمل أن يكون نكسوا على رءوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون : إعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة ، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رءوسهم حقيقة : أى أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة (أف لكم) تقدم الكلام على أف فى الإسراء (قالوا حرقوه) لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم (قلنا يانار كونى برداً وسلاماً) أى ذات برد وسلام ، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة ، واختلف كيف بردت النار فقيل أزال الله عنها مافيها من الحر ، والإحراق ، وقيل دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها ، وقيل خلق بينه وبينها حائلا ، ومعنى السلام هنا السلامة ، وقد روى أنه لولم يقل سلاماً لهلك إبراهيم من البرد وقد أضربنا عما ذكره الناس فى قصة إبراهيم لعدم صحته ، ولأن ألفاظ القرآن لاتقتضيه (إلى الأرض التى باركنا فيها) هى الشام خرج إليها من العراق، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها (نافلة) أى عطية ، والتنفيل العطاء ، وقيل سماه نافلة : لأنه عطاء بغير سؤال ، فكأنه تبرع ، وقيل الهبة إسحاق ، والنافلة يعقوب ، لأنه سأل إسحاق بقوله هب لى من الصالحين فأعطى يعقوب زيادة على ماسأل ، واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى ، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول (يهدون بأمرنا أى يرشدون الناس بإذننا (ولوطا) قيل إنه انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناه والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضا ، وقيل بفعل مضمر تقديره اذكر (آتيناه حكما) أى حكما بين الناس : أو حكمة (من القرية) هى سدوم من أرض الشام (وأدخلناه فى رحمتنا) أى فى الجنة أوفى أهل رحمتنا (نادى من قبل) أى دعا قبل إبرهيم ولوط (من الكرب) يعنى من الغرق (ونصرناه من القوم) تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدى بمن ، أو تضمن معنى نجيناه أوأجرناه (وداود وسليمان) كان داود نبيا ملكا ، وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عاما (فى الحرث) قيل زرع ، وقيل كرم ، والحرث يقال فيهما (إذ نفشت) رعت فيه بالليل

وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ۝ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ

(لحكمهم) الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين ، وقيل لداود وسليمان خاصة ، على أن يكون أقل الجمع اثنان (ففهمناها سليمان) تخاصم إلى دواد رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم ، ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب ، فأخبراه بما حكم به أبوه ، فدخل عليه فقال يانبيّ الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع ، قال وماهو؟ قال يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان ، ويأخذ صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها ، فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها ، والأرض بزرعها إلى ربها ، فقال له داود : وفقت يانبيّ ، وقضى بينهما بذلك ، ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء مافات من الزرع ، وواجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان ، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لاحكما ، واختلف الناس هل كان حكمهما بوحى أواجتهاد فمن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء ، وروى أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه ، وقد اختلف فى جواز الاجتهاد فى حق الأنبياء ، وعلى القول بالجواز اختلف ، هل وقع أم لا ؟ وظاهر قوله ففهمناها سليمان : أنه كان باجتهاد نخص الله به سليمان ففهم القضية ، ومن قال كان بوحى جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود ، وأما حكم إفساد المواشى الزرع فى شرعنا ، فقال مالك والشافعى : يضمن أرباب المواشى ما أفسدت بالليل دون النهار للحديث الوارد فى ذلك ، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان ، لأن النفش لايكون إلا بالليل ، وقال أبو حنيفة : لايضمن ماأفسدت بالليل ولا بالنهار ، لقوله صلى الله عليه وسلم : العجماء جرحها جبار (وكلا آتيناه حكما وعلما) قيل يعنى فى هذه النازلة ، وأن داود لم يخطئ فيها ، ولكنه رجع إلى ماهو أرجح ، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب ، وقيل بل يعنى حكما وعلما فى غير هذه النازلة ، وعلى هذا القول فإنه أخطأ فيها ، وأن المصيب واحد من المجتهدين (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) كان هذا التسبيح قول سبحان الله ، وقيل الصلاة معه إذا صلى ، وقدم الجبال على الطير ، لأن تسبيحها أغرب إذ هى جماد (وكنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل هذا ، وقال ابن عطية : معناه كان ذلك فى حقه لأجل أن داود استوجب ذلك مناصفة (صنعة لبوس) يعنى دروع الحديد ، وأول من صنعها داود عليه السلام ، وقال ابن عطية اللبوس فى اللغة السلاح وقال الزمخشرى اللبوس اللباس (لتحصنكم من بأسكم) أى لتقيكم فى القتال وقرئ بالياء والتاء والنون ، فالنون لله تعالى ، والتاء للصنعة ، والياء لداود أوللبوس (فهل أنتم شاكرون) لفظ استفهام ، ومعناه استدعاء إلى الشكر (ولسليمان الريح عاصفة) عطف الريح على الجبال ، والعاصفة هى الشديدة فإن قيل : كيف يقال عاصفة وقال فى ص رخاء أى لينة ؟ فالجواب : أنها كانت فى نفسها لينة طيبة ، وكانت تسرع فى جريها كالعاصف فجمعت الوصفين ، وقيل كانت رخاء فى ذهابه ، وعاصفة فى رجوعه إلى وطنه ، لأن عادة المسافرين الإسراع فى الرجوع ؛ وقيل كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته (إلى الأرض التى باركنا فيها) يعنى أرض الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه نخص فى الآية الرجوع إليها لأنه يدل على الانتقال منها (يغوصون له) أى

عَـٰلمِينَ ۝ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ۝ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ۝ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۞ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ

يدخلون فى الماء ليستخرجوا له الجواهر من البحار (عملا دون ذلك) أقل من الغوص كالبنيان والخدمة (وكنا لهم حافظين) أى نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه، وقيل معناه عالمين بعددهم (وأيوب إذ نادى ربه) كان أيوب عليه السلام نبيا من الروم، وقيل من بنى إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك الأولاد فصبر، ثم ساط البلاء[1] على جسمه فصبر إلى أن مر به قومه فشمتوا به، فحينئذ دعا الله تعالى، على أن قوله مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ليس تصريحا بالدعاء، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان فى ذلك من حسن التلطف ما ليس فى التصريح بالطلب (فكشفنا ما به من ضر) لما استجاب الله له أنبع له عينا من ماء فشرب منه واغتسل فبرئ من المرض والبلاء (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى أن الله أحيا أولاده الموتى ورزقهم مثلهم معهم فى الدنيا وقيل فى الآخرة، وقيل ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ومثلهم معهم، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله (رحمة من عندنا) أى رحمة لأيوب، وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معا للعابدين (وذا الكفل) قيل هو إلياس وقيل زكريا، وقيل نبى بعث إلى رجل واحد، وقيل رجل صالح غير نبى، وسمى ذا الكفل: أى ذا الحظ من الله وقيل لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده (وذا النون) هو يونس عليه السلام، والنون هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه (إذ ذهب مغاضبا) أى مغاضبا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله ولا تكن كصاحب الحوت، ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه (فظن أن لن نقدر عليه) أى ظن أن نضيق عليه، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه، وقيل هو من القدر والقضاء: أى ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة، ولا يصح قول من قال إنه من القدرة (فنادى فى الظلمات) قيل هذا الكلام محذوف لبيانه فى غير هذه الآية، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمى فى البحر فالتقمه الحوت فنادى فى الظلمات، وهى ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته كقوله وتركهم فى ظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن، والظلم الذى اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم (ونجيناه من الغم) يعنى من بطن الحوت وإخراجه إلى البر (وكذلك ننجى المؤمنين) يحتمل أن يكون مطلقا أو لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة أخى يونس ذى النون مادعا بها مكروب إلا استجيب له (لا تذرنى

---

(١) المراد بالبلاء المرض الذى أصابه وهو مرض باطنى لا تنفر منه الطباع البشرية لعصمة الأنبياء من ذلك

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِى الْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ * وَالَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَابْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَٰتِبُونَ ۝ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً

فرداً) أى بلا ولد ولا وارث (وأنت خير الوارثين) إن لم ترزقنى وارثا فأنت خير الوارثين ، فهو استسلام لله (وأصلحنا له زوجه) يعنى ولدت بعد أن كانت عقيما ، واسم زوجته أشياع ، قاله السهيلى (يسارعون فى الخيرات) والضمير للأنبياء المذكورين (رغبا ورهبا) الرغب الرجاء ، والرهب الخوف ، وقيل الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدى ، والرهب أن ترفع ظهورها (والتى أحصنت فرجها) هى مريم بنت عمران ومعنى أحصنت من العفة أى أعفته عن الحرام والحلال ، كقولها لم يمسسنى بشر (فنفخنا فيها من روحنا) أى أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل فى جيب درعها ، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره والروح هنا هو الذى فى الجسد ، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو للملك (آية) أى دلالة ، ولذلك لم يثن (إن هذه أمتكم) أى ملتكم ملة واحدة ، وهو خطاب للناس كافة ، أو للمعاصرين لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أى إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين ، لأن جميع الأنبياء متفقون فى أصول العقائد (فتقطعوا أمرهم) أى اختلفوا فيه ، وهو استعارة من جعل الشىء قطعا ، والضمير للمخاطبين ، قيل فالأصل تقطعتم (فلا كفران لسعيه) أى لإبطال ثواب عمله (وإنا له كاتبون) أى نكتب عمله فى صحيفته (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قرئ حرام بكسر الحاء وهو بمعنى حرام ، واختلف فى معنى الآية ، فقيل حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة ، أو ممتنع على قرية أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا ، ولا زائدة فى الوجهين ، وقيل حرام بمعنى حتم واقع لا محالة ، ويتصور فيه الوجهان ، وتكون لا نافية فيهما أى حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا وقيل المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه فى الآخرة ، ولا على هذا نافية أيضا ، ففيه رد على من أنكر البعث (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بيرجعون ، وجواب إذا : فإذا هى شاخصة ، وقيل الجواب ياويلنا لأن تقديره يقولون ياويلنا ، وفتحت يأجوج ومأجوج أى فتح سدها فحذف المضاف (وهم من كل حدب ينسلون) الحدب المرتفع من الأرض ، وينسلون : أى يسرعون ، والضمير ليأجوج ومأجوج : أى يخرجون من كل طريق لكثرتهم ، وقيل لجميع الناس (الوعد الحق) يعنى القيامة (فإذا هى شاخصة) إذا هنا للمفاجأة ، والضمير عند سيبويه ضمير القصة ، وعند الفراء ، للأبصار ، وشاخصة من الشخوص وهو إحداد النظر من الخوف (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب

مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ
عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ ۝ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا

جهنم) هذا خطاب للمشركين ، والحصب : ماتوقد به النار : كالحطب وقرأ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، حطب جهنم ، والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق فى النار توبيخا لمن عبدها (واردون) الورود هنا الدخول (زفير) ذكر فى هود (لا يسمعون) قيل يجعلون فى توابيت من نار فلا يسمعون شيئا ، وقيل يصمهم الله كما يعميهم (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) سبقت أى قضيت فى الأزل ، والحسنى السعادة ، ونزلت الآية لما اعترض ابن الزبعرى على قوله : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، فقال إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا ، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد ، واللفظ مع ذلك على عمومه فى كل من سبقت له السعادة (حسيسها) أى صوتها (الفزع الأكبر) أهوال القيامة على الجملة ، وقيل ذبح الموت وقيل النفخة الأولى فى الصور لقوله ففزع من السموات ومن فى الأرض (كطى السجل للكتب) السجل الصحيفة والكتاب مصدر : أى كما يطوى السجل ليكتب فيه ، أو ليصان الكتاب الذى فيه ، وقيل السجل رجل كاتب وهذا ضعيف ، وقيل هو ملك فى السماء الثانية ترفع إليه الأعمال ، وهذا أيضا ضعيف (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى كما قدرنا على البداءة نقدر على الإعادة ، فهو كقوله قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وقيل المعنى نعيدهم على الصورة التى بدأناهم كما جاء فى الحديث : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده ، والكاف متعلقة بقوله نعيده (فاعلين) تأكيداً لوقوع البعث (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) فى الزبور هنا قولان : أحدهما أنه كتاب داود ، والذكر هنا على هذا التوراة التى أنزل الله على موسى ، وما فى الزبور من ذكر الله تعالى ، والقول الثانى أن الزبور جنس الكتب التى أنزلها الله على جميع الأنبياء ، والذكر على هذا هو اللوح المحفوظ : أى كتب الله هذا فى الكتاب الذى أفرده بعد ما كتبه فى اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها ، والأول أرجح ، لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالا ، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع ، ولأن النص قد ورد فى زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون (أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) الأرض هنا على الإطلاق فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقيل الأرض المقدسة ، وقيل أرض الجنة ، والأول أظهر ، والعباد الصالحون : أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ففى الآية ثناء عليهم ، وإخبار بظهور غيب مصداقه فى الوجود إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) هذا خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه تشريف عظيم ، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول ،

إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَـٰلَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَـٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝

سـورة الحج

مدنية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ

والمعنى على هذا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة ، ويحتمل أن يكون مصدرا فى موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره : أرسلناك راحمين للعالمين ، أو يكون مفعولا من أجله ، والمعنى على كل وجه : أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة العظمى ، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة فى الآخرة والأولى ، وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة ، فإن قيل : رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به فالجواب من وجهين : أحدهما أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم ، والآخر أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ماعوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك (آذنتكم على سواء) أى أعلمتكم بالحق على استواء فى الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر (وإن أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون) إن هنا وفى الموضع الآخر نافية ، وأدرى فعل علق عن معموله لأنه من أفعال القلوب وما بعده فى موضع المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه ، والهمزة فى قوله أقريب للتسوية لا لمجرد الاستفهام ، وقيل يوقف على إن أدرى فى الموضعين ، ويبتدأ بما بعده ، وهذا خطأ لأنه يطلب مابعده (لعله فتنة) الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم (ومتاع إلى حين) أى الموت أو القيامة (المستعان على ماتصفون) أى أستعين به على الصبر على ماتصفون من الكفر والتكذيب

سـورة الحج

(اتقوا ربكم) تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (إن زلزلة الساعة) أى شدتها وهولها كقوله وزلزلوا ، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله إذا زلزلت الأرض زلزالها ، والجملة تعليل للأمر بالتقوى ، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك فى الدنيا بين يدى القيامة ، أو بعد أن تقوم القيامة ، والأرجح أن ذلك قبل القيامة ، لأن فى ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة (يوم ترونها) العامل فى الظرف تذهل ، والضمير للزلزلة ، وقيل الساعة ، وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها (تذهل) الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة (مرضعة) إنما لم يقل مرضع ، لأن المرضعة هى التى

اللَّهَ شَدِيدٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ

فى حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبى ، والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به ، فقال مرضعة ليكون ذلك أعظم فى الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبى حينئذ (وترى الناس سكارى) تشبيه بالسكارى من شدة الغمّ (وما هم بسكارى) نفى لحقيقة السكر ، وقرئ سكرى والمعنى متفق (ومن الناس من يجادل فى الله) نزلت فى النضر بن الحارث ، وقيل فى أبى جهل ، وهى تتناول كل من اتصف بذلك (شيطان مريد) أى شديد الإغواء ، ويحتمل أن يريد شيطان الجن أو الإنس (كتب) تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب ، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك كتب الله أنه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله وفى أنه عطف عليه وقيل تأكيد (من تولاه) أى تبعه أو اتخذه وليا ، والضمير فى عليه وفى أنه فى الموضعين وفى تولاه للشيطان ، وفى يضله ، ويهديه للمتولى له ، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولا لمن يجادل (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث) الآية : معناها إن شككتم فى البعث الأخروى فزوال ذلك الشك أن تنظروا فى ابتداء خلقتكم فتعلموا أن الذى قدر على أن خلقكم أول مرة : قادر على أن يعيدكم ثانى مرة ، وأن الذى قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها : قادر على أن يخرجكم من قبوركم (خلقناكم من تراب) إشارة إلى خلق آدم ، وأسند ذلك إلى الناس لأنهم من ذريته وهو أصلهم (من علقة) العلقة قطعة من دم جامدة (من مضغة) أى قطعة من لحم (مخلقة) المخلقة التامة الخلقة ، وغير المخلقة الغير التامة : كالسقط ، وقيل المخلقة المسواة السالمة من النقصان (لنبين لكم) اللام تتعلق بمحذوف تقديره ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث (ونقر) فعل مستأنف (إلى أجل مسمى) يعنى وقت وضع الحمل وهو مختلف وأقله ست أشهر إلى ما فوق ذلك (نخرجكم طفلا) أفرده لأنه أراد الجنس ، أو أراد نخرج كل واحد منكم طفلا (لتبلغوا أشدكم) هو كمال القوة والعقل والتمييز ، وقد اختلف فيه من ثمانى عشرة سنة إلى خمس وأربعين (أرذل العمر) ذكر فى النحل (هامدة) يعنى لا نبات فيها (اهتزت) تحركت بالنبات وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء (وربت) انتفخت (زوج بهيج) أى صنف عجيب (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل ، بأن الله هو الحق ، هكذا قدره الزمخشرى ، والباء على هذا سببية ، وبهذا المعنى أيضا فسره ابن عطية ، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله : وأن الساعة آتية : معطوفا على ذلك ، لأنه ليس بسبب لما ذكر ، فقال ابن عطية قوله أن الساعة ليس بسبب لما ذكر ، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض ، أو على تقدير والأمر أن الساعة وهذان الجوابان اللذان ذكرا ابن عطية ضعيفان : أما قوله إن الأمر مرتبط بعضه ببعض فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف ، والعطف لا يصح ، وأما قوله على تقدير الأمر أن الساعة ، فذلك استئناف

اللهَ هو الحقُّ وأنه يحيي الموتى وأنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ * وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها وأنَّ اللهَ يبعثُ من في القبورِ * ومنَ الناسِ من يجادلُ في اللهِ بغيرِ علمٍ ولا هدًى ولا كتابٍ منيرٍ ۝ ثانيَ عطفِه ليضلَّ عن سبيلِ اللهِ له في الدنيا خزيٌ ونذيقُه يومَ القيامةِ عذابَ الحريقِ ۝ ذلكَ بما قدَّمتْ يداكَ وأنَّ اللهَ ليسَ بظلَّامٍ للعبيدِ ۝ ومنَ الناسِ من يعبدُ اللهَ على حرفٍ فإنْ أصابَه خيرٌ اطمأنَّ به وإنْ أصابتْه فتنةٌ انقلبَ على وجهِه خسرَ الدنيا والآخرةَ ذلكَ هو الخسرانُ المبينُ * يدعُوا من دونِ اللهِ مالا يضرُّه وما لا ينفعُه ذلكَ هو الضلالُ البعيدُ * يدعُوا لمن ضرُّه أقربُ من نفعِه لبئسَ المولى ولبئسَ العشيرُ ۝ إنَّ اللهَ يدخلُ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ إنَّ اللهَ يفعلُ ما يريدُ ۝ من كانَ يظنُّ أن لن ينصرَه اللهُ في

وقطع للكلام الأول ، ولاشك أن المقصود من الكلام الأول : هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله ، والذى يظهر لى أن الباء لبست بسببية، وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى ؛ وذلك أن يكون التقدير ذلك الذى تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف وأن الساعة على ما قبله بهذا التقدير ، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله ذلك مما استدل عليها بخلقة الإنسان والنبات (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فيمن نزلت فيه الأولى وقيل فى الأخنس بن شريق (ثانى عطفه) كناية عن المتكبر المعرض (له فى الدنيا خزى) إن كانت فى النضر بن الحارث : فالخزى أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبى جهل (ذلك بما قدمت يداك) أى يقال له ذلك بما فعلت وبعدل الله ، لأنه لا يظلم العباد (من يعبد الله على حرف) نزلت فى قوم من الأعراب كان أحدهم اذا أسلم فاتفق له مايعجبه فى ماله وولده قال هذا دين حسن ، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتدّ عن الإسلام ، فالحرف هنا كناية عن المقصد ، وأصله من الانحراف عن الشىء ، أو من الحرف بمعنى الطرف أى أنه فى طرف من الدين لا فى وسطه (خسر الدنيا والآخرة) خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها ، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده (مالا يضره) يعنى الأصنام ويدعو بمعنى يعبد فى الموضعين (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) فيها إشكالان : الأول فى المعنى وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع ، ثم وصفها بأن ضرّها أقرب من نفعها فنفى الضرّ ثم أثبته، فالجواب أن الضر المنفى أولا يراد به مايكون من فعلها وهى لا تفعل شيئا ، والضر الثانى يراد به مايكون بسببها من العذاب وغيره ، والاشكال الثانى دخول اللام على من وهى فى الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول ، وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه : أحدها أن اللام مقدمة على موضعها ، كأن الأصل أن يقال يدعو من لضره أقرب من نفعه ، فموضعها الدخول على المبتدإ ، والثانى أن يدعو هنا كرر تأكيداً ليدعو الأول وتم الكلام عنده ، ثم ابتدأ قوله لمن ضرّه ، فمن مبتدأ وخبره لبئس المولى، وثالثها أن معنى يدعو يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرة الأصنام فدخلت اللام على مبتدإ فى أول الكلام (المولى) هنا بمعنى الولى (العشير) الصاحب فهو من العشيرة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية : لما ذكر أن

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ * وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى

الأصنام لا تنفع من عبدها ، قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع ، وهو دخول الجنة (فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع) السبب هنا الحبل ، والسماء هنا سقف البيت وشبهه من الأشياء التى تعلق منها الحبال ، والقطع هنا يراد به الاختناق بالحبل ، يقال قطع الرجل إذا اختنق ، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل فى العنق ، وربطه فى السقف ، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرته أو طمعا فيما لا يصل إليه ، كقوله للحسود : مت كمدا ، أو اختنق ؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك ، وفى معنى الآية قولان الأول أن الضمير فى ينصره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى على هذا من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل ، فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار ، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والقول الثانى أن الضمير فى ينصره عائد على من ، والمعنى على هذا من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله : فليختنق وليمت بغيظه ، فإنه لا يقدر على غير ذلك ، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى ييئس من نصره ، ولذلك فسر بعضهم أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه ، وهذا القول أرجح من الأول لوجهين : أحدهما أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف ، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لن ينصره ، فيكون هذا الكلام متصلا بما قبله : ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية : إن الله يفعل ما يريد : أى الأمور بيد الله فلا ينبغى لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة ، والوجه الثانى ، أن الضمير فى ينصره على هذا القول يعود على ما تقدمه وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) الكيد هنا يراد به اختناقه ، وسمى كيدا لأنه وضعه موضع الكيد ، إذ هو غاية حيلته ، والمعنى إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيظه من الأمر ، أى ليس يذهبه (وكذلك أنزلناه) الضمير للقرآن أى مثل هذا أنزلنا القرآن كله (آيات بينات وأن الله يهدى من يريد) قال ابن عطية أن فى موضع خبر الابتداء والتقدير الأمر أن الله ، وهذا ضعيف ، لأن فيه تكلف إضمار وقطع للكلام عن المعنى الذى قبله ، وقال الزمخشرى التقدير لأن الله يهدى من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات ، فجعل أن تعليلا للإنزال ، وهذا ضعيف للفصل بينهما بالواو والصحيح عندى أن قوله وأن الله معطوف على آيات بينات ، لأنه مقدر بالمصدر ، فالتقدير أنزلناه آيات بينات وهدى لمن أراد الله أن يهديه (والصابئين) ذكر فى البقرة وكذلك الذين هادوا (والمجوس) هم الذين يعبدون النار ، ويقولون : إن الخير من النور والشر من الظلمة (والذين أشركوا) هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم (إن الله يفصل بينهم) هذه الجملة هى خبر إن الذين آمنوا والذين هادوا الآية ، وكررت مع الخبر للتأكيد ، وفصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق ، وسائر الأديان باطلة ، وبأن

السَّمٰوٰتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ

يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار (يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض) دخل فى هذا من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من الملائكة والجن ولم يدخل الناس فى ذلك لأنه ذكرهم فى آخر الآية ، إلا أن يكون ذكرهم فى آخرها على وجه التجريد ، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف لأنه لا يصح فى حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما ، وإنما المراد به الانقياد ثم إن الانقياد يكون على وجهين أحدهما الانقياد لطاعة الله طوعا ، والآخر الانقياد لما يجرى الله على المخلوقات فى أفعاله وتدبيره شاؤا أو أبوا (وكثير من الناس) إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لطاعة الله ، فيكون كثير من الناس معطوفا على ما قبله من الأشياء التى تسجد ويكون قوله وكثير حق عليه العذاب مستأنفا يراد به من لا ينقاد للطاعة ويوقف على قوله وكثير من الناس ، وهذا القول هو الصحيح ؛ وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره فلا يصح تفضيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى ، وقيل إن قوله وكثير من الناس معطوف على ما قبله ثم عطف عليه كثير حق عليه العذاب فالجميع على هذا يسجد وهذا ضعيف لأن قوله حق عليه العذاب يقتضى ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود ، وتأوله الزمخشرى على هذا المعنى ، بأن إعراب كثير من الناس فاعل بفعل مضمر تقديره يسجد سجود طاعة أو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره مثاب وهذا تكلف بعيد (هذان خصمان) الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس فى أديانهم ، وهو قول ابن عباس ، وقيل نزلت فى على ابن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات ، والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة ، والمراد به هنا الجماعة ؛ والإشارة بهذان إلى الفريقين (اختصموا فى ربهم) أى فى دينه وفى صفاته والضمير فى اختصموا لجماعة الفريقين (فالذين كفروا) الآية : حكم بين الفريقين بأن جعل للكفار النار وللمؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا (قطعت لهم ثياب من نار) أى فصلت على قدر أجسادهم ، وهو مستعار من تفصيل الثياب (الحميم) الماء الحار (يصهر به ما فى بطونهم) أى يذاب ، وذلك أن الحميم إذا صب على رؤسهم وصل حره إلى بطونهم فأذاب ما فيها ، وقيل معنى يصهر ينضج (مقامع) جمع مقمعة أى مقرعة (من حديد) يضربون بها ، وقيل هى السياط (من غم) بدل من المجرور قبله (وذوقوا) التقدير يقال لهم ذوقوا (من أساور من ذهب) من لبيان الجنس أو للتبعيض وفسرنا الأساور فى الكهف (ولؤلؤا)

وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَهُدُوٓا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوٓا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ
بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ
وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝

بالنصب مفعول بفعل مضمر أى يعطون لؤلؤا ، أو معطوف على موضع من أساور إذ هو مفعول ، وبالخفض معطوف على أساور أو على ذهب (الطيب من القول) قيل هو لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (صراط الحميد) أى صراط الله ، فالحميد اسم الله ، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد ، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع (إن الذين كفروا) خبره محذوف يدل عليه قوله نذقه من عذاب أليم، وقيل الخبر يصدون على زيادة الواو ، وهذا ضعيف ، وإنما قال يصدون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل (سواء) بالرفع مبتدأ وخبره مقدر والجملة فى موضع المفعول الثانى لجعلنا، وقرئ بالنصب على أنه المفعول الثانى والعاكف فاعل به (العاكف فيه والباد) العاكف المقيم فى البلد والبادى القادم عليه من غيره والمعنى أن الناس سواء فى المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد وذلك إجماع ، وقال أبو حنيفة حكم سائر مكة فى ذلك كالمسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك ، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة ، وقال مالك وغيره ليست الدور فى ذلك كالمسجد ، بل هى متملكة (بإلحاد بظلم) الإلحاد الميل عن الصواب ، والظلم هنا عام فى المعاصى من الكفر إلى الصغائر ، لأن الذنوب فى مكة أشد منها فى غيرها ، وقيل هو استحلال الحرام ومفعول يرد محذوف تقديره من يرد أحداً أو من يرد شيئاً ، وبإلحاد بظلم : حالان مترادفان ، وقيل المفعول قوله بإلحاد على زيادة الباء (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت العامل فى إذ مضمر تقديره اذكر وبوأنا أصله من باء بمعنى رجع ، ثم ضوعف ليتعدى ، واستعمل بمعنى أنزلنا فى الموضع كقوله تبوئ المؤمنين ، إلا أن هذا المعنى يشكل هنا لقوله لإبراهيم لتعدى الفعل باللام ، وهو يتعدى بنفسه حتى قيل اللام زائدة ، وقيل معناه هيأنا، وقيل جعلنا ، والبيت هنا الكعبة ، وروى أنه كان آدم يعبد الله فيه ، ثم درس بالطوفان ، فدل الله إبراهيم عليه السلام على مكانه ، وأمره ببنيانه (أن لا تشرك) أن مفسرة ، والخطاب لإبراهيم عليه السلام ، وإنما فسرت تبوئة البيت بالنهى عن الإشراك ، والأمر بالتطهير ، لأن التبوئة إنما قصدت لأجل العبادة التى تقتضى ذلك (طهرا بيتى) عام فى التطهير من الكفر والمعاصى والأنجاس وغير ذلك (والقائمين) يعنى المصلين (وأذن فى الناس بالحج) خطاب لإبراهيم ، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول هو الصحيح ، روى أنه لما أمر بالأذان بالحج : صعد على جبل أبى قبيس، ونادى : أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا ، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة وهم فى أصلاب آبائهم وأجابه فى ذلك الوقت كل شىء من جماد وغيره . لبيك اللهم لبيك ، فجرت التلبية على ذلك (يأتوك رجالا) جمع راجل أى ماشيا على رجليه (وعلى كل ضامر) الضامر يراد به كل ما يركب من فرس وناقة وغير ذلك وإنما وصفه بالضمور لأنه لا يصل إلى البيت إلا بعد ضموره ، وقوله وعلى كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالا وركبانا ، واستدل

لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي

بعضهم بتقديم الرجال فى الآية على أن المشى إلى الحج أفضل من الركوب ، واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر بهذه الآية ، على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر (يأتين) صفة لكل ضامر ، لأنه فى معنى الجمع (من كل فج عميق) أى طريق بعيد (منافع لهم) أى بالتجارة ، وقيل أعمال الحج وثوابه ، واللفظ أعم من ذلك (ويذكروا اسم الله) يعنى التسمية عند ذبح البهائم ونحرها وفى الهدايا والضحايا، وقيل يعنى الذكر على الإطلاق ، وإنما قال اسم الله ، لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء (فى أيام معلومات) هى عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة لأن هذه هى أيام الضحايا عنده ، ولم يجز ذبحها بالليل لقوله فى أيام وقيل الأيام المعلومات عشر ذى الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده ، وقيل عشر ذى الحجة خاصة ، وأما الأيام المعدودات فهى الثلاثة بعد يوم النحر ، فيوم النحر من المعلومات لا من المعدودات واليومان بعده من المعلومات والمعدودات ورابع النحر من المعدودات لا من المعلومات (فكلوا منها) ندب أو إباحة ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر (البائس) الذى أصابه البؤس وقيل هو المتكفف وقيل الذى يظهر عليه أثر الجوع (ثم ليقضوا تفثهم) التفث فى اللغة الوسخ فالمعنى ليقضوا إزالة تفثهم بقص الأظفار والاستحداد وسائر خصال الفطرة والتنظف بعد أن يحلوا من الحج ، وقيل التفث أعمال الحج ، وقرئ بكسر اللام وإسكانها ، وهى لام الأمر وكذلك وليوفوا وليطوفوا (وليطوفوا) المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع المفسرين وهو الطواف الواجب (بالبيت العتيق) أى القديم ، لأنه أول بيت وضع للناس وقيل العتيق الكريم ، كقولهم : فرس عتيق ، وقيل أعتق من الجبابرة أى منع منهم ، وقيل العتيق هو الذى لم يملكه أحد قط (ذلك) هنا وفى الموضع الثانى مرفوع على تقدير الأمر ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه ، ثم يقول هذا وقد كان كذا ، وأجاز بعضهم الوقف على قوله ذلك فى ثلاثة مواضع من هذه السورة وهى هذا و« ذلك ومن يعظم شعائر الله » و« ذلك ومن يشرك بالله » لأنها جملة مستقلة أو هو خبر ابتداء مضمر ، والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبى جعفر بن الزبير ، لأن مابعدها ليس كلاما أجنبيا ، ومثلها «ذلك ومن عاقب » و« ذلكم فذوقوه » فى الأنفال ، و« هذا وإن للطاغين» فى ص (حرمات الله) جمع حرمة ،وهو مالايحل هتكه من جميع الشريعة ، فيحتمل أن يكون هنا على العموم ، أو يكون خاصا بما يتعلق بالحج لأن الآية فيه (فهو خير له) أى التعظيم للحرمات خير (إلا مايتلى عليكم) يعنى ماحرمه فى غير هذا الموضع كالميتة (الرجس من الأوثان) من لبيان الجنس كأنه قال الرجس الذى هو الأوثان ، والمراد النهى عن عبادتها أو عن الذبح تقربا إليها كما كانت العرب تفعل (قول الزور) أى الكذب ، وقيل شهادة الزور (فكأنما خر من السماء) الآية ، تمثيل للمشرك بمن أهلك نفسه أشد الهلاك (سحيق) أى بعيد (شعائر الله) قيل هى الهدايا

به الرِّيحُ فى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا

فى الحج وتعظيمها بأن تختار سمانا عظاما غالية الأثمان ، وقيل مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة ، وتعظيمها إجلالها وتوقيرها والقصد اليها ، وقيل الشعائر أمور الدين على الإطلاق وتعظيمها القيام بها وإجلالها (فإنها من تقوى القلوب) الضمير عائد على الفعلة التى يتضمنها الكلام وهى مصدر يعظم ، وقال الزمخشرى : التقدير : فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب ، فحذفت هذه المضافات (لكم فيها منافع) من قال إن شعائر الله هى الهدايا ، فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمن اضطر إليها ، والأجل المسمى نحرها . ومن قال إن شعائر الله مواضع الحج ، فالمنافع التجارة فيها أو الأجر ، والأجل المسمى : الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة (ثم محلها إلى البيت العتيق) من قال إن شعائر الله الهدايا فمحلها موضع نحرها وهى منى ومكة ، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدى ، وثم على هذا القول ليست للترتيب فى الزمان لأن محلها قبل نحرها ، وإنما هى لترتيب الجمل ، ومن قال إن الشعائر موضع الحج ، فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم : أى آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعنى طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم من إحرامه ومن قال إن الشعائر أمور الدين على الاطلاق فذلك لا يستقيم مع قوله محلها إلى البيت (ولكل أمة جعلنا منسكا) أى لكل أمة مؤمنة ، والمنسك اسم مكان أى موضعها لعبادتهم ، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة ، والمراد بذلك الذبائح لقوله « ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام » بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربا إلى الأصنام (فإلهكم إله واحد) فى وجه اتصاله بما قبله وجهان : أحدهما أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبها بقوله فإلهكم إله واحد أى هو الذى شرع المناسك لكم ولمن تقدم قبلكم ، والثانى أنه إشارة إلى الذبائح أى إلهكم إله واحد فلا تذبحوا تقربا لغيره (المخبتين) الخاشعين وقيل المتواضعين ، وقيل نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكذلك قوله بعد ذلك وبشر المحسنين واللفظ فيهما أعم من ذلك (وجلت) خافت (والبدن) جمع بدنة ، وهو ماأشعر من الإبل ، واختلف هل يقال للبقرة بدنة ، وانتصابه بفعل مضمر (من شعائر الله) واحدها شعيرة ، ومن للتبعيض ، واستدل بذلك من قال إن شعائر الله المذكورة أو على العموم فى أمور الدين (لكم فيها خير) قيل الخير هنا المنافع المذكورة قبل ، وقيل الثواب ، والصواب العموم فى خير الدنيا والآخرة (صواف) معناه قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ، وهى منصوبة على الحال من الضمير المجرور ، ووزنه فواعل ، وواحده صافة (وجبت جنوبها) أى سقطت إلى الأرض عند موتها ، يقال وجب

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ
لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ
كَفُورٍ ۝ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ
إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ

الحائط وغيره إذا سقط (القانع) معناه السائل ، وهو من قولك قنع الرجل بفتح النون : إذا سأل ، وقيل معناه المتعفف عن السؤال ، فهو على هذا من قولك قنع بالكسر إذا رضى بالقليل (والمعترّ) المعترض بغير سؤال ، ووزنه مفتعل ، يقال اعترت بالقوم إذا تعرّضت لهم ، فالمعنى أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله ، وأطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية ، ومن تعرض للعطاء (كذلك سخرناها لكم) أى كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم ، وقال الزمخشرى التقدير مثل التخيير الذى علمتم سخرناها لكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) المعنى لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء ، وإنما تصلون إليه بالتقوى أى بالإخلاص لله ، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا ، فعبر عن هذا المعنى بلفظ ينال مبالغة وتأكيداً ، لأنه قال لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله ، وإنما تصل بالتقوى منكم ، فإن ذلك هو الذى طلب منكم ، وعليه يحصل لكم الثواب ، وقيل كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية (كذلك سخرها لكم) كرر للتأكيد (لتكبروا الله) قيل يعنى قول الذابح بسم الله والله أكبر ، واللفظ أعم من ذلك (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة ، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم ، وحذف مفعول يدافع ليكون أعظم وأعم ، وقرئ يدافع بالألف ، ويدفع بسكون الدال من غير الألف ، وهما بمعنى واحد أجريت فاعل مجرى فعل من قولك عاقبة الأمر ، وقال الزمخشرى : يدافع : معناه يبالغ فى الدفع عنهم ، لأنه للمبالغة ، وفعل المغالبة أقوى (إن الله لا يحب كل خوان كفور) الخوان مبالغة فى خائن ، والكفور مبالغة فى كافر ، قال الزمخشرى هذه الآية علة لما قبلها (أذن للذين يقاتلون) هذه أول آية نزلت فى الإذن فى القتال ، ونسخت الموادعة مع الكفار ، وكان نزولها عند الهجرة ، وقرئ أذن بضم الهمزة على البناء لما لم يسم فاعله ، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى ، والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ، وقرئ يقاتلون بفتح التاء وكسرها (بأنهم ظلموا) أى بسبب أنهم ظلموا (الذين أخرجوا من ديارهم) يعنى الصحابة فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة ، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة ، ومنهم من هاجر إلى المدينة ونسب الإخراج إلى الكفار لأن الكلام فى معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم (إلا أن يقولوا ربنا الله) قال ابن عطية هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيبويه ، وقال الزمخشرى أن يقولوا : فى محل الجر على الابدال من حق (ولولا دفع الله الناس) الآية تقوية للإذن فى القتال وإظهار للمصلحة التى فيه كأنه يقول لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، وقيل المعنى : لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة ، والأول أليق بسياق الآية ، وقرئ دفاع بالألف مصدر دافع ،

يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ
أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ
فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن
يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ

وبغير ألف مصدر دفع (لهدمت) قرئ بالتخفيف والتشديد للمبالغة (صوامع) جمع صومعة بفتح الميم وهى موضع العبادة وكانت للصابئين ولرهبان النصارى ، ثم سمى بها فى الإسلام موضع الأذان ، والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهى كنائس النصارى والصلوات كنائس اليهود ، وقيل هى مشتركة لكل أمة ، والمراد بها مواضع الصلوات ، والمساجد للمسلمين ، فالمعنى لولا دفع الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة فى أزمانهم ، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عباداتهم (يذكر فيها اسم الله) الضمير لجميع ماتقدم من المتعبدات ، وقيل للمساجد خاصة (ولينصرن الله من ينصره) أى من ينصر دينه وأولياءه ، وهو وعد تضمن الحض على القتال (الذين إن مكناهم) الآية : قيل يعنى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الصحابة ، وقيل الخلفاء الأربعة لأنهم الذين مكنوا فى الأرض بالخلافة ففعلوا ماوصفهم الله به (وإن يكذبوك) الآية ضمير الفاعل لقريش ، والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية له والوعيد لهم (نكير) مصدر بمعنى الإنكار (على عروشها) العروش السقف فإن تعلق الجار بخاوية : فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهى فوقها ، وإن كان الجار والمجرور فى موضع الحال : فالمعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها (بئر معطلة) أى لايستقى الماء منها لهلاك أهلها ، وروى أن هذه البئر هى الرس ، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود ، والأظهر أنه لم يرد التعيين ، لقوله « كأين من قرية » وهذا اللفظ يراد به التكثير (وقصر مشيد) أى مبنى بالشيد وهو الجص ، وقيل المشيد المرفوع البنيان (قلوب يعقلون) دليل على أن العقل فى القلب خلافا للفلاسفة فى قولهم العقل فى الدماغ (فإنها لا تعمى الأبصار) أى لا تعمى الأبصار عمى يعتد به ، وإنما العمى الذى يعتد به عمى القلوب ، وإن هؤلاء القوم ماعميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم ، فالمعنى الأول لقصد المبالغة ، والثانى خاص بهؤلاء القوم (التى فى الصدور) مبالغة كقوله يقولون بأفواههم (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير لكفار قريش (ولن يخلف الله وعده) إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب ، وسماه وعدا ؛ لأن المراد به مفهوم (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) المعنى أن يوما من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف

أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ۞ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي

يوم وذلك خمسمائة سنة وقيل المعنى إن يوما واحدا من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس طويلة ، وإن كانت فى الحقيقة قصيرة ، وفى كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب ، إلا أن الأول أرجح ، لأن الألف سنة فيه حقيقة ، وقيل إن اليوم المذكور فى الآية هو يوم من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض (وكأين من قرية) ذكر أولا القرى التى أهلكها بغير إملاء ، وذكر هنا التى أهلكها بعد الإملاء ، والإملاء هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد ، وعطف هذه الجملة بالواو على الجمل المعطوفة قبلها بالواو ، وقال فى الأولى فكأين لأنه بدل من قوله فكيف كان نكير (سعوا فى آياتنا) أى سعوا فيها بالطعن عليها ، وهو من قولك سعى فى الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده (معاجزين) بالألف : أى مغالبين ، لأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات ، والآيات تقتضى عجزهم ، فصارت مفاعلة ، وقرئ بالتشديد من غير ألف ومعناه أنهم يعجزون الناس عن الإسلام أى يثبطونهم عنه (من رسول ولا نبى) النبىّ أعم من الرسول فكل رسول نبىّ وليس كل نبىّ رسولا ، فقدم الرسول لمناسبته لقوله أرسلنا وأخر النبى لتحصيل العموم ، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل فى ذلك من كان نبيا غير رسول (إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة والنجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين فلما بلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان ، تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد واختلف فى كيفية إلقاء الشيطان ، فقيل إن الشيطان هو الذى تكلم بذلك ، وظن الناس أن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هو المتكلم به لأنه قرب صوته من صوت النبىّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى التبس الأمر على المشركين وقيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو ؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس فى قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد ، والقول الثانى أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة ، والقول الأول أرجح ، لأن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم معصوم فى التبليغ ، فمعنى الآية أن كل نبى وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان ، واختلف فى معنى تمنى وأمنيته فى هذه الآية فقيل تمنى بمعنى تلا ، والأمنية : التلاوة : أى إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده فى تلاوته ، وقيل هو من التمنى بمعنى حب الشىء ، وهذا المعنى أشهر فى اللفظ : أى تمنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مقاربة قومه واستئلافهم ، وألقى الشيطان ذلك فى هذه الأمنية ليعجبهم ذلك (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يبطله كقولك نسخت الشمس الظل (ليجعل) متعلق بقوله ينسخ ويحكم (للذين فى قلوبهم مرض) أى أهل الشك (والقاسية

شقاق بعيد ۝ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين
ءامنوا إلى صراط مستقيم ۝ ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب
يوم عقيم ۝ الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين ءامنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم * والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ۝ والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله
رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ۝ ذلك ومن عاقب
بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ۝ ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل وأن الله سميع بصير ۝ ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو
العلى الكبير ۝ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير ۝ له ما فى

قلوبهم) المكذبون ، وقيل الذين فى قلوبهم مرض عامة الكفار ، والقاسية قلوبهم أشد كفرا وعتوا كأبى جهل (وإن الظالمين لفى شقاق بعيد) يعنى بالظالمين المذكورين قبل، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر ، ليقضى عليهم بالظلم ، والشقاق : العداوة ، ووصفه ببعيد ، لأنه فى غاية الضلال والبعد عن الخير (الذين أوتوا العلم) قيل يعنى الصحابة ، واللفظ أعم من ذلك (أنه الحق) الضمير عائد على القرآن ، وقال الزمخشرى هو لتمكين الشيطان من الإلقاء (فتخبت) أى تخشع (فى مرية منه) الضمير للقرآن ، أو للنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو الإلقاء (يوم عقيم) يعنى يوم بدر ، ووصفه بالعقيم لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم ، لأنهم يقتلون فيه ، وقيل هو يوم القيامة ، والساعة مقدماته ، ويقوى ذلك قوله : الملك يومئذ لله ، ثم قسم الناس إلى قسمين : أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم (قتلوا أو ماتوا) روى أن قوما قالوا يارسول الله قد علمنا ماأعطى الله لمن قتل من الخيرات ، فما لمن مات معك ، فنزلت الآية معلمة أن الله يرزق من قتل ومن مات معا ، ولا يقتضى ذلك المساواة بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت (رزقا حسنا) يحتمل أن يريد به الرزق فى الجنة بعد يوم القيامة ، أو رزق الشهداء فى البرزخ ، والأول أرجح، لأنه يعم الشهداء والموتى (مدخلا) يعنى الجنة (ذلك) تقديره هنا : الأمر ذلك كما يقول الكاتب هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر (ومن عاقب بمثل ماعوقب به) سمى الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوزا كما تسمى العقوبة أيضا باسم الذنب ووعد بالنصر لمن بغى عليه (إن الله لعفو غفور) إن قيل ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة ؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أن فى ذكر هذين الوصفين إشعار بأن العفو أفضل من العقوبة ، فكأنه حض على العفو، والثانى أن فى ذكرهما إعلاما بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذى هو أولى (ذلك بأن الله يولج الليل) أى ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل، ومعنى الإيلاج هنا أنه يدخل ظلمة هذا فى مكان ضوء هذا ، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا ، وقيل الإيلاج هو ما ينقص من أحدهما ويزيد فى الآخر (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك الوصف الذى وصف الله به هو

السَّمٰوٰت وَمَا فى الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فى الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسٰنَ لَكَفُورٌ ۝ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فى الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فى السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذٰلِكَ فى كِتَٰبٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فى وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُۥٓ إِنَّ

بسبب أنه الحق (فتصبح الأرض مخضرة) تصبح هنا بمعنى تصير، وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر، فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة، والبلاد الحارة، وأما على معنى تصير فذلك عام فى كل بلد، والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جوابا لقوله ألم تر لنصبت الفعل، وكان المعنى نفى خضرتها وذلك خلاف المقصود، وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة ليفيد بقاءها كذلك مدة (سخر لكم ما فى الأرض) يعنى البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك (أن تقع) فى موضع مفعول على تقدير عن أن تقع، وقال الزمخشرى كراهة أن تقع فهو مفعول من أجله (إلا بإذنه) يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل طى السماء كوقوعها أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء (أحياكم) أى أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح (ثم يميتكم) يعنى الموت المعروف (ثم يحييكم) يعنى البعث (لكفور) أى جحود للنعمة (منسكا) هو اسم مصدر لقوله ناسكوه ولو كان اسم مكان لقال ناسكون فيه (فلا ينازعنك) ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغى منازعة النبى صلى الله عليه وسلم، لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهى والمراد غير النهى، وقيل إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك فحذف الأول لدلالة الثانى عليه، ويحتمل أن يكون نهيا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ (فى الأمر) أى فى الدين والشريعة أو فى الذبائح (وادع إلى ربك) أى ادع الناس إلى عبادة ربك (وإن جادلوك) الآية: تقتضى موادعة منسوخة بالقتال (إن ذلك فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله (إن ذلك على الله يسير) يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات فى الكتاب، أو إلى الحكم فى الاختلاف والأول أظهر (مالم ينزل به سلطانا) يعنى الأصنام؛ والسلطان هنا: الحجة والبرهان، وماليس لهم به علم: قيل إنه يعنى ماليس لهم به علم ضرورى، فنفى أولا البرهان النظرى، ثم العلم الضرورى، وليس اللفظ بظاهر فى هذا المعنى بل الأحسن نفى العلم الضرورى والنظرى معا (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) أى الإنكار لما يسمعون فالمنكر مصدر: كالمكرم بمعنى الإكرام ويعرف ذلك فى وجوههم بعبوسها وإعراضها (يسطون) من السطوة

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

وهى سرعة البطش (النار وعدها الله) يحتمل أن تكون النار مبتدأ ، ووعدها الله خبرا أو يكون النار خبرا بتداء مضمر كأنّ قائلا قال ماهو ، فقيل هو النار ، ويكون وعدها الله استئنافا وهذا أظهر (ضرب مثل) أى ضرب به الله لإقامة الحجة على المشركين (لن يخلقوا ذبابا) تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى والمعنى أن الأصنام التى تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره ، فكيف تعبد من دون الله الذى خلق كل شىء ، ثم أوضح عجزهم بقوله (ولو اجتمعوا له) أى لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) بيان أيضا لعجز الأصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه ، وقد قيل إن المراد بما يسلب الذباب منهم الطيب الذى كانت تجعله العرب على الأصنام واللفظ أعم من ذلك (ضعف الطالب والمطلوب) المراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب الذباب لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سلبته منها . وقيل الطالب الكفار والمطلوب الأصنام . لأن الكفار يطلبون الخير منهم (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر (اركعوا واسجدوا) فى هذه الآية سجدة عند الشافعى وغيره للحديث الصحيح الوارد فى ذلك خلافا للمالكية (واعبدوا ربكم) عموم فى العبادة بعد ذكر الصلاة التى عبر عنها بالركوع والسجود ، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات (وافعلوا الخير) قيل المراد صلة الرحم ، وقال ابن عطية هى فى الندب فيما عدا الواجبات ، واللفظ أعم من ذلك كله (وجاهدوا فى الله) يحتمل أن يريد جهاد الكفار ، أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى ، أو العموم فى ذلك (حق جهاده) قيل إنه منسوخ كنسخ حق تقاته بقوله ما استطعتم ، وفى ذلك نظر ، وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليبين بذلك فضله واختصاصه بالله (اجتباكم) أى اختاركم من بين الأمم (من حرج) أى مشقة ، وأصل الحرج الضيق (ملة أبيكم إبراهيم) انتصب ملة بفعل مضمر تقديره أعنى بالدين ملة إبراهيم ، أو التزموا ملة إبراهيم وقال الفراء انتصب على تقدير حذف الكاف كأنه قال كملة ، وقال الزمخشرى انتصب بمضمون ما تقدم : كأنه قال وسع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم ، ثم حذف المضاف ، فإن قيل : لم يكن إبراهيم أبا للمسلمين كلهم ، فالجواب : أنه أبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبا لأمته لأن أمة الرسول فى حكم أولاده ، ولذلك قرئ وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم ، وأيضا فإن قريشا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم ، وهم أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم (هو سماكم) الضمير لله تعالى ومعنى من قبل فى الكتب المتقدمة ، وفى هذا أى فى القرآن ، وقيل الضمير لإبراهيم والإشارة إلى

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۞

سـورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

قوله : ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، ومعنى من قبل على هذا : من قبل وجودكم ، وهنا يتم الكلام على هذا القول ويكون قوله «وفى هذا» مستأنفا : أى وفى هذا البلاغ ، والقول الأول أرجح وأقل تكلفا ، ويدل عليه قراءة أبىّ بن كعب : الله سماكم المسلمين (شهيدا عليكم) تقدم معنى هذه الشهادة فى البقرة (فأقيموا الصلاة) الظاهر أنها المكتوبة لاقترانها مع الزكاة (هو مولاكم) معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة مابعد ذلك

سـورة المؤمنون

(الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الخشوع حالة فى القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع وقد عد بعض الفقهاء الخشوع فى فرائض الصلاة ، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها ، وقد جاء فى الحديث لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب ، فقد يحضر القلب ولا يخشع (عن اللغو معرضون) اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو ، والكلام بما لا يعنى ، وعدد أنواع المنهى عنه من الكلام عشرون نوعا ، ومعنى الإعراض عنه : عدم الاستماع إليه والدخول فيه ، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به ، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضى ذلك من باب أولى وأحرى (للزكاة فاعلون) أى مؤدون ، فإن قيل : لم قال فاعلون ولم يقل مؤدون ؟ فالجواب ؛ أن الزكاة لها معنيان أحدهما الفعل الذى يفعله المزكى أى أداء مايجب على المال ، والآخر المقدار المخرج من المال كقولك هذه زكاة مالى ، والمراد هنا الفعل لقوله «فاعلون» ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره هم لأداء الزكاة فاعلون (على أزواجهم) هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أى لا يلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله حافظون على أن يكون على بمعنى عن (أو ماملكت أيمانهم) يعنى النساء المملوكات ، قال الزمخشرى إنما قال ماملكت ، ولم يقل من ، لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء (وراء ذلك) يعنى ماسوى الزوجات والمملوكات (لأماناتهم وعهدهم) يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده فى دينه أو العموم ، والأمانة أعم من العهد

رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ

لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدم (راعون) أى حافظون لها قائمون بها (على صلواتهم يحافظون) المحافظة عليها هى فعلها فى أوقاتها مع توفية شروطها ، فإن قيل: كيف كرر ذكر الصلوات أولا وآخرا؟ فالجواب : أنه ليس بتكرار ، لأنه قد ذكر أولا الخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها ، فهما مختلفان ، وأضاف الصلاة فى الموضعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها (الوارثون) أى المستحقون للجنة ، فالميراث استعارة ، وقيل إن الله جعل لكل إنسان مسكنا فى الجنة ومسكنا فى النار ، فيرث المؤمنون مساكن الكفار فى الجنة (الفردوس) مدينة الجنة وهى جنة الأعناب ، وأعاد الضمير عليها مؤنثا على معنى الجنة (ولقد خلقنا الإنسان) اختلف هل يعنى آدم ، أو جنس بنى آدم (من سلالة من طين) السلالة : هى ما يسل من الشىء : أى ما يستخرج منه ، ولذلك قيل إنها الخلاصة ، والمراد بها هنا القطعة التى أخذت من الطين وخلق منها آدم ، فإن أراد بالإنسان آدم : فالمعنى أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين ، ولكن قوله بعد هذا (ثم جعلناه نطفة) لابد أن يراد به بنو آدم ، فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولا ، ولكن يفسره سياق الكلام ، وإن أراد بالإنسان ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه ، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين : أى خلق أصله وهو أبوه آدم ويحتمل عندى أن يراد بالإنسان الجنس الذى يعمّ آدم وذريته ، فأجمل ذكر الإنسان أولا ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم : وهى من طين ، وإلى الخلقة المختصة بذريته . وهى النطفة ، فإن قيل : ما الفرق بين من ومن ؟ فالجواب على ماقال الزمخشرى : أن الأولى للابتداء ، والثانية للبيان . كقوله من الأوثان (فى قرار مكين) يعنى رحم الأم ، ومعنى مكين : متمكن وذلك فى الحقيقة من صفة النطفة المستقرة ، لامن صفة المحل المستقر فيه ، ولكنه كقولك طريق سائر : أى يسير الناس فيه ، وقد تقدم تفسير النطفة والمضغة والعلقة فى أول الحج (خلقا آخر) قيل هو نفخ الروح فيه ، وقيل خروجه إلى الدنيا ، وقيل استواء الشباب وقيل على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته (فتبارك الله) هو مشتق من البركة ، وقيل معناه تقدس (أحسن الخالقين) أى أحسن الخالقين خلقا ، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه ، وفسر بعضهم الخالقين بالمقدرين فرارا من وصف المخلوق بأنه خالق ، ولا يجب أن ينفى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله « وإذ تخلق من الطين » وإنما الذى يجب أن ينفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم ، فهذا هو الذى انفرد الله به (سبع طرائق) يعنى السموات ، وسماها طرائق لأن بعضها طورق فوق بعض كمطارقة النعل ، وقيل يعنى الأفلاك لأنها طرق للكواكب (وما كنا عن الخلق غافلين) يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين أو المصدر

بِهِ لَقَـٰدِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ

(ماء بقدر) يعنى المطر الذى ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار فى الأرض، وقيل يعنى أربعة أنهار وهى النيل ، والفرات ، ودجلة ، وسيحان ، ولا دليل على هذا التخصيص ، ومعنى بقدر : بمقدار معلوم لايزيد عليه ولا ينقص منه (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعنى الزيتون ، وإنما خص النخيل والأعناب والزيتون بالذكر : لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع ، وطور سيناء جبل بالشام وهو الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وينسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة وسيناء اسم جبل أضافه إليه كقوله : جبل أحد ، وقرئ بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم ، وقرئ بالكسر ، ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف ، لأن فعلاء بالكسر لاتكون ألفه للتأنيث ، وقيل معناه مبارك ، وقيل ذوشجرة ، ويلزم على ذلك صرفه (تنبت بالدهن) يعنى الزيت ، وقرئ تنبت بفتح التاء ، فالمجرور على هذا فى موضع الحال . كقولك جاء زيد بسلاحه ، وقرئ بضم التاء وكسر الباء ، وفيه ثلاثة أوجه : الأول أن أنبت بمعنى نبت والثانى حذف المفعول تقديره تنبت ثمرتها بالدهن والثالث زيادة الباء (وصبغ للآكلين) الصبغ الغمس فى الإدام (فى الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم والمقصود بالذكر الإبل ، لقوله « وعليها وعلى الفلك تحملون » وقد تقدم فى النحل ذكر المنافع التى فيها وتذكيرها وتأنيثها (ماهذا إلا بشر) استبعدوا أن تكون النبوة لبشر ؛ فياعجباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر (يريد أن يتفضل) أى يطلب الفضل والرياسة عليكم (ماسمعنا بهذا) أى بمثل مادعاهم إليه من عبادة الله ، أو بمثل الكلام الذى قال لهم ،وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة (به جنة) أى جنون . فانظر اختلاف قولهم فيه : فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة ، وتارة إلى الجنون (حتى حين) أى إلى وقت لم يعينوه ، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم ، أو وقت موته (انصرنى بما كذبون) تضمن هذا دعاء عليهم ، لأن نصرته إنما هى بإهلاكهم وقد تقدم فى هود تفسير بأعيننا ووحينا ، وفار التنور ، ولاتخاطبنى (اسلك فيها)

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۝ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۝ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ

أى أدخل فيها ، وقد تقدم تفسير زوجين اثنين (وإن كنا لمبتلين) إن مخففة من الثقيلة ، ومبتلين : اسم فاعل من ابتلى ، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار ، أو إنزال البلاء (قرنا آخرين) قيل إنهم عاد ورسولهم هود ، لأنهم الذين يلون قوم نوح ، وقيل إنهم ثمود ورسولهم صالح ، وهذا أصح لقوله: فأخذتهم الصيحة ، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة، وأما عاد فأهلكوا بالريح (من قومه) قدم هذا المجرور على قوله الذين كفروا لئلا يوهم أنه متصل بقوله الحياة الدنيا بخلاف قوله : قال الملأ الذين كفروا من قومه فى غير هذا الموضع (أترفناهم) أى نعمناهم (بشر مثلكم) يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبىّ من البشر ، أو قالوه أنفة من اتباع بشر مثلهم ، وكذلك قال قوم نوح (أيعدكم) استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد (أنكم مخرجون) كرر أن تأكيداً للأولى ؛ ومخرجون خبر عن الأولى (هيهات هيهات لما توعدون) هذا من حكاية كلامهم ، وهيهات اسم فعل بمعنى بعد ، وقال الغزنوى هى للتأسف والتأوه ، ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان ، وتارة يجىء فاعله دون لام كقوله ، فهيهات هيهات العقيق وأهله ، وتارة يجىء باللام كهذه الآية، قال الزجاج فى تفسيره: البعد لما توعدون ، فنزله منزلة المصدر ، قال الزمخشرى : وفيه وجه آخر وهى أن تكون اللام لبيان المستبعد ماهو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، فوضع هى موضع الحياة لدلالة الخبر عليها (نموت ونحيا) أى يموت بعض ويولد بعض ، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر ومرادهم إنكارهم البعث (عما قليل) ما زائدة، وقيل صفة للزمان والتقدير عن زمان قليل يندمون (فجعلناهم غثاء) يعنى هالكين كالغثاء والغثاء مايحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود ، فشبه به الهالكين (فبعدا) مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعدوا: أى هلكوا، والعامل فيه مضمر لا يظهر (تترا) مصدر ووزنه فعلى، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوع موضع الحال: أى متواترين واحداً بعد واحد. فمن قرأه بالتنوين : فألفه للإلحاق، ومن قرأه بغير تنوين : فألفه للتأنيث فلم ينصرف ، وتأنيثه لأن الرسل جماعة والتاء الأولى فيه بدل من واو هى فاء الكلمة

فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ۞ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا
مِنَ الْمُهْلَكِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۞ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا
إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۞ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ
هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۞ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۞
فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ *
إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞

(وجعلناهم أحاديث) أى يتحدث الناس بما جرى عليهم ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحدوثة، وهذا أليق لأنها تقال فى الشر (قوما عالين) أى متكبرين (وقومهما لنا عابدون) أى خادمون متذللون (لعلهم يهتدون) الضمير لبنى إسرائيل لا لقوم فرعون، لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة (وآويناهما إلى ربوة) الربوة الموضع المرتفع من الأرض، ويجوز فيها فتح الراء وضمها وكسرها، واختلف فى موضع هذه الربوة، فقيل بيت المقدس، وقيل بغوطة دمشق، وقيل بفلسطين (ذات قرار ومعين) القرار المستوى من الأرض فمعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجارى، فقيل إنه مشتق من قولك معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فعيل، وقيل إنه مشتق من العين، فالميم زائدة، ووزنه مفعول (ياأيها الرسل) هذا النداء ليس على ظاهره، لأن الرسل كانوا فى أزمنة متفرقة، وإنما المعنى أن كل رسول فى زمانه خوطب بذلك، وقيل الخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد (كلوا من الطيبات) أى من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات فالأمر للإباحة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) قرئ إن بالكسر على الاستئناف وبالفتح على معنى لأن، وهى متعلقة بقوله آخرا «فاتقون» وقيل تتعلق بفعل مضمر تقديره واعلموا، والأمة هنا الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره (فتقطعوا أمرهم) أى افترقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم (زبرا) جمع زبور: وهو الكتاب، والمعنى أنهم افترقوا فى اتباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك، ووضعوا كتابا من عند أنفسهم (فذرهم فى غمرتهم) الضمير لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء (حتى حين) هنا يوم بدر أو يوم موتهم (أيحسبون) الآية: رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم وأنهم سبب لرضا الله عنهم (نسارع لهم) هذا خبر أن، والضمير الرابط محذوف تقديره نسارع به (بل لا يشعرون) أى لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم، ففيه معنى التهديد (يؤتون ما آتوا) قيل معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل إنه عام فى جميع أفعال البر أى يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ۝ لَا تَجْـَٔرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا

وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا أنها قرأت يؤتون ما أتوا بالقصر ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة ، وقيل إنه عام فى الحسنات والسيئات : أى يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله (أنهم إلى ربهم راجعون) أن فى موضع المفعول من أجله ، أو فى موضع المفعول بوجلت ، إذ هى فى معنى خائفة (أولئك يسارعون فى الخيرات) فيه معنيان : أحدهما أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات ، والآخر أنهم يتعجلون ثواب الخيرات ، وهذا مطابق للآية المتقدمة ، لأنه أثبت فيهم ما نفى عن الكفار من المسارعة (وهم لها سابقون) فيه المعنيان المذكوران فى يسارعون للخيرات ، وقيل معناه سبقت لهم السعادة فى الأزل (لا نكلف نفسا إلا وسعها) يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحون غير خارج عن الوسع والطاقة ، وقد تقدم الكلام على تكليف ما لا يطاق فى البقرة (ولدينا كتاب) يعنى صحائف الأعمال ، ففى الكلام تهديد وتأمين من الظلم والحيف (فى غمرة من هذا) أى فى غفلة من الدين بجملته ومن القرآن ، وقيل من الكتاب المذكور ، وقيل من الأعمال التى وصف بها المؤمنون (ولهم أعمال من دون ذلك) أى لهم أعمال سيئة دون الغمرة التى هم فيها ، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال ، والإشارة بذلك على هذا إلى الغمرة ، وإنما أشار إليها بالتأكيد لأنها فى معنى الكفر ، وقيل الإشارة إلى قوله من هذا : أى لهم أعمال سيئة غير المشار إليه حسبما اختلف فيه (هم لها عاملون) قيل هى إخبار عن أعمالهم فى الحال ، وقيل عن الاستقبال ، وقيل المعنى أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله فجعل « حتى إذا أخذنا مترفيهم » غاية لقوله عاملون (مترفيهم) أى أغنياؤهم وكبراؤهم (إذا هم يجأرون) أى يستغيثون ويصيحون ، فإن أراد بالعذاب قتل المترفين يوم بدر : فالضمير فى يجأرون لسائر قريش : أى صاحوا وناحوا على القتلى ، وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة : فالضمير لجميعهم (لا تجأروا اليوم) تقديره يقال لهم يوم العذاب لا تجأروا ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة ، وأن يكون بلسان الحال ولفظه نهى ، ومعناه : أن الجؤار لا ينفعهم (على أعقابكم تنكصون) أى ترجعون إلى وراء وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهى القرآن (مستكبرين به) قيل إن الضمير عائد على المسجد الحرام وقيل إنه على الحرم وإن لم يذكر ؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام والمعنى أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام لأنهم أهله وولاته ، وقيل إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات ، والمعنى على هذا أن القرآن يحدث لهم عتوا وتكبرا ، وقيل إنه يعود على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على هذا متعلق بسامراً (سامراً) مشتق من السمر وهو الجلوس بالليل للحديث ، وكانت قريش تجتمع بالليل فى المسجد فيتحدثون وكان أكثر حديثهم سب النبى صلى الله عليه وسلم ، وسامرا مفرد بمعنى الجمع ، وهو منصوب

رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ
أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ
تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ

على الحال فمن جعل الضمير فى به للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فالمعنى أنهم سامرون بذكره وسبه (تهجرون) من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه تقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام ، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهجر بفتح الهاء أى تهجرون الإسلام ، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، أو من قولك هجر المريض إذا هذى أى تقولون اللغو من القول (أفلم يدبروا القول) يعنى القرآن ، وهذا توبيخ لهم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) معناه أن النبوة ليست ببدع فينكرونها بل قد جاءت آباؤهم الأولين فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم (أم لم يعرفوا رسولهم) المعنى أم لم يعرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنه أشرفهم حسبا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأرجحهم عقلا ، فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون ، أو غير ذلك من النقائص ، مع أنه جاءهم بالحق الذى لا يخفى على كل ذى عقل سليم ، وأنه عين الصواب (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) الاتباع هنا استعارة ، والحق هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم ، فالمعنى لو كان الأمر على ما تقتضى أهواءهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض كقوله «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» وقيل إن الحق فى الآية هو الله تعالى ، وهذا بعيد فى المعنى ، وإنما حمله عليه أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة ، وإنما الحق هنا هو المذكور فى قوله «بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون» (بل أتيناهم بذكرهم) يحتمل أن يكون بتذكيرهم ووعظهم أو بفخرهم وشرفهم وهذا أظهر (أم تسألهم خرجا) الخرج هو الأجرة ويقال فيه خراج والمعنى واحد ، وقرئ بالوجهين فى الموضعين فهو كقوله أم تسألهم أى لست تسألهم أجرا فيثقل عليهم اتباعك (فخراج ربك خير) أى رزق ربك خير من أموالهم فهو يرزقك ويغنيك عنهم (عن الصراط لناكبون) أى عادلون ومعرضون عن الصراط المستقيم (ولو رحمناهم) الآية : قال الأكثرون : نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها ، فالمعنى رحمناهم بالخصب وكشفنا مابهم من ضر الجوع والقحط : لتمادوا على طغيانهم ، وفى هذا عندى نظر ، فإن الآية مكية باتفاق ، وإنما دعا النبى صلى الله عليه وسلم على قريش بعد الهجرة حسبما ورد فى الحديث ، وقيل المعنى لو رحمناهم بالرد إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ، وهذا القول لا يلزم عليه ، الزم على الآخر ، ولكنه خرج عن معنى الآية (ولقد أخذناهم بالعذاب) قيل إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر ، وهذا مردود بأن العذاب الذى أصابهم إنما كان بعد بدر ، وقيل إن العذاب الذى أخذهم هو يوم بدر ، والباب المتوعد به هو القحط ، وقيل الباب ذو العذاب الشديد : عذاب الآخرة ، وهذا أرجح ، ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا ، وقال : إذا هم فيه مبلسون : أى

شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَهُوَ
الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝
بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا
هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ
فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا

يائسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس فى الآخرة كقوله «ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون» (فما استكانوا) أى ما تذللوا لله عز وجل، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة فى آخر آل عمران (وما يتضرعون) إن قيل: هلا قال فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكينون وما يتضرعون باتفاق الفعلين فى الماضى أو فى الاستقبال؟ فالجواب: أن ما استكانوا عند العذاب الذى أصابهم، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد فنفى الاستكانة فيما مضى، ونفى التضرع فى الحال والاستقبال (قليلا ما تشكرون) ما زائدة، وقليلا صفة لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة - وهى القلوب - لعظم المنافع التى فيها فيجب شكر خالقها ومن شكره: توحيده واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، ففى ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة (ذرأكم فى الأرض) أى نشركم فيها (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو فاعله ومختص به فاللام على هذا للاختصاص، وقد ذكر فى البقرة معنى اختلاف الليل والنهار (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أى قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة، ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم: لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا، وقد ذكر الاستفهامان فى الرعد، وأساطير الأولين فى الأنعام (قل لمن الأرض ومن فيها) هذه الآيات توقيف لهم على أمور لا يمكنهم الإقرار بها، وإذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة (سيقولون لله) قرئ فى الأول لله باللام بإجماع، جوابا لقوله لمن الأرض، وكذلك قرأ الجمهور الثانى والثالث، وذلك على المعنى لأن قوله من رب السموات فى معنى لمن هى، وقرأ أبو عمرو الثانى والثالث بالرفع على اللفظ (ملكوت) مصدر وفى بنائه مبالغة (يجير ولا يجار عليه) الاجارة المنع من الاهانة، يقال أجرت فلانا على فلان إذا منعته من مضرته وإهانته، فالمعنى أن الله تعالى يغيث من شاء ممن شاء ولا يغيث أحد منه أحدا (فأنى تسحرون) أى تخدعون عن الحق والخادع لهم الشيطان، وذلك تشبيه بالسحر فى التخليط والوقوع فى الباطل، ورتب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج فقال أولا أفلا تذكرون، ثم قال ثانيا أفلا تتقون، وذلك أبلغ، لأن فيه زيادة تخويف، ثم قال ثالثا فأنى تسحرون وفيه من التوبيخ ما ليس فى غيره (وإنهم لكاذبون) يعنى فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد ولذلك رد عليهم بنفى ذلك (إذا لذهب كل إله بما خلق) هذا برهان على

لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ۝ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۝ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ۝ ٱدْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ الشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلَآ

الوحدانية ، وبيانه أن يقال لو كان مع الله إلها آخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر ، واستبد كل واحد منهما بملكه وطلب غلبة الآخر والعلوّ عليه كما ترى حال ملوك الدنيا ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة : علمنا أن مالكه ومدبره واحد ، لا إله غيره وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية وغيره ، بل هو دليل آخر ، فإن قيل : إذ لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب ، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل ؟ فالجواب : أن الشرط محذوف تقديره لو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله ، وهو جواب للكفار الذين وقع الرد عليهم (عالم الغيب) بالرفع خبر ابتداء ، وبالخفض صفة لله (قل رب إما ترينى ما يوعدون) الآية : معناه أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضى أن يرى ذلك ، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار ، وإن شرطية وما زائدة ، وجواب الشرط فلا تجعلنى ، وكرر قوله رب مبالغة فى الدعاء والتضرع (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) قيل التى هى أحسن لا إله إلا الله ، والسيئة الشرك ، والأظهر أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق وهو محكم غير منسوخ ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار (من همزات الشياطين) يعنى نزغاته ووساوسه ، وقيل يعنى الجنون ، واللفظ أعم من ذلك (أن يحضرون) معناه أن يكونوا معه ، وقيل يعنى حضورهم عند الموت (حتى إذا جاء أحدهم الموت) قال ابن عطية : حتى هنا حرف ابتداء : أى ليست غاية لما قبلها ، وقال الزمخشرى حتى تتعلق بيصفون : أى لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت (قال رب ارجعون) يعنى الرجوع إلى الدنيا ، وخاطب به مخاطبة الجماعة للتعظيم ، قال ذلك الزمخشرى وغيره ، ومثله قول الشاعر ۝ ألا فارحمون يا آل محمد ۝ وقيل إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة (فيما تركت) قيل يعنى فيما تركت من المال ، وقيل فيما تركت من الإيمان فهو كقوله : أو كسبت فى إيمانها خيرا ، والمعنى أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحا فى الإيمان الذى تركه أول مرة (كلا) ردع له عما طلب (إنها كلمة هو قائلها) يعنى قوله « رب ارجعون لعلى أعمل صالحا» فسمى هذا الكلام كلمة وفى تأويل معناه ثلاثة أقوال : أحدها أن يقول هذه الكلمة لا محالة لإفراط ندمه وحسرته فهو إخبار بقوله ، والثانى أن المعنى أنها كلمة يقولها ولا تنفعه ولا تغنى عنه شيئا ، والثالث أن يكون المعنى أنه يقولها كاذبا فيها ، ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحا (ومن ورائهم) أى فيما يستقبلون من الزمان والضمير للجماعة المذكورين فى قوله جاء أحدهم (برزخ) يعنى المدة التى بين الموت والقيامة ، وهى تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وأصل البرزخ الحاجز بين شيئين (فلا أنساب بينهم) المعنى أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التى بين القرابة لاشتغال كل أحد بنفسه

أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ * رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝

كقوله (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) فتكون الأنساب كأنها معدومة (ولا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل أحد بنفسه ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف كثيرة (تلفح وجوههم النار) أى تصيبهم بالإحراق (كالحون) الكلوح انكشاف الشفتين عن الأسنان ، وكثيرا ما يجرى ذلك للكلاب ، وقد يجرى للكباش إذا شويت رؤسها ، وفى الحديث إن شفة الكافر ترتفع فى النار حتى تبلغ وسط رأسه ، وفى ذلك عذاب وتشويه (غلبت علينا شقوتنا) أى ما قدر عليهم من الشقاء ، وقرئ شقاوتنا ، والمعنى واحد (قال اخسؤا) كلمة تستعمل فى زجر الكلاب ، ففيها إهانة وإبعاد (ولا تكلمون) أى لا تكلمون فى رفع العذاب فحينئذ ييأسون من ذلك ، أعاذنا الله من ذلك برحمته (سخريا) بضم السين من السخرة بمعنى التخديم ، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء ، وقد يقال هذا بالضم ، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين ، على أن معنى الاستهزاء هنا أليق لقوله « وكنتم منهم تضحكون » (كم لبثتم فى الأرض) يعنى فى جوف الأرض أمواتا ، وقيل أحياء فى الدنيا ، فأجابوا بأنهم لبثوا يوما أو بعض يوم لاستقصارهم المدة أو لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئا (فاسأل العادين) أى اسئل من يقدر على أن يعد ، وهو من عوفى مما ابتلوا به أو يعنون الملائكة (إن لبثتم إلا قليلا) معناه أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم فى جهنم خالدين أبدا (عبثا) أى باطلا ، والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب (لا برهان له به) أى لا حجة ولا دليل ، والجملة صفة لقوله إلها آخر ، وجواب الشرط (فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) الضمير للأمر والشأن ، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين ، ليبين البون بين الفريقين والله أعلم

سـورة النور

مدنيه وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

سـورة النور

(سورة أنزلناها) السورة خبر ابتداء مضمر ، أومبتدأ وخبره محذوف تقديره فيماأنزل عليكم سورة ، وأنزلناها صفة للسورة ، وفرضناها : أى فرضنا الأحكام التى فيها وقرئ بالتشديد للمبالغة (آيات بينات) يعنى مافيها من المواعظ والأحكام والأمثال ، وقيل معنى بينات هنا ليس فيها مشكل (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزانية والزانى يرادبهما الجنس ، وقدم الزانية لأن الزنا كان حينئذ فى النساء أكثر ، فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن بذلك ، وإعراب الزانى والزانية كإعراب : السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما، وقدذكر فى المائدة ، وهذه الآية ناسخة بإجماع لمافى سورة النساء من الإمساك فى البيوت فى الآية الواحدة ومن الأذى فى الأخرى ، ثم إن لفظ هذه الآية عندمالك ليس على عمومه ، فإن جلد المائدة إنما هو حد الزانى والزانية إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين ، فيخرج منها الكفار ، فيردون إلى أهل دينهم ، ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة ، فأما العبد والأمة : فحدهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أوغير محصنين ، وأما المحصنان الحران فحدهما الرجم هذا على مذهب مالك ، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب ، فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم فى المسلمين والكافرين ، وفى الأحرار والعبيد والإماء ، وفى المحصن وغير المحصن ، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء ، منها باتفاق ، ومنها باختلاف ، فأما الكفار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أولم يحصنوا : أخذا بعموم الآية ، ورأى الشافعى أن حدهم كحد المسلمين الجلد إن لم يحصنوا ، والرجم إن أحصنوا أخذا بالآية ، وبرجم النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى واليهودية إذ زنيا ، ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى : فى سورة النساء « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » فخص نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه ، ولكن بقيت فى محلها ، وأما العبد والأمة : فرأى أهل الظاهر أن حد الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى « فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب » وأن حد العبد الجلد مائة لعموم الآية ، وقال غيرهم يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة ، إذ لافرق بينهما ، وأما المحصن فقال الجمهور حده الرجم فهو مخصوص فى هذه الآية ، وبعضهم يسمى هذا التخصيص نسخاً ، ثم اختلفوا فى المخصص أو الناسخ ، فقيل الآية التى ارتفع لفظها وبقى حكمها وهى قوله « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » وقيل الناسخ لها السنة الثابتة فى الرجم ، وقال أهل الظاهر وعلى بن أبى طالب : يجلد المحصن بالآية ، ثم يرجم بالسنة فجمعوا عليه الحدين ، ولم يجعلوا الآية منسوخة ، ولا مخصصة ، وقال الخوارج لارجم أصلا فإن الرجم ليس فى كتاب الله ، ولايعتد بقولهم ، وظاهر الآية الجلد دون تغريب ، وبذلك قال أبو حنيفة ، وقال مالك الجلد والتغريب سنة للحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن

عام ، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك ، وصفة الجلد عند مالك فى الظهر والمجلود جالس وقال الشافعى يفرق على جميع الأعضاء والمجلود قائم ، وتستر المرأة بثوب لا يقيها الضرب ، ويجرّد الرجل عند مالك وقال قوم يجلد على قميص (ولا تأخذكم بهما رأفة) قيل يعنى فى إسقاط الحدّ : أى أقيموه ولا بد ، وقيل فى خفيف الضرب ، وقيل فى الوجهين . فعلى القول الأول يكون الضرب فى الزنا كالضرب فى القذف غير مبرح ، وهو مذهب مالك والشافعى ، وعلى القول الثانى والثالث يكون الضرب فى الزنا أشد ، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة فمنعه مالك وأجازه أبو حنيفة لما ورد فى قصة أيوب عليه السلام ، وأجازه الشافعى للمريض لورود ذلك فى الحديث (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) المراد بذلك توبيخ الزناة والغاظة عليهم ، واختلف فى أقل ما يجزئ من الطائفة فقيل أربعة اعتباراً بشهادة الزنا وهو قول ابن أبى زيد ، وقيل عشرة ، وقيل اثنين وهو مشهور مذهب مالك ، وقيل واحد (الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة) الآية : معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا ، وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك ولا يوافقه عليه من النساء إلا زانية أو مشركة ، وينكح على هذا بمعنى يجامع ، وقيل معناها لا يحل لزان أن يتزوج إلا زانية أو مشركة ، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانياً أو مشركاً ، ثم نسخ هذا الحكم وأبيح لهما التزوج ممن شاؤا ، والأول هو الصحيح (وحرم ذلك على المؤمنين) الإشارة بذلك إلى الزنا أى حرم الزنا على المؤمنين وقيل الاشارة إلى تزوج المؤمن غير الزانى بزانية ، فإن قوماً منعوا أن يتزوجها ، وهذا على القول الثانى فى الآية قبلها وهو بعيد ، وأجاز تزويجها مالك وغيره ، وروى عنه كراهته (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) هذا حدّ القذف وهو الفرية التى عبر الله عنها بالرمى والمحصنات يراد بهن هنا العفائف من النساء ، وخصهن بالذكر لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال ، ودخل الرجال فى ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم ، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد ، وقيل إن المعنى يرمون الأنفس المحصنات فيعم اللفظ على هذا النساء والرجال ، ويحتاج هنا إلى الكلام فى القذف والقاذف والمقذوف والشهادة فى ذلك ، فأما القذف فهو الرمى بالزنا اتفاقا . أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعى لعموم لفظ الرمى فى الآية ، خلافا لأبى حنيفة ، أو النفى من النسب ، ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كالتصريح خلافا للشافعى وأبى حنيفة ، وأما القاذف فيحدّ : سواء كان مسلماً أو كافراً لعموم الآية ، وسواء كان حرا أو عبدا إلا أن العبد والأمة إنما يحدّان أربعين عند الجمهور فنصفوا حدهما قياسا على تنصيفه فى الزنا خلافا للظاهرية ، ولا يحدّ الصبى ولا المجنون لكونهما غير مكلفين ، وأما المقذوف فمذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رمى به ، والتمكن من الوطء تحرزا من المجبوب وشبهه ، فلا يحدّ عنده من قذف صبيا أو كافراً أو مجبوبا أو عبداً ومن لا يمكنه الوطء وقد قيل يحدّ من قذف واحدا منهم لعموم الآية واتفقوا على اشتراط البراءة مما رمى به وأما الشهادة التى

بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝
وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن
كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ

تسقط حد القذف ، فهى أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقذوف عبدا أو كافرا ويشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قذف به كالمرود فى المكحلة ، ويؤدون الشهادة مجتمعين (إلا الذين تابوا) تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام ، وهى الحدورد شهادة القاذف وتفسيقه ، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسيق وأن ذلك يزول عنه بالتوبة ، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحد وأنه لا يسقط عنه بالتوبة ، واختلف هل يرجع إلى رد الشهادة أم لا : فقال مالك إذا تاب قبلت شهادته ، خلافا لأبى حنيفة ، وتوبته هو صلاح حاله فى دينه وقيل إكذاب نفسه (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) هذه الآية فى قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك ، وسببها أن رجلا قال يارسول الله الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع ، فسكت عنه نبىّ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عاد فقال مثل ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك فأتنى بها فأتى بها فتلاعنا وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وموجب اللعان عند مالك شيئان : أحدهما أن يدعى الزوج أنه رأى امرأته تزنى ، والآخر أن ينفى حملها ويدعى الاستبراء قبله ، فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام نفى حد القذف عنه ، وانتفاء سبب الولد منه ووجوب حد الزنا عليها إن لم تلاعن ، فإن تلاعنت سقط الحد عنها ، ولفظ الآية عام فى الزوجات الحرائر والمماليك ، والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم ، وبذلك أخذ مالك واشترط فى الزوج الاسلام واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حرين عدلين (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) أى يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزنى أو أشهد بالله ماهذا الحمل منى ولقد زنت وإنى فى ذلك لمن الصادقين ، ثم يقول فى الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وزاد أشهب أن يقول أشهد بالله الذى لا إله إلا هو ، وانتصب أربع شهادات بالله على المصدرية ، والعامل فيه شهادة أحدهم وقرئ بالرفع وهو خبر شهادة أحدهم ، وقوله بالله وإنه لمن الصادقين من صلة أربع شهادات أو من صلة شهادة أحدهم (والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) قرئ بنصب الخامسة هنا وفى الموضع الثانى ، وانتصب بفعل مضمر تقديره ويشهد الخامسة ، أو بالعطف على أربع شهادات على قراءة النصب ، وقرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على أربع شهادات بقراءة الرفع ، وقرئ أن لعنة ، وأن غضب : بتشديد أن ، ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) العذاب هنا حد الزنا أى يدفعه التعان المرأة ، وهى أن تقول أربع مرات أشهد بالله مازنيت ، وإنه فى ذلك لمن الكاذبين ، ثم تقول فى الخامسة : غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام : دفع الحد عنها ، والتفريق بينها وبين زوجها ، وتأبيد الحرمة (ولولا فضل الله) جواب لو محذوف هنا

منكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ
لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۞ لَّوْلَا
جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم

وفى الموضع الآخر تقديره لولا فضل الله عليكم لآخذكم ، أونحو هذا (إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم) الإفك : أشد الكذب ، ونزلت هذه الآية ومابعدها إلى تمام ستة عشر آية فى شأن سيدتنا عائشة رضى الله عنها وفى براءتها مما رماها به أهل الإفك وذلك أن الله برأ أربعة برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بكلام ولدها فى حجرها وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن فى شأنها ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى فى الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها وقد خرج حديث الإفك البخارى ومسلم وغيرهما ، واختصاره أن عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس ، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل ، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة ، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش ، فقال أهل الإفك فى ذلك ما قالوا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال ما بال رجال رموا أهلى والله ما علمت على أهلى إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وسأل جارية عائشة ، فقالت : والله ما علمت عليها إلا مايعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين ، ولم يذكر فى الحديث من أهل الافك إلا أربعة ، وهم عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين ، وحمنة بنت جحش ، ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت ، وقيل إن حسانا لم يكن منهم وارتفاع عصبة لأنه خبر إن ، واختار ابن عطية أن يكون عصبة بدلا من الضمير فى جاؤا ، ويكون الخبر لاتحسبوه شرا لكم على تقدير إن حديث الذين جاؤا بالإفك ، والأول أظهر (بل هو خير لكم) خطاب للمسلمين ، والخير فى ذلك من خمسة أوجه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله لها بإنزال الوحى فى شأنها ، والأجر الجزيل لها فى الفرية عليها ، وموعظة المؤمنين ، والانتقام من المفترين (والذى تولى كبره) هو عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق ، وقيل الذى بدأ بهذه الفرية غير معين والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) لولا هنا عرض والمعنى أنه كان ينبغى للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد فى حقهم فهو فى حق عائشة أبعد لفضلها ، وروى أن هذا النظر وقع لأبى أيوب الأنصارى ، فقال لزوجته : أكنت أنت تفعلين ذلك ، قالت لا والله ، قال فعائشة أفضل منك ؟ قالت نعم ، فإن قيل : لم قال سمعتموه بلفظ الخطاب ، ثم عدل إلى لفظ الغيبة فى قوله ظن المؤمنون ، ولم يقل ظننتم ؟ فالجواب أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذى يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرا (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) لولا هنا عرض ، والضمير فى جاءوا لأهل الإفك ، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء (أفضتم فيه) يقال أفاض فى الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه (إذ تلقونه بألسنتكم) العامل فى إذ قوله مسكم أو أفضتم ، ومعنى تلقونه : يأخذه بعضكم من بعض ، وفى هذا الكلام وفى الذى قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم

مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ
بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَا يَأْتَلِ
أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا۟

فى حديث الإفك ، وإن كانوا لم يصدقوه ، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكلية ، فعاتبهم على ثلاثة أشياء ، وهى : تلقيه بالألسنة : أى السؤال عنه وأخذه من المسؤل والثانى قولهم ذلك ، والثالث أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم ، وفائدة قوله بألسنتكم وبأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم (ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا) أى كان الواجب أن يبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعهم له ، ولولا أيضا فى هذه الآية عرض ، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما ، ولكنه فصل بينهما بقوله إذ سمعتموه لأن الظروف يجوز فيها مالايجوز فى غيرها ، والقصد بتقديم هذا الظرف الاعتناء به ، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار الكلام فى أول وقت سمعتموه ، ومعنى مايكون لنا ماينبغى لنا ولايحل لنا أن نتكلم بهذا (سبحانك) تنزيه لله عن أن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ماقال أهل الإفك ، وقال الزمخشرى : هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر ، والاستبعاد له ، والأصل فى ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجائب (بهتان عظيم) البهتان أن يقال فى الإنسان ماليس فيه والغيبة أن يقال مافيه (أن تعودوا لمثله) تقديره يعظكم كراهة أن تعودوا لمثله ، ثم عظم الأمر وأكده بقوله إن كنتم مؤمنين (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك ، ثم هو عام فى غيرهم ممن اتصف بصفتهم ، والعذاب فى الدنيا الحد ، وأما عذاب الآخرة ، فقد ورد فى الحديث أن من عوقب فى الدنيا على ذنب لم يعاقب عليه فى الآخرة فأشكل اجتماع الحد مع عذاب الآخرة فى هذا الموضع ، فيحتمل أن يكون القاذف يعذب فى الآخرة ولا يسقط الحد عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود ، أو يكون هذا مختصاً بمن قذف عائشة ، فإنه روى عن ابن عباس أنه قال : من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض فى أمر عائشة أو يكون لمن مات مصراً غير تائب ، أو يكون للمنافقين (خطوات الشيطان) ذكر فى البقرة (الفحشاء والمنكر) ذكر فى النحل (زكى) أى تطهر من الذنوب ، وصلح دينه (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى) معنى يأتل يحلف ، فهو من قولك آليت إذا حلفت ، وقيل معناه يقصر فهو من قولك

وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝

ألوت أى قصرت ومنه لا يألونكم خبالا، والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل فى الدين أو الفضل فى المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسعة هى اتساع المال، ونزلت الآية بسبب أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم فى حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته ؛ ولأنه قريبه، وكان ابن بنت خالته ، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان ، وكفر عن يمينه، قال بعضهم هذه أرجى آية فى القرآن لأن الله أوصى بالاحسان إلى القاذف ، ثم إن لفظ الآية على عمومه فى أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) أى كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم ، ولما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه إنى لأحب أن يغفر الله لى، ثم رد النفقة إلى مسطح (المحصنات الغافلات) معنى المحصنات هنا العفائف ذوات الصون ، ومعنى الغافلات السليمات الصدور ، فهو من الغفلة عن الشر (لعنوا فى الدنيا والآخرة) هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ولذلك لم يذكر فيه توبة ، قال ابن عباس كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض فى حديث عائشة وقيل الوعيد لكل قاذف ، والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحد أو عذاب الآخرة (يوم تشهد) العامل فيه يوفيهم ، وكرر يومئذ توكيدا وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمر (دينهم الحق) أى جزاؤهم الواجب لهم (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) هذه الآية تدل على أن ما قبلها فى المنافقين ، لأن المؤمن قد علم فى الدنيا أن الله هو الحق المبين ، ومعنى المبين الظاهر الذى لا شك فيه (الخبيثات للخبيثين) الآية : معناها أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، ففى ذلك رد على أهل الأفك ، لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات ، وقيل المعنى أن الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس ، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ففيه أيضا رد على أهل الإفك ، وقيل معناه أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس ، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك : أى أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم (أولئك مبرؤن مما يقولون) الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير فى يقولون للخبيثات والخبيثين والمراد تبرئة عائشة رضى الله عنها مما رميت به (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) هذه الآية أمر بالاستئذان فى غير بيت الداخل ، فيعم بذلك بيوت الأقارب وغيرهم ، وقد جاء فى الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة، ومعنى تستأنسوا : تستأذنوا وهو مأخوذ من قولك آنست الشىء إذا علمته ، فالاستئناس : أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا ؟ وقيل هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة ؛ وقرأ ابن عباس حتى تستأذنوا ، والاستئذان واجب ، وأما السلام فلا ينتهى إلى الوجوب ، واختلف

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ

أيهما يقدم ، فقيل يقدم السلام ثم يستأذن فيقول السلام عليكم ، ثم يقول أأدخل ، وقيل يقدم الاستئذان لتقديمه فى الآية ، وليس فى الآية عدد الاستئذان ، وجاء فى الحديث أن يستأذن ثلاث مرات ، وهو تفسير للآية (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون ، فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان ، واختلف فى البيوت غير المسكونة فى هذه الآية ، فقيل هى الفنادق التى فى الطرق ولا يسكنها أحد بل هى موقوفة ليأوى إليها كل ابن سبيل ، والمتاع على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك ، وقيل هى الخرب التى تدخل للبول والغائط ، والمتاع على هذا حاجة الإنسان ، وقيل هى حوانيت القيسارية والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها ، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان فى الحوانيت واجب بإجماع (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) إعرابها كإعراب يقيموا الصلاة فى إبراهيم ، وقد ذكر ومن أبصارهم للتبعيض ، والمراد غض البصر عما يحرم ، والاقتصار به على مايحل ، وقيل معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لاحرج فيها ، ويمنع مابعدها ، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة ، وقيل هى لابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة ، أو إلى مالايحل من النساء أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر وحفظ الفروج المأمور به : هو عن الزنا ، وقيل أراد ستر العورة ، والأظهر أن الجميع مراد (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعا ، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبى أم لا ، وعن سائر جسد المرأة أم لا ، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه ، والكلام فى حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال (ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها) نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها ، وهو مالابد من النظر إليه عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك ، فقيل إلاماظهر منها يعنى الثياب فعلى هذا يجب ستر جميع جسدها ، وقيل الثياب والوجه والكفان ، وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفيها فى الصلاة وزاد أبو حنيفة القدمين (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الجيوب هى التى يقول لها العامة أطواق ، وسببها أن النساء كن فى ذلك الزمان يلبسن ثيابا واسعات الجيوب يظهر منها صدورهن ، وكن إذا غطين رؤسهن بالأخمرة سدلها من وراء الظهر ، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لاستر عليها ، فأمرهن الله بلى الأخمرة على الجيوب ليستر جميع ذلك (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن) الآية : المراد بالزينة هنا الباطنة ، فلما

أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ

ذكر فى الآية قبلها ماأباح أن يراه غير ذوى المحرم من الزينة الظاهرة ، وذكر فى هذه ماأباح أن يراه الزوج وذوى المحارم من الزينة الباطنة ، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا ، ثم ثنى بذوى المحارم وسوّى بينهم فى إبداء الزينة ، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب ، والمراد بالآباء كل من له ولادة من والد وجد ، وبالأبناء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد ، ولم يذكر فى هذه الآية من ذوى المحارم : العم والخال ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة ، لأنهما من ذوى المحارم ، وكره ذلك قوم ، وقال الشافعىّ إنما لم يذكر العم والخال لئلا يصفا زينة المرأة لأولادهما (أونسائهن) يعنى جميع المؤمنات ، فكأنه قال أوصنفهن ويخرج عن ذلك نساء الكفار (أوماملكت أيمانهن) يدخل فى ذلك الإماء المسلمات والكتابيات ، وأما العبيد : ففيهم ثلاثة أقوال : منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعى ، والجواز وهو قول ابن عباس وعائشة ، والجواز بشرط أن يكون العبد وغدا وهو مذهب مالك ، وإنما أخذ جوازه من قوله « أوالتابعين غير أولى الإربة » واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبدالأجنبىّ أم لا ؟ على قولين (أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال) شرط فى رؤية غير ذوى المحارم شرطين : أحدهما أن يكونا تابعين ، ومعناه أن يتبع لشىء يعطاه كالوكيل والمتصرف ، ولذلك قال بعضهم هو الذى يتبعك وهمته بطنه ، والآخر أن لايكون لهم إربة فى النساء كالخصى والمخنث والشيخ الهرم والأحمق ، فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين ، وقيل بأحدهما ، ومعنى الإربة الحاجة إلى الوطء (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أراد بالطفل الجنس ، ولذلك وصفه بالجمع ، ويقال طفل مالم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء ، فمعناه الذين لم يطؤا النساء ، وقيل الذين لايدرون ماعورات النساء ، وهذا أحسن (ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) روى أن امرأة كان لها خلخالان ، فكانت تضرب بهما ليسمعهما الرجال ، فنهى الله عزّ وجل عن ذلك ، قال الزجاج إسماع صوت الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وفرائضها ثلاثة : الندم على الذنب من حيث عصى به ذو الجلال ، لامن حيث أضر ببدن أومال ، والإقلاع عن الذنب فى أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان ، والعزم أن لايعود إليها أبداً ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزما مجددا ، وآدابها ثلاثة : الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار ، والإكثار من التضرع والاستغفار ، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات ، ومراتبها سبع : فتوبة الكفار من الكفر ، وتوبة المخلطين من الذنوب الكبائر ، وتوبة العدول من الصغائر ، وتوبة العابدين من الفترات ، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات ، وتوبة أهل الورع من الشبهات ، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات . والبواعث على التوبة سبعة : خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، والخجل

مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ

من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم بالمقام، وشكر الإنعام (وأنكحوا الأيامى منكم) الأيامى جمع أيم ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبكاراً أو ثيبات، والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهى عن عضلهن من التزويج، وفى الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح؛ واشتراط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعى خلافا لأبى حنيفة (والصالحين من عبادكم وإمائكم) يعنى الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم، وقال الزمخشرى: الصالحين بمعنى الصلاح فى الدين، قال وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم؛ ومذهب الشافعى أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافا لمالك، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمته على النكاح خلافا للشافعى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود التمسوا الغنى فى النكاح (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد فى طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على التزوج، فقوله لا يجدون نكاحا معناه لا يجدون استطاعة على التزوج بأى وجه تعذر التزوج، وقيل معناه لا يجدون صداقا للنكاح، والمعنى الأول أعم، والثانى أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة، وهى مقاطعة العبد على مال منجم فإذا أداه خرج حرّاً، وإن عجز بقى رقيقا، وقيل إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور، وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فتلكأ أنس فقال له عمر لتكاتبنه أو لأوجعنك بالدرة، وإنما حمله مالك على الندب لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين فى المذهب (إن علمتم فيهم خيراً) الخير هنا القوة على أداء الكتابة بأى وجه كان، وقيل هو المال الذى يؤدى منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس، وقيل هو الصلاح فى الدين (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته واختلف فيمن المخاطب بذلك فقيل هو خطاب للناس أجمعين، وقيل للولاة، والأمر على هذين القولين للندب، وقيل هو خطاب لسادات المكاتبين، وهو على هذا القول ندب عند مالك، ووجوب عند الشافعى فإن كان الأمر للناس، فالمعنى أن يعطوهم صدقات من أموالهم، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة، وإن كان للسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم، وقيل يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة، وعلى القول بالحط من الكتابة اختلف فى مقدار مايحط، فقيل الربع، وروى ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

وقيل الثلث ، وقال مالك والشافعى : لاحد فى ذلك ، بل أقل ماينطلق عليه اسم شىء ، إلاأن الشافعى يجبره على ذلك ، ولايجبره مالك ، وزمان الحط عنه فى آخر الكتابة عند مالك ، وقيل فى أول نجم (ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء) معنى البغاء الزنا ، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك وسبب الآية أن عبدالله ابن أبىّ ابن سلول المنافق كان له جاريتان ، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة ، ويضربهما على ذلك ، فشكتا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله (إن أردن تحصنا) هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لايتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن وهو التعفف ، وقيل هو راجع إلى قوله وأنكحوا الأيامى وذلك بعيد (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) يعنى ماتكسبه الأمة بفرجها ، وماتلده من الزنا ؛ ويتعلق لتبتغوا بقوله لاتكرهوا (ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) المعنى غفور لهن رحيم بهن لايؤاخذهن بالزنا ، لأنهن أكرهن عليه ، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذى يكرههن إذا تاب من ذلك (آيات مبينات) بفتح الياء : أى بينها الله ؛ وبالكسر مبينات للأحكام والحلال والحرام (ومثلا) يعنى ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم فى تحريم الزنا ، لأنه كان حراما فى كل ملة أو فى براءة عائشة كما برأ يوسف ومريم (الله نور السموات والأرض) النور يطلق حقيقة على الضوء الذى يدرك بالأبصار ، ومجازا على المعانى التى تدرك بالقلوب ، والله ليس كمثله شىء ، فتأويل الآية الله ذو نور السموات والأرض ؛ ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة فى أنه كريم ، فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار ، فمعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذى فيهما من الشمس والقمر والنجوم ، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود ، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء ، ومن هذا المعنى قرأ علىّ بن أبى طالب « الله نوّر السموات والأرض » بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو : أى جعل فيهما النور ، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب ، فمعنى نور السموات والأرض جاعل النور فى قلوب أهل السموات والأرض ولهذا قال ابن عباس : معناه هادى أهل السموات والأرض (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) المشكاة هى الكوة غير النافذة تكون فى الحائط ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة ، وقيل المشكاة العمود الذى يكون المصباح على رأسه ، والأول أصح وأشهر ، والمعنى صفة نور الله فى وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم مايتصوره البشر من الإضاءة والإنارة ، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم ، لأن ذلك غاية مايدركه الناس من الأنوار ، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه وقيل الضمير فى نوره عائد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل على القرآن ، وقيل على المؤمن ، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم مايعود عليه الضمير ، فإن قيل : كيف يصح أن يقال الله نور السموات والأرض فأخبر أنه هو النور ، ثم أضاف النور إليه فى قوله مثل نوره ، والمضاف عين المضاف إليه ؟ فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذى قدمناه أى الله ذو نور السموات والأرض ، أوكما تقول زيد كرم ، ثم تقول ينعش الناس بكرمه

الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ
بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ
لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ
وَٱلْأَبْصَٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَٱلَّذِينَ

(المصباح فى زجاجة) المصباح هو الفتيل بناره ، والمعنى أنه فى قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهر ، لأنه جسم شفاف (الزجاجة كأنها كوكب درىّ) شبه الزجاجة فى إنارتها بكوكب درىّ ، وذلك يحتمل معنيين إما أن يريد أنها تضىء بالمصباح الذى فيها ، وإما أن يريد أنها فى نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها ، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح ، والمراد بالكوكب الدرّىّ أحد الدرارى المضيئة : كالمشترى ، والزهرة ، وسهيل ، ونحوها ، وقيل أراد الزهرة ، ولا دليل على هذا التخصيص ، وقرأ نافع درى بضم الدال وتشديد الياء بغير همزة ولهذه القراءة وجهان : إما أن ينسب الكوكب إلى الدرّ لبياضه وصفائه ، أو يكون مسهلا من الهمز ، وقرئ بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال ، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع (يوقد من شجرة مباركة زيتونة) من قرأ يوقد بالياء أو توقد بالفعل الماضى فالفعل مسند إلى المصباح ، ومن قرأ توقد بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجة ، والمعنى : توقد من زيت شجرة مباركة ، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها ، أولأنها تنبت فى الأرض المباركة وهى الشام (لا شرقية ولا غربية) قيل يعنى أنها بالشام فليست من شرق الأرض ولا من غربها ، وأجود الزيتون زيتون الشام ، وقيل هى منكشفة تصيبها الشمس طول النهار ، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ، ولا للغرب فتسمى غربية بل هى غربية شرقية ، لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب ، وقيل إنها فى وسط دوحة لا فى جهة الشرق من الدوحة ولا فى جهة الغرب ، وقيل إنها من شجرة الجنة ولو كانت فى الدنيا لكانت شرقية أو غربية (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) مبالغة فى وصف صفائه وحسنه (نور على نور) يعنى اجتماع نور المصباح وحسن الزجاجة وطيب الزيت ، والمراد بذلك كمال النور الممثل به (يهدى الله لنوره من يشاء) أى يوفق الله من يشاء لإصابة الحق (فى بيوت) يعنى المساجد ، وقيل بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن ، والأول أصح ، والجار يتعلق بما قبله : أى كمشكاة فى بيوت ، أو توقد فى بيوت ، وقيل بما بعده وهو يسبح ، وكرر الجار بعد ذلك تأكيدا ، وقيل بمحذوف : أى سبحوا فى بيوت أذن الله أن ترفع ، والمراد بالإذن الأمر ، ورفعها بناؤها ، وقيل تعظيمها (بالغدو والآصال) أى غدوة وعشية وقيل أراد الصبح والعصر وقيل صلاة الضحى والعصر (رجال) فاعل يسبح على القراءة بكسر الباء ، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمر يدل عليه الأول (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أى لا تشغلهم ، ونزلت الآية فى أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها ، والبيع من التجارة ، ولكنه خصه بالذكر تجريدا كقوله : فاكهة ونخل ورمان ، أو أراد بالتجارة الشراء (تتقلب فيه القلوب والأبصار) أى تضطرب

كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝

من شدة الهول والخوف ، وقيل تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى ، لأن الحقائق تنكشف حينئذ ، والأول أصح كقوله : وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وفى قوله «تتقلب فيه القلوب» تجنيس (ليجزيهم الله) متعلق بما قبله ، أو بفعل من معنى ما قبله (أحسن ما عملوا) تقديره جزاء أحسن ما عملوا (ويزيدهم من فضله) يعنى زيادة على ثواب أعمالهم (بغير حساب) ذكر فى البقرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين : الأول يقتضى حال أعمالهم فى الآخرة ، وأنها لا تنفعهم ، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب ، والثانى يقتضى حال أعمالهم فى الدنيا ، وأنها فى غاية الفساد والضلال كالظلمات التى بعضها فوق بعض ، والسراب هو ما يرى فى الفلوات من ضوء الشمس فى الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجرى على وجه الأرض والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض ، وقيل بمعنى القاع وليس بجمع (يحسبه الظمآن ماء) الظمآن العطشان : أى يظن العطشان أن السراب ماء ، فيأتيه ليشربه ، فإذا جاء خاب ما أمل ، وبطل ما ظنّ ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه ، فاذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهى كالسراب (حتى إذا جاءه) ضمير الفاعل للظمآن ، وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (لم يجده شيئاً) أى شيئاً ينتفع به أو شيئاً موجوداً على العموم لأنه معدوم ، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمآن وضمير المفعول للسراب . أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (ووجد الله عنده) ضمير الفاعل فى وجد للكافر ، والضمير فى عنده لعمله ، والمعنى وجد الله عنده بالجزاء ، أو وجد زبانية الله (أو كظلمات) هذا هو المثال الثانى ، وهو عطف على قوله كسراب ، والمشبه بالظلمات أعمال الكافر : أى هم من الضلال والحيرة فى مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب (فى بحر لجى) منسوب إلى اللج ، وهو معظم الماء ، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال قوبلت به أجزاء الممثل به : فالظلمات أعمال الكافر ، والبحر اللجى صدره ، والموج جهله ، والسحاب الغطاء الذى على قلبه ، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة وفى وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور المذكور قبلها مبالغة (إذا أخرج يده لم يكد يراها) المعنى مبالغة فى وصف الظلمة ، والضمير فى أخرج وما بعده للرجل الذى وقع فى الظلمات الموصوفة واختلف فى تأويل الكلام : فقيل المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها ، فنفى الرؤية ومقاربتها ، وقيل بل رآها بعد عسر وشدة ، لأن كاد إذا نفيت تقتضى الإيجاب ، وإذا أوجبت تقتضى النفى ، وقال ابن عطية : إنما ذلك إذا دخل حرف النفى على الفعل الذى بعدها فأما إذا دخل حرف النفى على كاد كقوله لم يكد ، فإنه يحتمل النفى والايجاب (ومن لم يجعل الله له نوراً) أى من لم يهده الله لم يهتد ، فالنور كناية عن الهدى ، والإيمان فى الدنيا ، وقيل أراد فى الآخرة أى من لم يرحمه الله فلا رحمة له ، والأول أليق بما قبله (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات ومن فى الأرض) الرؤية هنا بمعنى العلم والتسبيح التنزيه والتعظيم وهو من العقلاء بالنطق ، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل ، فقال الجمهور إنه حقيقى ، ولا يبعد أن

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن
مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَٰرِ ۞ يُقَلِّبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِى الْأَبْصَٰرِ ۞ وَاللَّهُ
خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ
يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞
وَإِذَا دُعُوٓا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوٓا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞
أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوٓا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ
قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَن
يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ

يلهمها الله التسبيح ، كما يلهمها الأمور الدقيقة التى لا يهتدى إليها العقلاء ، وقيل تسبيحه ظهور الحكمة فيه (صافات) يصففن أجنحتهن فى الهواء (كل قد علم) الضمير فى علم لله ، أو لكل ، والضمير فى صلاته وتسبيحه لكل (يزجى) معناه يسوق ، والإزجاء إنما يستعمل فى سوق كل ثقيل كالسحاب (ركاما) متكاثف بعضه فوق بعض (الودق) المطر (من خلاله) أى من بينه ، وهو جمع خلل كجبل وجبال (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل فى السماء جبالا من برد ، وقيل إنه مجاز كقولك عند فلان جبال من مال أو علم : أى هى فى الكثرة كالجبال ، ومن فى قوله «من السماء» لابتداء الغاية ، وفى قوله «من جبال» كذلك ، وهى بدل من الأولى ، وتكون للتبعيض ، فتكون مفعول ينزل ، ومن فى قوله «من برد» لبيان الجنس أو للتبعيض فتكون مفعول ينزل ، وقال الأخفش هى زائدة ، وذلك ضعيف ، وقوله «فيها» صفة للجبال ، والضمير يعود على السماء (سنا برقه) السنا بالقصر الضوء ، وبالمد المجد والشرف (يقلب الله الليل والنهار) أى يأتى بهذا بعد هذا (خلق كل دابة) يعنى بنى آدم والبهائم والطير لأن ذلك كله يدب (من ماء) يعنى المنى ، وقيل الماء الذى فى الطين الذى خلق منه آدم وغيره (على بطنه) كالحيات والحوت (ويقولون آمنا) الآية : نزلت فى المنافقين ، وسببها أن رجلا من المنافقين كانت بينه وبين يهودى خصومة ، فدعاه اليهودى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ، ودعاه إلى كعب بن الأشرف (مذعنين) أى منقادين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم (أفى قلوبهم مرض) توقيف يراد به التوبيخ ، وكذلك ما بعده (أن يحيف) معناه أن يجور ، والحيف الميل ، وأسنده إلى الله ، لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه (إنما كان قول المؤمنين) الآية . معناها إنما الواجب أن يقول المؤمنون : سمعنا وأطعنا إذا دعوا إلى الله ورسوله ، وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه (ومن يطع الله ورسوله) الآية : قال ابن عباس : معناها من

لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم

يطع الله فى فرائضه ورسوله فى سنته (ويخشى الله) فيما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل ، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية ، وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم ، وقال إنها جمعت كل مافى التوراة والإنجيل (وأقسموا) أى حلفوا ، والضمير للمنافقين (جهد أيمانهم) أى بالغوا فى اليمين وأكدوها (ليخرجن) يعنى إلى الغزو (قل لاتقسموا) نهى عن اليمين الكاذبة لأنه قدعرف أنهم يحلفون على الباطل (طاعة معروفة) مبتدأ وخبره محذوف أى طاعة معروفة أمثل وأولى بكم ، أو خبرمبتدأ محذوف أى المطلوب منكم طاعة معروفة لايشك فيها (عليه ماحمل) يعنى تبليغ الرسالة (وعليكم ماحملتم) يعنى السمع والطاعة واتباع الشريعة (ليستخلفنهم فى الأرض) وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة ، وقيل إن المراد بالآية : خلافة أبى بكر وعثمان وعلىّ رضى الله عنهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة علىّ ، فإن قيل ، أين القسم الذى جاء قوله « ليستخلفنهم » جوابا له ؟ فالجواب أنه محذوف تقديره : وعدهم الله وأقسم ، أو جعل الوعد بمنزلة القسم لتحققه (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قيل المراد بالذين ملكت أيمانكم : الرجال خاصة ، وقيل النساء خاصة ، لأن الرجال يستأذنون فى كل وقت وقيل الرجال والنساء (والذين لم يبلغوا الحلم) يعنى الأطفال غير البالغين (ثلاث مرات) نصب على الظرفية لأنهم أمروا بالاستئذان فى ثلاثة مواطن ، فمعنى الآية أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان فى ثلاثة أوقات ، وهى قبل الصبح وحين القائلة وسط النهار ، وبعد صلاة العشاء الأخيرة ، لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم فى غالب أمرهم ، وهذه الآية محكمة ؛ وقال ابن عباس : ترك الناس العمل بها ، وحملها بعضهم على الندب (تضعون ثيابكم) يعنى تتجردون (الظهيرة) وسط النهار (ثلاث عورات) جمع عورة من الانكشاف كقوله بيوتنا عورة ، ومن رفع ثلاث فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هذه الأوقات ثلاث عورات لكم : أى تنكشفون فيها ، ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات (ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن) هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة أى ليس عليكم

بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ٱلْآيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

ولا على المماليك والأطفال جناح فى ترك الاستئذان فى غير المواطن الثلاثة (طوافون عليكم) تقديره المماليك والأطفال طوافون عليكم، فلذلك يؤمر بالاستئذان فى كل وقت (بعضكم على بعض) بدل من طوافون: أى بعضكم يطوف على بعض وقال الزمخشرى هو مبتدأ أى بعضكم يطوف على بعض أو فاعل بفعل مضمر (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) لما أمر الأطفال فى الآية المتقدمة بالاستئذان فى ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن فى غيرها: أمرهم هنا بالاستئذان فى جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال (والقواعد من النساء) جمع قاعد وهى العجوز، فقيل هى التى قعدت عن الولد، وقيل التى قعدت عن التصرف، وقيل التى إذا رأيتها استقذرتها (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبح لغيرهن من وضع الثياب، قال ابن مسعود إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذى فوق الخمار والرداء، وقال بعضهم: إنما ذلك فى منزلها الذى يراها فيه ذوو محارمها (غير متبرجات بزينة) إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة، والتبرج هو الظهور (وأن يستعففن خير لهن) المعنى أن الاستعفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من الستر (ليس على الأعمى حرج) الآية اختلف فى المعنى الذى رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض فى هذه الآية، فقيل هو فى الغزو أى لا حرج عليهم فى تأخيرهم عنه، وقوله «ولا على أنفسكم» مقطوع من الذى قبله على هذا القول كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرج فى ترك الغزو، ولا عليكم حرج فى الأكل، وقيل الآية كلها فى معنى الأكل، واختلف الذاهبون إلى ذلك، فقيل إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذرهم الناس، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس، وقيل إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار فى بيوتهم، وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية فى ذلك، وقيل إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا، فنزلت الآية، وهذا ضعيف. لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم، وقيل إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة فى كل ما تمنعهم عنه أعذارهم من الجهاد وغيره (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أباح الله تعالى للإنسان الأكل فى هذه البيوت المذكورة فى الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن، لأنه دخل فى قوله من بيوتكم، لأن بيت ابن الرجل بيته، لقوله عليه الصلاة والسلام: أنت ومالك لأبيك، واختلف العلماء فيما ذكر فى هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه والناسخ قوله تعالى: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، وقوله عليه الصلاة والسلام: لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه،

أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ
لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ
شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ
بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

وقيل الآية محكمة ، ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا فى ذلك ، وقيل بإذن وبغير إذن (أو ماملكتم مفاتحه) يعنى الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ، فأباح لهم الأكل منها ، وقيل المراد مامك الإنسان من مفاتح نفسه وهذا ضعيف (أوصديقكم) الصديق يقع على الواحد والجماعة ، كالعدو ، والمراد به هنا جمع ليناسب ماذكر قبله من الجموع فى قوله آبائكم وأمهاتكم وغير ذلك ، وقرن الله الصديق بالقرابة ، لقرب مودته ، وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) إباحة للأكل فى حال الاجتماع والانفراد ، لأن بعض العرب كان لايأكل وحده أبدا خيفة من البخل ، فأباح لهم الله ذلك (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى إذا دخلتم بيوتا مسكونة ، فسلموا على من فيها من الناس ، وإنما قال على أنفسكم بمعنى صنفكم كقوله « ولا تلمزوا أنفسكم » وقيل المعنى إذا دخلتم بيوتا خالية فسلموا على أنفسكم بأن يقول الرجل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وقيل يعنى بالبيوت المساجد ، والأمر بالسلام على من فيها ، فإن لم يكن فيها أحد فيسلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين (وإذا كانوا معه على أمر جامع) الآية : الأمر الجامع هو مايجمع الناس للمشورة فيه ، أو للتعاون عليه . ونزلت هذه الآية فى وقت حفر الخندق بالمدينة ، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون فى الانصراف لضرورة ، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان (لبعض شأنهم) أى لبعض حوائجهم (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فى معناها ثلاثة أقوال الأول أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم إياهم ليجتمعوا إليه فى أمر جامع أو فى قتال وشبه ذلك ، فالمعنى أن إجابتكم له إذا دعاكم واجبة عليكم بخلاف إذا دعا بعضكم بعضا ، فهو كقوله تعالى : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ، ويقوى هذا القول مناسبته لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع ، والقول الثانى أن المعنى لاتدعوا الرسول عليه السلام باسمه كما يدعو بعضكم بعضا باسمه بل قولوا يارسول الله أو يانبى الله تعظيما ودعاء بأشرف أسمائه ، وقيل المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض : أى دعاؤه عليكم يجاب فاحذروه ، ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى على أن المعنى صحيح (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) الذين ينصرفون عن حفر الخندق ، واللواذ الروغان والمخالفة ، وقيل الانصراف فى خفية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الضمير لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، واختلف فى عن هنا ،

يُصيبهم عذاب أليم * ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم *

سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بسم الله الرحمن الرحيم * تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا * واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا * وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي

فقيل إنها زائدة وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية : معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول : كان المطر عن ريح ، قال الزمخشري يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد الناس عنه ، فمعنى يخالفون عن أمره يصدون الناس عنه ، فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف (فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الفتنة في الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل أو العذاب في الآخرة (قد يعلم ما أنتم عليه) دخلت قد للتأكيد ، وفي الكلام معنى الوعيد ، وقيل معناها التقليل على وجه التهكم والخطاب لجميع الخلق ، أو للمنافقين خاصة (ويوم يرجعون إليه) يعني المنافقين ، والعامل في الظرف بينهم .

سورة الفرقان

(تبارك) من البركة وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع (على عبده) يعني محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وذلك على وجه التشريف له والاختصاص (ليكون للعالمين نذيرا) الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم أو للقرآن ، والأول أظهر وقوله « للعالمين » عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره ، وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة ، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوة والتوحيد ، والرد على من خالف في ذلك (فقدره تقديرا) الخلق عبارة عن الإيجاد بعد العدم ، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة ، وتخصيص كل مخلوق بمقداره ، وصفته ، وزمانه ومكانه ، ومصلحته ، وأجله ، وغير ذلك (واتخذوا) الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى (وأعانه عليه قوم آخرون) يعنون قوما من اليهود منهم عداس ويسار وأبو فكيهة الرومي (فقد جاؤا ظلما وزورا) أي ظلموا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما نسبوا إليه وكذبوا في ذلك عليه (وقالوا أساطير الأولين) أي ماسطره الأولون في كتبهم ، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث (اكتتبها) أي كتبها له كاتب ، ثم صارت تملى عليه ليحفظها ، وهذا حكاية كلام الكفار ، وقال الحسن إنها من قول الله على وجه الرد عليهم ، ولو كان ذلك لقال أكتتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار ،

يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَقَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝ وَإِذَآ أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۝ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ۝ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ

وقد يجوز حذف الهمزة فى مثل هذا وينبغى على قول الحسن أن يوقف على أساطير الأولين (قل أنزله الذى يعلم السر) رد على الكفار فى قولهم ويعنى بالسر : ما أسره الكفار من أقوالهم ، أو يكون ذلك على وجه التنصل والبراءة مما نسبه الكفار إليه من الافتراء أى أن الله يعلم سرى فهو العالم بأنى ما افتريت عليه ، بل هو أنزله علىّ ، فإن قيل ماءناسبة قوله « إنه كان غفوراً رحيما » لما قبله ؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفار : أعقبها بذلك ، لبيان أنه غفور رحيم فى كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم ، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام) الآية : قال هذا الكلام قريش طعنا على النبى صلى الله عليه وسلم وقد رد الله عليهم بقوله « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق » وقولهم « هذا الرسول » على وجه التهكم كقول فرعون إن رسولكم الذى أرسل إليكم ، أو يعنون الرسول بزعمه ، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور فى قولهم : لولا أنزل إليه ملك وما بعده ، ثم وصفهم بالظلم ، وقد ذكرنا معنى مسحوراً فى سبحان (ضربوا لك الأمثال) أى قالوا فيك تلك الأقوال (فلا يستطيعون سبيلا) أى لا يقدرون على الوصول إلى الحق لبعدهم عنه وإفراط جهلهم (خيراً من ذلك) الإشارة إلى ماذكره الكفار من الكنز والجنة فى الدنيا (جنات تجرى من تحتها الأنهار) يعنى جنات الآخرة وقصورها وقيل يعنى جنات ، وقصوراً فى الدنيا ، ولذلك قال إن شاء (إذا رأتهم) أى إذا رأتهم جهنم وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة أو مجازاً بمعنى صارت منهم بقدر مايرى على البعد (سمعوا لها تغيظاً وزفيرا) التغيظ لا يسمع وإنما المسموع أصوات دالة عليه فى لفظه تجوز ، والزفير أول صوت الحمار (مكانا ضيقاً) تضيق عليهم زيادة فى عذابهم (مقرنين) أى مربوط بعضهم إلى بعض ، وروى أن ذلك بسلاسل من النار (دعوا هنالك ثبورا) الثبور الويل وقيل الهلاك ، ومعنى دعائهم ثبورا : أنهم يقولون يا ثبوراه كقول القائل واحسرتاه وا أسفاه (لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً) تقديره يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضى ذلك وإن لم يكن ثم قول وإنما دعوا ثبوراً كثيراً لأن عذابهم دائم ، فالثبور يتجدد عليهم فى كل حين (قل أذلك خير أم جنة الخلد) إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار ، لأن الكلام توقيف وتوبيخ ، وإنما

عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا * فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا * وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا * وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ

يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك فى المعنى إذا كان الكلام خبرا (وعداً مسئولا) أى سأله المؤمنين أو الملائكة فى قولهم وأدخلهم جنات عدن ، وقيل معناه وعداً : واجب الوقوع لأنه حتمه (فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) القائل لذلك هو الله عز وجل ، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم ، وقيل الأصنام خاصة ، والأول أرجح لقوله « ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون » وقوله « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » (أم هم ضلوا السبيل) أم هنا معادلة لما قبلها ، والمعنى أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أنتم ، ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله « هم » ليتحقق إسناد الضلال إليهم ، فإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور ليوبخ الكفار الذين عبدوهم (قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) القائلون لهذا هم المعبودون : قالوه على وجه التبرى ممن عبدهم كقولهم أنت ولينا من دونهم ، والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ ، وإقامة الحجة عليهم (ولكن متعتهم وآباءهم) معناه أن إمتاعهم بالنعم فى الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته (قوما بورا) أى هالكين ، وهو من البوار وهو الهلاك ، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد والجماعة (فقد كذبوكم بما تقولون) هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة أى قد كذبكم آلهتكم التى عبدتم من دون الله ، وتبرؤا منكم وقيل هو خطاب للمعبودين : أى كذبوكم فى هذه المقالة لما عبدوكم فى الدنيا ، وقيل هو خطاب للمسلمين : أى قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة ، وقرئ بما يقولون بالياء من أسفل ، والباء فى قوله بما تقولون على القراءة بالتاء بدل من الضمير فى كذبوكم ، وعلى القراءة بالياء كقولك كتبت بالقلم ، أو كذبوكم بقولهم (فما يستطيعون صرفاً ولا نصرا) قرئ فما تستطيعون بالتاء فوق ، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين ؛ والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم ، أو يكون الخطاب للمسلمين والصرف على هذا رد التكذيب ، وقرئ بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين والصرف صرف العذاب (ومن يظلم منكم) خطاب للكفار وقيل للمؤمنين وقيل على العموم (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) تقديره وما أرسلنا رسلا أو رجالا قبلك ، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير فى قوله إلا إنهم ليأكلون الطعام ، وهذه الآية رد على الكفار فى استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم ، فالغنى فتنة للفقير ،

أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۝ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا * وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ الْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا * وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝ وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا * وَكَذَٰلِكَ

والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به (أتصبرون) تقديره لننظر هل تصبرون (لا يرجون لقاءنا) قيل معناه لا يخافون، والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله، وحينئذ يؤمنون فرد الله عليهم بقوله لقد استكبروا الآية: أى طلبوا مالا ينبغى لهم أن يطلبوه، وقوله فى أنفسهم كما تقول فلان عظيم فى نفسه أى عند نفسه أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر فى أنفسهم (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل فى يوم معنى لا بشرى، ويومئذ بدل (ويقولون حجرا محجورا) الضمير فى يقولون إن كان للملائكة، فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين حجرا محجورا أى حرام عليكم الجنة أو البشرى، وإن كان الضمير للمجرمين، فالمعنى أنهم يقولون حجراً بمعنى عوذاً لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره، وانتصابه بفعل متروك إظهاره نحو معاذ الله (وقدمنا إلى ماعملوا) أى قصدنا إلى أفعالهم فلفظ القدوم مجاز، وقيل هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره (فجعلناه هباء منثورا) عبارة عن عدم قبول ماعملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم لأن الإيمان شرط فى قبول الأعمال، والهباء هى الأجرام الدقيقة من الغبار التى لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوة، والمنثور المتفرق (خير مستقرا) جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن هذا مستقر وهذا مستقر (وأحسن مقيلا) هو مفعل من النوم فى القائلة وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ماتتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة فى الأمكنة الباردة، وقيل إن حساب الخلق يكمل فى وقت ارتفاع النهار، فيقيل أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار (ويوم تشقق السماء بالغمام) هو يوم القيامة وانشقاق السماء: انفطارها، ومعنى بالغمام أى يخرج منها الغمام، وهو السحاب الرقيق الأبيض وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الندم والحسرة، والظالم هنا عقبة بن أبى معيط، وقيل كل ظالم والظلم هنا الكفر (مع الرسول) هو محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، أو اسم جنس على العموم (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) روى أن عقبة جنح إلى الإسلام فنهاه أبىّ بن خلف وأمية بن خلف فهو فلان، وقيل إن عقبة نهى أبىّ بن خلف عن الإسلام، فالظالم على هذا أبىّ وفلان عقبة، وإن كان الظالم على العموم ففلانا على العموم أى خليل كل

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ
جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۝ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ
الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي

كافر (وكان الشيطان للإنسان خذولا) يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالشيطان إبليس أو الخليل المذكور (وقال الرسول) قيل إن هذا حكاية قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الدنيا، وقيل فى الآخرة (مهجورا) من الهجر بمعنى البعد والترك وقيل من الهجر بضم الهاء أى قالوا فيه الهجر حين قالوا إنه شعر وسحر والأول أظهر (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) العدو هنا جمع، والمراد تسلية النبى صلى الله عليه وسلم بالتأسى بغيره من الأنبياء (وكفى بربك هاديا ونصيراً) وعد لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالهدى والنصرة (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) هذا من اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل (كذلك لنثبت به فؤادك) هذا جواب لهم تقديره أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم لحفظه: ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه لأنه أمى لا يقرأ، فحفظ المفرق عليه أسهل، وأيضا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضى أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه، وأيضا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة (ورتلناه ترتيلا) أى فرقناه تفريقا فإنه نزل بطول عشرين سنة وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذى يتعلق به كذلك وبه يتعلق لنثبت (ولا يأتونك بمثل) الآية معناها لا يوردون عليك سؤالا أو اعتراضا إلا أتيناك فى جوابه بالحق، والتفسير الحسن الذى يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم (الذين يحشرون على وجوههم) يعنى الكفار، وحشرهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء فى الحديث قيل يارسول الله: كيف يحشر الكافر على وجهه: قال أليس الذى أمشاه فى الدنيا على رجليه قادرا على أن يمشيه فى الآخرة على وجهه (شر مكانا) يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف أو الدار والمسكن فى الآخرة (وزيرا) معينا (إلى القوم) يعنى فرعون وقومه، وفى الكلام حذف تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم (كذبوا الرسل) تأويله كما ذكر فى قوله فى هود فعصوا رسله (وأعتدنا للظالمين) يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم (وأصحاب الرس) معنى الرس فى اللغة البئر، واختلف فى أصحاب الرس: فقيل هم من بقية ثمود وقيل من أهل اليمامة، وقيل من أهل أنطاكية، وهم أصحاب يس، واختلف فى قصتهم فقيل بعث الله إليهم نبيا فرموه فى بئر فأهلكهم الله، وقيل كانوا حول بئر لهم فانهارت بهم فهلكوا (وقرونا بين ذلك كثيرا) يقتضى التكثير

أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا * وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ
يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُ
سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاسًا
وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۝ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً
طَهُورًا * لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰٓ

والإبهام، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الأمم (ضربنا له الأمثال) أى بيناله (تبرنا) أى أهلكنا (ولقد أتوا على القرية) الضمير فى أتوا لقريش وغيرهم من الكفار، والقرية قرية قوم لوط، ومطر السوء الحجارة ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها فى طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور ويرجون كقوله يرجون لقاءنا، وقد ذكر (أهذا الذى) حكاية قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة فى موضع مفعول لقول محذوف يدل عليه هذا، وقوله «إن كاد ليضلنا» استئناف جملة أخرى وتم كلامهم، واستأنف كلام الله تعالى فى قوله «وسوف يعلمون» الآية على وجه التهديد لهم (اتخذ إلهه هواه) أى أطاع هواه حتى صار كأنه له إله (بل هم أضل) لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب (ألم تر إلى ربك) أى إلى صنع ربك وقدرته (مد الظل) قيل مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حينئذ على الأرض كلها، واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال ظل بالليل، واختار أن مد الظل من الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير، وقيل معنى مد الظل: أى جعله يمتد وينبسط (ولو شاء لجعله ساكنا) أى ثابتا غير زائل لكنه جعله يزول بالشمس، وقيل معنى ساكن غير منبسط على الأرض، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) قيل معناه أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها فى سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلوسهم فيه، وقيل معناه لولا الشمس لم يعرف أن الظل شىء لأن الأشياء لم تعرف إلا بأضدادها (ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) قبضه نسخه وإزالته بالشمس؛ ومعنى يسيرا شيئا بعد شىء لا دفعة واحدة، فإن قيل: ما معنى ثم فى هذه المواضع الثلاثة؟ فالجواب أنه يحتمل أن تكون للترتيب فى الزمان أى جعل الله هذه الأحوال حالا بعد حال، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال الثلاثة وأن الثانى أعظم من الأول، والثالث أعظم من الثانى (الليل لباسا) شبه ظلام الليل باللباس، لأنه يستر كل شىء كاللباس (والنوم سباتا) قيل راحة وقيل موتا لقوله يتوفى الأنفس حين موتها، والتى لم تمت فى منامها. ويدل عليه مقابلته بالنشور (الرياح بشرا) ذكر فى الأعراف (ماء طهورا) مبالغة فى طاهر وقيل معناه مطهر للناس فى الوضوء وغيره. وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماء طهورا، أى مطهر، وكل مطهر طاهر، وليس كل

أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

طاهر مطهر (أناسى) قيل جمع إنسى ، وقيل جمع إنسان ، والأول أصح (ولقد صرفناه) الضمير للقرآن ، وقيل للمطر وهو بعيد (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) أى لو شئنا لخففنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل ولكنا خصصناك بها كرامة لك فاصبر (وجاهدهم به) الضمير للقرآن أو لما دل عليه الكلام المتقدم (مرج البحرين) اضطرب الناس فى هذه الآية لأنه لا يعلم فى الدنيا بحر ملح وبحر عذب وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح ، قال ابن عباس أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض ، والبحر العذب الفرات بحر السحاب ، وقيل البحر الملح البحر المعروف ، والبحر العذب مياه الأرض ، وقيل البحر الملح جميع الماء الملح من الآبار وغيرها ، والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون ، ومعنى العذب البالغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة ، والأجاج نقيضه ، واختلف فى معنى مرجهما ، فقيل جعلهما متجاورين متلاصقين ، وقيل أسال أحدهما فى الآخر (وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) أى فاصلا يفصل بينهما وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان ، وقيل البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر (خلق من الماء بشرا) إن أراد بالبشر آدم فالمراد بالماء الماء الذى خلق به مع التراب فصار طينا ، وإن أراد بالبشر بنى آدم ، فالمراد بالماء المنىّ الذى يخلقون منه (فجعله نسبا وصهرا) النسب والصهر يعمان كل قربى : أى كل قرابة ، والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر فى أب أو أم قرب ذلك أو بعد ، والصهر هو الاختلاط بالنكاح ، وقيل أراد بالنسب الذكور أى ذوى نسب ينتسب إليهم ، وأراد بالصهر الإناث : أى ذوات صهر يصاهر بهن ، وهو كقوله «فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى» (وكان الكافر على ربه ظهيرا) الكافر هنا الجنس ، وقيل المراد أبو جهل ، والظهير المعين أى يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله «والملائكة بعد ذلك ظهير» (قل ما أسئلكم عليه من أجر) أى لا أسئلكم على الإيمان أجرة ولا منفعة (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) معناه إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته ، فالاستثناء منقطع ، وقيل المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة ، فالاستثناء على هذا متصل ، والأول أظهر ، وفى الكلام محذوف تقديره إلا سؤال من شاء وشبه ذلك (وتوكل على الحىّ الذى لا يموت) قرأ هذه الآية بعض السلف فقال لا ينبغى لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت (وسبح بحمده) أى قل سبحان الله وبحمده ، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به ، ومعنى بحمده أى بحمده أقول ذلك ، ويحتمل أن يكون المعنى سبحه متلبسا بحمده ، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد (وكفى به بذنوب

الرَّحْمَٰنُ فَسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝

عباده خبيرا) يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم أو يكون المراد تهديد العباد لعلم الله بذنوبهم (استوى على العرش) ذكر فى الأعراف (الرحمن) خبر ابتداء مضمر، أو بدل من الضمير فى استوى (فاسأل به خبيرا) فيه معنيان: أحدهما وهو الأظهر: أن المراد اسأل عنه من هو خبير عارف به، وانتصب خبيرا على المفعولية، وهذا الخبير المسؤل هو جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب والباء فى قوله به: يحتمل أن تتعلق بخبيرا، أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى عن، والمعنى الثانى، أن المراد اسأل بسؤاله خبيراً أى إن سألته تعالى تجده خبيرا بكل شىء، فانتصب خبيرا على الحال، وهو كقولك لو رأيت فلانا رأيت به أسدا: أى رأيت برؤيته أسدا (قالوا وما الرحمن) لما ذكر الرحمن فى القرآن أنكرته قريش، وقالوا لا نعرف الرحمن، وكان مسيلمة الكذاب قد تسمى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة إنما الرحمن الرجل الذى باليمامة (أنسجد لما تأمرنا) تقديره لما تأمرنا أن نسجد له (وزادهم نفورا) الضمير المفعول فى زادهم يعود على المقول وهو اسجدوا للرحمن (بروجا) يعنى المنازل الاثنى عشر، وقيل الكواكب العظام (سراجا) يعنى الشمس، وقرئ بضم السين والراء على الجمع: يعنى جميع الأنوار ثم خص القمر بالذكر تشريفا (جعل الليل والنهار خلفة) أى يخلف هذا هذا، وقيل هو من الاختلاف، لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم الهيئة: كالركبة والجلسة، والأصل جعلهما ذوى خلفة (لمن أراد أن يذكر) قيل معناه يعتبر فى المصنوعات، وقيل معناه يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها فى الليل فيستدركه فى النهار أو فاته بالنهار فيستذكره بالليل، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضى الله عنهما (وعباد الرحمن) أى عباده المرضيون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة، وعباد مبتدأ وخبره الذين يمشون، أو قوله فى آخر السورة أولئك يجزون الغرفة (الذين يمشون على الأرض هونا) أى رفقا ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض أو وصف أخلاقهم فى جميع أحوالهم، وعبر بالمشى على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم (قالوا سلاما) أى قالوا قولا سديدا ليدفع الجاهل برفق، وقيل معناه قالوا للجاهل سلاما أى هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بالسيف، وإنما يصح النسخ فى حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فمستحسن غير منسوخ (إن عذابها) ومابعده يحتمل أن يكون من كلامهم أو من كلام الله عز وجل (كان غراما) أى هلاكا وخسرانا، وقيل ملازما (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الاقتار هو التضييق فى النفقة والشح وضده الاسراف فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝ أُولَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝

وهو القوام ، وذلك فى الانفاق فى المباحات وفى الطاعات ، وأما الانفاق فى المعاصى فهو إسراف ، وإن قل (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أى عقابا ، وقيل الأثام الإثم فمعناه يلق جزاء أثام ؛ وقيل الأثام : وادفى جهنم ، والإشارة بقوله ذلك إلى ماذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا (ويخلد فيه مهانا) قيل نزلت فى الكفار لأنهم المخلدون فى النار بإجماع ، فكأنه قال الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا ، وقيل نزلت فى المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون ، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه ، وأما على مذهب أهل السنة فالخلود عبارة عن طول المدة (إلا من تاب) إن قلنا الآية فى الكفار فلا إشكال فيها ، لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا ، وإن قلنا إنها فى المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح ، واختلف هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قيل يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلا عما عملوا من السيئات ، وقيل إن هذا التبديل فى الآخرة : أى يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات (يتوب إلى الله متابا) أى متابا مقبولا مرضيا عند الله كما تقول لقد قلت يافلان قولا أى قولا حسنا (لايشهدون الزور) أى لايشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة ، وقيل معناه لايحضرون مجالس الزور واللهو فهو على هذا من المشاهدة والحضور والأول أظهر (وإذا مروا باللغو مروا كراما) اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه ، ومعنى مروا كراما أى أعرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيها لأنفسهم عن ذلك (لم يخروا عليها صما وعميانا) أى لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم ، فالنفى للصمم والعمى لا للخرور عليها (قرة أعين) قيل معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لك ، وقيل أدخلهم معنا الجنة ، واللفظ أعم من ذلك (واجعلنا للمتقين إماما) أى قدوة يقتدى بنا المتقون فإمام مفرد يراد به الجنس ، وقيل هو جمع آم أى متبع (الغرفة) يعنى غرفة الجنة فهى اسم جنس (قل مايعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية ، وفى معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال : الأول : أن المعنى إن الله لا يبالى بكم لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة وهذا قريب من معنى قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » الثانى : أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال ، والمعنى لا يبالى الله بكم ، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه ويكون على هذين القولين خطابا

سـورة الشعراء

مكية إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ۞ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ
الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى
الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۞ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۞
قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا

لجميع الناس من المؤمنين والكافرين لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه أوخطابا للمؤمنين خاصة لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه ، ولكن يضعف هذا بقوله « فقد كذبتم » الثالث : أنه خطاب للكفار خاصة والمعنى على هذا : مايعبأ بكم ربى لولا أن يدعوكم إلى دينه ، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول فى الدين ، وهو مصدر مضاف إلى المفعول ، وأما على القول الأول والثانى فهو مصدر مضاف إلى الفاعل (فقد كذبتم) هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين (فسوف يكون لزاما) أى سوف يكون العذاب لزاما ثابتا وأضمر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التكذيب المتقدم ، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم بدر ، أوعذاب الآخرة .

سـورة الشعراء

(طسم) تكلمنا على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة ، ويخص هذا أنه قيل الطاء من ذى الطول ، والسين من السميع أو السلام ، والميم من الرحيم أو المنعم (باخع) ذكر فى الكهف (فظلت أعناقهم لها خاضعين) الأعناق جمع عنق وهى الجارحة المعروفة ، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لايكون إلا من العقلاء ، وقيل الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما يقال لهم رؤس وصدور ، وقيل هم الجماعات من الناس ، فلايحتاج جمع خاضعين إلى تأويل (محدث) يعنى به محدث الإتيان (فسيأتيهم) الآية : تهديد (من كل زوج) أى من كل صنف من النبات فيعم ذلك الاقوات والفواكه والأدوية والمرعى ، ووصفه بالكرم لمافيه من الحسن ومن المنافع (إن فى ذلك لآية) الإشارة إلى ما تقدم من النبات وإنما ذكره بلفظ الإفراد لأنه أراد أن فى كل واحد آية أو إشارة إلى مصدر قوله أنبتنا (ويضيق صدرى) بالرفع عطف على أخاف ، أو استئناف ، وقرئ بالنصب عطفا على يكذبون (فأرسل إلى هارون) أى اجعله معى رسولا أستعين به (ولهم علىّ ذنب) يعنى قتله للقبطىّ (قال كلا) أى لاتخف أن يقتلوك (إنا معكم) خطاب لموسى

بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۞ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن

وأخيه ومن كان معهما . أوعلى جعل الاثنين جماعة (مستمعون) لفظه جمع ، وورد مورد تعظيم الله تعالى، ويحتمل أن تكون الملائكة هى التى تسمع بأمر الله ، لأن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع والأول أحسن ، وتأويله : أن فى الاستماع اعتناء واهتماما بالأمر ليست فى صفة سامعون والخطاب فى قوله معكم لموسى وهارون وفرعون وقومه ، وقيل لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان (إنا رسول ربك) إن قيل لم أفرده وهما اثنان ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنّ التقدير كل واحد منا رسول . الثانى أنهما جعلا كشخص واحد لاتفاقهما فى الشريعة ، ولأنهما أخوان فكأنهما واحد . الثالث أنّ رسول هنا مصدر وصف به ، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة ، فإنه يقال رسول بمعنى رسالة ، بخلاف قوله إنا رسولا ، فإنه بمعنى الرسل (أن أرسل معنا بنى إسرائيل) أى أطلقهم (قال ألم نربك فينا وليدا) قصد فرعون بهذا الكلام المنّ على موسى والاحتقار له (وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين) قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام ويعنى بالفعلة : قتله للقبطى ، والواو فى قوله وأنت إن كانت للحال فقوله من الكافرين معناه كافرا بهذا لدين الذى جئت به لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة ، وقد كان قبل ذلك مؤمنا ، ولم يعلم بذلك فرعون ، وقيل معناه من الكافرين بنعمتى ، وإن كانت الواو للاستئناف : فيحتمل أن يريد من الكافرين بدينى ، ومن الكافرين بنعمتى (قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين) القائل هنا هو موسى عليه السلام ، والضمير فى قوله فعلتها لقتله القبطى ، واختلف فى معنى قوله من الضالين ، فقيل معناه من الجاهلين بأن وكزتى تقتله ، وقيل معناه من الناسين ، فهو كقوله « أن تضل إحداهما » وقوله « إذاً » صلة فى الكلام ، وكأنها بمعنى حينئذ ، قال ذلك ابن عطية (ففررت منكم) أى من فرعون وقومه ، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرد فى قوله « تمنها علىّ أن عبدت » (وتلك نعمة تمنها علىّ أن عبدت بنى إسرائيل) معنى عبدت ذللت واتخذتهم عبيدا ، فمعنى هذا الكلام أنك عددت نعمة علىّ تعبيد بنى إسرائيل وليست فى الحقيقة بنعمة إنما كانت نقمة لأنك كنت تذبح أبناءهم ولذلك وصلت أنا إليك فربيتنى ، فالإشارة بقوله تلك إلى التربية وأن عبدت فى موضع رفع عطف بيان على تلك أو فى موضع نصب على أنه مفعول من أجله ، وقيل معنى الكلام تربيتك نعمة على لأنك عبدت بنى إسرائيل وتركتنى فهى فى المعنى الأول إنكار لنعمته وفى الثانى اعتراف بها (قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين) لما أظهر فرعون الجهل

كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ۝ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ۞ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۞ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ۝ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۞ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ۞ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ

بالله فقال : ومارب العالمين ؛ أجابه موسى بقوله رب السموات والأرض ، فقال ألا تستمعون : تعجبا من جوابه فزاد موسى فى إقامة الحجة بقوله : ربكم ورب آبائكم الأولين لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء وأعظم البراهين فإن أنفسهم أقرب الأشياء اليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم ، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه ، وأيد الازدراء والتهكم فى قوله رسولكم الذى أرسل إليكم فزاد موسى فى إقامة الحجة بقوله رب المشرق والمغرب ، لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدها ولا أن يدعيها لغير الله ، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمروذ ، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهدده بالسجن ، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة ، وذكرها له بتلطف طمعاً فى إيمانه ، فقال « أولو جئتك بشىء مبين » والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام وتقديره أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشىء مبين ، وقد تقدم فى الأعراف ذكر العصا واليد ، وماذا تأمرون ، وأرجه ، وحاشرين فإن قيل : كيف قال أولا إن كنتم موقنين ، ثم قال آخرا إن كنتم تعقلون ؟ فالجواب أنه لاين أولا طمعاً فى إيمانهم ، فلما رأى منهم العناد والمغالطة : وبخهم بقوله إن كنتم تعقلون ، وجعل ذلك فى مقابلة قول فرعون إن رسولكم لمجنون (لميقات يوم) هو يوم الزينة (نتبع السحرة) أى نتبعهم فى نصرة ديننا لا فى عمل السحر ، لأن عمل السحر كان حراماً (بعزة فرعون) قسم أقسموا به ، وقد تقدم فى الأعراف تفسير مايأفكون ، ومابعد ذلك (لاضير) أى لا يضرنا ذلك لأننا ننقلب إلى الله (أسر بعبادى) يعنى بنى إسرائيل (إنكم متبعون) إخبار باتباع فرعون (لشرذمة قليلون) الشرذمة الطائفة من الناس ، وفى هذا احتقار لهم على

لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَٰٓءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ
كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ۝ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ *
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ * إِذْ
قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ
يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى
وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝

أنه روى أنهم كانوا ستمائة ألف ، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير (فأخرجناهم من جنات وعيون) يعنى التى بمصر ، والعيون الخلجان الخارجة من النيل ، وكانت ثم عيون فى ذلك الزمان ، وقيل يعنى الذهب والفضة وهو بعيد (ومقام كريم) مجالس الأمراء والحكام ، وقيل المنابر ، وقيل المساكن الحسان (كذلك) فى موضع خفض صفة لمقام أو فى موضع نصب على تقدير أخرجناهم مثل ذلك الإخراج ، أو فى موضع رفع على أنه خبر ابتداء تقديره الأمر كذلك (وأورثناها بنى إسرائيل) أى أورثهم الله مواضع فرعون بمصر على أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بنى إسرائيل لمصر ، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام فتأويله على هذا أورثهم مثل ذلك بالشام (فأتبعوهم) أى لحقوهم ، وضمير الفاعل لفرعون وقومه ، وضمير المفعول لبنى إسرائيل (مشرقين) معناه داخلين فى وقت الشروق وهو طلوع الشمس ، وقيل معناه نحو المشرق وانتصابه على الحال (تراء الجمعان) وزن تراءى تفاعل ، وهو منصوب من الرؤية ، والجمعان جمع موسى وجمع فرعون أى رأى بعضهم بعضا (فانفلق) تقدير الكلام فضرب موسى البحر فانفلق (كل فرق) أى كل جزء منه والطود الجبل ، وروى أنه صار فى البحر اثنى عشر طريقاً لكل سبط من بنى إسرائيل طريق (وأزلفنا ثم الآخرين) يعنى بالآخرين فرعون وقومه ، ومعنى أزلفنا قربناهم من البحر ليغرقوا ، وثم هنا ظرف يراد به حيث انفلق البحر وهو بحر القلزم (ما تعبدون) إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم أن ما يعبدونه ليس بشىء ، ويقيم عليهم الحجة (قالوا نعبد أصناماً) إن قيل لم صرحوا بقولهم نعبد ، مع أن السؤال وهو قوله ما تعبدون يغنى عن التصريح بذلك ، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله : ما أنزل ربكم : قالوا خيراً ، فالجواب أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام ، ثم زادوا قولهم فنظل لها عاكفين مبالغة فى ذلك (بل وجدنا آباءنا) اعتراف بالتقليد المحض (إلا رب العالمين) استثناء منقطع وقيل

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۝ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ۝ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۝ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ

متصل لأن فى آبائهم من عبد الله تعالى (وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض إلى نفسه وأسند الشفاء إلى الله تأدباً مع الله (أن يغفر لى خطيئتى) قيل أراد كذباته الثلاثة الواردة فى الحديث وهى قوله فى سارة زوجته هى أختى ، وقوله « إنى سقيم » وقوله « بل فعله كبيرهم » وقيل أراد الجنس على الإطلاق ، لأن هذه الثلاثة من المعاريض فلا إثم فيها (لسان صدق) ثناء جميلا (يوم لا ينفع) وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم ، وهو من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون أيضا من كلام إبراهيم (إلا من أتى الله بقلب سليم ، قيل سليم من الشرك والمعاصى ، وقيل الذى يلقى ربه وليس فى قلبه شيئا غيره وقيل بقلب لديغ من خشية الله ، والسليم هو اللديغ لغة ، وقال الزمخشرى هذا من بدع التفاسير ، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلا فيكون من أتى الله مفعولا بقوله لا ينفع ، والمعنى على هذا أن المال لا ينفع إلا من أنفقه فى طاعة الله ، وأن البنين لا ينفعون إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق ، ويحتمل أيضا أن يكون متصلا ، ويكون قوله من أتى الله بدلا من قوله مال ولا بنون على حذف مضاف تقديره إلا مال من أتى الله وبنوه ويحتمل أن يكون منقطعا بمعنى لكن (وأزلفت الجنة) أى قربت (للغاوين) يعنى المشركين بدلالة ما بعده (فكبكبوا فيها) كبكبوا مضاعف من كب كررت حروفه دلالة على تكرير معناه : أى كبهم الله فى النار مرة بعد مرة ، والضمير للأصنام ، والغاوون هم المشركون ، وقيل الضمير للمشركين ، والغاوون هم الشياطين (نسويكم برب العالمين) أى نجعلكم سواء معه (وما أضلنا إلا المجرمون) يعنى كبراءهم ، وأهل الجرم والجراءة منهم (حميم) أى خالص الود ، قال الزمخشرى جمع الشفعاء ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة ، وقلة الأصدقاء (كذبت قوم نوح المرسلين) أسند الفعل إلى القوم ، وفيه علامة التأنيث ، لأن القوم فى معنى الجماعة والأمة ، فإن قيل : كيف قال المرسلين بالجمع وإنما كذبوا نوحا وحده ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإنما لم يركب إلا فرسا واحدا ، والآخر أن من كذب نبيا واحدا فقد كذب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لأن قولهم واحد ودعوتهم

وَأَطِيعُونِ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۝ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۝ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمَرْجُومِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَأَنْجَيْنَاهُ
وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ
رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *
كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ *
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ

سواء ، وكذلك الجواب فى كذبت عاد المرسلين وغيره (واتبعك الأرذلون) جمع أرذل ، وقد تقدم الكلام عليه فى قوله أراذلنا فى هود (وما أنا بطارد المؤمنين) يعنى الذين سموهم أرذلين ، فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم كما أرادت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وأشباههم من الضعفاء (المرجومين) يحتمل أن يريدوا الرجم بالحجارة ، أو بالقول وهو الشتم (فافتح بينى وبينهم) أى احكم بيننا (فى الفلك المشحون) أى المملوء (بكل ريع) الريع المكان المرتفع وقيل الطريق (آية) يعنى المبانى الطوال وقيل أبراج الحمام (مصانع) جمع مصنع وهو ما أتقن صنعه من المبانى ، وقيل مأخذ الماء (أمدكم بأنعام) الآية تفسير لقوله أمدكم بما تعلمون فأبهم أولا ثم فسره (خلق الأولين) بضم الخاء واللام أى عادتهم والمعنى أنهم قالوا ما هذا الذى عليه من ديننا إلا عادة الناس الأولين ، وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام ، ويحتمل على هذا وجهين : أحدهما أنه بمعنى الخلقة والمعنى ما هذه الخلقة التى نحن عليها إلا خلقة الأولين والآخر أنها من الاختلاق بمعنى الكذب ، والمعنى ما هذا الذى جئت به إلا كذب الأولين (أتتركون) تخويف لهم معناه أتطمعون أن تتركوا فى النعم على كفركم (ونخل طلعها هضيم) الطلع عنقود التمر

وَأَطِيعُونِ ۝ وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۝ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
الْمُسَحَّرِينَ ۝ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ۝ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ
يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَـٰدِمِينَ ۝ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ
قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۝ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَـٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ
أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۝ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ۝
رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِى الْغَـٰبِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْـَٔاخَرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝
كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝

فى أول نباته قبل أن يخرج من الكم ، والهضيم : اللين الرطب ، فالمعنى طلعها يتم ويرطب ، وقيل هو الرخص أول مايخرج ، وقيل الذى ليس فيه نوى ، فإن قيل : لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوى على النخل ؟ فالجواب : أن ذلك تجريد كقوله فاكهة ونخل ورمان ، ويحتمل أنه أراد الجنات التى ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل (وتنحتون) ذكر فى الأعراف (فارهين) قرئ بألف ويغير ألف وهو منصوب على الحال من الفاعل فى تنحتون ، وهو مشتق من الفراهة وهى النشاط والكيس ، وقيل معناه أقوياء وقيل أشرين بطرين (من المسحرين) مبالغة فى المسحورين ، وهو من السحر بكسر السين ، وقيل من السحر بفتح السين وهى الرؤية ، والمعنى على هذا إنما أنت بشر (لها شرب) أى حظ من الماء (فأصبحوا نادمين) لما تغيرت ألوانهم حسبما أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لاتنفعهم الندامة (فأخذتهم الصيحة) التى ماتوا منها وهى العذاب المذكور هنا (من القالين) أى من المبغضين ، وفى قوله قال ومن القالين : ضرب من ضروب التجنيس (ممايعملون) أى نجنى من عقوبة عملهم أواعصمنى من عملهم والأول أرجح (إلاعجوزا) يعنى امرأة لوط (فى الغابرين) ذكر فى الأعراف وكذلك أمطرنا (أصحاب الأيكة) قرئ بالهمز وخفض التاء مثل الذى فى الحجر وقّ ، ومعناه الغيضة من الشجر ، وقرئ هنا وفى ص : بفتح اللام والتاء ، فقيل إنه مسهل من الهمز ، وقيل إنه اسم بلدهم ، ويقوى هذا : القول بأنه على هذه القراءة بفتح التاء غير منصرف ، يدل على ذلك أنه اسم علم ، وضعف ذلك الزمخشرى ، وقال إن الأيكة اسم لايعرف (إذ قال لهم شعيب) لم يقل هنا أخوهم كما قال فى قصة نوح وغيره ، وقيل إن شعيبا بعث إلى مدين ، وكان من قبيلتهم ، فلذلك قال وإلى مدين أخاهم شعيبا ، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم فلذلك لم يقل أخوهم ، فكان شعيبا على هذا

وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَٱتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ۝ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَـٰذِبِينَ ۝ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ۝ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۝ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ۝ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝

مبعوثا إلى القبيلتين وقيل إن أصحاب الأيكة مدين ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم ، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التى هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسبة إليها (من المخسرين) أى من الناقصين للكيل والوزن (بالقسطاس) الميزان المعتدل (والجبلة) يعنى القرون المتقدمة (عذاب يوم الظلة) هى سحابة من نار أحرقتهم ، فأهلك الله مدين بالصيحة ، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة ، فإن قيل : لم كرر قوله إن فى ذلك لآية مع كل قصة ؟ فالجواب : أن ذلك أبلغ فى الاعتبار ، وأشد تنبيها للقلوب وأيضا فإن كل قصة منها كأنها كلام قائم مستقل بنفسه ، فختمت بما ختمت به صاحبتها (وإنه لتنزيل رب العالمين) الضمير للقرآن (الروح الأمين) يعنى جبريل عليه السلام (على قلبك) إشارة إلى حفظه إياه ، لأن القلب هو الذى يحفظ (بلسان عربى) يعنى كلام العرب هو متعلق بنزل أو المنذرين (وإنه لفى زبر الأولين) المعنى أن القرآن مذكور فى كتب المتقدمين ففى ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قريش بقوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل) بأنه من عند الله آية لكم وبرهان ، والمراد من أسلم من بنى إسرائيل كعبدالله بن سلام وقيل الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) الآية جمع أعجم ، وهو الذى لا يتكلم سواء كان إنسانا أو بهيمة أو جماداً والأعجمى : المنسوب إلى الأعجم ، وقيل بمعنى الأعجم ، ومعنى الآية : أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ، ثم قرأه عليهم لا يؤمنوا لإفراط عنادهم ، ففى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم على كفرهم به مع وضوح برهانه (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) معنى سلكناه . أدخلناه ، والضمير للتكذيب الذى دل عليه ما تقدم من الكلام ، أو للقرآن أى سلكناه فى قلوبهم مكذبا به ، وتقدير قوله : كذلك مثل هذا السلك سلكناه ، والمجرمين : يحتمل أن يريد به قريشا أو الكفار المتقدمين ولا يؤمنون : تفسير للسلك الذى سلكه فى قلوبهم (فيقولوا هل نحن منظرون) تمنوا أن يؤخروا حين لم

أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۝ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن
قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝
إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝
وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ
ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ
ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ۝ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ

ينفعهم التمنى (أفبعذابنا يستعجلون) توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب فى قولهم «فأمطر علينا حجارة من السماء» وشبه ذلك (أفرأيت إن متعناهم سنين) المعنى أن مدة إمهالهم لا تغنى مع نزول العذاب بعدها، وإن طالت مدة سنين، لأن كل ماهو آت قريب، قال بعضهم «سنين» يريد به عمر الدنيا (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) المعنى أن الله لم يهلك قوما إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا فأنذرهم فكذبوه (ذكرى) منصوب على المصدر من معنى الإنذار أو على الحال من الضمير فى منذرون، أو على المفعول من أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر (وما تنزلت به الشياطين) الضمير للقرآن، وهو رد على من قال إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد (وما ينبغى لهم وما يستطيعون) أى مايمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه ولفظ ماينبغى تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة بمعنى لا يليق (إنهم عن السمع لمعزولون) تعليل لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان أمر الكهان كثيراً منتشراً قبل ذلك (وأنذر عشيرتك الأقربين) عشيرة الرجل هم قرابته الأدنون، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قرابته فقال يابنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية، قال الزمخشرى فى معناه قولان أحدهما أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر أنه أمر أن لا يأخذه مايأخذ القريب من الرأفة بقريبه ولا يخافهم بالإنذار (واخفض جناحك) عبارة عن لين الجانب والرفق، وعن التواضع (الذى يراك حين تقوم) أى حين تقوم فى الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات (وتقلبك فى الساجدين) معطوف على الضمير المفعول فى قوله يراك، والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل معناه يرى صلاتك مع المصلين، ففى ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة، وقيل يرى تقلب بصرك فى المصلين خلفك لأنه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره (تنزل على كل أفاك أثيم) هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين والأفاك الكذاب، والأثيم الفاعل للإثم يعنى بذلك الكهان، وفى هذا رد على من قال إن الشياطين تنزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالكهانة، لأنها لا تنزل إلا على أفاك أثيم، وكان صلى الله عليه وآله وسلم على غاية الصدق والبر (يلقون السمع) معناه يستمعون والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون إلى الملائكة، أو يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل يلقون بمعنى يلقون المسموع،

تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝

سـورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۝ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ

والضمير يحتمل أيضا على هذا أن يكون للشياطين ، لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان أو يكون للكهان لأنهم يلقون الكلام إلى الناس (وأكثرهم كاذبون) يعنى الشياطين أو الكهان لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين (والشعراء يتبعهم الغاوون) لما ذكر الكهان ذكر الشعراء ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين مابين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة ، وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر مالا ينبغى كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك ، وقيل أراد شعراء الجاهلية ، وقيل شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم ، والغاوون قيل هم رواة الشعر وقيل هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من اللغو والباطل ، وقيل هم الشياطين (فى كل واد يهيمون) استعارة وتمثيل أى يذهبون فى كل وجه من الكلام الحق والباطل ، ويفرطون فى التجوز حتى يخرجوا إلى الكذب (إلا الذين آمنوا) الآية : استثناء من الشعراء يعنى بهم شعراء المسلمين كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف ، وقيل إن هذه الآية مدنية (ذكروا الله) قيل معناه ذكروا الله فى أشعارهم ، وقيل يعنى الذكر على الإطلاق (وانتصروا من بعد ماظلموا) إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعراء فى هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبى صلى الله عليه وسلم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله من بعد ماظلموا وعمل ينقلبون فى أىّ لتأخره ، وقيل : إن العامل فى أىّ سيعلم

سـورة النمل

(تلك آيات القرآن وكتاب مبين) عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض ، وإن كان الموصوف واحدا (هدى وبشرى) فى موضع نصب على المصدر أو فى موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمر (وهم بالآخرة هم يوقنون) تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين أو تكون مستأنفة وتمت الصلة قبلها ، ورجح الزمخشرى هذا (يعمهون) يتحيرون (سوء العذاب) يعنى فى الدنيا وهو القتل يوم بدر ، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة ، والأول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك (لتلقى القرآن) أى

قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۝ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ

تعطاه (آنست) ذكر فى طه ، وكذلك قبس ، والشهاب النجم شبه القبس به ، وقرئ بإضافة شهاب إلى قبس وبالتنوين على البدل أو الصفة ، فإن قيل : كيف قال هنا سآتيكم وفى الموضع الآخر لعلى آتيكم ، والفرق بين الترجى والتسويف أن التسويف متيقن الوقوع بخلاف الترجى ؟ فالجواب أنه قد يقول الراجى : سيكون كذا : إذا قوى رجاؤه (تصطلون) معناه تستدفئون بالنار من البرد ، ووزنه تفعلون ، وهو مشتق من صلى بالنار والطاء بدل من التاء (أن بورك من فى النار ومن حولها) أن مفسرة ، وبورك من البركة ، ومن فى النار : يعنى من فى مكان النار ومن حولها : من حول مكانها : يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام ، قال الزمخشرى : والظاهر أنه عام فى كل من كان فى تلك الأرض وفى ذلك الوادى وما حوله من أرض الشام (وسبحان الله) يحتمل أن يكون مما قيل فى النداء لموسى عليه السلام ، أو يكون مستأنفا وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء ، أو فى قوله بورك من فى النار لأن المعنى نودى أن بورك من فى النار ، إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه (وألق عصاك) هذه الجملة معطوفة على قوله بورك من فى النار ، لأن المعنى يؤدى إلى أن بورك من فى النار ، وأن ألق عصاك وكلاهما تفسير للنداء (كأنها جان) الجان الحية ، وقيل الحية الصغيرة ، وعلى هذا يشكل قوله فإذا هى ثعبان ، والجواب : أنها ثعبان فى جرمها ، جان فى سرعة حركتها (ولم يعقب) لم يرجع أو لم يلتفت (إلا من ظلم) استثناء منقطع تقديره لكن من ظلم من سائر الناس ، لا من المرسلين ، وقيل إنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم وهذا بعيد لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب وأيضا فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم (بدل حسنا) أى عمل صالحا (فى جيبك) ذكر فى طه (فى تسع آيات) متصل بقوله ألق وأدخل ، تقديره نيسر لك ذلك فى جملة تسع آيات ، وقد ذكرت الآيات التسع فى الإسراء (إلى فرعون) متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره اذهب بالآيات التسع إلى فرعون (مبصرة) أى ظاهرة واضحة الدلالة وأسند الإبصار لها مجازا ، وهو فى الحقيقة لمتأملها (واستيقنتها أنفسهم) يعنى أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها الحق فكفرهم عناد ، ولذلك قال فيه ظلما ، والواو فيه واو الحال ، وأضمرت بعدها قد علوا يعنى تكبروا (وورث سليمان داود) أى ورث عنه النبوة والعلم والملك (علمنا منطق الطير) أى فهمنا من أصوات الطير المعانى التى فى نفوسها (وأوتينا من كل شىء) عموم معناه الخصوص ، والمراد

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۝ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّٰلِحِينَ ۝ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّى وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

بهذا اللفظ التكثير : كقولك فلان يقصده كل أحد ، وقوله علمنا وأوتينا : يحتمل أن يريد نفسه وأباه أو نفسه خاصة على وجه التعظيم ، لأنه كان ملكا (وحشر لسليمان جنوده) اختلف الناس فى عدد جنود سليمان اختلافا شديدا تركنا ذكره لعدم صحته (فهم يوزعون) أى يكفون ويراد أولهم إلى آخرهم ، ولا بد لكل ملك أو حاكم من وزعة يدفعون الناس (حتى إذا أتوا على وادى النمل) ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض أو ركبانا حتى خافت منهم النمل ، ويحتمل أنهم كانوا فى الكرسى المحمول بالريح ، وأحست النملة بنزولهم فى وادى النمل (قالت نملة) النمل حيوان فطن قوى الحس يدخر قوته ويقسم الحبة بقسمين . لئلا تنبت ، ويقسم حبة الكسبرة على أربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت قسمين ، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول ، وروى أن سليمان سمع كلامها ، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال ، وهذا لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك (ادخلوا) خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء (لا يحطمنكم) يحتمل أن يكون جوابا للأمر أو نهيا بدلا من الأمر لتقارب المعنى (وهم لا يشعرون) الضمير لسليمان وجنوده ، والمعنى اعتذار عنهم لو حطموا النمل أى لو شعروا بهم لم يحطموهم (فتبسم ضاحكا) تبسم لأحد أمرين : أحدهما سروره بما أعطاه الله ؛ والآخر ثناء النملة عليه وعلى جنوده ، فإن قولها وهم لا يشعرون : وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان (وتفقد الطير) اختلف الناس فى معنى تفقده للطير ، فقيل ذلك لعنايته بأمور ملكه ، وقيل لأن الطير كانت تظله فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه (أم كان من الغائبين) أم منقطعة فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره ، فقال مالى لا أرى الهدهد أى لا أراه ولعله حاضر وستره ساتر ، ثم علم بأنه غائب فأخبر بذلك (لأعذبنه) روى أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه (بسلطان مبين) أى حجة بينة (فمكث) أى أقام ، ويجوز فتح الكاف وضمها ، وبالفتح قرأ عاصم ، والفعل يحتمل أن يكون مسندا إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدهد وهو أظهر (غير بعيد) يعنى زمان قريب (أحطت) أى أحطت علما بما لم تعلمه (من سبإ) يعنى قبيلة من العرب ، وجدهم الذى يعرفون به : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومن صرفه أراد الحى أو الأب ، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة ، وقرئ بالتسكين لتوالى الحركات ، وعلى القراءة بالتنوين يكون فى قوله من سبإ بنبإ ضرب من أدوات البيان ، وهو التجنيس (وجدت امرأة تملكهم) المرأة بلقيس بنت شراحيل : كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها ، فغلبت بعده على الملك ، والضمير فى تملكهم يعود على سبإ ، وهم قومها (من كل

عَظِيمٌ ۞ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۞ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۞ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۞ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۞ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ

شيء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك (ولها عرش عظيم) يعنى سرير ملكها ، ووقف بعضهم على عرش ثم ابتدأ عظيم وجدتها على تقدير : عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وهذا خطأ ، وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة (أن لا يسجدوا لله) من كلام الهدهد أو من كلام الله ، وقرأ الجمهور بالتشديد ، وأن فى موضع نصب على البدل من أعمالهم ، أو فى موضع خفض على البدل من السبيل ، أو يكون التقدير لا يهتدون لأن يسجدوا بحذف اللام ، وزيادة لا ، وقرئ بالتخفيف على أن تكون لا حرف تنبيه وأن تكون الياء حرف نداء فيوقف عليها بالألف على تقدير ياقوم ثم يبتدأ اسجدوا (يخرج الخبء) الخبء فى اللغة الخفى وقيل معناه هنا الغيب ، وقيل يخرج النبات من الأرض واللفظ يعم كل خفىّ ، وبه فسره ابن عباس (ثم تولّ عنهم) أى تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، وروى أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى فى الكوة ، وقيل إن التقدير انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهو من المقلوب والأول أحسن (ماذا يرجعون) من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول (قالت يأيها الملؤ) قبل هذا الكلام محذوف تقديره : فألقى الهدهد إليها الكتاب فقرأته ، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم يأيها الملأ (كتاب كريم) وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان ، أو لأن فيه اسم الله ، أو لأنه مختوم كما جاء فى الحديث كرم الكتاب ختمه (من سليمان) يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان ، وأن يكون من كلامها : أخبرتهم أن الكتاب من سليمان (وأتونى مسلمين) يحتمل أن يكون من الانقياد بمعنى مستسلمين ، أو يكون من الدخول فى الإسلام (أولو قوة) يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوة الملك والعدد (وكذلك يفعلون) من كلام الله عز وجل تصديقا لقولها فيوقف على ما قبله ، أو من كلام بلقيس تأكيداً للمعنى الذى أرادته ، وتعنى كذلك يفعل هؤلاء بنا (وإنى مرسلة إليهم بهدية) قالت لقومها إنى أجرب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال ، فإن كان ملكاً دنيويا : أرضاه المال ، وإن كان نبيا لم يرضه المال ، وإنما يرضيه دخولنا فى دينه فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس واختصرنا وصفها لعدم صحته (أتمدوننى بمال) إنكار للهدية لأن الله أغناه عنها بما أعطاه (بل أنتم بهديتكم تفرحون) أى أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها وأنا لست

أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَىٰنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ * قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَت

كذلك (ارجع اليهم) خطاب للرسول ، وقيل للهدهد ، والأول أرجح ، لأن قوله فلما جاء سليمان مسند إلى الرسول (لاقبل لهم بها) أى لاطاقة لهم بها (قال يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) القائل سليمان ، والملأجماعة من الجن والإنس ، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ، لأنه وصف له بعظمة فأراد أن يأخذه قبل أن يسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم ، فمسلمين على هذا من الدخول فى دين الإسلام ، وقيل إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ليظهر لهم قوته ، فمسلمين على هذا بمعنى منقادين (قال عفريت) روى عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت الكودن (قبل أن تقوم من مقامك) قبل أن تقوم من موضع الحكم ، وكان يجلس من بكرة إلى الظهر ، وقيل معناه قبل أن تستوى من جلوسك قائما (قال الذى عنده علم من الكتاب) هو آصف بن برخيا ، وكان رجلا صالحا من بنى إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم وقيل هو الخضر ، وقيل هو جبريل ، والأول أشهر ، وقيل سليمان وهذا بعيد (آتيك به) فى الموضعين : يحتمل أن يكون فعلا مستقبلا أو اسم فاعل (قبل أن يرتد إليك طرفك) الطرف العين فالمعنى على هذا قبل أن تغض بصرك إذا نظرت إلى شىء وقيل الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت (فلما رآه مستقرا عنده) قيل هنا محذوف تقديره : فجاءه الذى عنده علم من الكتاب بعرشها ، ومعنى مستقرا عنده حاصلا عنده وليس هذا بمستقر الذى يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافا لمن فهم ذلك (يشكر لنفسه) أى منفعة الشكر لنفسه (قال نكروا لها عرشها) تنكيره تغيير وصفه وستر بعضه ، وقيل الزيادة فيه والنقص منه ، وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها (أتهتدى) يحتمل أن يريد تهتدى لمعرفة عرشها ، أو للجواب عنه إذا سئلت أو للإيمان (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) كان عرشها قد وصل قبلها إلى سليمان فأمر بتنكيره ، وأن يقال لها أهكذا عرشك أى أمثل هذا عرشك لئلا تفطن أنه هو ، فأجابته بقولها : كأنه هو جوابا عن السؤال ، ولم تقل هو تحرزا من الكذب أو من التحقيق فى محل الاحتمال (وأوتينا العلم من قبلها) هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك اعترافا بنعمة الله عليهم فى أن آتاهم العلم قبل بلقيس وهداهم الإسلام قبلها ، والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره قد أسلمت هى وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه ، أو من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون «ما كانت تعبد» فاعلا أو مفعولا ، فإن كان فاعلا : فالمعنى صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول فى الإسلام

تَعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۝ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝ قَالُوا تَقَٰسَمُوا بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ

حتى إلي هذا الوقت ، وإن كان مفعولا : فهو على إسقاط حرف الجر ، والمعنى صدها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت فى الإسلام (قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) الصرح فى اللغة هو القصر ، وقيل صحن الدار ، روى أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصرا من زجاج أبيض وأجرى الماء من تحته ، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما رأته حسبته لجة ، واللجة الماء المجتمع كالبحر ، فكشفت عن ساقيها لتدخله لما أمرت بدخوله ، وروى أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها ، فقالوا له إن عقلها مجنون ، وإن رجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة واختبر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقا فتزوجها وأقرها على ملكها باليمن ، وكان يأتيها مرة فى كل شهر ، وقيل أسكنها معه بالشام (قال إنه صرح ممرد من قوارير) لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقيها لتدخل الماء قال لها سليمان إنه صرح ممرد ، والممرد الأملس ، وقيل الطويل ، والقوارير جمع قارورة وهى الزجاجة (قالت رب إنى ظلمت نفسى) تعنى بكفرها فيما تقدم (وأسلمت مع سليمان) هذا ضرب من ضروب التجنيس (فريقين يختصمون) الفريقان من آمن ومن كفر ؛ واختصامهم : اختلافهم وجدالهم فى الدين (لم تستعجلون) أى لم تطلبون العذاب قبل الرحمة ، أو المعصية قبل الطاعة (قالوا اطيرنا بك) أى تشاءمنا بك وكانوا قد أصابهم القحط (قال طائركم عند الله) أى السبب الذى يحدث عنه خيركم أو شركم : هو عند الله وهو قضاؤه وقدره ، وذلك رد عليهم فى تطيرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام (وكان فى المدينة) يعنى مدينة ثمود (يفسدون فى الأرض) قيل إنهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم ولفظ الفساد أعم من ذلك (تقاسموا بالله) أى حلفوا بالله ، وقيل إنه فعل ماض وذلك ضعيف ، والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه (لنبيتنه وأهله) أى لنقتلنه وأهله بالليل وهذا هو الفعل الذى تحالفوا عليه (ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله) أى نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه ، ومهلك يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان فإن قيل إن قولهم ماشهدنا مهلك أهله يقتضى التبرى من دم أهله دون التبرى من دمه ، فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنهم أرادوا ماشهدنا مهلكه ومهلك أهله ، وحذف مهلكه لدلالة قولهم لنبيتنه وأهله ، والثانى أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم لقوله «وأغرقنا آل فرعون» يعنى فرعون وقومه ، الثالث : أنهم قالوا مهلك أهله خاصة ليكونوا صادقين ، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا ، وأرادوا التعريض فى كلامهم لئلا

لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ
وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ
الْغَابِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۞ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ
خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۞ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا
أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ

يكذبوا (وإنا لصادقون) يحتمل أن يكون قولهم وإنا لصادقون مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون ، ويحتمل أنهم قصدوا أوجها من التعريض ليخرجوا به عن الكذب وقد ذكرناه فى الجواب الثالث عن مهلك أهله ، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحا وأهله معاً ، ثم يقولون ماشهدنا مهلك أهله وحدهم وإنا لصادقون فى ذلك بل يعنون أنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معاً وعلى ذلك حمله الزمخشرى (أنا دمرناهم وقومهم) روى أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلا فى غار قريبا من داره ليخرجوا منه إلى داره بالليل فوقعت عليهم صخرة فأهلكتهم ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض ، ونجا صالح ومن آمن به (وأنتم تبصرون) قيل معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية وقيل تبصرون بأبصاركم لأنهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض ، وقيل تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب « يتطهرون » « والغابرين » « وأمطرنا » قد ذكر (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا ، لأنها براهين على وحدانيته وقدرته ، وأن يستفتح ذلك بحمده ، والسلام على من اصطفاه من عباده كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيمنا بذكر الله ، قال ابن عباس يعنى بعباده الذين اصطفى الصحابة ، واللفظ يعم الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين (آلله خير أما يشركون) على وجه الرد على المشركين فدخلت خير التى يراد بها التفضيل لتبكيتهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوا أصلا ، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذى خلق السموات والأرض وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات ، وأعقب كل برهان منها بقوله أإله مع الله على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده فقامت عليهم الحجة بذلك وفيها أيضا نعم يجب شكرها فقامت بذلك أيضا وأم فى قوله خير أما يشركون متصلة عاطفة ، وأم فى المواضع التى بعده منقطعة بمعنى بل والهمزة (قوم يعدلون) أى يعدلون عن الحق والصواب أو يعدلون بالله غيره أى يجعلون له عديلا ومثيلا (رواسى) يعنى الجبال (البحرين) ذكر فى الفرقان (يجيب المضطر) قيل هو المجهود ، وقيل الذى

إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ

لاحول له ولا قوة ، واللفظ مشتق من الضرر : أى الذى أصابه الضرّ أو من الضرورة أى الذى ألجأته الضرورة إلى الدعاء (خلفاء الأرض) أى خلفاء فيها تتوارثون سكناها (أمن يهديكم) يعنى الهداية بالنجوم والطرقات (بشرا) ذكر فى الأعراف (من السماء والأرض) الرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات (هاتوا برهانكم) تعجيز للمشركين (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) هذه الآية تقتضى انفراد الله تعالى بعلم الغيب ، وأنه لا يعلمه سواه ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمداً يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله ، ثم قرأت هذه الآية ، فإن قيل : فقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يخبر بالغيوب وذلك معدود فى معجزاته ، فالجواب : أنه صلى الله عليه وسلم قال إنى لا أعلم الغيب إلا ماعلمنى الله ، فإن قيل : كيف ذلك مع ماظهر من إخبار الكهان والمنجمين وأشباههم ، بالأمور المغيبة ؟ فالجواب : أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف أو عن وهم لا عن علم ، وإنما اقتضت الآية نفى العلم ، وقد قيل إن الغيب فى هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة ، لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك ، ولذلك قال وما يشعرون أيان يبعثون ، فعلى هذا يندفع السؤال الأول ، والثانى لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى لقوله تعالى «قل إنما علمها عند الله» ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : فى خمس لا يعلمها إلا الله ، ثم قرأ «إن الله عنده علم الساعة» إلى آخر السورة ، فإن قيل : كيف قال إلا الله بالرفع على البدل والبدل لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلا ويكون مابعد إلا من جنس ماقبلها والله تعالى ليس ممن فى السموات والأرض باتفاق فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض ، والقائلين بنفى الجهة يقولون إن الله تعالى ليس بهما ولا فوقهما ولا داخلا فيهما ولا خارجا عنهما فهو على هذا استثناء منقطع ، فكان يجب أن يكون منصوبا ؟ فالجواب من أربعة أوجه : الأول أن البدل هنا جاء على لغة بنى تميم فى البدل ، وإن كان منقطعا كقولهم مافى الدار أحد إلا حمار بالرفع والحمار ليس من الأحدين وهذا ضعيف ، لأن القرآن أنزل بلغة الحجاز لا بلغة بنى تميم ، والثانى أن الله فى السموات والأرض بعلمه كما قال «وهو معكم أينما كنتم» يعنى بعلمه ، فجاء البدل على هذا المعنى وهذا ضعيف ، لأن قوله فى السموات والأرض وقعت فيه لفظة فى الظرفية الحقيقية ، وهى فى حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية ولا يجوز استعمال لفظة واحدة فى الحقيقة والمجاز فى حالة واحدة عند المحققين ، الجواب الثالث أن قوله من فى السموات والأرض يراد به كل موجود فكأنه قال من فى الوجود فيكون الاستثناء على هذا متصلا ، فيصح الرفع على البدل ، وإنما قال من فى السموات والأرض جريا على منهاج كلام العرب فهو لفظ خاص يراد به ماهو أعم منه : الجواب الرابع أن يكون الاستثناء متصلا على أن يتأول من فى السموات فى حق الله كما يتأول قوله «أمنتم من فى السماء» وحديث

فى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۞ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۞ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۞ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۞ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۞ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى الْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ

الجارية وشبه ذلك (ومايشعرون أيان يبعثون) أى لايشعرون من فى السموات والأرض متى يبعثون ، لأنّ علم الساعة مما انفرد به الله ، روى أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم متى الساعة (بل ادارك علمهم فى الآخرة) وزن ادارك تفاعل ثم سكنت التاء وأدغمت فى الدال واجتلبت ألف الوصل ، والمعنى تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها ، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها وقرئ أدرك بهمزة قطع على وزن أفعل ، والمعنى على هذا يدرك علمهم فى الآخرة أى يعلمون فيها الحق ، لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق ، فقوله فى الآخرة على هذا ظرف ، وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء (عمون) جمع عم ، وهو من عمى القلوب (ردف لكم) أى تبعكم ، واللام زائدة ، أو ضمن معنى قرب وتعدى باللام ، ومعنى الآية أنهم استعجلوا العذاب بقولهم متى هذا الوعد ، فقيل لهم عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذى تستعجلون وهو قتلهم يوم بدر (غائبة) الهاء فيه للمبالغة : أى ما من شىء فى غاية الخفاء إلا وهو عند الله فى كتاب (إنك لاتسمع الموتى) شبه من لايسمع ولا يعقل بالموتى فى أنهم لايسمعون وإن كانوا أحياء ، ثم شبههم بالصم وبالعمى وإن كانوا صحاح الحواس ، وأكد عدم سماعهم بقوله إذا ولوا مدبرين ، لأن الأصم إذا أدبر وبعد عن الداعى زاد صممه وعدم سماعه بالكلية (وإذا وقع القول عليهم) أى إذا حان وقت عذابهم الذى تضمنه القول الأزلى من الله فى ذلك وهو قضاؤه ، والمعنى إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض ، وخروج الدابة من أشراط الساعة ، وروى أنها تخرج من المسجد الحرام ، وقيل من الصفا ، وأن طولها ستون ذراعا ، وقيل هى الجساسة التى وردت فى الحديث (تكلمهم) قيل تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام ، وقيل تقول لهم ألا لعنة الله على الظالمين ، وروى أنها تسم الكافر وتخطم أنفه وتسوّد وجهه وتبيض وجه المؤمن (إن الناس) من قرأ بكسر الهمزة فهو ابتداء كلام ،

كَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوا
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ۝
أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً
وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا
وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝
إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا
ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ
فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

ومن قرأ بالفتح فهو مفعول تكلمهم : أى تقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ، أو مفعول من أجله تقديره تكلمهم ، لأن الناس لا يوقنون ثم حذفت اللام ، ويحتمل قوله لا يوقنون بخروج الدابة ، ولا يوقنون بالآخرة وأمور الدين ، وهذا أظهر (فهم يوزعون) أى يساقون بعنف (أماذا كنتم تعملون) أم استفهامية ، والمعنى إقامة الحجة عليهم كأنه قيل لهم إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها (ووقع القول عليهم) أى حق العذاب عليهم أو قامت الحجة عليهم (فهم لا ينطقون) إنما يسكتون لأن الحجة قد قامت عليهم وهذا فى بعض مواطن القيامة ، وقد جاء أنهم يتكلمون فى مواطن (ليسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ينفخ فى الصور) ذكر فى الكهف (إلا من شاء الله) قيل هم الشهداء ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزائيل عليهم السلام (داخرين) صاغرين متذللين (تحسبها جامدة) أى قائمة ثابتة (وهى تمر) يكون مرورها فى أول أحوال يوم القيامة ، ثم ينسفها الله فى خلال ذلك فتكون كالعهن ثم تصير هباء منبثا (صنع الله) مصدر ، والعامل فيه محذوف ، وقيل هو منصوب على الإغراء : أى انظروا صنع الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) قيل إن الحسنة لا إله إلا الله ، واللفظ أعم ، ومعنى خير منها أن له بالحسنة الواحدة عشراً (من فزع يومئذ) من نون فزع فتح الميم من يومئذ ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرها على الإعراب (ومن جاء بالسيئة) السيئة هنا الكفر والمعاصى التى تضى الله بتعذيب فاعلها (هذه البلدة) يعنى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما آمنا لا يقاتل فيها أحد ولا ينتهك حرمتها ، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بسبب قضائه وأمره ، ونسبه النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى إبراهيم عليه السلام فى قوله إن إبراهيم حرم مكة . لأن إبراهيم هو الذى أعلم الناس بتحريمها ، فليس بين الحديث والآية تعارض وقد جاء فى حديث آخر أن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض (ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) أى إنما على الإنذار والتبليغ (سيريكم

سورة القصص

مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ
بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي
نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ *
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۞ وَقَالَتِ
امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ
أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ

آياته) وعيد بالعذاب الذى يضطرهم إلى معرفة آيات الله إما فى الدنيا أو فى الآخرة

سورة القصص

(علا فى الأرض) أى تكبر وطغا (شيعا) أى فرقا مختلفين فجعل فرعون القبط ملوكا وبنى إسرائيل خداما لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يمن عليهم ويجعلهم أئمة: أى ولاة فى الأرض أرض فرعون وقومه (هامان) هو وزير فرعون (وأوحينا إلى أم موسى) اختلف هل كان هذا الوحى بإلهام أو منام أو كلام بواسطة الملك، وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامتثالها ما أمرت به (فإذا خفت عليه) أى إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون لأنه كان يذبح أبناء بنى إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد غلام منهم (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط اللقاء من غير قصد، روى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت فى البحر وهو النيل فأمرت أن يساق لها ففتحته فوجدت فيه صبيا فأحبته، وقالت لفرعون: هذا قرة عين لى ولك (ليكون لهم عدوا) اللام لام العاقبة وتسمى أيضا لام الصيرورة (لا تقتلوه) روى أن فرعون هم بذبحه إذ توسم أنه من بنى إسرائيل، فقالت امرأته لا تقتلوه (وهم لا يشعرون) أى لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه، والضمير الفاعل لفرعون وقومه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى ذاهلا لا عقل معها، وقيل فارغا من الصبر وقيل فارغا من كل شىء إلا من هم موسى، وقيل فارغا من وعد الله: أى نسيت ما أوحى إليها، وقيل فارغا من الحزن إذ لم يغرق وهذا بعيد لما بعده وقيل فارغا من كل شىء إلا من ذكر الله وقرئ فزعا بالزاى من الفزع (إن كادت لتبدى به) أى تظهر أمره، وفى الحديث كادت أم موسى أن تقول واابناه وتخرج صائحة على وجهها (ربطنا على قلبها) أى رزقناها الصبر (لتكون من المؤمنين) أى من المصدقين بالوعد الذى وعدها الله (وقالت

فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَٰصِحُونَ ۞ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۞ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ

لأخته قصيه) أى اتبعيه ، والقص طلب الأثر ، فخرجت أخته تبحث عنه فى خفية (فبصرت به عن جنب) أى رأته من بعيد ولم تقرب منه لئلا يعلموا أنها أخته ، وقيل معنى عن جنب : عن شوق إليه ، وقيل معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريده (وهم لا يشعرون) أى لا يشعرون أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أى منع منها بأن بغضها الله له ، والمراضع جمع مرضعة ، وهى المرأة التى ترضع ، أو جمع مرضع بفتح الميم والضاد : وهو موضع الرضاع يعنى الثدى (من قبل) أى من أول مرة (فقالت هل أدلكم) القائلة أخته تخاطب آل فرعون (فرددناه إلى أمه) لما منعه الله من المراضع وقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت الآية : جاءت بأمه فقبل ثديها ، فقال لها فرعون ومن أنت منه فما قبل ثدى امرأة إلا ثديك ؟ فقالت إنى امرأة طيبة اللبن ، فذهبت به إلى بيتها وقرت عينها بذلك وعلمت أن وعد الله حق فى قوله إنا رادوه إليك (بلغ أشده) ذكر فى يوسف (واستوى) أى كمل عقله ، وذلك مع الأربعين سنة (ودخل المدينة) يعنى مصر وقيل قرية حولها ، والأول أشهر (على حين غفلة) قيل فى القائلة وقيل بين العشاءين ، وقيل يوم عيد ، وقيل كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل مختفياً متخوفاً (هذا من شيعته) الذى من شيعته من بنى إسرائيل ، والذى من عدوه من القبط (فوكزه موسى) أى ضربه ، والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف (فقضى عليه) أى قتله ، ولم يرد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجل ، فندم وقال هذا من عمل الشيطان أى إن الغضب الذى أوجب ذلك كان من الشيطان ، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له ، فإن قيل : كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً ؟ فالجواب أنه لم يؤذن له فى قتله ولذلك يقول يوم القيامة إنى قتلت نفساً لم أومر بقتلها (قال رب بما أنعمت علىّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين) الظهير المعين ، والباء سببية ، والمعنى بسبب إنعامك علىّ لا أكون ظهيراً للمجرمين ، فهى معاهدة عاهد موسى عليها ربه ، وقيل الباء باء القسم وهذا ضعيف لأن قوله فلن أكون لا يصلح لجواب القسم ، وقيل جواب القسم محذوف تقديره وحق نعمتك لأتوبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، وقيل الباء للتحليف : أى اعصمنى بحق نعمتك علىّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجور (يترقب) فى الموضعين أى يستحس هل يطلبه أحد (يستصرخه) أى

إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ۝ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ

يستغيث به ، لقى موسى الإسرائيلى الذى قاتل القبطى بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس فعظم ذلك على موسى وقال له إنك لغوى مبين (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) الضمير فى أراد وفى يبطش لموسى ، وفى قال الإسرائيلى ، والمعنى لما أراد موسى أن يبطش بالقبطى الذى هو عدو له وللإسرائيلى : ظن الإسرائيلى أنه يريد أن يبطش به إذ قال له إنك لغوى مبين ، فقال الإسرائيلى لموسى : أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس ، وقيل الضمير فى أراد للإسرائيلى ، والمعنى فلما أراد الإسرائيلى أن يبطش موسى بالقبطى ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس فنصح الإسرائيلى ، فقال له أتريد أن تقتلنى فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون (وجاء رجل) قيل إنه مؤمن آل فرعون ، وقيل غيره (يسعى) أى يسرع فى مشيه ليدرك موسى فينصحه (إن الملأ يأتمرون بك) يتشاورون وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطى (ولما توجه تلقاء مدين) أى قصد بوجهه ناحية مدين وهى مدينة شعيب عليه السلام (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسط الطريق يعنى طريق مدين إذ كان قد خرج فارّاً بنفسه ، وكان لا يعرف الطريق ، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام وقيل أراد سبيل الهدى وهذا أظهر ، ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفا بالله قبل نبوته (ولما ورد ماء مدين) أى وصل إليه وكان بئراً (يسقون) أى يسقون مواشيهم (امرأتين) روى أن اسمهما ليا وصفوريا ، وقيل صفيرا وصفرا (تذودان) أى تمنعان الناس عن غنمهما ، وقيل تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقى الناس ، وهذا أظهر لقولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء : أى كانت عادتهما ألا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس لقوة الناس ولضعفهما ، أو لكراهتهما التزاحم مع الناس (يصدر) بضم الياء وكسر الدال فعل متعدّ ، والمفعول محذوف تقديره حتى يصدر الرعاء مواشيهم ، وقرئ بفتح الياء وضم الدال أى ينصرفون عن الماء (وأبونا شيخ كبير) أى لا يستطيع أن يباشر سقى غنمه ، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام فى قول الجمهور ، وقيل ابن أخيه ، وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب (فسقى لهما) أى أدركته شفقته عليهما فسقى غنمهما ، وروى أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلا فرفعها وحده (تولى إلى الظل) أى جلس فى الظل ، وروى أنه كان ظل سمرة (إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير) طلب من الله ما يأكله وكان قد

وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ * قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ

اشتد عليه الجوع (فجاءته إحداهما) قيل هذا كلام محذوف تقديره فذهبتا إلى أبيهما سريعتين ، وكانت عادتهما الإبطاء فى السقى فأخبرتاه بما كان من أمر سقى الرجل لهما فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته ، واختلف هل التى جاءته الصغرى أو الكبرى (على استحياء) روى أنها سترت وجهها بكم درعها والمجرور يتعلق بما قبله وقيل بما بعده وهو ضعيف (وقص عليه القصص) أى ذكر له قصته (لا تخف) أى قد نجوت من فرعون وقومه لأن بلد مدين لم يكن من ملك فرعون (استأجره) أى اجعله أجيرا لك (إن خير من استأجرت القوى الأمين) هذا الكلام حكمة جامعة بليغة ، روى أن أباها قال لها من أين عرفت قوته وأمانته ، قالت أما قوته ففى رفعه الحجر عن فم البئر : وأما أمانته فإنه لم ينظر إلىّ (قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتىّ) زوجته التى دعته ، واختلف هل زوجه الكبرى أو الصغرى ، واسم التى زوجه صفور ، وقيل صفوريا ، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال فى عقود الأنكحة : أنكحه إياها أكثر من أن يقال أنكحها إياه (على أن تأجرنى ثمانى حجج) أى أزوجك بنتى على أن تخدمنى ثمانية أعوام ، قال مكى : فى هذه الآية خصائص فى النكاح ، منها أنه لم يعين الزوجة ، ولا حد أول الأمد ، وجعل المهر إجارة ، قلت فأما التعيين فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراودة ، وقد قال الزمخشرى إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح ، وإنما كان مواعدة وأما ذكر أول الأمد ، فالظاهر أنه من حين العقد ، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية ، وقد قرره شرعنا حسبما ورد فى الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل قد زوجتكها على مامعك من القرآن : أى على أن تعلمها ماعندك من القرآن ، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعى وابن حنبل وابن حبيب للآية والحديث ، ومنعه مالك (فإن أتممت عشرا فمن عندك) جعل الأعوام الثمانية شرطا ، ووكل العامين إلى مروءة موسى ، فوفى له العشر ، وقيل وفى العشرة وعشرا بعدها ، وهذا ضعيف لقوله (فلما قضى موسى الأجل) أى الأجل المذكور (وسار بأهله) الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر (جذوة) أى قطعة ، ويجوز كسر الجيم وضمها ، وقد ذكر آنس ، والطور ، وتصطلون (شاطئ الواد) جانبه والأيمن صفة للشاطئ اليمين ، ويحتمل أن يكون من اليمن فيكون صفة الوادى (من الشجرة) روى أنها كانت عوسجة (جان) ذكر فى النمل

وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ
الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ
نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا
الْغَالِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ *
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَقَالَ
فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي
أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا
أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ
أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ
الْمَقْبُوحِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى

(اسلك يدك فى جيبك) أى أدخلها فيه، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه (واضمم إليك جناحك) الجناح اليد أو الإبط أو العضد أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك فى وقت فزعه أن يخف خوفه، وقيل ذلك على وجه المجاز، والمعنى أنه أمر بالعزم على ما أمر به: كقوله اشدد حيازمك واربط جأشك (من الرهب) أى من أجل الرهب، وهو الخوف، وفيه ثلاثة لغات فتح الراء والهاء، وفتح الراء وإسكان الهاء، وضم الراء وإسكان الهاء (فذانك برهانان) أى حجتان والإشارة إلى العصا واليد (إلى فرعون) يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام (ردءاً) أى معينا، وقرئ بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز أو يكون من أرديت أى زدت (سنشد عضدك بأخيك) استعارة فى المعونة (بآياتنا) يحتمل أن يتعلق بقوله نجعل أو بيصلون أو بالغالبون (فأوقد لى ياهامان على الطين) أى اصنع الآجر لبنيان الصرح الذى رام أن يصعد منه إلى السماء، وروى أنه أول من عمل الآجر، وكان هامان وزير فرعون وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما وجهلهم بالله تعالى فى كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح، وقد روى أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوبا بدم وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم، ثم قال (وإنى لأظنه من الكاذبين) يعنى فى دعوى الرسالة، والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين (أئمة يدعون إلى النار) أى كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار (من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين، وقيل قبحت وجوههم، وقيل

وَرَحْمَةً لِّتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّٰهِدِينَ ۝ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ۝ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ

قبح مايفعل بهم ومايقال لهم (وما كنت بجانب الغربى) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد به إقامة حجة لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره والغربى المكان الذى فى غربى الطور ، وهو المكان الذى كلم الله فيه موسى والأمر المقضى إلى موسى هو النبوة ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك (ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) المعنى لم تحضر يا محمد للاطلاع على هذه الغيوب التى تخبر بها ، ولكنها صارت إليك بوحينا فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك ، ولكن تطاول الأمر على القرون التى أنشأناها فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك ، وقيل المعنى لكنا أنشأنا قرونا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل (ثاويا) أى مقيما (إذ ناديا) يعنى تكليم موسى ، والمراد بذلك إقامة حجة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرا حينئذ (ولكن رحمة) انتصب على المصدر ، أو على أنه مفعول من أجله والتقدير : ولكن أرسلناك رحمة منا لك ورحمة للخلق بك (ولولا أن تصيبهم مصيبة) لوهنا حرف امتناع ولولا الثانية عرض وتحضيض ، والمعنى لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار وإقامة الحجة عليهم ، لئلا يقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (فلما جاءهم الحق) يعنى القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة ، وقلب العصا حية وفلق البحر وشبه ذلك (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) هذا رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى أنهم كفروا بما أوتى موسى فلو آتينا محمدا مثل ذلك لكفروا به ، ومن قبل على هذا يتعلق بقوله أوتى موسى ، ويحتمل أن يتعلق بقوله أو لم يكفروا ، إن كانت الآية فى بنى إسرائيل ، والأول أحسن (قالوا ساحران تظاهرا) يعنون موسى وهارون ، أو موسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم والضمير فى أو لم يكفروا وفى قالوا للكفار قريش وقيل لآبائهم ، وقيل لليهود والأول أظهر وأصح لأنهم المقصودون بالرد عليهم (فأتوا بكتاب) أمر على وجه التعجيز لهم (أهدى منهما) الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فإن لم يستجيبوا لك) قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدا ، ولكنه ذكره بحرف إن مبالغة فى إقامة الحجة عليهم :

أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ۝ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن
رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
الْجَاهِلِينَ * إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ
الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا

كقوله : فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم : المعنى إن لم يأتوا بكتاب فاعلم أن كفرهم عناد واتباع أهوائهم لا بحجة وبرهان (ولقد وصلنا لهم القول) الضمير لكفار قريش ، وقيل لليهود والأول أظهر ؛ لأن الكلام من أوله معهم ، والقول هنا القرآن ، ووصلنا لهم : أبلغناه لهم ، أو جعلناه موصلا بعضه ببعض (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) يعنى من أسلم من اليهود ، وقيل النجاشى وقومه ، وقيل نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وهم عشرون رجلا فآمنوا به ، والضمير فى قبله للقرآن ، وقولهم إنه الحق : تعليل لإيمانهم ، وقولهم إنا كنا من قبله مسلمين : بيان لأن إسلامهم قديم لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم قبل أن يبعث (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها (بما صبروا) يعنى صبرهم على إذاية قومهم لهم لما أسلموا أو غير ذلك من أنواع الصبر (ويدرؤون بالحسنة السيئة) أى يدفعون ، ويحتمل أن يريد بالسيئة مايقال لهم من الكلام القبيح ، وبالحسنة مايجاوبون به من الكلام الحسن ، أو يريد سيئات أعمالهم وحسناتها كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات (وإذا سمعوا اللغو) يعنى ساقط الكلام (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هذا على وجه التبرى والبعد من القائلين للغو (سلام عليكم) معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية أو كأنه سلام الانصراف والبعد (لا نبتغى الجاهلين) أى لا نطلبهم للجدال والمراجعة فى الكلام (إنك لا تهدى من أحببت) نزلت فى أبى طالب إذ دعاه النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول عند موته لا إله إلا الله فقال لولا أن يعايرنى بها قريش لأقررت بها عينك ومات على الكفر ، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه (ولكن الله يهدى من يشاء) لفظ عام ، وقيل أراد به العباس بن عبد المطلب (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) القائلون لذلك قريش ، وروى أن الذى قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل ، والهدى هو الإسلام ، ومعناه الهدى على زعمك ، وقيل إنهم قالوا قد علمنا أن الذى تقول حق ، ولكن إن اتبعناك تخطفتنا العرب : أى أهلكونا بالقتال لمخالفة دينهم (أو لم نمكن لهم حرما آمنا) هذا رد عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم ، والمعنى أن الحرم لا تتعرض له العرب بقتال ولا يمكن الله أحداً من إهلاك أهله فقد كانت العرب يغير بعضهم على بعض ، وأهل الحرم آمنون من ذلك (يجبى إليه ثمرات كل شىء) أى

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَٰرِثِينَ ۞ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ۞ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۞ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ

تجلب إليه الأرزاق مع أنه واد غير ذى زرع (بطرت معيشتها) معنى بطرت طغت وسفهت ، ومعيشتها : نصب على التفسير مثل سفه نفسه ، أو على إسقاط حرف الجر تقديره بطرت فى معيشتها أو يتضمن معنى بطرت كفرت (إلا قليلا) يعنى قليلا من السكنى ، أو قليلا من الساكنين : أى لم يسكنها بعد إهلاكها إلا مارّ أعلى الطريق ساعة (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا) أم القرى مكة لأنها أول ماخلق الله من الأرض ، ولأن فيها بيت الله ، والمعنى أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أم القرى ، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم (وما أوتيتم من شىء) الآية : تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب فى الآخرة (أفمن وعدناه) الآية : إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة ، والمراد بمن وعدناه المؤمنين ، وبمن متعناه الكافرين ، وقيل سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأبو جهل ، وقيل حمزة وأبو جهل ، والعموم أحسن لفظا ، ومعنى من المحضرين أى من المحضرين فى العذاب (ويوم يناديهم) العامل فى الظرف مضمر وفاعل ينادى الله تعالى ، ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة ، والمفعول به المشركون (أين شركائى) توبيخ للمشركين ونسبهم إلى نفسه على زعمهم ، ولذلك قال الذين كنتم تزعمون ، فحذف المفعول وتقديره تزعمون أنهم شركاء لى أو تزعمون أنهم شفعاء لكم (قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا) معنى حق عليهم القول وجب عليهم العذاب ، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبراؤهم ، والإشارة بقولهم هؤلاء الذين أغوينا: إلى أتباعهم من الضعفاء ، فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم أغوينا وبين قولهم تبرأنا إليك ، فإنهم اعترفوا بإغوائهم ، وتبرؤا مع ذلك منهم ؟ فالجواب أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك ، والمعنى أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها فتبرأنا إليك من عبادتهم لنا ، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء وتبرؤا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض فى الكلام ، وقد قيل فى معنى الآية غير هذا مما هو تكلف بعيد (لو أنهم كانوا يهتدون) فيه أربعة أوجه : الأول أن المعنى لو أنهم كانوا يهتدون فى الدنيا لم يعبدوا الأصنام ، والثانى لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا

مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۞ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۞ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ

والثالث لو أنهم كانوا يهتدون فى الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوا فلو على هذه الأقوال حرف امتناع وجوابها محذوف ، والرابع أن يكون لو للتمنى : أى تمنوا لو كانوا مهتدين (ماذا أجبتم المرسلين) أى أهل صدقتم المرسلين أو كذبتموهم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) عميت عبارة عن حيرتهم ، والأنباء الأخبار أى أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا مايقولون (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الأنباء لأنهم قد تساووا فى الحيرة والعجز عن الجواب (وربك يخلق مايشاء ويختار) قيل سببها استغراب قريش لاختصاص سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ، فالمعنى أن الله يخلق مايشاء ، ويختار لرسالته من يشاء من عباده ، ولفظها أعم من ذلك ، والأحسن حمله على عمومه : أى يختار مايشاء من الأمور على الإطلاق ، ويفعل مايريد (ما كان لهم الخيرة) مانافية ، والمعنى ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده . فالوقف على قوله ويختار ، وقيل إن مامفعولة بيختار ، ومعنى الخيرة على هذا الخير والمصلحة ، وهذا يجرى على قول المعتزلة ، وذلك ضعيف لرفع الخيرة على أنها اسم كان ، ولو كانت مامفعولة : لكان اسم كان مضمرا يعود على ما ؛ وكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان ، وقد اعتذر عن هذا من قال إن مامفعولة بأن يقال تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه ، ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية يتجه أن تكون مامفعولة إذا قدرنا كان تامة ، ويوقف على قوله ما كان : أى يختار كل كائن ، ويكون «لهم الخيرة» جملة مستأنفة ، وهذا بعيد جدا (يعلم ماتكن صدورهم) أى ماتخفيه قلوبهم وعبر عن القلب بالصدر ، لأنه يحتوى عليه (له الحمد فى الأولى والآخرة) قيل إن الحمد فى الآخرة قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، وفى ذكر الأولى مع الآخرة مطابقة (سرمدا) أى دائما ، والمراد بالآيات إثبات الوحدانية وإبطال الشرك ، فإن قيل كيف قال يأتيكم بضياء ، وهلا قال يأتيكم بنهار فى مقابلة قوله يأتيكم بليل ؟ فالجواب أنه ذكر الضياء لجملة مافيه من المنافع والعبر (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى فى النهار ، ففى الآية لف ونشر (ونزعنا من كل أمة شهيدا) أى أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بأعمالهم

فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ * وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ *

وهو نبيهم ، لأن كل نبي يشهد على أمته (هاتوا برهانكم) أى هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر ، وذلك إعذار لهم وتوبيخ وتعجيز (إن قارون كان من قوم موسى) أى من بنى إسرائيل ، وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمته ، وقيل ابن خالته (فبغى عليهم) أى تكبر وطغى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) المفاتح هى التى يفتح بها ، وقيل هى الخزائن ، والأول أظهر ، والعصبة جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين ، وتنوء معناه تثقل ، يقال ناء به الحمل : إذا أثقله ، وقيل معنى تنوء تنهض بتحامل وتكلف والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا ، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول (لا تفرح) الفرح هنا هو الذى يقود إلى الإعجاب والطغيان ، ولذلك قال إن الله لا يحب الفرحين ، وقيل السرور بالدنيا ، لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ويدل على هذا قوله ولا تفرحوا بما آتاكم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال ، وذلك بفعل الحسنات والصدقات (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تضيع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك الآخرة ، وقيل معناه لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات ، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير ، فالكلام على هذا وعظ ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة (وأحسن كما أحسن الله إليك) أى أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى قال إنما أوتيته على علم عندى) لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعظة ، والمعنى أن هذا المال إنما أعطاه الله لى بالاستحقاق له بسبب علم عندى استوجبته به واختلف فى هذا العلم فقيل إنه علم الكيمياء ، وقيل التجارب للأمور والمعرفة بالمكاسب ، وقيل حفظه التوارة ، وهذا بعيد ، لأنه كان كافرا ، وقيل المعنى إنما أوتيته على علم من الله وتخصيص خصنى به ، ثم جعل قوله عندى كما تقول فى ظنى واعتقادى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون) هذا رد عليه فى اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للمال أو جمعه للخدم ، والأول أظهر (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) فى معناه قولان : أحدهما أنه متصل بما قبله ، والضمير فى ذنوبهم يعود على القرون المتقدمة والمجرمون من بعدهم أى لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة ، والثانى أنه إخبار عن حال المجرمين فى الآخرة ؛ وأنهم لا يسألون عن ذنوبهم لكونهم يدخلون النار من غير حساب ، والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسئلون عنها لقوله « فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون » وأن هذا السؤال المنفى السؤال على وجه الاختبار وطلب التعريف ، لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ ، وحيثما ورد فى القرآن إثبات السؤال فى الآخرة ، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا الصَّٰبِرُونَ ۝ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۝ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُۥ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ ۝ تِلْكَ الدَّارُ الْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ الْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ۝ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ

الاستخبار والتعريف ، ومنه قوله فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولا جان (فخرج على قومه فى زينته) فى ثياب حمر ، وقيل فى عبيده وحاشيته ، واللفظ أعم من ذلك (ويلكم) زجر للذين تمنوا مثل حال قارون (ولا يلقاها إلا الصابرون) الضمير عائد على الخصال التى دل عليها الكلام المتقدم ، وهى الإيمان والعمل الصالح، وقيل على الكلمة التى قالها الذين أوتوا العلم : أى لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين، والصبر هنا إمساك النفس عن الدنيا وزينتها (فخسفنا به وبداره الأرض) روى أن قارون لما بغى على بنى إسرائيل وآذى موسى دعا موسى عليه السلام عليه فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفى أتباعه ، فقال موسى : يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب فاستغاثوا بموسى فقال يا أرض خذيهم حتى تم بهم الخسف (مكانه) أى منزلته فى المال والعزة (بالأمس) يحتمل أن يريد به اليوم الذى كان قبل ذلك اليوم أو ما تقدم من الزمان القريب (ويكأن) مذهب سيبويه أن وى حرف تنبيه ، ثم ذكرت بعدها كأن، والمعنى على هذا أنهم تنبهوا لخطئهم فى قولهم ياليت لنا مثل ما أوتى قارون، ثم قالوا كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر : أى ما أشبه الحال بهذا، وقال الكوفيون ويك هو ويلك حذفت منها اللام لكثرة الاستعمال ، ثم ذكرت بعدها أن ، والمعنى ألم يعلموا أن الله وقيل ويكأن كلمة واحدة معناها ألم تعلم (علوا فى الأرض) أى تكبرا وطغيانا لارفعة المنزلة ، فإن إرادتها جائزة (فرض عليك القرآن) أى أنزله عليك وأثبته ، وقيل المعنى أعطاك القرآن ، والمعنى متقارب ، وقيل فرض عليك أحكام القرآن ، فهى على حذف مضاف (لرادك إلى معاد) المعاد الموضع الذى يعاد إليه ، فقيل يعنى مكة ، والآية نزلت حين الهجرة ، ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها ، وقيل يعنى الآخرة فمعناها إعلام بالحشر، وقيل يعنى الجنة (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب) أى ما كنت تطمع أن تنال النبوة، ولا أن ينزل عليك الكتاب ولكن الله رحمك بذلك ورحم الناس بنبوتك ، والاستثناء بمعنى لكن فهو منقطع. ويحتمل أن يكون متصلا. والمعنى ما أنزل عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لك ورحمة للناس ، ورحمة على هذا مفعول من أجله أو حال ، وعلى الأول منصوب على

مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

سورة العنكبوت

مكية إلا من آية ١ إلى غاية ١١ فمدنية وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا

الاستثناء (وادع إلى ربك) يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة ، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ، فالمفعول محذوف على هذا تقديره ادع الناس (ولا تدع) أى لا تعبد (مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه) الآيه . أى إلا إياه والوجه هنا عبارة عن الذات

سورة العنكبوت

(الم) ذكر فى البقرة (أحسب الناس أن يتركوا) نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمار بن ياسر وغيره ، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فضاقت صدورهم بذلك فآنسهم الله بهذه الآية ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته فى عباده يسلط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك ، ويظهر الصادق فى إيمانه من الكاذب ، ولفظها مع ذلك عام ، فحكمها على العموم فى كل من أصابته فتنة من مصيبة أو مضرة فى النفس والمال وغير ذلك ، ومعنى حسب ظن ، وأن يتركوا مفعولها ، والهمزة للإنكار وهم لا يفتنون فى موضع الحال من الضمير فى يتركوا تقديره غير مفتونين ، وأن يقولوا : تعليل فى موضع المفعول من أجله (فليعلمن الله الذين صدقوا) أى يعلم صدقهم علما ظاهرا فى الوجود ، وقد كان علمه فى الأزل والصدق والكذب فى الآية يعنى بهما صحة الإيمان والثبوت عليه ، أو ضد ذلك (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أم معادلة لقوله أحسب الناس ، والمراد بالذين يعملون السيئات الكفار الذين يعذبون المؤمنين ، ولفظها مع ذلك عام فى كل كافر أو عاص ، ومعنى يسبقونا يفوتون من عقابنا ويعجزوننا ، فمعنى الكلام نفى سبقهم كما أن معنى الآية قبلها نفى ترك المؤمنين بغير فتنة (من كان يرجو لقاء الله) الآية : تسلية المؤمنين ، ووعد لهم بالخير فى الدار الآخرة ، والرجاء هنا على بابه ، وقيل هو بمعنى الخوف ، وأجل الله هو الموت ، ومعنى الآية من كان يرجو ثواب الله فليصبر فى الدنيا على المجاهدة فى طاعة الله حتى يلقى الله فيجازيه فإن لقاء الله قريب الإتيان وكل ما هو آت قريب (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أى منفعة جهاده فإنما هى لنفسه ، فان الله لا تنفعه طاعة العباد ، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال ، أو جهاد

تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصَّٰلِحِينَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ ۞ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَٰفِقِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ * وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

النفس (حسنا) منصوب بفعل مضمر تقديره ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسنا ، أومصدرا من معنى وصينا أى وصية حسنة (وإن جاهداك لتشرك بى) الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص ، وأنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر ، وقيل نزلت فى غيره ممن جرى له مثل ذلك فأمرهم الله بالثبات على الإسلام وألا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر ، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت فى قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم ، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان ، فإذا نصر الله المؤمنين قالوا إنا كنا معكم ، فمعنى أوذى فى الله أوذى بسبب إيمانه بالله ، وفتنة الناس ، تعذيبهم وقيل نزلت فى عياش بن أبى ربيعة أخى أبى جهل لأمه (اتبعوا سبيلنا) أى قال الكفار للمؤمنين اكفروا كما كفرنا ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان ، وروى أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة حكاه المهدوى ، وقولهم ولنحمل خطاياكم : جزاء قولهم اتبعوا سبيلنا ، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة ولما كان معنى الخبر صحة تكذيبهم فيه أخبره الله أنهم كاذبون : أى لا يحملون أوزار هؤلاء ، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه ، ويحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته ، وروى أنه بعث وهو ابن أربعين سنة ، وأنه عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فإن قيل : لم قال ألف سنة ، ثم قال إلا خمسين عاما ، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ فالجواب أن ذلك كراهة لتكرار لفظ السنة ، فإن التكرار مكروه إلا اذا قصد به تفخيم أو تهويل (وجعلناها آية) يحتمل أن يعود الضمير على السفينة ، أو على النجاة ، أو على القصة ، بكمالها (وتخلقون إفكاً) هو من الخلقة يريد به نحت الأصنام فسماه خلقة على وجه التجوز ، وقيل هو من اختلاق الكذب (لا يملكون لكم رزقاً) الآية : احتجاج على الوحدانية ونفى الشركاء ، فإن قيل : لم نكر الرزق أولا ، ثم عرفه فى قوله فابتغوا عند الله الرزق؟ فالجواب : أنه نكره فى قوله لا يملكون لكم رزقاً لقصد العموم فى النفى فإن النكرة فى سياق النفى تقتضى العموم ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم فى طلب الرزق كله من الله ، لأنه لا يقتضى العموم ، فى سياق

فَٱبْتَغُوا عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۞ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ

الإثبات إلامع التعريف فكأنه قال ابتغوا الرزق كله عند الله (وإن يكذبوك) الآية يحتمل أن تكون من كلام إبراهيم أو من كلام الله تعالى، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم، أو يراد به تسلية النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) يقال بدأ الله الخلق وأبدأه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان فى هذه السورة، والمعنى أو لم ير الكفار أن الله خلق الخلق فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة فى الحشر، فقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدأ، لأن المعنى فيهما مختلف لأن رؤية البداءة بالمشاهدة، بخلاف الإعادة فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها وقد قيل إنه يريد إعادة النبات، وإبدائه، وعلى هذا يكون ثم يعيده عطفاً على يبدئ لاتفاق المعنى، والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام (إن ذلك على الله يسير) يعنى إعادة الخلق وهى حشرهم ثم أمرهم بالسير فى الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم، ولذلك ختمها بقوله إن الله على كل شيء قدير (وإليه تقلبون) أى ترجعون (وما أنتم بمعجزين) أى لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب فى الأرض ولا فى السماء (أولئك يئسوا من رحمتى) يحتمل أن يكون يأسهم فى الآخرة، أو يكون وصف لحالهم فى الدنيا، لأن الكافر يائس من رحمة الله، والمؤمن راج خائف، وهذا الكلام من قوله: أو لم يروا، إلى هنا: يحتمل أن يكون خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم معترضاً بين قصة إبراهيم، ويحتمل أن يكون خطاباً لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له (مودة بينكم) نصب مودة على أنها مفعول من أجله أو مفعول ثان لاتخذتم، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمر أو خبر إن وتكون ما موصولة ونصب بينكم على الظرفية، وخفضه بالإضافة (فآمن له لوط) تضمن آمن معنى انقاد، ولذلك تعدى باللام (وقال إنى مهاجر إلى ربى) القائل لذلك إبراهيم، وقيل لوط، وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم،

وَالْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ
الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ * قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى
الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوٓا إِنَّا مُهْلِكُوٓا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
ظَٰلِمِينَ ۝ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ۝ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ۝ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَد تَّرَكْنَا
مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا
تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ * وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد
تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝ وَقَٰرُونَ
وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَٰبِقِينَ ۝ فَكُلًّا أَخَذْنَا
بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا

وعلى ذريته أنزل الله التوارة والإنجيل والزبور والفرقان (وتقطعون السبيل) قيل أراد قطع الطرق للسلب والقتل، وقيل أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال (وتأتون فى ناديكم المنكر) النادى المجلس الذى يجتمع فيه الناس والمنكر فعلهم بالرجال، وقيل إذايتهم للناس (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) الرسل هنا الملائكة والبشرى بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله «فبشروه بغلام حليم» أو بشارته بنصر سيدنا لوط والأول أظهر (أهل هذه القرية) يعنى قرية سيدنا لوط (قال إن فيها لوطاً) ليس إخباراً بأنه فيها وإنما قصد نجاة سيدنا لوط من العذاب الذى يصيب أهل القرية وبراءته من الظلم الذى وصفوه به، فكأنه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيها لوط، وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط (من الغابرين) قد ذكر وكذلك سيء بهم (رجزاً من السماء) أى عذابا (وارجوا اليوم الآخر) قيل الرجاء هنا الخوف، وقيل هو على بابه (ولا تعثوا فى الأرض) يعنى نقصهم المكيال والميزان (الرجفة) هى الصيحة (وقد تبين لكم من مساكنهم) أى آثار مساكنهم باقية تدل على ما أصابهم (وكانوا مستبصرين) قيل معناه لهم بصيرة فى كفرهم وإعجاب به، وقيل لهم بصيرة فى الإيمان، ولكنهم كفروا عنادا، وقيل معنى مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا (وما كانوا سابقين) أى لم يفوتونا (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) الحاصب الحجارة، والحاصب أيضا الريح الشديدة، ويحتمل عندى أنه أراد به المعنيين، لأن قوم سيدنا لوط أهلكوا بالحجارة، وعاد أهلكوا بالريح، وإن حملناه

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ * خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ * وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا

على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر ، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد فى معنيين كقوله «إن الله وملائكته يصلون على النبى» ويقوى ذلك هنا لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعنى ثمود ومدين (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعنى قارون (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم نوح وفرعون وقومه (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) شبه الله الكافرين فى عبادتهم للأصنام بالعنكبوت فى بنائها بيتا ضعيفا ، فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت فى بيتها ليس بشىء فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشىء لأنهم لا ينفعون ولا يضرون (أوهن البيوت) أى أضعفها (لو كانوا يعلمون) أى لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء) ما موصولة بمعنى الذى مفعولة للفعل الذى قبلها وقيل هى نافية ، والفعل معلق عنها والمعنى على هذا لستم تدعون من دون الله شيئا له بال ، فلا يصلح أن يسمى شيئا (بالحق) أى بالواجب لا على وجه العبث واللعب (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) إذا كان المصلى خاشعا فى صلاته متذكرا لعظمة من وقف بين يديه حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكأن الصلاة ناهية عن ذلك (ولذكر الله أكبر) قيل فيه ثلاثة معان : الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله ، لأن ذكر الله أعظم ما فيها ، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر ، لأن ذكر الله فيها هو الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر : الثانى أن ذكر الله على الدوام أكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر من الصلاة لأنها فى بعض الأوقات دون بعض : الثالث أن ذكر الله أكبر أجرا من الصلاة ومن سائر الطاعات ، كما ورد فى الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، قالوا بلى قال ذكر الله (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) أى لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم فى الدين إلا بالتى هى أحسن ، لا بضرب ولا قتال ، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد ، ثم نسخ بالسيف ، ومعنى إلا الذين ظلموا : أى ظلموكم ، وصرحوا بإذاية نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل معنى الآية : لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من الأخبار إلا بالتى هى أحسن ، ومعنى إلا الذين ظلموا على هذا من بقى منهم على كفره ، والمعنى الأول أظهر (وقولوا آمنا) هذا وما بعده يقتضى مواعدة ومسالمة ، وهى منسوخة بالسيف ، ويقتضى أيضا الإعراض عن مكالمتهم ، وفى الحديث : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل

وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝
قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ۝ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن
تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝

إليكم ، فإن كان باطلا لم تصدقوهم ، وإن كان حقاً لم تكذبوهم (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) أى كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك (فالذين آتيناهم الكتاب) يعنى عبد الله بن سلام وأمثاله ممن أسلم من اليهود والنصارى (ومن هؤلاء من يؤمن به) أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله من هؤلاء من يؤمن به كفار قريش، وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم منهم كعبد الله بن سلام (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب ، ثم جاء بالقرآن ، فإن قيل : مافائدة قوله بيمينك ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد للكلام ، وتصوير للمعنى المراد (إذاً لارتاب المبطلون) أى لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار فكانوا يقولون لعله تعلم هذا الكتاب أوقرأه ، وقيل وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون فى كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب ، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة ، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا للصفة التى وصفه الله بها عندهم ، والمذهب الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قط ولا كتب وقال الباجى وغيره : أنه كتب لظاهر حديث الحديبية ، وهذا القول ضعيف (بل هو آيات) الضمير للقرآن ، والإضراب بيل عن كلام محذوف تقديره ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) المعنى كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوة فهلا اكتفوا به عن طلب الآيات (قل كفى بالله) ذكر معناه فى الرعد وفى الأنعام (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير للكفار يعنى قولهم ائتنا بما تعدنا ، وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (ولولا أجل مسمى) أى لولا أن الله قدر لعذابهم أجلا مسمى لجاءهم به حين طلبوه (وليأتينهم بغتة) يحتمل أن يريد القتل الذى أصابهم يوم بدر أو الجوع الذى أصابهم بتوالى القحط ، أو يريد عذاب الآخرة ، وهذا أظهر لقوله : وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (يوم يغشاهم العذاب) أى يحيط بهم ، والعامل فى الظرف محذوف ، أو محيطة (إن أرضى

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ
لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝
لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝ وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝

واسعة) تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار ، وترغيباً فى غيرها من أرض الله فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة ، ثم إلى المدينة (لنبوئنهم أى ننزلنهم ، وقرئ نثوينهم بالثاء المثلثة من الثوى وهو الإقامة فى المنزل (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أى كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها ، ولكن الله يرزقها مع ضعفها والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الفقر والجوع فى الهجرة إلى بلاد الناس : أى كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم (ولئن سألتهم) فى الموضعين : إقامة حجة عليهم (فأنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق (قل الحمد لله) حمدا لله على ظهور الحجة ، ويكون المعنى إلزامهم أن يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خالق السموات والأرض (بل أكثرهم لا يعقلون) إضراب عن كلام محذوف تقديره يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون (لهى الحيوان) أى الحياة الدائمة التى لا موت فيها ، ولفظ الحيوان مصدر كالحياة (فاذا ركبوا فى الفلك) الآية : إقامة حجة عليهم بدعائهم حين الشدائد ، ثم يشركون به فى حال الرخاء . (ليكفروا) أمر على وجه التهديد أو على وجه الخذلان والتخلية كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك اعمل ما شئت (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً) الضمير لكفار قريش ، والحرم الآمن : مكة ، لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد ولا ينتهك أحد حرمتها (ويتخطف الناس من حولهم) عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتال أو أخذ الأموال (والذين جاهدوا فينا) يعنى جهاد النفس من الصبر على إذاية الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك ، وقيل يعنى القتال ، وذلك ضعيف ، لأن القتال لم يكن مأموراً به حين نزول الآية (لنهدينهم سبلنا) أى لنوفقنهم لسبيل الخير (وإن الله لمع المحسنين) المعنى أنه معهم بإعانته ونصره

سورة الروم

مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الم ۞ غلبت الروم ۞ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ۞ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ۞ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ۞ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۞ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ۞ أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ۞ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين

سورة الروم

(غلبت الروم) أى هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم ، وسميت الروم باسم جدهم وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم (في أدنى الأرض) قيل هى الجزيرة ، وهى بين الشام والعراق وهى أدنى أرض الروم إلى فارس ، وقيل فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس (فى بضع سنين) البضع ما بين الثلاث إلى التسع (ويومئذ يفرح المؤمنون) روى أن غلب الروم فارس وقع يوم بدر ، وقيل يوم الحديبية ، ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش وقيل فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس ، لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام ، كذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش ، وروى أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين وذلك قبل أن يحرم القمار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زدهم فى الرهن واستزدهم فى الأجل ، فجعل القلاص مائة ، والأجل تسعة أعوام وجعل معه أبىّ ابن خلف مثل ذلك ، فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبىّ بن خلف ، إذ كان قد مات وجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق بها (وعد الله) مصدر مؤكد كقوله له على ألف درهم عرفا ، لأن معناه اعترفت له بها اعترافا (يعلمون ظاهرا) قيل معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم فى ذلك مثل البهائم ، وقيل الظاهر ما يعلم بأوائل العقول ، والباطن ما يعلم بالنظر والدليل ، وقيل هو من الظهور بمعنى العلو فى الدنيا ، وقيل ظاهر بمعنى زائل ذاهب ، والأظهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة ، وذلك يقتضى عدم معرفتهم بها ، وانظر كيف نفى العلم عنهم أولا ، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة ، وقال بعض أهل البيان : إن هذا من المطابقة لاجتماع النفى والإثبات ، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم لقلة منفعته فهو على هذا بيان للنفى (أولم يتفكروا فى أنفسهم) يحتمل معنيين : أحدهما أن تكون النفس ظرفا للفكرة فى خلق السموات والأرض كأنه قال أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق ، والثانى أن يكون المعنى أولم يتفكروا فى ذواتهم

مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا السُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا
بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ
الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰٓئِكَ فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝
وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝ يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ
وَيُحْىِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ مَنَامُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق ، ويكون قوله ماخلق الآية : استئناف كلام ، والمعنى الأول أظهر (وأثاروا الأرض) أى حرثوها (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى) معنى السوآى : هلاك الكفار ، ولفظ السوآى تأنيث الأسوأ : كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، وقرئ عاقبة بالرفع على أنه اسم كان ، والسوآى خبرها ، وقرئ بنصب عاقبة على أنها خبر كان ، والسوآى اسمها ، وأن كذبوا مفعول من أجله ، ويحتمل أن تكون السوآى مصدر أساءوا (يبلس المجرمون) الإبلاس الكون فى شرمع اليأس من الخير (يتفرقون) معناه فى المنازل والجزاء (تحبرون) تنعمون من الحبور وهو السرور والنعيم ، وقيل تكرمون (سبحان الله) هذا تعليم للعباد أى قولوا سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (وعشيا وحين تظهرون) أى حين تدخلون فى وقت الظهيرة وهى وسط النهار ، وقوله وله الحمد فى السموات والأرض : اعتراض بين المعطوفات ، وقيل أراد بذلك الصلوات الخمس ، فحين تمسون : المغرب والعشاء ، وحين تصبحون : الصبح ، وعشيا : العصر ، وحين تظهرون الظهر (يخرج الحىّ) ذكر فى آل عمران (ويحيي الأرض) أى ينبت فيها النبات (وكذلك تخرجون) أى كما يخرج الله النبات من الأرض كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة (تنتشرون) أى تنصرفون فى الدنيا (من أنفسكم أزواجا) أى صنفكم وجنسكم ، قيل أراد خلقة حواء من ضلع آدم ، وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم (مودة ورحمة) قيل المودة الجماع ، والرحمة الولد ، والعموم أحسن وأبلغ (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم (وألوانكم) يعنى البياض والسواد ، وقيل يعنى أصنافكم ،

يَسْمَعُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ
ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۞ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ضَرَبَ لَكُم
مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ
كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن
يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۞ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا

والأول أظهر (خوفا وطمعا) ذكر فى الرعد (أن تقوم السماء والأرض) معناه تثبت أو يقوم تدبيرها (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) إذا الأولى شرطية ، والثانية فجائية وهى جواب الأولى ، والدعوة فى هذه الآية قوله للموتى قوموا بالنفخة الثانية فى الصور ، ومن الأرض يتعلق بقوله مخرجون أو بقوله دعاكم ، على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو كقولك دعوتك من الجبل إذا كان المدعو فى الجبل (قانتون) ذكر فى البقرة (وهو أهون عليه) أى الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى ، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث ، فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثانى مرة ، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله ، فإن كل شىء على الله يسير (وله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى الذى يصفه به أهل السموات والأرض (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء) هذا هو المثل المضروب معناه أنكم أيها الناس لا يشاركم عبيدكم فى أموالكم ولا يستوون معكم فى أحوالكم ، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبيده فى ملكه ، ولا يماثله أحد فى ربوبيته ، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفى ودخل فى النفى قوله « فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم : أى لستم فى أموالكم سواء مع عبيدكم ، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم ، لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم) الإضراب يبل عما تضمنه معنى الآية المتقدمة كأنه يقول ليس لهم حجة فى إشراكهم بالله بل اتبعوا فى ذلك أهواءهم بغير علم (فأقم وجهك للدين) هو دين الإسلام ، وإقامة الوجه فى الموضعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه فى قوله أقم ، والقيم ضرب من ضروب التجنيس (فطرت الله) منصوب على المصدر : كقوله صبغة الله أو مفعولا بفعل مضمر تقديره الزموا فطرة الله ، أو عليكم فطرة الله ، ومعناه خلقة الله ، والمراد به دين الإسلام ، لأن الله خلق الخلق عليه ، إذ هو الذى تقتضيه عقولهم السليمة ، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه (لا تبديل لخلق الله) يعنى بخلق الله الفطرة التى خلق الناس عليها من الإيمان ، ومعنى أن الله لا يبدلها أى لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى ، أو

الصَّلٰوةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ۝ وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

يكون المعنى أن تلك الفطرة لا ينبغى للناس أن يبدلوها ، فالنفى على هذا حكم لا خبر وقيل إنه على الخصوص فى المؤمنين أى لا تبديل لفطرة الله فى حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه ، وقيل إنه نهى عن تبديل الخلقة كخصاء الفحول من الحيوان وقطع آذانها وشبه ذلك (منيبين إليه) منصوب على الحال من قوله أقم وجهك لأن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وأمته ، ولذلك جمعهم فى قوله منيبين ، وقيل هو حال من ضمير الفاعل المستتر فى الزموا فطرة الله ، وقيل هو حال من قوله فطر الناس وهذا بعيد (واتقوه) ومابعده معطوف على أقم وجهك أو على العامل فى فطرة الله وهو الزموا المضمر (من الذين فرقوا دينهم) المجرور بدل من المجرور قبله ، ومعنى فرقوا دينهم : جعلوه فرقاً أى اختلفوا فيه ، وقرئ : فارقوا من المفارقة أى تركوه ، والمراد بالمشركين هنا أصناف الكفار ، وقيل هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة ، وفى لفظ المشركين هنا تجوز بعيد ، ولعل قائل هذا القول إنما قاله فى قول الله فى الأنعام «إن الذين فرقوا دينهم» فإنه ليس هناك ذكر المشركين (وإذ مس الناس ضر) الآية : إنحاء على المشركين ، لأنهم يدعون الله فى الشدائد ويشركون به فى الرخاء (ليكفروا) ذكر فى النحل (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أم هنا منقطعة بمعنى بل ، والسلطان الحجة ، وكلامه مجاز كما تقول نطق بكذا ، والمعنى ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم (وإذا أذقنا الناس رحمة) إنحاء على من يفرح ويبطر إذا أصابه الخير ، ويقنط إذا أصابه الشر ، وانظر كيف قال هنا إذا ، وقال فى الشر إن تصبهم سيئة ، لأن إذا للقطع بوقوع الشرط ، بخلاف إن فإنها للشك فى وقوعه ، ففى ذلك إشارة إلى أن الخير الذى يصيب به عباده أكثر من الشر (بما قدمت أيديهم) المعنى أن ما يصيب الناس من المصائب ، فإنه بسبب ذنوبهم (فآت ذا القربى حقه) يعنى صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة ، ولو بالكلام الطيب (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس) الآية : معناها كقوله « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » أى ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله ، وما آتيتم من الصدقات : فهو الذى يزكو عند الله وينفعكم به ، وقيل المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدى له ليعوض له أكثر من ذلك فهذا وإن كان جائزاً فانه لا ثواب فيه وقرئ «وما آتيتم» بالمد بمعنى أعطيتم وبالقصر يعنى جئتم أى فعلتموه ، وقرئ لتربوا بالتاء المضمومة وليربو بالياء

الْمُضْعِفُونَ * اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَالِكُم
مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم
بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ۝ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ * مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِ
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَـٰفِرِينَ ۝ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِىَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ
فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى
السَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ * فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ

مفتوحة ونصب الواو (فأولئك هم المضعفون) المضعف ذو الإضعاف من الحسنات ، وفى هذه الجملة التفات لخروجه من الغيبة إلى الخطاب ، وكان الأصل أن يقال وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون ، وفيه أيضا حذف ، لأنه لابد من ضمير يرجع إلى ما ، وتقديره المضعفون به أوفمؤتوه هم المضعفون (ظهر الفساد فى البر والبحر) قيل البر البلاد البعيدة من البحر ، والبحر هو البلاد التى على ساحل البحر ، وقيل البر اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف ، والصحيح أن البر والبحر المعروفان ، فظهور الفساد فى البر بالقحط والفتن وشبه ذلك ، وظهور الفساد فى البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان (لامرد له) أى لارجوع له ولابد من وقوعه (من الله) يتعلق بقوله يأتى أو بقوله لامرد له أى لايرده الله (يومئذ يصدعون) من الصدع وهو الفرقة أى يتفرقون : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير (فلأنفسهم يمهدون) أى يوطنون وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه ، والمعنى أنهم يعملون ما ينتفعون به فى الآخرة (ليجزى) يتعلق بيمهدون أو يصدعون ، أو بمحذوف (مبشرات) أى تبشر بالمطر (وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال ليبشركم وليذيقكم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره ليذيقكم (من رحمته) أرسلها (وكان حقاً) انتصب حقا لأنه خبر كان واسمها نصر المؤمنين ، وقيل اسمها مضمر يعود على مصدر انتقمنا : أى وكان الانتقام حقا ، فعلى هذا يوقف على حقا ويكون نصر المؤمنين مبتدأ وهذا ضعيف (تثير سحابا) أى تحركها وتنشرها (كسفا) أى قطعا ، وقرئ بإسكان السين وهما بناءان للجمع ، وقيل معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة (الودق) هو المطر (من خلاله) الخلال الشقاق الذى بين بعضه وبعض لأنه متخلل الأجزاء والضمير يعود على السحاب (من

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا
مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ۝ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنتَ بِهَادِ
الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن
بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ
اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ
الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ *

قبله) كرر للتأكيد وليفيد سرعة تقلب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار (لمبلسين) أى قانطين كقوله ينزل الغيث من بعد ماقنطوا (فرآه مصفرا) الضمير للنبات الذى ينبته الله بالمطر ، والمعنى لئن أرسل الله ريحا فاصفر به النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله ، وقيل الضمير للريح ، وقيل للسحاب والأول أحسن فى المعنى (فإنك لاتسمع الموتى) الآية : استعارة فى عدم سماع الكفار للمواعظ والبراهين ، فشبه الكفار بالموتى فى عدم إحساسهم (خلقكم من ضعف) الضعف الأول كون الإنسان من ماممهين ، وكونه ضعيف فى حال الطفولية ، والضعف الثانى الأخير الهرم ، وقرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان (مالبثوا غير ساعة) هذا جواب القسم ، ومعناه أنهم يحلفون أنهم مالبثوا فى القبور تحت التراب إلا ساعة أى مالبثوا فى الدنيا إلا ساعة ، وذلك لاستقصار تلك المدة (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل هذا الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على ما هى عليه (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التى حلفوا عليها (فى كتاب الله) يعنى اللوح المحفوظ أو علم الله ، والمجرور على هذا يتعلق بقوله لبثتم ، وقيل يعنى القرآن ، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله أوتوا العلم ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره على هذا قال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله أى العلماء بكتاب الله وقولهم لقد لبثتم : خطاب للكفار ، وقولهم فهذا يوم البعث : تقرير لهم ، وهو فى المعنى جواب لشرط مقدر تقديره إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث (ولا هم يستعتبون) من العتبى بمعنى الرضا : أى ولا يرضون وليست استفعل هنا للطلب (إن وعد الله حق) يعنى ماوعد من النصر على الكفار (ولا يستخفنك من الخفة : أى لاتضطرب لكلامهم

سـورة لقمان

مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ ۞ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ النَّعِيمِ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ خَلَقَ
السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى الْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۞ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ

سـورة لقمان

(الكتاب الحكيم) ذكر فى يونس (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) هو الغناء، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: شراء المغنيات وبيعهن حرام، وقرأ هذه الآية، وقيل نزلت فى قرشى اشترى جارية مغنية تغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالشراء على هذا حقيقة، وقيل نزلت فى النضر ابن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث، وشراء لهو الحديث استحبابه وسماعه، فالشراء على هذا مجاز، وقيل لهو الحديث: الطبل، وقيل الشرك، ومعنى اللفظ يعم ذلك كله، وظاهر الآية أنه لهو مضاف إلى الكفر بالدين واستخفاف، لقوله تعالى «ليضل عن سبيل الله» الآية، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف (بغير عمد ترونها) ذكر فى الرعد (أن تميد بكم) أى لئلا تميد بكم (لقمان) رجل ينطق بالحكمة واختلف هل هو نبى أم لا؟ وفى الحديث لم يكن لقمان نبيا، ولكن كان عبداً حسن اليقين أحب الله فأحبه، فمن عليه بالحكمة، روى أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وروى أنه كان قاضى بنى إسرائيل، واختلف فى صناعته، فقيل كان نجارا، وقيل خياطا، وقيل راعى غنم، وكان ابنه كافراً فما زال يوصيه حتى أسلم، وروى أن اسم ابنه ثاران (ووصينا الإنسان) هذه الآية والتى بعدها اعتراض فى أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك بالله، ونزلت الآية فى سعد بن أبى وقاص وأمه حسبما ذكرنا فى العنكبوت (حملته أمه وهنا على وهن) أى ضعفاً على ضعف، لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفاً، وانتصاب وهنا بفعل مضمر تقديره تهن وهنا (وفصاله) أى فطامه، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع (أن اشكر) تفسير للوصية واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله وفصاله فى عامين

حَمِيدٌ ۞ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۞ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۞ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۞ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۞ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ

ليبين ماتكابده الأم بالولد مما يوجب عظيم حقها ، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب (يابنى) الآية : رجع إلى كلام لقمان ، والتقدير : وقال لقمان يابنىّ (مثقال حبة من خردل) أى وزنها ، والمراد بذلك أن الله يأتى بالقليل والكثير من أعمال العباد فعبر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر (فى صخرة) قيل المراد الصخرة التى عليها الأرض ، وهذا ضعيف ، وإنما معنى الكلام أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو كانت فى أخفى موضع كجوف صخرة ، فإن الله يأتى بها يوم القيامة وكذلك لو كانت فى السموات أو فى الأرض (واصبر على ماأصابك) أمر بالصبر على المصائب عموماً ، وقيل المعنى مايصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر (من عزم الأمور) يحتمل أن يريد مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب أو من مكارم الأخلاق التى يعزم عليها أهل الحزم والجد ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أى من معزومات الأمور (ولا تصعر خدك للناس) الصعر فى اللغة الميل أى لاتول الناس خدك وتعرض عنهم تكبراً عليهم (مرحا) ذكر فى الإسراء (مختالا) من الخيلاء (واقصد فى مشيك) أى اعتدل فيه ولا تتسرع إسراعاً يدل على البطش والخفة ، ولا تبطئ إبطاء يدل على الفخر والكبر (نعمه ظاهرة وباطنة) الظاهرة الصحة والمال وغير ذلك ، والباطنة النعم التى لايطلع عليها الناس ومنها ستر القبيح من الأعمال ، وقيل الظاهرة نعم الدنيا ، والباطنة نعم العقبى ، واللفظ أعم من ذلك كله (ومن الناس من يجادل) نزلت فى النضر بن الحارث وأمثاله (أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار (ومن يسلم وجهه إلى الله) يسلم أى

فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ
ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى
فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ
دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝ يَٰٓأَيُّهَا

يخلص أو يستسلم أو ينقاد، والوجه هنا عبارة عن القصد (بالعروة الوثقى) ذكر فى البقرة (قل الحمد لله) ومابعده ذكر فى العنكبوت (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام) الآية إخبار بكثرة كلمات الله والمراد اتساع علمه ومعنى الآية أن شجر الأرض لو كانت أقلاما، والبحر لو كان مداداً يصب فيه سبعة أبحر صباداً ئما وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفد كلمات الله، لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية، فإن قيل: لم لم يقل والبحر مداداً كما قال فى الكهف قل لوكان البحر مداداً؟ فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها. فان قيل لم قال من شجرة ولم يقل من شجر باسم الجنس الذى يقتضى العموم؟ فالجواب أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة، فإن قيل: لم قال كلمات الله ولم يقل كلم الله بجمع الكثرة؟ فالجواب أن هذا أبلغ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنه جمع قلة، فكيف ينفد الجمع الكثير وروى أن سبب الآية أن اليهود قالوا قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله فنزلت الآية لتدل أن ماعندهم قليل من كثير، والآية على هذا مدنية، وقيل إن سببها أن قريشا قالوا إن القرآن سينفد (ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) بيان لقدرة الله على بعث الناس ورد على من استبعد ذلك (يولج الليل فى النهار) أى يدخل كلا منهما فى الآخر بما يزيد فى أحدهما وينقص من الآخر أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل (إلى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة (ذلك بأن الله) يحتمل أن تكون الباء سببية، أو يكون المعنى ذلك بأن الله شاهد هو الحق (بنعمة الله) يحتمل أن يريد بذلك ماتحمله السفن من الطعام والتجارات والباء للإلصاق أو للمصاحبة، أو يريد الريح فتكون الباء سببية (صبار شكور) مبالغة فى صابر وشاكر (كالظال) جمع ظلة وهو مايعلوك من فوق شبه الموج بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان (فمنهم مقتصد) المقتصد المتوسط فى الأمر، فيحتمل أن يريد كافرا متوسطا فى كفره لم يسرف فيه أومؤمنا متوسطا فى إيمانه، لأن الإخلاص الذى عليه فى البحر كان يزول عنه وقيل معنى مقتصد مؤمن ثبت فى البر على ماعاهد الله عليه فى البحر (ختار) أى غدار شديد الغدر، وذلك أنه جحد نعمة الله غدراً (لايجزى

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *

سورة السجدة

مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الم ۞ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۞ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۞ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ

والد عن ولده) أى لا يقضى عنه شيئا ، والمعنى أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة (ولا مولود) أى ولد فكما لا يقدر الوالد لولده على شىء كذلك لا يقدر الولد لوالده على شىء (الغرور) الشيطان وقيل الأمل والتسويف (علم الساعة) أى متى تكون ، فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه ، ولذلك جاء فى الحديث : مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (ماذا تكسب غدا) يعنى من خير أو شر أو مال أو ولد أو غير ذلك

سورة السجدة

(تنزيل الكتاب) يعنى القرآن (لا ريب فيه) أى لا شك أنه من عند الله عز وجل ، ونفى الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر فى نفسه لا على اعتقاد أهل الباطل (من رب العالمين) يتعلق بتنزيل (أم يقولون) الضمير لقريش وأم بمعنى بل والهمزة (لتنذر) يتعلق بما قبله أو بمحذوف (ما أتاهم من نذير) يعنى من الفترة من زمن عيسى وقد جاء الرسل قبل ذلك إبراهيم وغيره ، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقيم الحجة عليهم (استوى على العرش) قد ذكر فى الأعراف (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) نفى الشفاعة على وجهين أحدهما الشفاعة للكفار وهى معدومة على الإطلاق ، والآخر : أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله « مامن شفيع إلا من بعد إذنه » (يدبر الأمر) أى واحد الأمور ، وقيل المأمور به من الطاعات ، والأول أصح (من السماء إلى الأرض) أى ينزل ما دبره وقضاه من السماء إلى الأرض (ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج اليه خبر ذلك فى يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء ، وقيل إن الله يلقى إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله ، فإذا

وَالشَّهَٰدَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ
مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ
الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝
تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ
لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا

فرغت ألقى إليهم مثلها ، فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ، ثم تصير إليه آخراً لأن عاقبة الأمور إليه ، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه (عالم الغيب والشهادة) الغيب ماغاب عن المخلوقين ، والشهادة ماشاهدوه (أحسن كل شيء خلقه) أى أتقن جميع المخلوقات ، وقرئ بإسكان اللام على البدل (وبدأ خلق الإنسان من طين) يعنى آدم عليه السلام (نسله) يعنى ذريته (من سلالة من ماء مهين) يعنى المنىّ ، والسلالة مشتقة من سل يسل ، فكأن الماء يسل من الإنسان ، والمهين الضعيف (ثم سواه) أى قومه (ونفخ فيه من روحه) عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، وأضيفت الروح إلى الله إضافة ملك إلى ملك ، وقد يراد بها الاختصاص ، لأن الروح لايعلم كنهه إلا الله (أئذا ضللنا فى الأرض) أى تلفنا وصرنا ترابا ، ومعنى هذا الكلام المحكى عن الكفار استبعاد البعث ، والعامل فى إذا معنى قولهم إنا لفى خلق جديد تقديره نبعث (يتوفاكم ملك الموت) اسمه عزرائيل وتحت يده ملائكة (ولو ترى) يحتمل أن تكون لو للتمنى وتأويله فى حق الله كتأويل الترجى ، وقد ذكر ، أو تكون للامتناع وجوابها محذوف تقديره ولو ترى حال المجرمين فى الآخرة لرأيت أمرا مهولا (ناكسوا رءوسهم) عبارة عن الذل والغم والندم (ربنا أبصرنا وسمعنا) تقديره يقولون ربنا قد علمنا الحقائق (لو شئنا لآتينا كل نفس هداها) يعنى أنه لو أراد أن يهدى جميع الخلائق لفعل ، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان فى قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء (فذوقوا بما نسيتم) أى يقال لهم ذوقوا ، والنسيان هنا بمعنى الترك (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أى ترتفع والمعنى يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم النوافل ، ومن صلى العشاء والصبح فى جماعة فقد أخذ بحظه من هذا (فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين) يعنى أنه لايعلم أحد مقدار مايعطيهم الله من النعيم وقرئ أخفى بإسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم وهو الله تعالى (أفمن كان مؤمنا) الآية : يعنى المؤمنين

الصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ

والفاسقين على العموم ، وقيل يعنى علىّ بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط (فذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) الذى نعت بالعذاب ، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور فى قوله به ، فإن قيل : لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير ، ووصف فى سبأ النار وأعاد عليها الضمير ، وقال عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه خص العذاب فى السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر ذكره فى قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، والثانى أنه قدم فى السجدة ذكر النار ، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير ، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر فكما لا يوصف المضمر لم يوصف ماقام مقامه وهو النار ، ووصف العذاب ولم يصف النار ، الثالث وهو الأقوى أنه امتنع فى السجدة وصف النار فوصف العذاب ، وإنما امتنع وصفها لتقدم ذكرها ، فإنك إذا ذكرت شيئا ثم كررت ذكره لم يجز وصفه ، كقولك رأيت رجلا فأكرمت الرجل ، فلا يجوز وصفه لئلا يفهم أنه غيره (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) يعنى الجوع ومصائب الدنيا وقيل القتل يوم بدر ، وقيل عذاب القبر وهذا بعيد لقوله « لعلهم يرجعون » (إنا من المجرمين منتقمون) هذا وعيد لمن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ، وكان الأصل أن يقول إنا منه منتقمون ، ولكنه وضع المجرمين موضع المضمر ليصفهم بالإجرام ، وقدم المجرور على منتقمون للمبالغة (فلا تكن فى مرية من لقائه) المرية الشك ، والضمير لموسى : أى لا تمتر فى لقائك موسى ليلة الإسراء وقيل المعنى لا تشك فى لقاء موسى والكتاب الذى أنزل عليه ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل الكتاب هنا جنس ، والمعنى : لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت فى لقائك الكتاب الذى أنزل عليك ، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب كقوله « وإنك لتلقى القرآن » (يفصل بينهم) الضمير لجميع الخلق ، وقيل لبنى إسرائيل خاصة (أولم يهد لهم) ذكر فى طه (يمشون فى مساكنهم) الضمير فى يمشون لأهل مكة : أى يمشون فى مساكن القوم المهلكين : كقوله « وقد تبين لكم من مساكنهم » وقيل الضمير للمهلكين : أى أهلكناهم وهم يمشون فى مساكنهم ، والأول أحسن ، لأن فيه حجة على أهل مكة (الأرض الجرز) يعنى التى لا نبات فيها من شدة العطش

وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝

سورة الاحزاب

مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ ٱللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَٰفِرِينَ وَالْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ الَّٰٓئِى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ

(متى هذا الفتح) أى الحكم بين المسلمين والكفار فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، وهذا بعيد لقوله (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ، وذلك فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه (فأعرض عنهم) منسوخ بالسيف (وانتظر إنهم منتظرون) أى انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون هلاكك ، وفى هذا تهديد لهم

سورة الأحزاب

(ياأيها النبى) نداء فيه تكريم له ، لأنه ناداه بالنبوّة ، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم (اتق الله) أى دم على التقوى وزد منها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أى لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة ، ويعنى بالكافرين المظهرين للكفر وبالمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر وروى أن الكافرين هنا . أبىّ بن خلف ، والمنافقين هنا : عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، والعموم أظهر (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) قال ابن عباس ، كان فى قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدّة فهمه ، فنزلت الآية نفيا لذلك ، ويقال إنه ابن أخطا ، وقيل جميل بن معمر ، وقيل إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفى أى كما لم يجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم (اللائى تظاهرون منهن) أى تقولون للزوجة : أنت علىّ كظهر أمى ، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم ويأتى حكمه فى المجادلة وإنما تعدى هذا الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون منهنّ (وماجعل أدعياءكم أبناءكم) الأدعياء جمع دعىّ ، وهو الذى يدعى ولد فلان وليس بولده ، وسببها أمر زيد بن حارثة : وذلك أنه كان فتى من كلب فسباه بعض العرب وباعه من خديجة فوهبته للنبى صلى الله عليه وسلم فتبناه ؛ فكان يقال له زيد بن محمد حتى أنزلت هذه الآية (ذلكم قولكم) الإشارة إلى نسبة الدعى إلى غير أبيه ، أو إلى كل ماتقدم من المنفيات ، وقوله (بأفواهكم) تأكيد لبطلان القول (ادعوهم لآبائهم) الضمير للأدعياء أى انسبوهم لآبائهم الذين ولدوهم

اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ
مَسْطُورًا ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۞ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا *
إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يقتضى أن يحبوه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أكثر مما يحبون أنفسهم وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم (وأزواجه أمهاتهم) جعل الله تعالى لأزواج النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حرمة الأمهات فى تحريم نكاحهن ووجوب مبرتهن، ولكن أوجب حجبهن عن الرجال (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) هذا نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بأخوة الاسلام، وبالهجرة وقد تكلمنا عليها فى الأنفال (فى كتاب الله) يحتمل أن يريد القرآن أو اللوح المحفوظ (من المؤمنين) يحتمل أن يكون بيانا لأولى الأرحام أو يتعلق بأولى: أى أولوا الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوى أرحام (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) يريد الاحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة ونفعهم فى الحياة، والوصية لهم عند الموت، فذلك جائز ومندوب إليه، وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث فللقرابة خاصة، واختلف هل يعنى بالأولياء المؤمنين خاصة أو المؤمنين والكافرين (فى الكتاب مسطورا) يعنى القرآن أو اللوح المحفوظ (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع، وقيل هو الميثاق الذى أخذه حين أخرج بنى آدم من صلب آدم كالذر، والأول أرجح لأنه هو المختص بالأنبياء (ومنك ومن نوح) قد دخل هؤلاء فى جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر تشريفاً لهم، وقدم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلا له (ميثاقا غليظا) يعنى الميثاق المذكور، وإنما كرره تأكيدا وليصفه بأنه غليظ أى وثيق ثابت يجب الوفاء به (ليسأل الصادقين) اللام تحتمل أن تكون لام كى أو لام الصيرورة، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق فى الأقوال أو الصدق فى الأفعال والعزائم ويحتمل أن يريد بالصادقين الأنبياء وغيرهم من المؤمنين (اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود) هذه الآية وما بعدها نزلت فى قصة غزوة الخندق، والجنود المذكورة هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسماهم الله فى هذه السورة الأحزاب وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة وحفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حولها ليمنعهم من دخولها (فأرسلنا عليهم ريحا) أرسل الله عليهم ريح الصبا فأطفأت نيرانهم وأكفأت قدورهم ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا خائبين (وجنودا لم تروها) يعنى الملائكة (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم) أى حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها، وقيل معنى من فوقكم أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة ومن أسفل منكم أهل مكة وسائر تهامة (وإذ زاغت الأبصار) أى مالت عن مواضعها وذلك عبارة عن شدة الخوف (وبلغت

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۞ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۞ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۞ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۞ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ

القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهى الحلق وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل بل هى حقيقة لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلي الحنجرة (وتظنون بالله الظنونا) أى تظنون أن الكفار يغلبونكم وقد وعدكم الله بالنصر عليهم، فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خطرة مما لا يمكن البشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله، وقرأ نافع: الظنونا، والرسولا، والسبيلا، بالألف فى الوصل وفى الوقف، وقرئ بإسقاطها فى الوصل والوقف، وبإثباتها فى الوقف دون الوصل فأما إسقاطها فهو الأصل وأما إثباتها فلتعديل رءوس الآى لأنها كالقوافى، وتقتضى هذه العلة أن تثبت فى الوقف خاصة، وأما من أثبتها فى الحالين، فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف هنالك ابتلى المؤمنون) أى اختبروا أو أصابهم بلاء، والعامل فى الظرف ابتلى وقيل ماقبله (وزلزلوا) أصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب (وإذ يقول المنافقون) روى أنه معتب بن قشير (وإذ قالت طائفة) قال السهيلى الطائفة تقع على الواحد فما فوقه والمراد هنا أوس بن قيظى (يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا) يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التى المدينة فى طرف منها، ومقام اسم موضع من القيام أى لاقرار لكم هنا يعنون موضع القتال وقرئ بالضم وهو اسم موضع من الاقامة وقولهم فارجعوا أى إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال (ويستأذن فريق منهم النبى) أى يستأذنوه فى الانصراف والمستأذن أوس بن قيظى وعشيرته وقيل بنو حارثة (إن بيوتنا عورة) أى منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق فكذبهم الله فى ذلك (ولو دخلت عليهم من أقطارها) أى لو دخلت عليهم المدينة من جهاتها (ثم سئلوا الفتنة) يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين (لآتوها) قرئ بالقصر بمعنى جاؤا اليها وبالمد بمعنى أعطوها من أنفسهم (وما تلبثوا بها) الضمير للمدينة (قد يعلم الله) دخلت قد على الفعل المضارع بمعنى التهديد وقيل للتعليل على وجه التهكم (المعوقين منكم) أى الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا) هم المنافقة الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد وكانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقون مثلهم هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر هلم فى الأنعام (ولا يأتون البأس إلا قليلا) البأس القتال، وقليلا صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إتيانا قليلا، أو مستثنى من فاعل يأتون: أى إلا قليلا منهم

إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ
أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ
الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۞ لَقَدْ
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۞ وَلَمَّا رَأَى
الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۞ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۞ لِيَجْزِيَ

(أشحة عليكم) أشحة جمع شحيح بوزن فعيل معناه يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون ، وقيل يشحون بأموالهم ، وقيل معناه أشحة عليكم وقت الحرب أى يشفقون أن يقتلوا ونصب أشحة على الحال من القائلين ، أو على المعوقين ، أو من الضمير فى يأتون ، أو نصب على الذم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك) أى إذا اشتد الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء فى تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم (تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت) عبارة عن شدة خوفهم (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) السلق بالألسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره ، ومعنى حداد فصحاء قادرين على الكلام وإذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسب وتنقيص الشريعة ، وقيل إذا غنمتم طلبوا من الغنائم (أشحة على الخير) أى يشحون بفعل الخير وقيل يشحون بالمغانم ، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل فى سلقوكم (لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم) ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها ، وإنما المعنى أنها لم تقبل لأن الإيمان شرط فى قبول الأعمال ، وقيل إنهم نافقوا بعد أن آمنوا ، فالإحباط على هذا حقيقة (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) الأحزاب هنا هم كفار قريش ومن معهم ، فالمعنى أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب) معنى يودوا يتمنوا ، وبادون خارجون فى البادية والأعراب هم أهل البوادى من العرب فمعنى الآية أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا فى البادية مع الأعراب وأن لا يكونوا فى المدينة بل غائبين عنها يسألون من ورد عليهم عن أنبائكم (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى قدوة تقتدون به صلى الله عليه وسلم فى اليقين والصبر وسائر الفضائل ، وقرئ أسوة بضم الهمزة والمعنى واحد (هذا ما وعدنا الله ورسوله) قيل إن هذا الوعد ما أعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر بحفر الخندق من أن الكفار ينزلون ، وأنهم ينصرفون خائبين ، وقيل إنه قول الله تعالى «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء» الآية ، فعلموا أنهم يبتلون ثم ينصرون (فمنهم من قضى نحبه) يعنى قتل شهيدا قال أنس بن مالك يعنى عمى أنس بن النضر ، وقيل يعنى حمزة بن عبد المطلب ، وقضاء النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس وغيره ، وقيل قضى نحبه : وفى العهد الذى عاهد الله عليه ، ويدل على هذا ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «طلحة ممن قضى نحبه» وهو لم يقتل حينئذ (ومنهم من ينتظر) المفعول

اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ

محذوف : أى ينتظر أن يقضى نحبه ، أو ينتظر الشهادة فى سبيل الله على قول ابن عباس ، أو ينتظر الحصول فى أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) الصياصى هى الحصون ، ونزلت الآية فى يهود بنى قريظة ، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا عهده وصاروا مع قريش فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله بنى قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن يقتل رجالهم ويسبى نساؤهم وذريتهم (فريقا تقتلون) يعنى الرجال وقتل منهم يومئذ كل من أنبت وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذرية (أورثكم أرضهم) يعنى أرض بنى قريظة قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين (وأرضا لم تطؤها) هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطؤها حينئذ وهى مكة واليمن والشام والعراق ومصر ، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وماوراءها إلى أقصى المشرق والمغرب ، ويحتمل عندى أن يريد أرض بنى قريظة ، لأنه قال أورثكم بالفعل الماضى وهى التى كانوا أخذوها حينئذ ، وأما غيرها من الأرضين ، فإنما أخذها بعد ذلك فلو أرادها لقال يورثكم إنما كررها بالعطف ليصفها بقوله لم تطؤها : أى لم تدخلوها قبل ذلك (يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الآية : سببها أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تغايرن حتى غمه ذلك وقيل طلبن منه الملابس ونفقات كثيرة ، وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسودة بنت زمعة ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأم سلمة بنت أبى أمية ، وأربع من غير قريش وهم ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وصفية بنت حيّ من بنى إسرائيل وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث من بنى المصطلق (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) أصل تعال أن يقوله من كان فى موضع مرتفع لمن فى موضع منخفض ثم استعملت بمعنى أقبل فى جميع الأمكنة ؛ وأمتعكن من المتعة وهى الإحسان إلى المرأة إذا طلقت والسراح الطلاق ، فمعنى الآية أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا ، وبين البقاء فى عصمته إن أرادوا الآخرة ، فبدأ صلى الله عليه وسلم بعائشة : فاختارت البقاء فى عصمته ، ثم تبعها سائرهن فى ذلك ، فلم يقع طلاق ، وقالت عائشة : خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد ذلك طلاقا ، وإذا اختارت المخيرة الطلاق : فمذهب مالك أنه ثلاث وقيل طلقة بائنة ، وقيل طلقة رجعية ووصف السراح بالجميل : يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث ، أو يريد أنه ثلاث ، وجماله حسن الرعى والثناء

الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

وحفظ العهد (للمحسنات منكن) من للبيان لا للتبعيض ، لأن جميعهنّ محسنات (بفاحشة مبينة) قيل يعنى الزنا ، وقيل يعنى عصيان زوجهن عليه الصلاة والسلام ، أو تكليفه مايشق عليه ، وقيل عموم فى المعاصى (يضاعف لها العذاب ضعفين) أى يكون عذابها فى الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين ، وإنما ذلك لعلو رتبتهن ، لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله ، وقرئ يضاعف بالياء ورفع العذاب على البناء للمفعول وبالنون ونصب العذاب على البناء للفاعل (ومن يقنت منكن لله ورسوله) قرئ بالياء حملا على لفظ من وبالتاء حملا على المعنى ، وكذلك تعمل ، والقنوت هنا بمعنى الطاعة (نؤتها أجرها مرتين) أى يضاعف لها ثواب الحسنات (رزقا كريما) يعنى الجنة ، وقيل فى الدنيا ، والأول هو الصحيح (لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) فضلهن الله على النساء بشرط التقوى ، وقد حصل لهن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء ، إلا أنه يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها (فلا تخضعن بالقول) نهى عن الكلام اللين الذى يعجب الرجال ويميلهن إلى النساء (فى قلبه مرض) أى فجور وميل للنساء ، وقيل هو النفاق ، وهذا بعيد فى هذا الموضع (وقلن قولا معروفا) هو الصواب من الكلام أو الذى ليس فيه شىء مما نهى عنه (وقرن فى بيوتكن) قرئ بكسر القاف ، ويحتمل وجهين : أن يكون من الوقار أو من القرار فى الموضع ، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام فى ظلت ، وأما القراءة بالفتح فمن القرار فى الموضع على لغة من يقول قررت بالكسر أقر بالفتح ، والمشهور فى اللغة عكس ذلك ، وقيل هى من قاريقار إذا اجتمع ومعنى القرار أرجح ، لأن سودة رضى الله عنها قيل لها لم لا تخرجين فقالت أمرنا الله بأن نقرّ فى بيوتنا ، وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكى على خروجها أيام الجمل ، وحينئذ قال لها عمر : إن الله أمرك أن تقرى فى بيتك (ولا تبرجن) التبرج إظهار الزينة (تبرج الجاهلية الأولى) أى مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر ، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام ، وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح ، وقيل ما بين موسى وعيسى (الرجس) أصله النجس ، والمراد به هنا النقائص والعيوب (أهل البيت) منادى أو منصوب على التخصيص ، وأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم : هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلىّ وكل من حرمت عليه الصدقة ، وقيل المراد هنا أزواجه خاصة ، والبيت على هذا المسكن ، وهذا ضعيف لأن الخطاب بالتذكير ، ولو أراد ذلك لقال عنكن وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية فى خمسة : فى ولد علىّ وفاطمة والحسن

تَطْهِيرًا ۝ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ

والحسين (واذكرن) خطاب لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصهن بعد دخولهن مع أهل البيت ، وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة أو التذكر بالقلب ، وآيات الله هى القرآن والحكمة هى السنة (إن المسلمين والمسلمات) الآية : سببها أن بعض النساء قلن ذكر الله الرجال ولم يذكرنا ، فنزل فيها ذكر النساء (والمؤمنين والمؤمنات) الإسلام هو الانقياد،والإيمان هو التصديق،ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف المعنى كقوله « لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين » الآية ، وبالعموم فيكون الإسلام أعم ، لأنه بالقلب والجوارح ، والإيمان أخص لأنه بالقلب خاصة ، وهذا هو الأظهر فى هذا الموضع (والقانتين والقانتات) يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة (والصادقين والصادقات) يحتمل أن يكون من صدق القول أو من صدق العزم (وما كان لمؤمن) الآية : معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله والضمير فى قوله من أمرهم : راجع إلى الجمع الذى يقتضيه قوله لمؤمن ولا مؤمنة لأن معناه العموم فى جميع المؤمنين والمؤمنات ، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها ، وقيل سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة ليزوجها لمولاه زيد بن حارثة ، فكرهت هى وأهلها ذلك فلما نزلت الآية قالوا رضينا يارسول الله ، واختلف هل هذه المخطوبة زينت بنت جحش أو غيرها ، وقد قيل إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه) هو زيد بن حارثة الكلبي ، وإنعام الله عليه بالإسلام وغيره وإنعام النبي صلى الله عليه وسلم بالعتق وكانت عند زيد زينب بنت جحش وهى بنت أميمة عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، فشكا زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء معاشرتها وتعاظمها عليه ، وأراد أن يطلقها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك زوجك واتق الله ، يعنى فيما وصفها به من سوء المعاشرة واتق الله ولا تطلقها فيكون نهيا عن الطلاق على وجه التنزيه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : أبغض المباح إلى الله الطلاق (وتخفى فى نفسك ماالله مبديه) الذى أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر جائز مباح لاإثم فيه ولا عتب ولكنه خاف أن يسلط الله عليهم ألسنتهم وينالوا منه ، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه ، وذلك أنه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو صلى الله عليه وسلم لقرابتها منه ولحسبها ، فقال أمسك عليك زوجك وهو يخفى الحرص عليها خوفا من كلام

وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ

الناس لئلا يقولوا تزوج امرأة ابنه إذكان قد تبناه ، فالذى أخفاه صلى الله عليه وسلم هوإرادة تزوجها فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوجها ، فقالت عائشة : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحى لكتم هذه الآية لشدتها عليه ، وقيل إن الله كان أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد ، فالذى أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماأعلمه الله به من ذلك (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) لم يذكر أحد من الصحابة فى القرآن باسمه غير زيد بن حارثة ، والوطر الحاجة ، قال ابن عطية : ويراد به هنا الجماع ، والأحسن أن يكون أعم من ذلك : أى لما لم يبق لزيد فيها حاجة زوجها الله من نبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وأسند الله تزويجها إليه تشريفا لها ، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبى صلى الله عليه وسلم وتقول إن الله زوجنى نبيه من فوق سبع سموات ، واستدل بعضهم بقوله زوجناكها على أن الأولى أن يقال فى كتاب الصداق أنكحه إياها بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما فى الآية (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم) المعنى أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمنين أن تزوج نساء أدعيائهم حلال لهم فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء حقيقة (ماكان على النبى من حرج فيما فرض الله له) المعنى أن تزوج النبى صلى الله عليه وسلم لزينب بعد زيد حلال لاحرج فيه ولا إثم ولا عتاب ، وفى ذلك رد على من تكلم فى ذلك من المنافقين . وفرض هنا بمعنى قسم له (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى عادة الله فى الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ماأحل الله لهم ، وقيل الإشارة بذلك إلى داود فى تزوجه للمرأة التى جرى له فيها ماجرى ، والعموم أحسن ، ونصب سنة على المصدر ، أوعلى إضمار فعل أوعلى الإغراء (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا من قبل ، وهم الأنبياء أورفع على إضمار مبتدإ ، أونصب بإضمار فعل (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم) هذا رد على من قال فى زيد بن حارثة زيد ابن محمد ، فاعترض على النبى صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد ، وعموم النفى فى الآية لايعارضه وجود الحسن والحسين ، لأنه صلى الله عليه وسلم ليس أبا لهما فى الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه ، وإنما كانا ابنى بنته ، وأماذكور أولاده فماتوا صغارا فليسوا من الرجال (وخاتم النبيين) أى آخرهم فلا نبى بعده صلى الله عليه وسلم وقرئ بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم ، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم ، فإن قيل إن عيسى ينزل فى آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام ، فالجواب أن النبوة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة والسلام ، وأيضا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام ، فكأنه واحد من أمته (اذكروا الله ذكرا كثيرا) اشترط الله الكثرة فى الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال ، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو

اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ

على أنواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) قيل إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر ، والأظهر أنه أمر بالتسبيح فى أول النهار وآخره ، وقال ابن عطية أراد فى كل الأوقات فحد النهار بطرفيه (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم) هذا خطاب للمؤمنين ، وصلاة الله عليهم رحمة لهم ، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم ، فاستعمل لفظ يصلى فى المعنيين على اختلافهما وقيل إنه على حذف مضاف تقديره وملائكته يصلون (تحيتهم يوم يلقونه سلام) قيل يعنى يوم القيامة ، وقيل فى الجنة وهو الأرجح لقوله وتحيتهم فيها سلام ، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول الملائكة لهم سلام عليكم طبتم (إنا أرسلناك شاهدا) أى يشهد على أمته (وداعيا إلى الله بإذنه) أى بأمر الله وإرساله (وسراجا منيرا) استعارة للنور الذى يتضمنه الدين (ودع أذاهم) يحتمل وجهين أحدهما لا تؤذهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف ، والآخر احتمل إذايتهم لك وأعرض عن أقوالهم ، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) الآية : معناه سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول فالنكاح فى الآية هو العقد والمس هو الجماع ، وتعتدونها من العدد (فمتعوهن) هذا يقتضى متعة المطلقة قبل الدخول سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق وقوله تعالى فى البقرة «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم» يقتضى أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه مخصصة لعمومها (يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) فى معناها قولان أحدهما أن المراد أزواجه اللاتى فى عصمته حينئذ كعائشة وغيرها ، وكان قد أعطاهن مهورهن ، والآخر أن المراد جميع النساء ، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطى مهرها وهذا أوسع من الأول (وما ملكت يمينك) أباح الله له مع الأزواج السرارى بملك اليمين ويعنى بقوله أفاء الله عليك : الغنائم (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) يعنى قرابته

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝

من جهة أبيه ومن جهة أمه ، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لأبيه ، ولم يكن لأمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أخت ، وإنما يعنى بخاله وخالاته عشيرة أمه وهم بنو زهرة ، ولذلك كانوا يقولون نحن أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال إن المراد بقوله أحللنا لك أزواجك : من كانت فى عصمته : فهو عطف عليهن ، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان فى عصمته ، ومن قال إن المراد جميع النساء فهو تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء فى العموم (اللاتى هاجرن معك) تخصيص تحرز به ممن لم يهاجر كالطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى) أباح الله له صلى الله عليه وسلم من وهبت له نفسها من النساء ، واختلف هل وقع ذلك أم لا ؟ فقال ابن عباس : لم تكن عند النبى صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين ، لا بهبة نفسها ، ويؤيد هذا قراءة الجمهور إن وهبت بكسر الهمزة أى إن وقع ، وقيل قد وقع ذلك ، وهو على هذا القول قرئ أن وهبت بفتح الهمزة ، واختلف على هذا القول فيمن هى التى وهبت نفسها فقيل ميمونة بنت الحارث ، وقيل زينب بنت خزيمة أم المساكين ، وقيل أم شريك الأنصارية ، وقيل أم شريك العامرية (خالصة لك من دون المؤمنين) أى هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره ، وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ليخص المخاطب وحده ، وقيل إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له صلى الله عليه وسلم لأن سائر المؤمنين قصروا على أربع نسوة ، وأبيح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك ، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبى حنيفة ، وإعراب خالصة مصدر أو حال أو صفة لامرأة (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم) يعنى أحكام النكاح من الصداق والولى والاقتصار على أربع وغير ذلك (لكيلا يكون عليك حرج) يتعلق بالآية التى قبله أى بينا أحكام النكاح لئلا يكون عليك حرج أو لئلا يظن بك أنك فعلت مالا يجوز ، وقال الزمخشرى يتعلق بقوله خالصة لك (ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء) معنى ترجى تؤخر وتبعد ، ومعنى تؤوى تضم وتقرب . واختلف فى المراد بهذا الإرجاء والإيواء ، فقيل إن ذلك فى القسمة بينهن : أى تكثر لمن شئت ، وتقلل لمن شئت ، وقيل إنه فى الطلاق أى تمسك من شئت وتطلق من شئت ؛ وقيل معناه تتزوج من شئت ، وتترك من شئت ، والمعنى على كل قول توسعة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وإباحة له أن يفعل مايشاء ، وقد اتفق الناقلون على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل فى القسمة بين نسائه : أخذا منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له ، والضمير فى قوله منهن : يعود على أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فى معناه قولان : أحدهما من كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك فى ردّه بعد عزله ، والآخر من ابتغيت ومن عزلت سواء فى إباحة ذلك فمن للتبعيض على القول الأول وأما على القول الثانى فنحو قولك من لقيك ومن لم يلقك سواء (ذلك أدنى أن تقر أعينهن) أى إذا علمن أن هذا

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِن بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ

حكم الله قرت به أعينهن ورضين به ، وزال ما كان بهنّ من الغيرة ، فإن سبب نزول هذه الآية ماوقع لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم من غيرة بعضهن على بعض (لايحل لك النساء من بعد) فيه قولان : أحدهما لايحل لك النساء غير اللاتى فى عصمتك الآن ولا تزيد عليهن ، قال ابن عباس لما خيرهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك ، بأن حرّم غيرهن من النساء كرامة لهنّ ، والقول الثانى : لايحل لك النساء غير الأصناف التى سميت ، والخلاف هنا يجرى على الخلاف فى المراد بقوله . إنا أحللنا لك أزواجك : أى لايحل لك غير من ذكر حسبما تقدم ، وقيل معنى لايحل لك النساء : لايحل لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات وهذا بعيد ، واختلف فى حكم هذه الآية ، فقيل إنها منسوخة بقوله إنا أحللنا لك أزواجك على القول بأن المراد جميع النساء ، وقيل إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان فى عصمته ، وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ، ولأن التسع فى حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع فى حق أمته (ولا أن تبدل بهن من أزواج) معناه لايحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلا منها ، وقيل معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة فى النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له ، وهذا ضعيف (ولو أعجبك حسنهن) فى هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها (إلا ما ملكت يمينك) المعنى أن الله أباح له الإماء ، والاستثناء فى موضع رفع على البدل من النساء أو فى موضع نصب على الاستثناء من الضمير فى حسنهن (لاتدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) سبب هذه الآية مارواه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس ، فلما طعموا قعد نفر فى طائفة من البيت فثقل ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم فى مكانهم ، فانصرف فخرجوا عن ذلك ، وقال ابن عباس نزلت فى قوم كانوا يتحينون طعام النبى صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولايخرجون ، فأمروا أن لايدخلوا حتى يؤذن لهم ، وأن ينصرفوا إذا أكلوا ، قلت : والقول الأول أشهر ، وقول ابن عباس أليق بما فى الآية من النهى عن الدخول حتى يؤذن لهم ، فعلى قول ابن عباس فى النهى عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول فى النهى عن القعود بعد الأكل ، فإن الآية تضمنت الحكمين (غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين لوقت الطعام ، والإناء الوقت ، وقيل إناء الطعام نضجه وإدراكه ، يقال أنى يأنى إناء (ولكن إذا دعيتم فادخلوا) أمر بالدخول بعد الدعوة ، وفى ذلك تأكيد للنهى عن الدخول قبلها (فإذا طعمتم فانتشروا) أى انصرفوا ، قال بعضهم هذا أدب أدب الله به الثقلاء ، وقالت عائشة رضى الله عنها : حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم (ولا مستأنسين لحديث) معطوف على غير ناظرين ، أو تقديره ولاتدخلوا مستأنسين ، ومعناه النهى عن أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض ، أو يستأنسوا لحديث أهل البيت ، واستئناسهم : تسمعهم وتجسسهم (إن ذلكم كان يؤذى النبىّ) يعنى جلوسهم للحديث أو دخولهم بغير إذن (فيستحيى منكم) تقديره

منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما * إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما ۝ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا ۝ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ۝ إن

يستحيي من إخراجكم ، بدليل قوله : والله لا يستحيي من الحق : أى أن إخراجكم حق لا يتركه الله (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) المتاع الحاجة من الأثاث وغيره ، وهذه الآية نزلت فى احتجاب أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وسببها ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة فى بيت زينب ، وقيل سببها أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحجب نساءه فنزلت الآية موافقة لقول عمر ، قال بعضهم لما نزلت فى أمهات المؤمنين «وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب» كن لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب ، ولا يجوز أن يراهن متنقبات ولا غير متنقبات ، فخصصن بذلك دون سائر النساء (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) يريد أنقى من الخواطر التى تعرض للرجال فى أمر النساء والنساء فى أمر الرجال (ولا تنكحوا أزواجه) سببها أن بعض الناس قالوا لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده كرامة له صلى الله عليه وآله وسلم (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن) الآية : لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوى محارمهن من القرابة وهم : الآباء ، والأبناء ، والإخوة ، وأولادهم ، وأولاد الأخوات (ولا نسائهن) قيل يريد بالنساء القرابة والمصرفات لهن ، وقيل يريد نساء جميع المؤمنات ، ويقوى الأول تخصيص النساء بالإضافة لهن ، ويقوى الثانى أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق (وما ملكت أيمانهن) واختلف فيمن أبيح لهن الظهور له من ملك اليمين ، فقيل الإماء دون العبيد ، وقيل الإماء والعبيد ، وهو أولى بلفظ الآية ، ثم اختلف من ذهب إلى هذا فقال قوم من ملكنه من العبيد دون من ملكه غيرهن ، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية ، وقال قوم جميع العبيد كن فى ملكهن أو فى ملك غيرهن (إن الله وملائكته يصلون على النبى) هذه الآية تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة فى قوله يصلى عليكم وملائكته (صلوا عليه وسلموا تسليما) الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فرض إسلامى فالأمر به محمول على الوجوب ، وأقله مرة فى العمر ، وأما حكمها فى الصلاة : فمذهب الشافعى أنها فرض تبطل الصلاة بتركه ، ومذهب مالك أنها سنة وصفتها ما ورد فى الحديث الصحيح اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وقد اختلفت الروايات فى ذلك اختلافا كثيرا أما السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن يريد السلام عليه فى التشهد فى الصلاة أو السلام عليه حين لقائه ، وأما السلام عليه بعد موته فقد قال صلى الله عليه وسلم من سلم علىّ قريبا سمعته ، ومن سلم علىّ بعيدا أبلغته ، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (إن الذين يؤذون الله ورسوله) إذاية الله هى

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَلْعُونِينَ
أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * يَسْأَلُكَ النَّاسُ

بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له ، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء ، وقيل إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياء الله ، والأول أرجح ، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى « يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني ، ويكذبني وليس له أن يكذبني ، أما شتمه إياي فقوله إن لي صاحبة وولدا ، وأما تكذيبه إياي فقوله لا يعيدني كما بدأني » وأما إذاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال ، وقال ابن عباس ، نزلت في الذين طعنوا عليه حين أخذ صفية بنت حيي (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الآية : في البهتان وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه ، وهو أشد من الغيبة ، مع أن الغيبة محرمة ، وهي ذكره مافيه مما يكره (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء ، وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال لهن فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء ، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار ، وقيل هو الرداء وصورة إدنائه عند ابن عباس أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها وقيل أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها ، وقيل أن تغطي نصف وجهها (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء فإذا عرف أن المرأة حرة لم تعارض بما تعارض به الأمة ، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء وربما تعرض لهن السفهاء (لئن لم ينته المنافقون) الآية : تضمنت وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا ، وقيل إنهم لم ينتهوا : ولم ينفذ الوعيد عليهم ففي ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة ، وقيل إنهم انتهوا وستروا أمرهم ، فكف عنهم إنفاذ الوعيد ، والمنافقون هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر ، والذين في قلوبهم مرض : قوم كان فيهم ضعف إيمان ، وقلة ثبات عليه ، وقيل هم الزناة : كقوله فيطمع الذي في قلبه مرض ، والمرجفون في المدينة : قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين ، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقة ، أو تكون داخلة في جملة المنافقين ، ثم جردها بالذكر (لنغرينك بهم) أي نسلطك عليهم وهذا هو الوعيد (ثم لا يجاورونك فيها) ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم ، والضمير المجرور للمدينة (إلا قليلا) يحتمل أن يريد إلا جواراً قليلا أو وقتاً قليلا أو عدداً قليلا منهم ، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات ، فقليلا على الاحتمال الأول مصدر ، وعلى الثاني ظرف ، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء (ملعونين) نصب على الذم ، أو بدل من قليلا على الوجه الثالث ؛ أو حال من

عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً * إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ۝ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ۝ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

ضمير الفاعل فى يجاورونك تقديره سينفون ملعونين (أينما ثقفوا أخذوا) أى حيث ماظفر بهم أسروا ، والأخذ الأسر (سنة الله) أى عادته ونصب على المصدر (فى الذين خلوا من قبل) أى عادته فى المنافقين من الأمم المتقدمة وقيل يعنى الكفار من بدر ، لأنهم أسروا وقتلوا (تكون قريبا) إنما قال قريبا بالتذكير والساعات مؤنثة على تقدير شيئاقريبا أوزمانا قريبا ، أولأن تأنيثها غير حقيقى (يوم تقلب وجوههم فى النار) العامل فى يوم قوله يقولون أولايجدون أو محذوف ، وتقليب وجوههم : تصريفها فى جهة النار كما تدور البضعة فى القدر إذا غلت من جهة إلى جهة ، أوتغيرها عن أحوالها (لاتكونوا كالذين آذوا موسى) هم قوم من بنى إسرائيل ، وإذايتهم له : ماورد فى الحديث أن بنى إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل فقالوا إنه لآدر ، فاغتسل موسى يوما وحده وجعل ثيابه على حجر ففر الحجر بثيابه ، واتبعه موسى وهو يقول ثوبى حجر ثوبى حجر ، فمر فى أتباعه على ملأ من بنى إسرائيل فرأوه سليما مما قالوا ، فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا ، وقيل إذايتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون ، فبعث الله ملائكة فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر فبرأ الله موسى ، وروى أن الله أحياه فأخبرهم ببراءة موسى ، والقول الأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح (قولا سديدا) قيل يعنى لاإله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الأمانة هى التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصى، وقيل هى الأمانة فى الأموال ، وقيل غسل الجنابة ، والصحيح العموم فى التكاليف، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون الله خلق لها إدراكا فعرضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها وامتنعت من حملها ، والثانى أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة ، وأنها من الثقل بحيث لوعرضت على السموات والأرض والجبال ، لأبين من حملها وأشفقن منها ، فهذا ضرب من المجاز كقولك عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله ، والمراد أنها لاتقدر على حمله (وحملها الإنسان) أى التزم الانسان القيام بالتكاليف مع شدة ذلك وصعوبته على الأجرام التى هى أعظم منه ، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول ، والانسان هنا جنس ، وقيل يعنى آدم ، وقيل قابيل الذى قتل أخاه (ليعذب) اللام للصيرورة ، فإن حمل الأمانة : كان سبب تعذيب

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝

سـورة سبإ

مكية إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ نزلت بعدلقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَٰطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ

المنافقين والمشركين ، ورحمة للمؤمنين

سـورة سبأ

(وله الحمد فى الآخرة) يحتمل أن يكون الحمد الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة ، وعلى هذا حمله الزمخشرى ويحتمل عندى أن يكون الحمل الأول للعموم والاستغراق ، فجمع الحمد فى الدنيا والآخرة ، ثم جرد منه الحمد فى الآخرة كقوله فاكهة ونخل ورمان ، ثم إن الحمد فى الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس أو يريد به قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أو الحمد لله الذى صدقنا وعده (مايلج فى الأرض) أى يدخل فيها من المطر والأموات وغير ذلك (ومايخرج منها) من النبات وغيره (وماينزل من السماء) من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك (وما يعرج فيها) أى يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) روى أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب (لا يعزب) أى لا يغيب ولا يخفى (ولا أصغر) معطوف على مثقال ؛ وقال الزمخشرى هو مبتدأ ، لأن حرف الاستثناء من حروف العطف ، ولا خلاف بين القراء السبعة فى رفع أصغر وأكبر فى هذا الموضع ، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة ، وإنما الخلاف فى يونس (فى كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ (ليجزى) متعلق بقوله لتأتينكم أو بقوله لايعزب أو بمعنى قوله فى كتاب مبين (والذين سعوا) مبتدأ وخبره الجملة بعده ، وقال ابن عطية: هو معطوف على الذين الأول ، وقد ذكر فى الحج معنى سعوا ، ومعاجزين (أليم) بالرفع صفة لعذاب ، وبالخفض صفة لرجز (ويرى) معطوف على ليجزى أو مستأنف ، وهذا أظهر (الذين أوتوا العلم) هم الصحابة أو من أسلم من أهل الكتاب ، أو على العموم (الحق) مفعول ثان ليرى ، لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم والضمير ضمير فصل (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنى محمداً صلى الله

كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ
جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۞ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ
عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ
فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ
عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ

عليه وسلم (ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد) معنى مزقتم أى بليتم فى القبور و تقطعت أوصالكم وكل ممزق مصدر ، والخلق الجديد : هو الحشر فى القيامة ، والعامل فى إذا معنى إنكم لفى خلق جديد ، لأن معناه تبعثون إذا مزقتم ، وقيل العامل فيه فعل مضمر مقدر قبلها وذلك ضعف ، وإنكم لفى خلق جديد معمول ينبئكم وكسرت اللام التى فى خبرها ومعنى الآية أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتم فى الأرض ، ومرادهم استبعاد الحشر (أفترى على الله) هذا من جملة كلام الكفار ، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب) هذا رد عليهم : أى أنه لم يفتر على الله الكذب وليس به جنة بل هؤلاء الكفار فى ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب ، ويحتمل أن يريد بالعذاب عذاب الآخرة ، أو العذاب فى الدنيا بمعاندة الحق ، ومحاولة ظهور الباطل (أفلم يروا إلى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) الضمير فى يروا للكفار المنكرين للبعث ، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم ، لأنهما محيطتان بهم ، والمعنى ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلمون أن الذى خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم ، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم ثم فسره بقوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء : أى أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم فيعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله (إن فى ذلك لآية) الإشارة إلى إحاطة السماء بهم أو إلى عظمة السماء والأرض بأن فيهما آية تدل على البعث (ياجبال أوبى معه) تقديره : قلنا ياجبال ، والجملة تفسير للفضل ، ومعنى أوبى سبحى ، وأصله من التأويب ، وهو الترجيع ، لأنه كان يرجع التسبيح فترجعه معه : وقيل هو من التأويب بمعنى السير بالنهار ، وقيل كان ينوح فتساعده الجبال بصداها ، والطير بأصواتها (والطير) بالنصب عطف على موضع ياجبال ، وقيل مفعول معه ، وقيل معطوف على فضلا ، وقرئ بالرفع عطف على لفظ ياجبال (وألنا له الحديد) أى جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين ، وقيل لان له الحديد لشدة قوته (سابغات) هى الدروع الكاسية (وقدر فى السرد) معنى السرد هنا نسج الدروع ، وتقديرها أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها ، وقيل لا يجعل المسمار دقيقا ولا غليظا (واعملوا صالحا) خطاب لداود وأهله (ولسليمان الريح) بالنصب على تقدير وسخرنا ، وقرئ بالرفع على الابتداء (غدوها شهر ورواحها شهر) أى كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر ، وبالعشى مسيرة شهر فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيها روى أربعة آلاف فارس فترفعه الريح ثم تحمله (وأسلنا له عين القطر) قال ابن عباس كانت تسيل له

لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ

باليمين عين من نحاس يصنع منها ماأحب ، والقطر النحاس ، وقيل القطر الحديد والنحاس وماجرى مجرى ذلك : كان يسيل له منه أربعة عيون ، وقيل المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود (نذقه من عذاب السعير) يعنى نار الآخرة ، وقيل كان معه ملك يضربهم بصوت من نار (محاريب) هى القصور ، وقيل المساجد وتماثيل قيل إنها كانت على غير صور الحيوان وقيل على صور الحيوان وكان ذلك جائزا عندهم (كالجواب) جمع جابية وهى البركة التى يجتمع فيها الماء (راسيات) أى ثابتات فى مواضعها لعظمها (اعملوا آل داود شكراً) حكاية ماقيل لآل داود ، وانتصب شكرا على أنه مفعول من أجله ، أومصدر فى موضع الحال تقديره شاكرين أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره اشكروا شكرا أومفعول به (وقليل من عبادى الشكور) يحتمل أن يكون مخاطبة لآل دواد أو مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم (دابة الأرض تأكل منسأته) المنسأة هى العصا ، وقرئ بهمز وبغير همز ، ودابة الأرض هى الأرضة وهى السوسة التى تأكل الخشب وغيره وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير وقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا نخر إلى الأرض واختصرنا كثيرا مما ذكره الناس فى هذه القصة لعدم صحته (تبينت الجن) من تبين الشىء إذا ظهر ، ومابعدها بدل من الجن ، والمعنى ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وقيل تبينت بمعنى علمت ، وأن ومابعدها مفعول به على هذه والمعنى علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب ، وتحققوا أن ذلك بعد التباس الأمر عليهم ، أو علمت الجن أن كفارهم لا يعلمون الغيب ، وأنهم كاذبون فى دعوى ذلك (فى العذاب المهين) يعنى الخدمة التى كانوا يخدمون سليمان وتسخيره لهم فى أنواع الأعمال ، والمعنى لو كانت الجن تعلم الغيب ماخفى عليهم موت سليمان (لقد كان لسبإ فى مسكنهم آية) سبأ قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذى تناسلت منه ، وقيل باسم أمها ، وقيل باسم موضعها ، والأول أشهر ، لأنه ورد فى الحديث وكانت مساكنهم بين الشام واليمن (جنتان عن يمين وشمال) كان لهم واد وكانت الجنتان عن يمينه وشماله وجنتان بدل من آية أو مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف (كلوا) تقديره قيل لهم كلوا من رزق ربكم قالت لهم ذلك الأنبياء ، وروى أنهم بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم (بلدة طيبة) أى كثيرة الأرزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام (فأعرضوا) أى أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الأنبياء (فأرسلنا عليهم سيل العرم) كان لهم سد يمسك الماء ليرتفع فتسقى به الجنتان ، فأرسل الله على السد الجرذ وهى دويبة خربته فيبست الجنتان ، وقيل لما خرب السد حمل السيل الجنتان وكثير من الناس واختلف فى معنى العرم : فقيل هو السد ، وقيل هو اسم ذلك الوادى بعينه ، وقيل معناه الشديد ، فكأنه صفة

نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ * قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ

للسيل من العرامة ، وقيل هو الجرذ الذى خرب السد ، وقيل المطر الشديد (أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل) الأكل بضم الهمزة المأكول ، والخمط شجر الأراك ، وقيل كل شجرة ذات شوك ، والأثل شجر يشبه الطرفا والسدر شجر معروف ، وإعراب خمط بدل من أكل أو عطف بيان وقرئ بالإضافة وأثل عطف على الأكل لا على خمط ، لأن الأثل لا أكل له ، والمعنى أنه لما أهلكت الجنتان المذكورتان قيل أبدلهم الله منهما جنتين بضد وصفهما فى الحسن والأرزاق (وهل نجازى إلا الكفور) معناه لا يناقش ويجازى بمثل فعله إلا الكفور لأن المؤمن قد يسمح الله له ويتجاوز عنه (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة) هذه الآية وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجىء السيل وهلاك جناتهم ، ويعنى بالقرى التى باركنا فيها الشام ، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام ، ومعنى ظاهرة يظهر بعضها من بعض لاتصالها ، وقيل مرتفعة فى الآكام ، وقال ابن عطية خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أى خارجها (وقدرنا فيها السير) أى قسمنا مراحل السفر ، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت فى قرية ويصبح فى أخرى ولا يخاف جوعا ولا عطشا ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ، ولا يخاف من أحد (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قرئ باعد وبعد بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب ، والمعنى أنهم بطروا النعمة وملوا العافية ، وطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا فى المفاوز ويتزودوا الأسفار ، فعجل الله إجابتهم وقرئ باعد بفتح العين على الخبر والمعنى أنهم قالوا إن الله باعد بين قراهم ، وذلك كذب وجحد للنعمة (وظلموا أنفسهم) يعنى بقولهم باعد بين أسفارنا أو بذنوبهم على الإطلاق (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم فى البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم ، قيل تفرقوا أيدى سبا ، وفى الحديث إن سبا أبو عشرة من القبائل ، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) أى وجد ظنه فيهم صادقا يعنى قوله لأغوينهم ، وقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين (قل ادعوا الذين زعمتم) تعجيز للمشركين وإقامة حجة عليهم ويعنى بالذين زعمتم آلهتهم ، ومفعول زعمتم محذوف أى زعمتم أنهم آلهة أو زعمتم أنهم شفعاء ، وروى أن ذلك نزل عند الجوع الذى أصاب قريشا (من شرك) أى نصيب والظهير المعين (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) المعنى لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، وقيل المعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الله أن يشفع فيه ، والمعنى أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله ، ففى ذلك رد على المشركين الذين كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم)

رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ

تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن هذه الآية فى الملائكة عليهم السلام فإنهم إذا سمعوا الوحى إلى جبريل يفزعون لذلك فزعا عظيما ، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق ، ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع والضمير فى قلوبهم وفى قالوا للملائكة ، فإن قيل : كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه ؟ فالجواب أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فذكر الشفاعة يقتضى ذكر الشافعين ، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دل عليهم لفظ الشفاعة ، فإن قيل : بم اتصل قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم ولأى شىء وقعت حتى غائية ؟ فالجواب أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارا للإذن ، وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالإذن فى الشفاعة ، ويقرب هذا المعنى من قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم هى فى الكفار بعد الموت ، ومعنى فزع عن قلوبهم رأوا الحقيقة ، فقيل لهم ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق فيقرون حين لا ينفعهم الإقرار ، والصحيح أنها فى الملائكة لورود ذلك فى الحديث ، ولأن القصد الرد على الكفار ، الذين عبدوا الملائكة ، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له (قل من يرزقكم) سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين (قل الله) جواب عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه ، ولذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) هذه ملاطفة وتنزل فى المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل ولا تعين بالتصريح أحدهما ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل ، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى وأن الكفار على ضلال مبين (قل لا تسألون عما أجرمنا) إخبار يقتضى مسالمة نسخت بالسيف (يفتح بيننا) أى يحكم ، والفتاح الحاكم (قل أرونى الذى ألحقتم به شركاء) إقامة حجة على المشركين ، والرؤية هنا رؤية قلب فشركاء مفعول ثالث ، والمعنى أرونى بالدليل والحجة من هم له شركاء عندكم ، وكيف وجه الشركة ، وقيل هى رؤية بصر ، وشركاء حال من المفعول فى ألحقتم كأنه قال أين الذين تعبدون من دونه وفى قوله أرونى تحقير للشركاء وازدراء بهم ، وتعجيز للمشركين ، وفى قوله كلا ردع لهم عن الإشراك ، وفى وصف الله بالعزيز الحكيم : رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك (وما أرسلناك إلا كافة للناس) المعنى أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، وهذه إحدى الخصال التى أعطاه الله دون سائر الأنبياء ، وإعراب كافة حال من الناس قدمت للاهتمام ، هكذا قال ابن عطية ، وقال الزمخشرى ذلك خطأ لأن تقدم حال المجرور

إن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوٓا أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِالَّتِى

عليه لايجوز ، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلا رسالة عامة للناس ، فكافة صفة للمصدر المحذوف، وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس فى الإنذار والتبشير ، فجعله حالا من الكاف ، والتاء على هذا للمبالغة كالتاء فى راوية وعلامة (قل لكم ميعاد يوم) يعنى يوم القيامة ، أو نزول العذاب بهم فى الدنيا ، وهو الذى سألوا عنه على وجه الاستخفاف ، فقالوا متى هذا الوعد (ولا بالذى بين يديه) يعنى الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما فى التوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الذى بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ وعكس لأن الذى بين يدى الشىء هو ما تقدم عليه (ولو ترى) جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما (يرجع بعضهم إلى بعض القول) أى يتكلمون ويجيب بعضهم بعضا (بل كنتم مجرمين) أى كفرتم باختياركم لا بأمرنا (بل مكر الليل والنهار) المعنى أن المستضعفين قالوا للمستكبرين بل مكركم بنا فى الليل والنهار سبب كفرنا وإعراب مكر مبتدأ وخبره محذوف ، أو خبر ابتداء مضمر ، وأضاف مكر إلى الليل والنهار على وجه الاتساع ، ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز : كقولهم نهاره صيام وليله قيام أى يصام فيه ويقام ، ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار ، فإن قيل : لم أثبت الواو فى قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا ؟ فالجواب أنه قد تقدم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك فعطف عليه كلامهم الثانى ، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه (وأسروا الندامة) أى أخفوها فى نفوسهم ، وقيل أظهروها فهو من الأضداد ، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين (مترفوها) يعنى أهل الغنى والتنعم فى الدنيا وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء ، والقصد بالآية تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على تكذيب أكابر قريش له (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) الضمير لقريش أو للمترفين المتقدمين : قاسوا أمر الدنيا على الآخرة ، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد فى الدنيا لا يعذبهم فى الآخرة (قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه فى الدنيا معلق بمشيئة الله ، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصى ويضيق على المؤمن والمطيع ، وبالعكس ، فليس

تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ
ءَامِنُونَ * وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ
أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ * فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ
ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝
وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟
مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ

فى ذلك دليل على أمر الآخرة (زلفى) مصدر بمعنى القرب كأنه قال تقربكم قربى (إلا من آمن) استثناء من المفعول فى تقربكم، والمعنى أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله، وقيل الاستثناء منقطع، والأول أحسن (جزاء الضعف) يعنى تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك (يبسط الرزق) الآية: كررت لاختلاف القصد، فإن القصد بالأول على الكفار، والقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإنفاق (فهو يخلفه) الخلف قد يكون بمال أو بالثواب (أنت ولينا من دونهم) براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم، وليس فى ذلك نفى لعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) عبادتهم للجن طاعتهم لهم فى الكفر والعصيان، وقيل كانوا يدخلون فى جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم عبدوا الجن لقوله وجعلوا الله شركاء الجن (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) الآية: فى معناها وجهين: أحدهما ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه؛ فأقوالهم باطلة إذ لا حجة لهم عليها، فالقصد على هذا رد عليهم، والآخر أنهم ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير فهم محتاجون إلى من يعلمهم وينذرهم، ولذلك بعث الله إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم، فالقصد على هذا إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) المعشار العشر، وقيل عشر العشر، والأول أصح، والضمير فى بلغوا لكفار قريش، وفى آتيناهم للكتب المتقدمة أى أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال، وقيل الضمير فى بلغوا المتقدمين، وفى آتيناهم لقريش: أى ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة، والأول أصح وهو نظير قوله كانوا أشد منهم قوة (فكيف كان نكير) أى إنكارى يعنى عقوبة الكفار المتقدمين، وفى ذلك تهديد لقريش (قل إنما أعظكم بواحدة) أى بقضية واحدة تقريبا عليكم (أن تقوموا لله) هذا تفسير القضية الواحدة وأن تقوموا بدل أو عطف بيان أو خبر ابتداء مضمر، ومعناه أن تقوموا للنظر فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم قياما خالصا لله تعالى ليس

وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ قُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ وَقَالُوٓا ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

فيه اتباع هوى ولا ميل . وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما المراد القيام بالأمر والجد فيه (مثنى وفرادى) حال من الضمير فى تقوموا ، والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين للمناظرة فى الأمر وطلب التحقيق وتقوموا واحداً واحداً لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تتفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتعلموا أن ما به من جنة لأنه جاء بالحق الواضح ، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومتانة علمه ، وأنه بالغ فى الحكمة مبلغاً عظيماً ، فيدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله (ما بصاحبكم من جنة) متصل بما قبله على الأصح : أى تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ، وقيل هو استئناف (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم) هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتنى شيئا فخذه ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ، ولكنه يريد البراءة من عطائه ، وكذلك معنى هذا ، فهو كقولك قل ما أسألكم عليه من أجر (قل إن ربى يقذف بالحق) القذف الرمى ويستعار للإلقاء ، فالمعنى يلقى الحق إلى أصفيائه أو يرمى الباطل بالحق فيذهبه (علام الغيوب) خبر ابتداء مضمر أو بدل من الضمير فى يقذف أو من اسم إن على الموضع (قل جاء الحق) يعنى الاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) الباطل الكفر ، ونفى الابداء والاعادة ، على أنه لا يفعل شيئا ولا يكون له ظهور أو عبارة عن ذهابه كقوله جاء الحق وزهق الباطل ، وقيل الباطل الشيطان (إنه سميع قريب) يعنى قربه تعالى بعلمه وإحاطته (ولو ترى إذ فزعوا) جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيما ، أو معنى فزعوا أسرعوا إلى الهروب ، والفعل ماض بمعنى الاستقبال ، وكذلك ما بعده من الأفعال ، ووقت الفزع البعث ، وقيل الموت ، وقيل يوم بدر (فلا فوت) أى لا يفوتون الله إذ هربوا (وأخذوا من مكان قريب) يعنى من الموقف إلى النار إذا بعثوا ، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا ، أو من أرض بدر إلى القليب ، والمراد على كل قول سرعة أخذهم (وقالوا آمنا به) أى قالوا ذلك عند أخذهم والضمير المجرور لله تعالى أو للنبى صلى الله عليه وسلم ، أو للقرآن أو للإسلام (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش بالواو التناول إلا أن التناوش تناول قريب سهل لشىء قريب ، وقرئ بهمز الواو فيحتمل أن يكون المعنى واحداً ويكون المهموز بمعنى الطلب ، ومعنى الآية استبعاد وصولهم إلى مرادهم ، والمكان البعيد : عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون ما لا يكون ، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون وهو رجوعهم إلى الدنيا أو انتفاعهم بالايمان حينئذ (وقد كفروا به) الضمير يعود على ما عاد عليه قولهم آمنا به (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) يقذفون فعل ماض فى المعنى معطوف على كفروا ، ومعناه أنهم يرمون بظنونهم فى

مَايَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝

سـورة فاطر

مكية وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَٰئِكَةِ رُسُلًا أُولِى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا

الأمور المغيبة فيقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ، ويقولون فى الرسول عليه الصلاة والسلام إنه ساحر أو شاعر . والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبعد أقوالهم عن الحق (وحيل بينهم وبين مايشتهون) أى حيل بينهم وبين دخول الجنة ، وقيل حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ ، وقيل حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها (كما فعل بأشياعهم من قبل) يعنى الكفار المتقدمين وجعلهم أشياعهم لاتفاقهم فى مذاهبهم ومن قيل يحتمل أن يتعلق بفعل ، أوبأشياعهم على حسب معنى ماقبله (فى شك مريب) هو أقوى الشك وأشده إظلاما

سـورة فاطر

(جاعل الملائكة رسلا) أى وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين فى أمر الله (مثنى وثلاث ورباع) صفات للأجنحة ولم ينصرف للعدل والوصف ، والمعنى أن الملائكة منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة أجنحة (يزيد فى الخلق مايشاء) قيل يعنى حسن الصوت ، وقيل حسن الوجه ، وقيل حسن الخط ، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة ، أويكون على الإطلاق فى كل زيادة فى المخلوقين (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الفتح عبارة عن العطاء والإمساك عبارة عن المنع ، والإرسال الإطلاق بعد المنع والرحمة ، كل مايمن الله به على عباده من خيرى الدنيا والآخرة فمعنى الآية : لامانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع الله ، فإن قيل لم أنث الضمير فى قوله فلا ممسك لها وذكره فى قوله فلا مرسل له وكلاهما يعود على ما الشرطية ، فالجواب : أنه لما فسر من الأولى بقوله من رحمة أنثه لتأنيث الرحمة ، وترك الآخر على الأصل من التذكير (من بعده) أى من بعد إمساكه (هل من خالق غير الله) رفع غير على الصفة لخالق على الموضع وخفضه صفة على الرفع ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات ، والمعنى تذكير بنعم الله وإقامة حجة على المشركين ، ولذلك أعقبه بقوله لاإله إلا هو (وإن يكذبوك) الآية : تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ
فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ
وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝ وَٱللَّهُ
خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن

على تكذيب قومه كأنه يقول إن يكذبوك فلا تحزن لذلك فإن الله سينصرك عليهم كما كذبت رسل من قبلك فنصرهم الله (الغرور) الشيطان ، وقيل التسويف (أفمن زين له سوء عمله) توقيف وجوابه محذوف تقديره : أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له ، ثم بنى على ذلك مابعده ، فالذى زين له سوء عمله هو الذى أضله الله ، ومن لم يزين له سوء عمله هو الذى هداه الله (فلاتذهب نفسك عليهم حسرات) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن حزنه لعدم إيمانهم ، لأن ذلك بيد الله (كذلك النشور) أى الحشر ، والمعنى كما يحيى الله الأرض بالنبات كذلك يحيي الموتى (من كان يريد العزة) الآية تحتمل ثلاثة معان : أحدها وهو الأظهر من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله ، فإن العزة كلها لله ، والثانى من كان يريد العزة بمغالبة الاسلام فلله العزة جميعاً ، فالمغالب له مغلوب ، والثالث من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعا (إليه يصعد الكلم الطيب) قيل يعنى لاإله إلا الله ، واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر ، والدعاء ، وتلاوة القرآن ، وتعليم العلم : فالعموم أولى (والعمل الصالح يرفعه) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن ضمير الفاعل فى يرفعه : الله ، وضمير المفعول للعمل الصالح ، فالمعنى على هذا أن الله يرفع العمل الصالح : أى يتقبله ويثيب عليه ، والثانى أن ضمير الفاعل للكلام الطيب ، وضمير المفعول للعمل الصالح ، والمعنى على هذا لا يقبل عمل صالح إلا ممن له كلام طيب ، وهذا يصح إن قلنا إن الكلم الطيب لاإله إلا الله ، لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد ، والثالث أن ضمير الفاعل للعمل الصالح ، وضمير المفعول للكلم الطيب ، والمعنى على هذا أن العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب فلا يقبل الكلم إلا ممن له عمل صالح ، روى هذا المعنى عن ابن عباس واستبعده ابن عطية وقال لم يصح عنه لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم قال وقد يستقيم بأن يتأول أن الله يزيد فى رفعه وحسن موقعه (يمكرون السيئات) لا يتعدى مكر فتأويله يمكرون المكرات السيئات فتكون السيئات مصدراً أو تضمن يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولا والاشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اجتمعوا فى دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه (ومكر أولئك هو يبور) البوار الهلاك أو الكساد ومعناه هنا أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم (ثم جعلكم أزواجا) أى أصنافا وقيل ذكرانا وإناثا وهذا أظهر (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) التعمير طول العمر والنقص قصره والكتاب اللوح المحفوظ فإن قيل إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد فكيف

مُعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى

أعاد الضمير فى قوله ولا ينقص من عمره على الشخص المعمر فالجواب من ثلاثة أوجه الأول وهو الصحيح أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب فوضع من معمر موضع من أحد وليس المراد شخصاً واحداً وإنما ذلك كقولك لا يعاقب الله عبدا ولا يثيبه إلا بحق والثانى أن المعنى لا يزاد فى عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب وذلك أن يكتب فى اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون ، وهذا ظاهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلة الرحم تزيد فى العمر ، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية ، وقد قال كعب حين طعن عمر : لو دعا الله لزاد فى أجله ، فأنكر الناس عليه فاحتج بهذه الآية والثالث أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر والنقص هو كتب ما مضى منه فى اللوح المحفوظ وذلك حق كل شخص (وما يستوى البحران) قد فسرنا البحرين الفرات والأجاج فى الفرقان ، وسائغ فى النحل ، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده وقال الزمخشرى إن المعنى أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر وهذا بعيد (لحماً طريا) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجوهر والمرجان ، فإن قيل : إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب فكيف قال ومن كل أى من كل واحد منهما ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أن ذلك تجوز فى العبارة كما قال «يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم» والرسل إنما هى من الإنس الثانى أن المرجان إنما يوجد فى البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر فلما كانت الأنهار والمطر وهى البحر العذب تنصب فى البحر الملح كان الإخراج منهما جميعا . الثالث زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب وهذا قول يبطله الحس (مواخر) ذكر فى النحل (يولج) ذكر فى لقمان (قطمير) هو القشر الرقيق الأبيض الذى على نوى التمر والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف أكثرها (يكفرون بشرككم) أى بإشراككم فالمصدر مضاف للفاعل وكفر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون بكلام يخلقه الله عندها أو بقرينة الحال (ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر عالم به يعنى نفسه تعالى فى إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدهم (أنتم الفقراء إلى الله) خطاب لجميع الناس وإنما عرف الفقر بالألف واللام ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم ثم وصف نفسه بأنه الغنى فى مقابلة وصفهم بالفقر ووصفه بأنه

اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا
تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي
الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ

الحميد ليدل على جوده و كرمه الذى يوجب أن يحمده عباده (وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء) الحمل عبارة عن الذنوب والمثقلة الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب والمعنى أنها لودعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها وحذف مفعول إن تدع لدلالة المعنى وقصد العموم وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله ولاتزر وازرة وزر أخرى (ولوكان ذاقربى) المعنى ولو كان المدعو ذا قربى ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل منه شيئا لأن كل واحد يقول نفسى نفسى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم) المعنى أن الإنذار لاينفع إلا الذين يخشون ربهم وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار (بالغيب) فى موضع حال من الفاعل فى يخشون أى يخشون ربهم وهم غائبون عن الناس فخشيتهم حق لارياء (وما يستوى الأعمى والبصير) تمثيل للكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) تمثيل للكفر والإيمان (ولا الظل ولا الحرور) تمثيل للثواب والعقاب وقيل الظل الجنة والحرور النار. والحرور فى اللغة شدة الحر بالنهار والليل والسموم بالنهار خاصة (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) تمثيل لمن آمن فهو كالحى ومن لم يؤمن فهو كالميت (إن الله يسمع من يشاء) عبارة عن هداية الله لمن يشاء (وما أنت بمسمع من فى القبور) عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشبههم بالموتى فى عدم إحساسهم وقيل المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لايسمعون فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء وقداستدلت عائشة بالآية على أن الموتى لايسمعون وأنكرت ماورد فى خطاب النبى صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر حين جعلوا فى القليب ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث بأن الموتى فى القبور إذا ردت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا وإن لم ترد لم يسمعوا (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة ألاترى أن بين عيسى ومحمدا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ستمائه سنة لم يبعث فيها نبى؟ فالجواب أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك؟ فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم وأيضا فإن المراد بقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست ببدع فلا ينبغى أن تنكر لأن الله أرسله كما أرسل من قبله والمراد بقوله لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما (وإن يكذبوك) الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم للتأسى (نكير) ذكر فى سبأ (ثمرات مختلفا ألوانها) يريد الصفرة

وَبِالْكِتَٰبِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ
وَالدَّوَآبِّ وَالْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ
يَتْلُونَ كِتَٰبَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝ وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم
مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

والحمرة وغير ذلك من الألوان وقيل يريد الأنواع والأول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك وفى الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار، يخلق مايشاء ويختار وفيه رد على الطبائعيين لأن الطبيعة لايصدر عنها إلا نوع واحد (جدد) جمع جدة وهى الخطط والطرائق فى الجبال (وغرابيب) جمع غربيب وهو الشديد السواد وقدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد ولأن ذلك كثيرا مايأتى فى كلام العرب (كذلك) يتعلق بما قبله فيتم الوقف عليه والمعنى أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه مثل الجبال المختلف ألوانها والثمرات المختلف ألوانها وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته (إنما يخشى الله من عباده العلماء) يعنى العلماء بالله وصفاته وشرائعه علما يوجب لهم الخشية من عذابه وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه فلذلك خص العلماء بالخشية (إن الذين يتلون كتاب الله) أى يقرؤن القرآن وقيل معنى يتلون يتبعون والخبر يرجون تجارة أو محذوف (لن تبور) أى لن تكسد ويعنى بالتجارة طلب الثواب (ويزيدهم من فضله) توفية الأجور وهو مايستحقه المطيع من الثواب والزيادة التضعيف فوق ذلك، وقيل الزيادة النظر إلى وجه الله (مصدقا لما بين يديه) تقدم فى البقرة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم والتوريث عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين هذه الأصناف الثلاثة فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصى والسابق التقى والمقتصد بينهما وقال الحسن: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وجميعهم يدخلون الجنة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له، وقيل الظالم الكافر والمقتصد المؤمن العاصى والسابق التقى فالضمير فى منهم على هذا يعود على العباد وأما على القول الأول فيعود على الذين اصطفينا وهو أرجح وأصح لوروده فى الحديث، وجلالة القائلين به، فإن قيل: لم قدم الظالم ووسط المقتصد وأخر السابق؟ فالجواب: أنه قدم الظالم لنفسه رفقاً به لئلا ييئس وأخر السابق لئلا يعجب بنفسه، وقال

من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ۝ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ۝ الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ۝ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور ۝ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ۝ إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور ۝ هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا ۝ قل أرءيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم ءاتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا ۝ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا ۝

الزمخشرى : قدم الظالم لكثرة الظالمين وأخر السابق لقلة السابقين (ذلك هو الفضل الكبير) إشارة إلى الاصطفاء (جنات عدن) بدل من الفضل أو خبر مبتدأ تقديره ثوابهم جنات عدن أو مبتدأ تقديره لهم جنات عدن (يدخلونها) ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية فى هذه الأمة : وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة وقال الزمخشرى : إنه يعود على السابق خاصة وذلك على قول المعتزلة فى الوعيد (أساور) ذكر فى الحج (أذهب عنا الحزن) قيل هو عذاب النار، وقيل أهوال القيامة وقيل هموم الدنيا والصواب العموم فى ذلك كله (دار المقامة) هى الجنة والمقامة هى الإقامة، والموضع وإنما سميت الجنة دار المقامة، لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها (نصب) النصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن (يصطرخون) يفتعلون من الصراخ أى يستغيثون فيقولون ربنا أخرجنا وفى قولهم غير الذى كنا نعمل اعتراف بسوء عملهم وتندم عليه (أو لم نعمركم) الآية توبيخ لهم وإقامة حجة عليهم وقيل إن مدة التذكير ستون سنة وقيل أربعون وقيل البلوغ والأول أرجح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر اليه فى العمر (وجاءكم النذير) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل يعنى الشيب لأنه نذير بالموت والأول أظهر (إنه عليم بذات الصدور) أى بما تضمره الصدور وتعتقده، وقال الزمخشرى ذات هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب لأن المضمرات تصحب الصدور (خلائف) ذكر فى الأنعام (مقتا) المقت احتقار الإنسان وبغضه لأجل عيوبه أو ذنوبه (قل أرأيتم شركاءكم) الآية احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم (أم لهم شرك) أى نصيب (على بينة) أى على أمر جلى والضمير فى أتيناهم يحتمل أن يكون للأصنام أو للمشركين وهذا أظهر فى المعنى والأول أليق بما قبله من الضمائر (أن تزولا) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تزولا أو مفعول به لأن يمسك بمعنى يمنع (ولئن زالتا) أى لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد وقيل أراد زوالهما يوم القيامة عند طى

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا *

سورة يس

مكية إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *

السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال (من بعده) أى من بعد تركه الإمساك (وأقسموا بالله) الضمير لقريش وذلك أنهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدى منهم (إحدى الأمم) يعنى اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول من أجله (ومكر السيئ) هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع وجانب الغربى والأصل أن يقال المكر السيئ (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) أى لا يحيط وبال المكر السيء إلا بمن مكره ودبره، وقال كعب لابن عباس إن فى التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها فقال ابن عباس أنا أجد هذا فى كتاب الله: ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) أى هل ينتظرون إلا عادة الأمم المتقدمة فى أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى لا يفوته شيء ولا يصعب عليه (ما ترك على ظهرها من دابة) الضمير للأرض والدابة عموم فى كل ما يدب، وقيل أراد بنى آدم خاصة (إلى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة وباقى الآية وعد ووعيد:

سورة يس

قد تكلمنا فى البقرة على حروف الهجاء وقيل فى يس إنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يا إنسان (تنزيل) بالرفع خبر ابتداء مضمر وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمر (لتنذر قوما) هم قريش ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم (ما أنذر آباؤهم) ما نافية والمعنى لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم، وقيل المعنى لتنذر قوما مثل ما أنذر آباؤهم، فما على هذا موصولة بمعنى الذى أو مصدرية والأول أرجح لقوله (فهم غافلون) يعنى أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم وتكون بمعنى قوله ما أتاهم من نذير من قبلك

إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ

ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقربون (لقد حق القول) أى سبق القضاء (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) الآية : فيها ثلاثة أقوال : الأول أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان ، فشبههم بمن جعل فى عنقه غل يمنعه من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى ، والثانى أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبى صلى الله عليه وسلم حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزعا مرعوبا ، والثالث أن ذلك حقيقة فى حالهم فى جهنم ، والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها «فهم لا يؤمنون » وقوله بعدها «وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (فهى إلى الأذقان) الذقن هى طرف الوجه حيث تنبت اللحية ، والضمير للأغلال ، وذلك أن الغل حلقة فى العنق ، فإذا كان واسعا عريضا وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول ، وقيل الضمير للأيدى على أنها لم يتقدم لها ذكر ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، لأن المغلول تضم يداه فى الغل إلى عنقه ، وفى مصحف ابن مسعود . إنا جعلنا فى أيديهم أغلالا فهى إلى الأذقان . وهذه القراءة تدل على هذا المعنى ، وقد أنكره الزمخشرى (فهم مقمحون) يقال قمح البعير إذا رفع رأسه ، وأقمحه غيره إذا فعل به ذلك ، والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رءوسهم إلى الارتفاع ، وقيل معنى مقمحون ممنوعون من كل خير (وجعلنا من بين أيديهم سدا) الآية : السد الحائل بين الشيئين ، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان (فأغشيناهم) أى غطينا على أبصارهم وذلك أيضا مجاز يراد به إضلالهم (وسواء عليهم) الآية : ذكرنا معناها وإعرابها فى البقرة (إنما تنذر من اتبع الذكر) المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) معناه كقولك إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وقد ذكرناه فى فاطر (إنا نحن نحيى الموتى) أى نبعثهم يوم القيامة ، وقيل إحياؤهم إخراجهم من الشرك إلى الايمان ، والأول أظهر (ونكتب ماقدموا وآثارهم) أى ماقدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحبيس حبسوه ، وقيل الأثر هنا : الخطا إلى المساجد ، وجاء ذلك فى الحديث (إمام مبين) أى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال (واضرب لهم مثلا) الضمير لقريش ، ومثلا وأصحاب القرية مفعولان باضرب على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين ، وهو الصحيح والقرية أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله ، وقيل بل هم رسل أرسلهم الله ، ويدل على هذا قول قومهم ماأنتم إلا بشر مثلنا ، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله (فعززنا بثالث) أى قوينا الاثنين برسول ثالث ، قيل اسمه شمعون (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) إنما أكدوا الخبر هنا باللام لأنه جواب المنكرين بخلاف

مِن شَىْءٍ إِن أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ۝ قَالُوٓا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالُوا طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ * إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝ قِيلَ ٱدْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ۝ يَٰحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ

الموضع الأول فإنه إخبار مجرد (قالوا إنا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا بكم، وأصل اللفظة من زجر الطير ليستدل على مايكون من شر أو خير، وإنما تشاءموا بهم لأنهم جاؤهم بدين غير دينهم وقيل وقع فيهم الجذام لما كفروا، وقيل قحطوا (قالوا طائركم معكم) أى قال الرسل لأهل القرية شؤمكم معكم: أى إنما الشؤم الذى أصابكم بسبب كفركم لا بسببنا (أئن ذكرتم) دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط وفى الكلام حذف تقديره أتطيرون أن ذكرتم (يسعى) أى يسرع بجده ونصيحته، وقيل اسمه حبيب النجار (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) أى هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجرة على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون معهم الاهتداء فى دينكم (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) المعنى أى شىء يمنعنى من عبادة ربى وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه، ولذلك قال وإليه ترجعون فخاطبهم (إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم) هذا وصف للآلهة، والمعنى كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذونى من الضر (إنى إذاً لفى ضلال مبين) أى إن اتخذت آلهة غير الله فإنى لفى ضلال مبين (إنى آمنت بربكم فاسمعون) خطاب لقومه أى اسمعوا قولى واعملوا بنصيحتى، وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له (قيل ادخل الجنة) قيل هنا محذوف يدل عليه الكلام، وروى فى الأثر وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه فلما مات قيل له ادخل الجنة، واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك ورد فى الحديث أنه نصح لهم حياً وميتاً، وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفعهم ذلك (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) المعنى أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل ولم يحتج فى تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك، وقيل المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلا كما قالت قريش لو لا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بعد ذلك (وما كنا منزلين) ما كنا لنرسل جنداً من السماء على أحد (فإذا هم خامدون) أى ساكنون لا يتحركون

أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا
مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ
وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ وَخَلَقْنَا

ولا ينطقون (ياحسرة على العباد) نداء للحسرة كأنه قال ياحسرة احضرى فهذا وقتك ، وهذا التفجع عليهم استعارة فى معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسل ، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة أو المؤمنين من الناس ، وقيل المعنى ياحسرة العباد على أنفسهم (ألم يروا) الضمير لقريش أوللعباد على الإطلاق والرؤية هنا بمعنى العلم (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) قرئ لما بالتخفيف وهى لام التأكيد دخلت على ما المزيدة وإن على هذا مخففة من الثقيلة ، وقرئ بالتشديد وهى بمعنى إلا ، وإن على هذا نافية (وماعملته أيديهم) ما معطوفة على ثمره أى ليأكلوا من الثمر وماعملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة ، وقيل ما نافية وقرئ ماعملت من غيرهاء وماعلى هذا معطوفة (الأزواج) يعنى أصناف المخلوقات ثم فسرها بقوله مما تنبت الأرض وما بعده ، فمن فى المواضع الثلاثة للبيان (ومما لا يعلمون) يعنى أشياء لا يعلمها بنوآدم كقوله ويخلق مالا تعلمون (نسلخ منه النهار) أى نجرده منه وهى استعارة (والشمس تجرى لمستقرلها) أى لحدموقت تنتهى إليه من فلكها وهى نهاية جريها إلى أن ترجع فى المنقلبين الشتاء والصيف ، وقيل مستقرها وقوفها كل وقت زوال ، بدليل وقوف الظل حينئذ ، وقيل مستقرها يوم القيامة حين تكوّر ، وفى الحديث مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها ، وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ، وقرئ لامستقر لها أى لاتستقر عن جريها (والقمر قدرناه منازل) قرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على الليل ، وبالنصب على إضمار فعل ، ولابد فى قدرناه من حذف تقديره قدرنا سيره منازل ، ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستتر فى آخر الشهر ليلة أوليلتين ، وقال الزمخشرى وهذه المنازل هى مواضع النجوم : وهى السرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الزبرة ، الصرفة ، العوى ، السماك ، الغفر ، الزبانى ، الاكليل ، القلب ، الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد بلع ، سعد الذابح ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، فرغ الدلو المقدم ، فرغ الدلو المؤخر ، بطن الحوت (حتى عاد كالعرجون القديم) العرجون هو غصن النخلة شبه القمر به إذا انتهى فى نقصانه والتشبيه فى ثلاثة أوصاف : وهى الرقة ، والانحناء ، والصفرة ، ووصفه بالقديم لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف (لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) المعنى لايمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره ، وهكذا قال بعضهم ويحتمل أن يريد أن سير الشمس فى الفلك بطىء فإنها تقطع الفلك فى سنة وسير

لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً

القمر سريع ، فإنه يقطع الفلك فى شهر و البطىء لايدرك السريع (ولا الليل سابق النهار) يعنى أن كل واحد منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه فلا يأتى الليل حتى ينفصل النهار ، كما لا يأتى النهار حتى ينفصل الليل ، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهى القمر لاتسبق آية النهار وهى الشمس : أى لاتجتمع معه فيكون المعنى كالذى قيل فى قوله « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر » فحصل من ذلك أن الشمس لاتجتمع مع القمر وأن القمر لايجتمع مع الشمس (وكل فى فلك يسبحون) ذكر فى الأنبياء (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) معنى المشحون المملوء ، والفلك هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أو سفينة نوح عليه السلام ، وأما الذرية فقيل إنه يعنى الآباء الذين حملهم الله فى سفينة نوح عليه السلام ، وسمى الآباء ذرية لأنها تناسلت منهم ، وأنكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه يعنى النساء ، وهذا بعيد ، والأظهر أنه أراد بالفلك جنس السفن ، فيعنى جنس بنى آدم ، وإنما خص ذريتهم بالذكر لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم ، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة ، وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعنى بالذرية من كان فى السفينة ، وسماهم ذرية ، لأنهم ذرية آدم ونوح ، فالضمير فى ذريتهم على هذا النوع بنى آدم كأنه يقول الذرية منهم (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) إن أراد بالفلك سفينة نوح فيعنى بقوله من مثله سائر السفن التى يركبها سائر الناس ، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعنى بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات ، فتكون المماثلة على هذا فى أنه مركوب لاغير ، والأول أظهر ، لقوله وإن نشأ نغرقهم ، ولا يتصور هذا فى المركوبات غير السفن (فلا صريخ لهم) أى لا مغيث لهم ولا منقذ لهم من الغرق (إلا رحمة منا) قال الكسائى نصب رحمة على الاستثناء كأنه قال إلا أن نرحمهم ، وقال الزجاج نصب رحمة على المفعول من أجله كأنه قال إلا لأجل رحمتنا إياهم (ومتاعا إلى حين) يعنى آجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم) الضمير لقريش ، وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا يدل عليه إلا كانوا عنها معرضين ، والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ، وقيل ما بين أيديهم عذاب الأمم المتقدمة ، وما خلفهم عذاب الآخرة (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) كان النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يحضون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب ، وفى معناه قولان : أحدهما أنهم قالوا كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم ومن حرمهم الله نحن نحرمهم ، وهذا كقولهم كن مع الله على المدبر ، والآخر أن قولهم رد على المؤمنين ، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون إن الأمور كلها بيد الله ، فكأن الكفار يقولون لهم لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء فما بالكم تطلبون إطعامهم منا ، ومقصدهم فى الوجهين احتجاج لبخلهم ومنعهم الصدقات واستهزاء بمن حضهم على الصدقات (إن أنتم إلا فى ضلال مبين) يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطاباً للمؤمنين أو يكون

وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۞ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝ وَامْتَٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ اعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ ۞

من كلام الله خطابا للكافرين (ويقولون متى هذا الوعد) يعنون يوم القيامة أو نزول العذاب بهم (ماينظرون إلا صيحة واحدة) أى ماينتظرون إلا صيحة واحدة وهى النفخة الأولى فى الصور وهى نفخة الصعق (تأخذهم وهم يخصمون) أى يتكلمون فى أمورهم وأصل يخصمون يختصمون، ثم أدغم، وقرئ بفتح الخاء وبكسرها واختلاس حركتها (فلا يستطيعون توصية) أى لا يقدرون أن يوصوا بمالهم وما عليهم لسرعة الأمر (ولا إلى أهلهم يرجعون) أى لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر (ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) هذه النفخة الثانية وهى نفخة القيام من القبور ، والأجداث هى القبور ، وينسلون يسرعون المشى ، وقيل يخرجون (قالوا ياويلنا) الويل منادى أو مصدر (من بعثنا من مرقدنا) المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان قال أبىّ بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية هذا غير صحيح الإسناد ، وإنما الوجه فى معنى قولهم من مرقدنا : أنها استعارة وتشبيه به يعنى أن قبورهم شبهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد ، وإن لم يكن رقاد فى الحقيقة (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) هذا مبتدأ وما بعده خبر وقيل إن هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف ، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين يقولونها للكفار على وجه التقريع (إن كانت إلا صيحة واحدة) يعنى النفخة الثانية وهى نفخة القيام (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قيل هو افتضاض الأبكار ، وقيل سماع الأوتار ، والأظهر أنه عام فى الاشتغال باللذات (فاكهون) قرئ بالألف ومعناه أصحاب فاكهة ، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور (فى ظلال) جمع ظل، وبالضم جمع ظلة ، (على الأرائك) جمع أريكة وهى السرير (ولهم مايدعون) أى مايتمنون ، وقيل معناه أن مايدعون به يأتيهم (سلام) مبتدأ ، وقيل بدل مما يدعون (قولا) مصدر مؤكد ، والمعنى : أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك أو بغير واسطة (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى انفردوا عن المؤمنين ، وكونوا على حدة (جبلا كثيرا) الجبل الأمة العظيمة ، وقال الضحاك : أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها ، وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام ، وبضمهما مع التخفيف ، وبضم الجيم وإسكان الباء ، وهى لغات

لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۞ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟
مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۞ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۞ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ
أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ

بمعنى واحد (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعهم من الكلام فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) هذا تهديد لقريش ، والطمس على الأعين هو العمى ، والصراط الطريق وأنى استفهام يرادبه النفى . فمعنى الآية لو نشاء لأعميناهم فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه ، وقيل يعنى عمى البصائر أى لو نشاء لختمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير (ولو نشاء لمسخناهم) هذا تهديد بالمسخ ، فقيل معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة ، وقيل معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرفا ، وقيل إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة ، والأظهر أنه فى الدنيا (على مكانتهم) المكانة المكان ، والمعنى لو نشاء لمسخناهم مسخا يقعدهم فى مكانهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أى إذا مسخوا فى مكانهم لم يقدروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) أى نحول خلقته من القوة إلى الضعف ، ومن الفهم إلى البله وشبه ذلك كما قال تعالى « ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة » ، وإنما قصد بذكر ذلك هنا للاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) الضميران لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وذلك رد على الكفار فى قولهم إنه شاعر، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينظم الشعر ولا يزنه ، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه ، فإن قيل . قد روى عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب وروى أيضا عنه صلى الله عليه وسلم : هل أنت إلا أصبع دميت ، وفى سبيل الله ما لقيت ، وهذا الكلام على وزن الشعر فالجواب أنه ليس بشعر وأنه لم يقصد به الشعر ، وإنما جاء موزونا بالاتفاق لا بالقصد ، فهو كالكلام المنثور ، ومثل هذا يقال فى مثل ما جاء فى القرآن من الكلام الموزون ويقتضى قوله «وما ينبغى له» تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز حتى يقال إن الشعر أطيبه أكذبه ، وليس كل الشعر كذلك فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « إن من الشعر لحكمة » وقد أكثر الناس فى ذم الشعر ومدحه ، وإنما الانصاف قول الشافعى الشعر كلام والكلام منه حسن ومنه قبيح (إن هو إلا ذكر) الضمير للقرآن يعنى أنه ذكر لله أو تذكير للناس أو شرف لهم (لينذر من كان حيا) أى حىّ القلب والبصيرة (ويحق القول على الكافرين) أى يجب عليهم العذاب (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما علمت أيدينا أنعاما) مقصد الآية تعديد النعم وإقامة الحجة ، والأيدى هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة ، وعند أهل التسليم من المتشابه الذى يجب الإيمان به وعلمه عند الله (فمنها ركوبهم) الركوب بفتح الراء هو المركوب (ولهم فيها منافع) يعنى الأكل منها والحمل عليها والانتفاع بالجلود والصوف وغيره (ومشارب) يعنى الألبان (لا يستطيعون نصرهم) الضمير فى يستطيعون للأصنام ، وفى نصرهم للمشركين ، ويحتمل العكس ، ولكن الأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لينصروهم : أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فخاب أملهم

أَفَلَا يَشْكُرُونَ * وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

(وهم لهم جند محضرون) الضمير الأول للمشركين والثانى للأصنام يعنى أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند وقيل بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين فى الآخرة والأول أرجح لأنه تقبيح لحال المشركين (فلا يحزنك قولهم) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم معللة لما بعدها (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) هذه الآية ومابعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة ورد على من أنكر ذلك ، والنطفة هى نطفة المنى التى خلق الإنسان منها ولاشك أن الإله الذى قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث ، وسبب الآية أن العاصى بن وائل جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يامحمد من يحيى هذا وقيل إن الذى جاء بالعظم أمية بن خلف وقيل أبى بن خلف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم (فإذا هو خصيم مبين) أى متكلم قادر على الخصام يبين مافى نفسه بلسانه (وضرب لنا مثلا) إشارة إلى قول الكافرين من يحيى هذا العظم (ونسى خلقه) أى نسى الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك (وهى رميم) أى بالية متفتتة (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) استدلال بالخلقة الأولى على البعث (وهو بكل خلق عليم) أى يعلم كيف يخلق كل شىء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرا أو بمعنى المخلوق (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) هذا دليل آخر على إمكان البعث وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعيين قالوا طبع الموت يضاد طبع الحياة فكيف تصير العظام حية . فأقام الله عليهم الدليل من الشجر الأخضر الممتلىء ماء مع مضادة طبع الماء للنار ويعنى بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنا أخضر يقطر منه الماء فيسحق المرخ على العفار فتنقدح النار بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب ولكنه فى المرخ والعفار أكثر (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذى قدر على خلق السموات والأرض على عظمهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بنى آدم بعد فنائها والضمير فى مثلهم يعود على الناس (وهو الخلاق العليم) ذكر فى هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث وكذلك فى قوله إنما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولاشك أن الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء) فى هذا استدلال على البعث وتنزيه لله عما نسبه الكفار إليه من العجز عن البعث فإنهم ماقدروا الله حق قدره وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى .

سورة الصافات

مكية وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۞ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۞ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۞ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۞ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۞ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۞ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۞ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۞ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۞ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۞ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم

سورة الصافات

(والصافات صفا) تقديره والجماعات الصافات ثم اختلف فيها فقيل هى الملائكة التى تصف فى السماء صفوفا لعبادة الله وقيل هو من يصف من بنى آدم فى الصلوات والجهاد والأول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة وإنا لنحن الصافون (فالزاجرات زجراً) هى الملائكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون بالمواعظ من بنى آدم وقيل هى آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصى (فالتاليات ذكراً) هى الملائكة تتلو القرآن والذكر وقيل هم التالون للقرآن والذكر من بنى آدم وهى كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد (ورب المشارق) يعنى مشارق الشمس وهى ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ، واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لأنها معادلة لها فتفهم من ذكرها (بزينة الكواكب) قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب والزينة تكون مصدراً واسماً لما يزان به فإن كان مصدراً فهو مضاف إلى الفاعل تقديره بأن زينة الكوكب اسماً أو مضاف إلى المفعول تقديره بأن زينا الكواكب وإن كانت اسماً فالإضافة بيان للزينة وقرئ بتنوين زينة وخفض الكواكب على البدل ونصب الكواكب على أنها مفعول بزينة أو بدل من موضع زينة (وحفظاً) منصوب على المصدر تقديره وحفظناها حفظاً أو مفعول من أجله والواو زائدة أو محمول على المعنى لأن المعنى إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (مارد) أى شديد الشر (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) الضمير فى يسمعون للشياطين والملأ الأعلى هم الملائكة الذين يسكنون فى السماء والمعنى أن الشياطين منعت من سماع أحاديث الملائكة وقرئ يسمعون بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع فنفى السماع على القراءة الأولى ونفى طلبه على القراءة بالتشديد والأول أرجح لقوله «إنهم عن السمع لمعزولون» ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون لكنهم لا يسمعون شيئاً منذ بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم يرمون بالكواكب (ويقذفون) أى يرجمون يعنى بالكواكب وهى التى يراها الناس تنقض قال النقاش ومكى ليست الكواكب الراجمة للشياطين بالكواكب الجارية فى السماء لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا قال ابن عطية وفى هذا نظر (دحورا) أى طرداً وإبعاداً وإهانة لأن الدحر الدفع بعنف وإعرابه مفعول من أجله أو مصدر من يقذفون على المعنى أو مصدر فى موضع الحال تقديره مدحورين (عذاب واصب) أى دائم لأنهم يرجمون

مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝ وَقَالُوٓا
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ نَعَمْ
وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ۝ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ
صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

بالنجوم فى الدنيا ثم يقذفون فى جهنم ، (إلا من خطف الخطفة) من فى موضع رفع بدل من الضمير فى قوله لا يسمعون والمعنى لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذى خطف الخطفة (شهاب ثاقب) أى شديد الإضاءة (فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) الضمير لكفار قريش والاستفتاء نوع من السؤال وكأنه سؤال من يعتبر قوله ويجعل حجة لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم به الحجة عليهم ومن خلقنا يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب وقيل يراد به ما تقدم من الأمم والأول أرجح لقراءة ابن مسعود أم من عددنا ومقصد الآية إقامة الحجة عليهم فى إنكارهم البعث فى الآخرة كأنه يقول هذه المخلوقات أشد خلقاً منكم فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم (إنا خلقناهم من طير لازب) اللازب اللازم أى يلزم ما جاوره ويلصق به ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقة بنى آدم ، (بل عجبت ويسخرون) أى عجبت يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق أو عجبت من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة وقرئ عجبت بضم التاء وأشكل ذلك على من يقول إن التعجب مستحيل على الله فتأولوه بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها الناس وقيل تقديره قل يا محمد عجبت وقد جاء التعجب من الله فى القرآن والحديث كقوله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليس له صبوة وهو صفة فعل وإنما جعلوه مستحيلا على الله لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفى سببه والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفى السبب بل هو لمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله (ويسخرون) تقديره وهم يسخرون منك أو من البعث (واذا رأوا آية يستسخرون) الآية هنا العلامة كانشقاق القمر ونحوه وروى أنها نزلت فى مشرك اسمه ركانة أراه النبى صلى الله عليه وسلم آيات فلم يؤمن ويستسخرون معناه يسخرون فيكون فعل واستعمل بمعنى واحد وقيل معناه يستدعى بعضهم بعضاً لأن يسخر وقيل يبالغون فى السخرية (أئذا كنا تراباً) الآية: معناها استبعادهم البعث وقد تقدم الكلام على الاستفهامين فى الرعد (أو آباؤنا) بفتح الواو (دخلت همزة الإنكار على واو العطف وقرئ بالإسكان عطفا بأو (قل نعم وأنتم داخرون) أى قل تبعثون والداخر الصاغر الذليل (زجرة واحدة) هى النفخة فى الصور للقيام من القبور (فإذا هم ينظرون) يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار أو من الانتظار أى ينتظرون ما يفعل بهم (فهذا يوم الدين) يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذى قبله أو مما يقال لهم مثل الذى بعده (احشروا) الآية: خطاب للملائكة خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضا (وأزواجهم) يعنى نساؤهم المشركات وقيل يعنى أصنامهم وقرناءهم من الجن والإنس (وما كانوا يعبدون) يعنى الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى دلوهم على طريق جهنم ليدخلوها (إنهم مسئولون) يعنى إنهم يسألون عن أعمالهم توبيخا لهم وقيل يسألون

بَعْض يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم
مِّن سُلْطَٰنٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ۝ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ * فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝
وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ
الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝ فَوَٰكِهُ وَهُم
مُّكْرَمُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ النَّعِيمِ * عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝

عن قول لا إله إلا الله والأول أرجح لأنه أهم ويحتمل أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهكم بهم فيكون مسئولون عاملا فيما بعده والتقدير يقال لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضا وقد كنتم فى الدنيا تقولون نحن جميع منتصر (مستسلمون) أى منقادون عاجزون عن الانتصار (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) الضمير فى قالوا للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم فى جهنم أو الإنس خاطبوا الجن واليمين هنا يحتمل ثلاث معان الأول أن يراد بها طريق الخير والصواب وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما أن العبارة عن الشر بالشمال والمعنى أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدوننا عنه والثانى أن يراد به القوة والمعنى على هذا أنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان والثالث أن يراد بها اليمين التى يحلف بها أى كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فتصدقكم فى ذلك ونتبعكم (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) الضمير فى قالوا للكبراء من الكفار أو للشياطين والمعنى أنهم قالوا لأتباعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون) أى وجب العذاب علينا وعليكم ، وإنالذائقون : معمول القول وحذف معمول ذائقون تقديره وجب القول بأنا ذائقون العذاب (فأغويناكم إنا كنا غاوين) أى دعوناكم إلى الغى ، لأنا كنا على غى (فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون) أى إن المتبوعين والأتباع مشتركون فى عذاب النار (يقولون إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) الضمير فى يقولون لكفار قريش ، ويعنون بشاعر مجنون : محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فرد الله عليهم بقوله (بل جاء بالحق) أى جاء بالتوحيد والإسلام ، وهو الحق (وصدق المرسلين) الذين جاؤا قبله : لأنه جاء بمثل ماجاؤا به ، ويحتمل المعنى أن يكون صدقهم لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة والسلام (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع بمعنى لكن ، وقرئ مخلصين بفتح اللام وكسرها فى كل موضع ، وقد تقدم تفسيره (على سرر متقابلين) السرر جمع سرير ، وتقابلهم فى بعض الأحيان للسرور بالأنس ، وفى بعض الأحيان ينفرد كل واحد بقصره (يطاف عليهم بكأس من معين) الذين يطوفون عليهم الولدان ، حسبما ورد فى الآية الأخرى ، والكأس الإناء الذى فيه خمر قاله ابن عباس ، وقيل الكأس إناء واسع الفم ، ليس له مقبض ، سواء كان فيه خمر أم لا ، والمعين : الجارى الكثير ، ووزنه فعيل ، والميم فيه أصلية ، وقيل هو مشتق من العين ، والميم زائدة ، ووزنه مفعول (لذة) أى ذات لذة ، فوصفها بالمصدر

لَافِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَٰذَا
لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۝ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝

اتساعا (لافيها غول) الغول : اسم عام فى الأذى والضير ، ومنه يقال غاله يغوله : إذا أهلكه : وقيل الغول وجع فى البطن ، وقيل صداع فى الرأس ، وإنما قدم المجرور هنا تعريضا بخمر الدنيا ، لأن الغول فيها (ولاهم عنها ينزفون) أى لا يسكرون من خمر الجنة ، ومنه النزيف ، وهو السكران ، وعن هنا سببية ، كقولك فعلته عن أمرك ، أى لا ينزفون بسبب شربها (قاصرات الطرف) معناه أنهن قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهن (عين) جمع عيناء ، وهو الكبيرة العينين فى جمال (كأنهن بيض مكنون) قيل شبههن فى اللون ببيض النعام ، فإنه بياض خالطه صفرة حسنة ، وكذلك قال امرئ القيس ۝ كبكر مقناة البياض بصفرة ۝ وقيل إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلى الرقيق ، وهو المكنون المصون تحت القشرة الأولى ، وقيل أراد الجوهر المصون (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة قال الزمخشرى هذه الجملة معطوفة على يطاف عليهم ، والمعنى أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب ، بما جرى لهم فى الدنيا (إنى كان لى قرين) قيل إن هذا القائل وقرينه من البشر ، مؤمن وكافر وقيل إن قرينه كان من الجن (يقول أئنك لمن المصدقين) معناه أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدنيا والآخرة (لمدينون) أى مجازون ومحاسبون على الأعمال ، ووزنه مفعول ، وهو من الدين ، بمعنى الجزاء والحساب (قال هل أنتم مطلعون) أى قال ذلك القائل لرفقائه فى الجنة ، أو للملائكة أو لخدامه ، هل أنتم مطلعون على النار لأريكم ذلك العزيز فيها ، وروى أن فى الجنة كوى ينظرون أهلها منها إلى النار (فى سواء الجحيم) أى فى وسطها (قال تالله إن كدت لتردين) أى تهلكنى بإغوائك ، والردى الهلاك ، وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذى فى النار (من المحضرين) فى العذاب (أفما نحن بميتين) هذا من كلام المؤمن ، خطاب لقرينه أو خطابا لرفقائه فى الجنة ولهذا قال نحن فأخبر عن نفسه وعنهم ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعا (إن هذا لهو الفوز العظيم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمن ، أو من كلامه وكلام رفقائه فى الجنة أو من كلام الله تعالى ، وكذلك يحتمل هذه الوجوه فى قوله «لمثل هذا فليعمل العاملون» والأول أرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى لأن الذى بعده من كلام الله فيكون متصلا به ، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة فى الدنيا ففيه تحضيض على العمل الصالح (أذلك خير أم شجرة الزقوم) الإشارة بذلك إلى نعيم الجنة ، وكل ماذكر من وصفها ، وقال الزمخشرى الإشارة إلى قوله رزق معلوم ، والنزل الضيافة ، وقيل الرزق الكثير وجاء التفضيل هنا بين شيئين ، ليس بينهما اشتراك ، لأن الكلام تقرير وتوبيخ (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قيل سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم ، قالوا كيف يكون فى النار شجرة ، والنار تحرق

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝
ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ۝ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۝ فَهُمْ عَلَى
آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ۝ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنْذَرِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۝ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝

الشجر ، فالفتنة على هذا الابتلاء فى الدنيا وقيل معناه ، عذاب الظالمين فى الآخرة ، والمراد بالظالمين هنا الكفار (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى تنبت فى قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع ثمر النخل فاستعير لشجرة الزقوم وشبه برءوس الشياطين مبالغة فى قبحه وكراهته ، لأنه قد تقرر فى نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها ، ولذلك يقال للقبيح المنظر وجه شيطان وقيل رؤس الشياطين شجرة معروفة باليمن ، وقيل هو صنف من الحيات (لشوبا من حميم) أى مزاجا من ماء حار ، فإن قيل : لم عطف هذه الجملة بثم ، فالجواب من وجهين : أحدهما أنه لترتيب تلك الأحوال فى الزمان ، فالمعنى أنهم يملؤن البطون من شجر الزقوم ، وبعد ذلك يشربون الحميم ، والثانى أنه لترتيب مضاعفة العذاب فالمعنى أن شربهم للحميم أشد مما ذكر قبله (يهرعون) الإهراع الإسراع الشديد (ولقد نادانا نوح) أى دعانا فالمعنى دعاؤه بإهلاك قومه ونصرته عليهم (من الكرب العظيم) يعنى الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) أهل الأرض كلهم من ذرية نوح لأنه لما غرق الناس فى الطوفان ونجا نوح ومن كان معه فى السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة ، سام وحام ويافث (وتركنا عليه فى الآخرين) معناه أبقينا عليه ثناء جميلا فى الناس إلى يوم القيامة (سلام على نوح فى العالمين) هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام ، وقيل إن هذه الجملة مفعول تركنا وهى محكية أى تركنا هذه الكلمة ، تقال له يعنى أن الخلق يسلمون عليه فيبتدأ بالسلام على القول الأول ، لا على الثانى والأول أظهر ومعنى فى العالمين على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه بين العالمين ، كما تقول أحب فلانا فى الناس أى أحبه خصوصا من بين الناس ومعناه على القول الثانى : أن السلام عليه ثابت فى العالمين ، وهذا الخلاف يجرى حيث ماذكر ذلك فى هذه السورة (وإن من شيعته لإبراهيم) الشيعة الصنف المتفق ، فمعنى من شيعته من على دينه فى التوحيد ، والضمير يعود على نوح وقيل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر (إذ جاء ربه) عبارة عن إخلاصه وإقباله على الله تعالى ، بكليته وقيل المراد المجىء بالجسد (بقلب سليم) أى سليم من الشرك ، والشك وجميع العيوب (أئفكا آلهة دون الله تريدون) الإفك الباطل وإعرابه هنا مفعول من أجله ، وآلهة مفعول به وقيل أئفكا مفعول به وآلهة بدل منه وقيل أئفكا مصدر فى موضع الحال ، تقديره آفكين أى كاذبين والأول أحسن

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۝ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي

(فما ظنكم برب العالمين) المعنى أى شىء تظنون برب العالمين، أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره أوأى شىء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره كما تقول ماظنك بفلان إذا قصدت تعظيمه، فالمقصد على المعنى الأول تهديدوعلى الثانى تعظيم لله وتوبيخ لهم (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم) روى أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال إنى سقيم ليمتنع عن الخروج معهم، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم وفى تأويل ذلك ثلاثة أقوال الأول أنها كانت تأخذه الحمى فى وقت معلوم، فنظر فى النجوم ليرى وقت الحمى، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى، والثانى أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه استدل بالنظر فى علم النجوم أنه يسقم، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم والثالث أن معنى نظر فى النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم فقال إنى سقيم والنجوم على هذا ماينجم من حاله معهم، وليست بنجوم السماء، وهذا بعيد وقوله إنى سقيم على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلا، ويعارض هذا ماورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، أحدها: قوله إنى سقيم، ويحتمل أن يكون كذبا صراحا، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعاريض فإن أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لابد له أن يمرض، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له وهذان التأويلان أولى، لأن نفى الكذب بالجملة معارض للحديث، والكذب الصراح لايجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق، أما المعاريض فهى جائزة (فتولوا عنه مدبرين) أى تركوه إعراضا عنه وخرجوا إلى عيدهم، وقيل إنه أراد بالسقم الطاعون وهو داء يعدى فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى (فراغ) أى مال (فقال ألا تأكلون) إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام (ضربا باليمين) أى يمين يديه وقيل بالقوة وقيل بالحلف، وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم، والأول أظهر وأليق بالضرب وضربا مصدر فى موضع الحال (يزفون) أى يسرعون (قال أتعبدون ماتنحتون) أى تنجرون والنحت النجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام من الحجارة والخشب (والله خلقكم وماتعملون) ذهب قوم إلى أن ما مصدرية، والمعنى الله خلقكم وأعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة فى خلق أفعال العباد، وقيل إنها موصولة بمعنى الذى والمعنى الله خلقكم وخلق أصنامكم التى تعملونها وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى فى قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام، وقيل إنها نافية، وقيل إنها استفهامية، وكلاهما باطل (قالوا ابنوا له بنيانا) قيل البنيان فى موضع النار، وقيل بل كان للمنجنيق، الذى رمى عنه (فأرادوا به كيدا) يعنى حرقه بالنار (فجعلناهم الأسفلين) أى المغلوبين (وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) قيل إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد أنه ذاهب أى مهاجر إلى الله فهاجر إلى أرض الشام، وقيل إنه قال ذلك قبل أن يطرح فى النار وأراد أنه ذاهب إلى ربه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه وسيهدين على القول الأول يعنى الهدى إلى صلاح

مِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝

الدين والدنيا ، وعلى القول الثانى إلى الجنة ، وقالت المتصوفة معناه إنى ذاهب إلى ربى بقلبى أى مقبل على الله بكليتى تاركا سواه (رب هب لى من الصالحين) يعنى ولدا من الصالحين (فبشرناه بغلام حليم) أى عاقل واختلف الناس فى هذا الغلام المبشر به فى هذا الموضع وهو الذبيح ، هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أنا ابن الذبيحين يعنى إسماعيل عليه السلام ووالده عبدالله حين نذر والده عبدالمطلب أن ينحره إن يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الإبل والثانى أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح وبشرناه بإسحق فدل ذلك على أن الذبيح غيره والثالث أنه روى أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب علىّ بن أبى طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوادى إنما كانت بإسحاق لقوله فبشرناها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، والثانى أنه روى أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله (فلما بلغ معه السعى) يريد بالسعى هنا العمل والعبادة ، وقيل المشى وكان حينئذ ابن ثلاثة عشر سنة (قال يابنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) يحتمل أن يكون رأى فى المنام الذبح وهو الفعل أو أمر فى المنام أنه يذبحه والأول أظهر فى اللفظ هنا ، والثانى أظهر فى قوله افعل ماتؤمر ورؤيا الأنبياء حق فوجب عليه الامتثال على الوجهين (فانظر ماذا ترى) إن قيل لم شاوره فى أمر هو حتم من الله ؟ فالجواب : أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ولكن ليعلم ماعنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر فأجابه بأحسن جواب (فلما أسلما) أى استسلما وانقادا لأمر الله (وتله للجبين) أى صرعه بالأرض على جبينه وللانسان جبينان حول الجبهة ، وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره ، فلما أسلما كان ماكان من الأمر العظيم ، وقال الكوفيون جوابها تله والواو زائدة ، وقال بعضهم جوابها : ناديناه والواو زائدة (قد صدقت الرؤيا) يحتمل أنه يريد بقلبك أى كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك أى وفيت حقها من العمل ، فان قيل إنه أمر بالذبح ولم يذبح ، فكيف قيل له صدقت الرؤيا ؟ فالجواب أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح ولو لم يفده الله لذبحه ولكن الله هو الذى منعه من ذبحه لما فداه فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ماعليه (البلاء المبين) أى الاختبار البين الذى يظهر به طاعة الله أو المحنة البينة الصعوبة (وفديناه بذبح عظيم) الذبح اسم لما يذبح وأراد به هنا الكبش الذى فدى به ، وروى أنه من كباش الجنة ، وقيل إنه الكبش الذى قرب به ولد آدم ووصفه بعظيم لذلك أو لأنه من عند الله أو لأنه متقبل ، وروى فى القصص أن الذبيح قال لإبراهيم اشدد رباطى لئلا أضطرب ، واصرف بصرك عنى

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ، وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ۞ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۞ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَٰلِبِينَ ۞ وَءَاتَيْنَٰهُمَا الْكِتَٰبَ الْمُسْتَبِينَ ۞ وَهَدَيْنَٰهُمَا الصِّرَٰطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى الْءَاخِرِينَ ۞ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَٰلِقِينَ ۞ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۞ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْءَاخِرِينَ ۞ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۞ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِى الْغَٰبِرِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْءَاخَرِينَ ۞ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۞ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۞ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۞ فَلَوْلَآ

لئلا ترحمنى وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع فحينئذ جاءه الكبش من عند الله وقد أكثر الناس فى قصص هذه الآية وتركناه لعدم صحة (كذلك نجزى المحسنين) إن قيل لم قال هنا فى قصة إبراهيم كذلك دون قوله إنا ، وقال فى غيرها إنا ، فالجواب أنه قد تقدم فى قصة إبراهيم نفسها : إنا كذلك فأغنى عن تكرار إنا (ولقد منتنا على موسى وهارون) يعنى بالنبوة وغير ذلك (من الكرب العظيم) يعنى الغرق أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم (ونصرناهم) الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما وقيل على موسى وهارون خاصة وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم وهذا ضعيف (وآتيناهما الكتاب المستبين) يعنى التوراة ومعنى المستبين البين ، وفى هذه الآية ومابعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع (وإن إلياس لمن المرسلين) إلياس من ذرية هارون وقيل إنه إدريس ، وقد أخطأ من قال إنه إلياس المذكور فى أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم (أتدعون بعلا) البعل فى اللغة الرب بلغة أهل اليمن وقيل بعل اسم صنم يقال له بعلبك (سلام على آل ياسين) آل هنا على هذه القراءة بمعنى أهل ياسين اسم لإلياس ، وقيل لأبيه ، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ إلياسين بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة على هذا جمع إلياس أو منسوب لإلياس حذفت منه الياء كما حذفت من أعجمين ، وقيل سمى كل واحد من آل ياسين إلياس ثم جمعهم وقيل هو لغة فى إلياس (عجوز فى الغابرين) قد ذكر (وإن يونس لمن المرسلين) قد ذكرنا قصته فى يونس والأنبياء (إذ أبق إلى الفلك المشحون) أى هرب إلى السفينة والفلك هنا واحد والمشحون المملوء ، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا ، وقيل إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم فى يوم معين حسبما أعلمه الله ، فلما رأوا قومه مخايل العذاب آمنوا ، فرفع الله عنهم العذاب فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب (فساهم فكان من المدحضين) معنى ساهم ضارب القرعة والمدحض المغلوب فى القرعة والمحاجة وسبب مقارعته أنه لما ركب السفينة ، وقفت ولم تجر ، فقالوا إنما وقفت من حدث أحدثه أحدنا فنقترع لنرى على من تخرج

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ
الْبَنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝
أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ۝ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ

القرعة فنطرحه فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه فى البحر (فالتقمه الحوت وهو مليم) أى فعل مايلام عليه وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج (فلولا أنه كان من المسبحين) تسبيحه هو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين حسماحكى الله عنه فى الأنبياء وقيل هو قوله سبحان الله وقيل هو الصلاة ، واختلف على هذا هل يعنى صلاته فى بطن الحوت أو قبل ذلك واختلف فى مدة بقائه فى بطن الحوت فقيل ساعة وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوما (فنبذناه بالعراء) العراء الأرض الفضاء التى لاشجر فيها ، ولاظل وقيل يعنى الساحل (وهو سقيم) روى أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أى أنبتناها فوقه لتظله وتقيه حر الشمس ، واليقطين ، القرع وإنما خصه الله به لأنه يجمع برد الظل ولين اللمس وكبر الورق وأن الذباب لايقربه فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لايحتمل الذباب وقيل اليقطين كل شجرة لاساق لها كالبقول والقرع والبطيخ ، والأول أشهر (وأرسلناه إلى مائة ألف) يعنى رسالته الأولى التى أبق بعدها وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والأول أشهر (أويزيدون) قيل أوهنا بمعنى بل ، وقرأ ابن عباس ، بل يزيدون ، وقيل هى بمعنى الواو وقيل هى للابهام وقيل المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول هم مائة ألف أويزيدون واختلف فى عددهم فقيل مائة وعشرون ألفا وقيل مائة وثلاثون ألفا وقيل مائة وأربعون ألفا وقيل مائة وسبعون ألفا (فآمنوا فمتعناهم إلى حين) روى أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم ، وفرقوا بينهم وبين الأمهات وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا فرفع الله العذاب عنهم إلى حين : يعنى لانقضاء آجالهم وقد ذكر الناس فى قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) قال الزمخشرى إن هذا معطوف على قوله فاستفتهم الذى فى أول السورة وإن تباعد مابينهما والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار أى اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزى ثم قررهم على مازعموا من أن الملائكة إناث ورد عليهم بقوله وهم شاهدون ، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة ، أو بمعنى الحضور أى أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه ثم أخبر عن كذبهم فى قولهم ولد الله ثم قررهم على مازعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات ؛ وذلك كله رد عليهم وتوبيخ لهم ، تعالى الله عن أقوالهم علوا كبيرا (أصطفى) دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل (مالكم) هذا استفهام معناه التوبيخ وهى فى موضع رفع بالابتداء والمجرور بعدها خبرها فينبغى الوقف على قوله مالكم (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين (فأتوا بكتابكم) تعجيز لهم لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)

إن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَمَا مِنَّآ
إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ۝ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ۝ لَوْ أَنَّ عِندَنَا
ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

الضمير فى جعلوا لكفار العرب وفى معنى الآية قولان : أحدهما أن الجنة هنا الملائكة وسميت بهذا الاسم لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والملائكة مستورين عن أعين بنى آدم كالجن والنسب الذى جعلوه بينهم وبين الله قولهم إنهم بنات الله ، والقول الثانى أن الجن هنا الشياطين ، وفى النسب الذى جعلوه بينه وبينهم قولان : أحدهما أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والآخر أن بعضهم قال إن الله نكح فى الجن فولدت له الملائكة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) من قال إن الجن الملائكة فالضمير فى قوله إنهم لمحضرون يعود على الكفار أى قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون فى العذاب ومن قال إن الجن الشياطين فالضمير يعود عليهم أى قد علمت الشياطين أنهم محضرون فى العذاب (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين أو من الفاعل فى يصفون والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون فى العذاب أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) هذا خطاب للكفار والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها وما تعبدون عطف على الضمير فى إنكم ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع ومعنى فاتنين مضلين والضمير فى عليه يعود على ما تعبدون وعلى سببية معناها التعليل ومن هو مفعول بفاتنين والمعنى إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحداً إلا من قضى الله أنه يصلى الجحيم أى لا تقدرون على إغواء الناس إلا بقضاء الله وقال الزمخشرى الضمير فى عليه يعود على الله تعالى (ومامنا إلا له مقام معلوم) هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام ، تقديره مامنا ملك إلا وله مقام معلوم ، وحذف الموصوف لفهم الكلام ، والمقام المعلوم : يحتمل أن يراد به المكان الذى يقومون فيه ، لأن منهم من هو فى السماء الدنيا ، وفى الثانية ، وفى السموات ، وحيث شاء الله ، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف (وإنا لنحن الصافون) أى الواقفون فى العبادة صفوفاً ، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف فى صلاتهم ليقتدوا بالملائكة ، وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوفاً إلا المسلمون (وإنا لنحن المسبحون) قيل معناه المصلون ، لأن الصلاة يقال لها تسبيح ، وقيل معناه القائلون سبحان الله ، وفى هذا الكلام الذى قالته الملائكة رد على من قال إنهم بنات الله وشركاء له ، لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له ، ويدل هذا الكلام أيضا على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة ، وقيل إنه هذا كله من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكلام المسلمين ، والأول أشهر (وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين) الضمير لكفار قريش وسائر العرب ، والمعنى أنهم كانوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لو أرسل الله إلينا رسولا وأنزل علينا كتابا لكنا عباد الله المخلصين (فكفروا به) الضمير للذكر أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يتقدم له ذكر (فسوف يعلمون) تهديد ووعيد لهم على كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون

الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ۝ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِن

المعنى سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم (وإن جندنا لهم الغلبون) هذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان ، وبهزيمة الأعداء فى القتال ، وبالسعادة فى الآخرة (فتول عنهم حتى حين) أى أعرض عنهم ، وذلك موادعة منسوخة بالسيف ، والحين هنا يراد به يوم بدر ، وقيل حضور آجالهم ، وقيل يوم القيامة (وأبصر فسوف يبصرون) هذا وعد للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (أفبعذابنا يستعجلون) إشارة إلى قولهم متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (فإذا نزل بساحتهم) الساحة الفناء حول الدار ، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محظور وسوء (فساء صباح المنذرين) الصباح مستعمل فى ورود الغارات والرزايا ، ومقصد الآية التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذرهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم (وأبصر) كرر الأمر بالتولى عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد ، وقيل أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا ، وبالثانى عذاب الآخرة ، فإن قيل : لم قال أولا أبصرهم ، وقال هنا أبصر ، فحذف الضمير المفعول؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا فحذفه اقتصارا ، والآخر أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم كأنه قال أبصر جميع الكفار بخلاف الأول ، فإنه فى قريش خاصة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم فى هذه السورة أقوالا كثيرة شنيعة ، والعزة إن أراد بها عزة الله : فمعنى رب العزة ، ذو العزة وأضافها إليه لاختصاصه بها ، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين : فمعنى رب العزة مالكها وخالقها ، ومن هذا قال محمد بن سحنون : من حلف بعزة الله ، فان أراد صفة الله فهى يمين ، وإن أراد العزة التى أعطى عباده فليست بيمين، ثم ختم هذه السورة بالسلام على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) فأما السلام على المرسلين فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم ، ويكون ذلك تكميلا لقوله إنهم لهم المنصورون ، وأما الحمد لله ، فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر فى هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك ، ويحتمل أن يريد الحمد لله على الإطلاق

سورة داود عليه السلام

(ص) تكلمنا على حروف الهجاء فى البقرة ويختص بهذا أنه قال فيه معناه صدق محمد ، وقيل هو حرف

قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن

من اسم الله الصمد أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات (والقرآن ذى الذكر) هذا قسم جوابه محذوف تقديره إن القرآن من عند الله ، وإن محمداً لصادق وشبه ذلك، وقيل جوابه فى قوله ص إذ هو بمعنى صدق محمد ، وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وهذا بعيد ، وقيل جوابه إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا أبعد ، ومعنى ذى الذكر ذى الشرف ، والذكر بمعنى الموعظة أو ذكر الله وما يحتاج اليه من الشريعة (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) الذين كفروا يعنى قريشا ، وبل للإضراب عن كلام محذوف وهو جواب القسم أى إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق ، والعزة التكبر ، والشقاق العداوة وقصد المخالفة ، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما وتفاخم الكفار فيهما (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) إخبار يتضمن تهديداً لقريش (فنادوا ولات حين مناص) المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك ، ولات بمعنى ليس وهى لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث ، كما زيدت فى ربت وثمت ، ولا تدخل لات إلا على زمان واسمها مضمر ، وحين مناص خبرها ، والتقدير ليس الحين الذى دعوا فيه حين مناص ، والمناص المفر والنجاة من قولك ناص ينوص إذا فر (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير لقريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أى استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم ، ويحتمل أن يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثلهم (وقال الكافرون) كان الأصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع المضمر قصداً لوصفهم بالكفر (أجعل الآلهة إلها واحداً) هذا إنكار منهم للتوحيد ، وسبب نزول هذه الآيات أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبى طالب: كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا فكلمه أبو طالب فى ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم ، وتدين لهم بها العرب ، فقالوا نعم وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا : أجعل الآلهة إلها واحدا (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا) انطلاق الملأ عبارة عن خروجهم عن أبى طالب وقيل عبارة عن تفرقتهم فى طرق مكة وإشاعتهم للكفر ، وأن امشوا : معناه يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمداً فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده (إن هذا لشىء يراد) هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش وفى معناه وجهان : أحدهما أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أى إن هذا التوحيد شىء يراد منا الانقياد إليه، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أى إن هذا لشىء ينبغى أن يراد ويتمسك به أو أن هذا شىء يريده الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) هذا أيضا مما حكى الله عنهم من كلامهم أى ما سمعنا بالتوحيد فى الملة الآخرة ، والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد ، وقيل المراد ملة قريش أى ما سمعنا بهذا فى الملة التى أدركنا عليها آباءنا ، وقيل المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء (إن هذا

بَيْنَنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۞ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۞ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الْأَسْبَٰبِ ۞ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ * كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۞ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ ۞ إِن
كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۞ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۞ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل

إلا اختلاق) هذا أيضا مما حكى من كلامهم والإشارة إلى التوحيد والإسلام ومعنى الاختلاف الكذب (أنزل عليه الذكر من بيننا) الهمزة الإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخص الله محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإنزال القرآن عليه دونهم (بل هم فى شك من ذكرى) هذا رد عليهم والمعنى أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم فى شك من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بالذكر القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤا، ويمنعوا من شاؤا بل يعطيها الله لمن يشاء ثم وصف نفسه بالعزيز الوهاب، لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) هذا أيضا رد عليهم، والمعنى أم لهم الملك فيتصرفون فيه كيف شاؤا، بل مالك الملك يفعل فى ملكه ما يشاء، أم الأولى منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار، وأما أم الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها (فليرتقوا فى الأسباب) هذا تعجيز لهم، وتهكم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، والأسباب هنا السلالم والطرق وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو، وقيل هى أبواب السماء، والمعنى إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) هذا وعيد بهزيمتهم فى القتال وقد هزموا يوم بدر وغيره، وما هنالك صفة لجند وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بهنالك إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء، وقيل الإشارة إلى الارتقاء فى الأسباب وهذا بعيد؛ وقيل الإشارة إلى موضع بدر، ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا (وفرعون ذى الأوتاد) قال ابن عباس كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل كانت له أوتاد يسمرها فى الناس لقتلهم، وقيل أراد المبانى العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية، وقال الزمخشرى إن ذلك استعارة فى ثبات الملك كقول القائل: فى ظل ملك ثابت الأوتاد (وأصحاب الأيكة) قد ذكر (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة) ينظر هنا بمعنى ينتظر، وهؤلاء يعنى قريشا والصيحة الواحدة النفخة فى الصور وهى نفخة الصعق، وقيل الصيحة عبارة عما أصابهم من قتل أو شدة، والأول أظهر، وقد روى تفسيرها بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم (مالها من فواق) فيه ثلاثة أقوال: الأول مالها رجوع أى لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشتق من الإفاقة، الثانى مالها من ترداد: أى إنما هى واحدة لا ثانية لها: الثالث مالها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهى ما بين حلبتى اللبن، وهذا القول الثالث إنما يجرى على قراءة فواق بالضم لأن فواق الناقة

لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ
مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۝
وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا

بالضم ، والقولان الأولان على الفتح والضم (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) القط فى اللغة له معنيان : أحدها الكتاب ، والآخر النصيب ، وفى معناه هنا ثلاثة أقوال : أحدها نصيبنا من الخير : أى دعوا أن يعجله الله لهم فى الدنيا والآخر نصيبهم من العذاب ، فهو كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء . الثالث صحائف أعمالنا (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) الأيد القوة ، وكان داود جمع قوة البدن وقوة الدين والملك والجنود ، والأواب : الرجاع إلى الله ، فإن قيل : ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره له بذكر داود ؟ فالجواب عندى أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء فى هذه السورة فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب وإعانة له على ماأمر به من الصبر ، وذلك أن الله ذكر ماأنعم به على داود من تسخير الطير والجبال ، وشدة ملكه ، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب ، ثم الخاتمة له فى الآخرة بالزلفى وحسن المآب ، فكأنه يقول يامحمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك ، فاصبر ولا تحزن على مايقولون ، ثم ذكر ماأعطى سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب ، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء والمقصد ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم ، وأعقبها بالخير العظيم ، فأمر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بذكرهم ليعلمه أنه يفرج عنه مايلقى من إذاية قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم ، فالمناسبة فى ذلك ظاهرة وقال ابن عطية : المعنى : اذكر داود ذا الأيدى فى الدين فتأس به وتأيد كما تأيد ، وأجاب الزمخشرى عن السؤال فإنه قال كأن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على مايقولون ، وعظم أمر المعصية فى أعين الكفار بذكر قصة داود ، وذلك أنه نبى كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها فاستغفر وأناب ، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم ، وهذا الجواب لايخفى مافيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته ، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا (والإشراق) يعنى وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس : أى تضىء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى وأماشروقها فطلوعها (محشورة) أى مجموعة (كلّ له أواب) أى كل مسبح لأجل تسبيح داود ، ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجاع أى ليرجع إلى أمره (وآتيناه الحكمة) قيل يعنى النبوة ، وقيل العلم والفهم وقيل الزبور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس هو فصل القضاء بين الناس بالحق ، وقال علىّ بن أبى طالب هو إيجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعى ، وقيل أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها ، وقال الزمخشرى : معنى فصل الخطاب البين من الكلام الذى يفهمه من يخاطب به ، وهذا المعنى اختاره ابن عطية ، وجعله من قوله تعالى «إنه لقول فصل» (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها

عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ

للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التى ينبغى أن يلقى البال لها والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة كقولك عدل وزور واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروى أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود فى نازلة وقع هو فى مثلها، فأفتى بفتيا هى واقعة عليه فى نازلته ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا، ومعنى تسوروا المحراب علوا على سوره ودخلوه، والمحراب الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبد، ويحتمل أن يكون المتسور المحراب اثنين فقط، لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين فقط فتجىء الضمائر فى تسوروا، ودخلوا، وفزع منهم: على وجه التجوز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان، ويحتمل أنه جامع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم، وتجىء الضمائر المجموعة حقيقة، وعلى هذا عول الزمخشرى (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) العامل فى إذ هنا تسوروا، وقيل هى بدل من الأولى، وأما إذ الأولى فالعامل فيها أتاك أو تسوروا وردّ الزمخشرى ذلك، وقال إن العامل فيها محذوف تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير الباب، وقيل إن ذلك كان ليلا (خصمان بغى بعضنا على بعض) تقديره نحن خصمان، ومعنى بغى تعدى (ولا تشطط) أى لا تجر علينا فى الحكم، يقال أشط الحاكم إذا جار، وقرئ فى الشاذ لا تشطط بفتح التاء: أى لا تبعد عن الحق، يقال شط إذا بعد (سواء الصراط) أى وسط الطريق، ويعنى القصد والحق الواضح (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب) هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين، والنعجة فى اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهى هنا عبارة عن المرأة، ومعنى أكفلنيها أملكها لى وأصله اجعلها فى كفالتى، وقيل اجعلها كفلى أى نصيبى، ومعنى عزنى فى الخطاب أى غلبنى فى الكلام والمحاورة يقال عزفلان فلانا إذا غلبه وهذا الكلام تمثيل للقصة التى وقع داود فيها. وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا حتى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: من حدث بما يقول هؤلاء القصاص فى أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة فى ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار فى أول الإسلام شىء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبته فسأله النزول عنها ففعل وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه ملائكة مثالا لقصته، فقال أحدهما إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التى كانت لداود، ولى نعجة واحدة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، فقال أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابه داود عليه السلام بقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملكان عند ذلك

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۞ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ

وذهبا ولم يرهما ، فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه (فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) ولا تقتضى هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا ، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغى له أن يتنزه عنه لعلوّ مرتبته ومتانة دينه ، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة فكان غنيا عن هذه المرأة فوقع العتاب على الاستكثار من النساء ، وإن كان جائزا ، وروى هذا الخبر على وجه آخر ، وهو أن داود انفرد يوما فى محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة فوقع بين يديه فأعجبه فمد يده ليأخذه فطار على الكوة فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت وهو موضع قل ما تخلص أحد منه فقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا فتزوج داود امرأته فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأته بعده مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها ، وقيل إنّ داود هم بذلك كله ولم يفعله ، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك ، وروى أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضى أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة ، وروى أيضا أن السبب فى ذلك أنه تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، والتزم أن يبتلى كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له فى تلك القصة (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) سؤال مصدر مضاف إلى المفعول ، وإنما تعدى بإلى لأنه تضمن معنى الإضافة كأنه قال بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه ، فإن قيل : كيف قال له داود لقد ظلمك قبل أن يثبت عنده ذلك فالجواب أنه روى أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارا ، ويحتمل أن يكون قوله لقد ظلمك على تقدير صحة قوله ، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التى استغفر منها وأناب (وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض) الخلطاء هم الشركاء فى الأموال ، ولكن الخلطة أعم من الشركة . ألا ترى أن الخلطة فى المواشى ليست بشركة فى رقابها وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذى بقى ، والتسلية بالتأسى للخصم الذى بقى عليه (وقليل ماهم) ما زائدة للتأكيد (وظن داود أنما فتناه) ظن هنا بمعنى شعر بالأمر ، وقيل بمعنى أيقن ، وفتناه معناه اختبرناه (وخر راكعا وأناب) معنى خر ألقى بنفسه إلى الأرض ، وإنما حقيقة ذلك فى السجود ، فقيل إن الركوع هنا بمعنى السجود ، وقيل خر من ركوعه ساجدا بعد أن ركع ، ومعنى أناب تاب ، وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما يبكى حتى نبت البقل من دموعه ، وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك خلافا للشافعى ، إلا أنه اختلف فى مذهب مالك هل يسجد عند قوله وأناب ، أو عند قوله وحسن مآب (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) الزلفى القربة والمكانة الرفيعة ، والمآب المرجع فى الآخرة (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) تقديره

يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا
ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَالْمُفْسِدِينَ
فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ * كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا
الْأَلْبَٰبِ ۝ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِىِّ الصَّٰفِنَٰتُ الْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ *

قال الله ياداود ، وخلافة داود بالنبوة والملك ، قال ابن عطية : لا يقال خليفة الله إلا لنبىّ ، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذى قبله ، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز (وما خلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا) أى عبثا بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما (ذلك ظن الذين كفروا) المعنى أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقة السموات والأرض عندهم باطلا بغير الحكمة ، فان الحكمة فى ذلك إنما تظهر فى الجزاء الأخروى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض) أم هنا استفهامية يراد بها الإنكار : أى أن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار ، بل يجازى كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله فى الجزاء ، ففى ذلك استدلال على الحشر والجزاء وفيه أيضا وعد ووعيد (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) الصافنات جمع صافن وهو الفرس الذى يرفع إحدى رجليه أو يديه ويقف على طرف الأخرى ، وقيل الصافن هو الذى يسوى يديه ، والصفن علامة على فراهة الفرس ، والجياد السريعة الجرى واختلف الناس فى قصص هذه الآية ، فقال الجمهور إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه وقيل أخرجتها له الشياطين من البحر ، وكانت ذوات أجنحة ، وكانت ألف فرس ، وقيل أكثر فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشى «العصر» فأسف لذلك ، وقال ردوا علىّ الخيل وطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلا اليسير فأبدله الله أسرع منها وهى الريح ، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية ، وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز ، فكيف يفعله سليمان عليه السلام ؟ وأى ذنب للخيل فى تفويت الصلاة فقال بعضهم : إنما عقرها ليأكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله ، وقال بعضهم لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل ، بل كان يصلى فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها فلما فرغ من صلاته قال ردوها علىّ فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة ، وقيل إن المسح عليها كان وسما فى سوقها وأعناقها بوسم حبس فى سبيل الله (فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف فى القصة ، فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة فاختلفوا فى هذا على ثلاثة أقوال : أحدها أن الخير هنا يراد به الخيل ، وزعموا أن الخيل يقال لها خير ، وأحببت بمعنى آثرت أو بمعنى فعل يتعدى بعن كأنه قال آثرت حب الخيل فشغلنى عن ذكر ربى ، والآخر أن الخير هنا يراد به المال لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى « أوترك خيرا » أى مالا ، والثالث

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ

أن المفعول محذوف ، وحب الخير مصدر والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حب الخير فشغلنى عن ذكر ربى وأما الذين قالوا كان يصلى فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها فالمعنى أنه قال إنى أحببت حب الخير الذى عند الله فى الآخرة بسبب ذكر ربى ، وشغلنى ذلك عن النظر إلى الخيل (حتى توارت بالحجاب) الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشى يقتضيها ، والمعنى حتى غابت الشمس ، وقيل إن الضمير للخيل ، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها والأول أشهر وأظهر (ردوها علىّ) أى قال سليمان ردوا الخيل علىّ (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) السوق جمع ساق يعنى سوق الخيل وأعناقهم : أى جعل يمسحهامسحا ، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم ، هل هو قطعها وعقرها أو مسحها باليد محبة لها ، أو وسمها للتحبيس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف فى قصتها ، وفى ذلك أربعة أقوال : الأول أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله ، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيرا لاسم الله تعالى ، فنزعه يوما ودفعه إلى جارية فتمثل لها جنىّ فى صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له ، روى أن اسمه صخر فقعد على كرسىّ سليمان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان ، وخرج سليمان فارّا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه ، وكان الجنى قد رماه فى البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه ففتنة سليمان على هذا هى ما جرى له من سلب ملكه ، والجسد الذى ألقى على كرسيه هو الجنىّ الذى قعد عليه وسماه جسداً ، لأنه تصور فى صورة إنسان ، ومعنى أناب رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجع إلى ملكه ، والقول الثانى أن سليمان كان له امرأة يحبها وكان أبوها ملكا كافراً قد قتله سليمان فسألته أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها فى ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها وصار صنما معبودا فى داره وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوما ، فلما علم به كسره فالفتنة على هذا عمل الصورة ، والجسد هو الصورة والقول الثالث أن سليمان كان له ولدا وكان يحبه حبا شديدا فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا فى السخرة أبدا فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه فالفتنة على هذا حب الولد ، والجسد هو الولد لما مات وسمى جسداً لأنه جسد بلا روح ، القول الرابع أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتى كل واحدة منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله ، فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق إنسان فالفتنة على هذا كونه لم يقل إن شاء الله ، والجسد هو شق الإنسان الذى ولد له ، فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ماذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسليط الشياطين عليه ، وأما القول الثانى فضعيف أيضا مع أنه يبعد أنه يعبد صنم فى بيت نبى ، أو يأمر نبى بعمل صنم ، وأما القول الثالث فضعيف أيضا ، وأما القول الرابع فقد روى فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لم يذكر فى الحديث أن ذلك تفسير الآية (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) قدم الاستغفار على طلب الملك لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا فقدم الأولى والأهمّ ، فإن قيل : لأى شىء قال لا ينبغى لأحد من بعدى ، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجاج

وَغَوَّاصٍ ۝ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ ۝ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ

إنه كان حسوداً ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه إنما قال ذلك لئلا يجرى عليه مثل ماجرى من أخذ الجنى لملكه ، فقصد أن لا يسلب ملكه عنه فى حياته ويصير إلى غيره ، والآخر أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوته (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) معنى رخاء لينة طيبة ، وقيل طائعة له ، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله عاصفة فى الأنبياء ، وحيث أصاب : أى حيث قصد وأراد (والشياطين كل بناء وغواص) الشياطين معطوف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين أى سخرنا له الريح والشياطين من يبنى منهم ومن يغوص فى البحر (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) أى آخرين من الجن موثقون فى القيود والأغلال (هذا عطاؤنا فامنن أوأمسك) الإشارة إلى الملك الذى أعطاه الله له ، والمعنى أن الله قال له أعط من شئت وامنع من شئت ، وقيل المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود ، وأمسك من شئت منهم فى القيود ، والأول أحسن وهو قول ابن عباس (بغير حساب) يحتمل ثلاثة معان : أحدها أنه لا يحاسب فى الآخرة على مافعل ، والآخر بغير تضييق عليك فى الملك ، والثالث بغير حساب ولا عدد بل خارج عن الحصر (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قد ذكر فى قصة داود (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام فى الأنبياء والنصب يقال بضم النون وإسكان الصاد : وبفتح النون وإسكان الصاد وبضم النون والصاد وبفتحهما ، ومعناه واحد وهو المشقة ، فإن قيل : لم نسب ماأصابه من البلاء إلى الشيطان فالجواب من أربعة أوجه : أحدها أن سبب ذلك كان من الشيطان ، فإنه روى أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره ، وقيل إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها ، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئا ، والثانى أنه أراد ماوسوس له الشيطان فى مرضه من الجزع وكراهة البلاء ، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك ، والثالث أنه روى أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه فأهلك ماله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه الجذام [1] والمرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه ، والرابع روى أن الشيطان لقى امرأته فقال لها قولى لزوجك إن سجد لى سجدة أذهبت مابه من المرض فذكرت المرأة ذلك لأيوب ، فقال لها ذلك عدو الله الشيطان وحينئذ دعا (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) التقدير قلنا له اركض برجلك فضرب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده واغتسل منها فذهب ماكان فى ظاهر جسده ، وروى أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى (ووهبنا له أهله) ذكر فى الأنبياء (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) الضغث القبضة من القضبان ، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته

---

(١) الحق أن سيدنا أيوب لم يصبه الجذام وإنما أصابه مرض باطنى لاينفر منه الناس لعصمة الأنبياء من ذلك

وَيَعْقُوبَ أُولِى الْأَيْدِى وَالْأَبْصَارِ ۝ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ۝ وَاذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ۝ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَٰبُ ۝ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝ هَٰذَا فَوْجٌ

مائة سوط إذا برئ من مرضه ، وكان سبب ذلك ماذكرته له من لقاء الشيطان ، وقوله لها إن سجدلى زوجك أذهبت مابه من المرض ، فأمره أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر فى يمينه ، وقد ورد مثل هذا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فى حد رجل زنى وكان مريضا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذق نخلة فيه شماريخ مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود والنسائى ، وأخذ به بعض العلماء ، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه (أولى الأيدى والأبصار) الأيدى جمع يد وذلك عبارة عن قوتهم فى الأعمال الصالحات ، وإنما عبر عن ذلك بالأيدى ، لأن الأعمال أكثر ماتعمل بالأيدى ، وأما الأبصار فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم من قولك أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور ، وقيل الأيدى جمع يد بمعنى النعمة ومعناه أولوا النعم التى أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة ، وهذا ضعيف لأن اليد بمعنى النعمة أكثر مايجمع على أيادى ، وقرأ ابن مسعود أولوا الأيد بغير ياء ، فيحتمل أن تكون الأيدى محذوفة الياء ، أويكون الأيد بمعنى القوة : كقوله « داود ذا الأيد » (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) معنى أخلصناهم جعلناهم خالصين لنا ، أوأخلصناهم دون غيرهم ، وخالصة صفة حذف موصوفها تقديره بخصلة خالصة ، وأما الباء فى قوله بخالصة فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين ، فالباء سببية للتعليل ، وإن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم فالباء لتعدية الفعل ، وقرأ نافع بإضافة خالصة إلى ذكرى من غير تنوين ، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون ذكرى بدلا من خالصة على وجه البيان والتفسير لها ، والدار يحتمل أن يريد به الآخرة أوالدنيا ، فإن أراد به الآخرة ففى المعنى ثلاثة أقوال : أحدها أن ذكرى الدار يعنى به ذكرهم الآخرة وجهنم فيها والآخر أن معناه تذكيرهم للناس بالآخرة ، وترغيبهم للناس فيها عند الله ، والثالث أن معناه ثواب الآخرة : أى أخلصناهم بأفضل مافى الآخرة ، والأول أظهر ، وإن أراد بالدار الدنيا فالمعنى حسن الثناء والذكر الجميل فى الدنيا كقوله لسان صدق (الأخيار) جمع خير بتشديد الياء أوخير المخفف من خير كميت مخفف من ميت (وذا الكفل) ذكر فى الأنبياء (هذا ذكر) الإشارة إلى ماتقدم فى هذه السورة من ذكر الأنبياء ، وقيل الإشارة إلى القرآن بجملته ، والأول أظهر وكأن قوله هذا ذكر ختام للكلام المتقدم ، ثم شرع بعده فى كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول فهذا باب ثم يشرع فى آخر (قاصرات الطرف) ذكر فى الصافات (أتراب) يعنى أسنانهن سواء يقال فلان ترب فلان إذا كان مثله فى السن ، وقيل إن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء (ماله من نفاد) أى ماله من فناء ولا انقضاء (هذا وإن للطاغين لشر مآب) تقديره الأمر هذا : لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله هذا ثم ابتدأ وصف

مُقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۝ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۝ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ۝ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ

أهل النار ، ويعنى بالطاغين الكفار (هذا فليذوقوه حميم وغساق) هذا مبتدأ وخبره حميم ، فليذوقوه اعتراف بينهما ، والحميم الماء الحار والغساق قرئ بتخفيف السين وتشديدها وهو صديد أهل النار ، وقيل مايسيل من عيونهم ، وقيل هو عذاب لايعلمه إلا الله (وآخر من شكله أزواج) آخر معطوف على حميم وغساق تقديره وعذاب آخر قيل يعنى الزمهرير ، ومعنى من شكله من مثله ونوعه أى من مثل العذاب المذكور ، وأزواج معناه أصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر والمعنى أنهما أصناف من العذاب ، وقال ابن عطية : آخر مبتدأ ، واختلف فى خبره ، فقيل تقديره ولهم عذاب آخر وقيل أزواج مبتدأ ومن شكله خبر أزواج ، والجملة خبر آخر ، وقيل أزواج خبر الآخر ، ومن شكله فى موضع الصفة وقرئ أخر بالجمع وهو أليق أن يكون أزواج خبره لأنه جمع مثله (هذا فوج مقتحم معكم) الفوج جماعة من الناس والمقتحم الداخل فى زحام وشدة وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولا ثم دخل بعدهم أتباعهم وهو الفوج المشار إليه ، وقيل هو كلام أهل النار بعضهم لبعض والأول أظهر (لا مرحبا بهم) أى لا يلقون رحبا ولا خيرا ، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار : أى لا مرحبا بالفوج الذين هم أتباع لهم (قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم) هذا حكاية كلام الأتباع للرؤساء لما قالوا لهم لا مرحبا بهم ، أجابوهم بقولهم بل أنتم لا مرحبا بكم (أنتم قدمتموه لنا) هذا أيضا من كلام الأتباع خطابا للرؤساء ، وهو تعليل لقولهم بل أنتم لا مرحبا بكم ، والضمير فى قدمتموه للعذاب ، ومعنى قدمتموه أوجبتموه لنا بما قدمتم فى الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) هذا أيضا من كلام الأتباع دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا فى النار والضعف زيادة المثل (قالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) الضمير فى قالوا لرؤساء الكفار ، وقيل للطاغين والرجال هم ضعفاء المؤمنين ، وقيل إن القائلين لذلك أبو جهل لعنه الله وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم وأن الرجال المذكورين هم عمار وبلال وصهيب وأمثالهم واللفظ أعم من ذلك والمعنى أنهم قالوا فى جهنم مالنا لا نرى فى النار رجالا كنا فى الدنيا نعدهم من الأشرار (أتخذناهم سخريا) قرئ أتخذناهم بهمزة قطع ومعناها توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سخريا ، وقرئ بألف وصل على أن يكون الجملة صفة لرجال وقرئ سخريا بضم السين من التسخير بمعنى الخدمة وبالكسر بمعنى الاستهزاء (أم زاغت عنهم الأبصار) هذا يحتمل ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون معادلا لقولهم مالنا لا نرى رجالا ، والمعنى مالنا لا نراهم فى جهنم فهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا ومعنى زاغت عنهم مالت فلم نرهم . الثانى أن يكون معادلا لقولهم أتخذناهم سخريا والمعنى أتخذناهم سخريا . وأم زاغت الأبصار على هذا : مالت عن النظر إليهم احتقارا لهم . الثالث أن تكون أم منقطعة بمعنى بل والهمزة فلا تعادل شيئا مما قبلها (إن ذلك لحق) الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار

إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝ أَنْتُمْ عَنْهُ
مُعْرِضُونَ ۝ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ
الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۝ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنْظَرِينَ ۝ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ فَالْحَقُّ
وَالْحَقَّ أَقُولُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ

ثم فسره بقوله (تخاصم أهل النار) وإعراب تخاصم بدل من حق أو خبر مبتدأ مضمر (قل هو نبأ عظيم) النبأ الخبر ويعنى به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة ، وقيل هو القرآن ، وقيل هو يوم القيامة والأول أعم وأرجح (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) الملأ الأعلى هم الملائكة ومقصد الآية الاحتجاج على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك ، والضمير فى يختصمون للملأ الأعلى واختصامهم هو فى قصة آدم حين قال لهم إنى جاعل فى الأرض خليفة حسبما تضمنته قصته فى مواضع من القرآن ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى فقال : لا أدرى قال فى الكفارات وهى إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد الحديث بطوله ، وقيل الضمير فى يختصمون للكفار : أى يختصمون فى الملأ الأعلى فيقول بعضهم هم بنات الله ، ويقولون آخرون هم آلهة تعبد ، وهذا بعيد (إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين) إذ بدل من إذ يختصمون ، وقد ذكرنا فى البقرة معنى سجود الملائكة لآدم ، ومعنى كفر إبليس وذكرنا فى الحجر معنى قوله تعالى «من روحى» (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) الضمير فى قال لله عز وجل ، وبيدى من المتشابه الذى ينبغى الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله ، وقال المتأولون هو عبارة عن القدرة ، وقال القاضى أبو بكر بن الطيب إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المتقررة ، قال ابن عطية وهذا قول مرغوب عنه ، وحكى الزمخشرى أن معنى خلقت بيدى خلقت بغير واسطة (أستكبرت أم كنت من العالين) دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل ، وأم هنا معادلة ، والمعنى أستكبرت الآن أم كنت قديما ممن يعلو ويستكبر ، وهذا على جهة التوبيخ له (رجيم) أى لعين مطرود (إلى يوم الوقت المعلوم) يعنى القيامة ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى الحجر (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) الباء للقسم ، أقسم إبليس بعزة الله أن يغوى بنى آدم (قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) الضمير فى قال هنا لله تعالى ، والحق الأول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمر كقولك الله لأفعلن ، وجوابه لأملأن جهنم ، وقرئ بالرفع وهو مبتدأ ، أو خبر مبتدأ مضمر تقديره الحق يمينى ، وأما الحق الثانى

الْمُتَكَلِّفِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ۝

سورة الزمر

مكية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبإ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن

فهو مفعول بأقول ، وقوله والحق أقول جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للقسم (وما أنا من المتكلفين) أى الذين يتصنعون ويتحيلون بما ليسوا من أهله (ولتعلمن نبأه بعد حين) هذا وعيد أى لتعلمن صدق خبره بعد حين والحين يوم القيامة أو موتهم أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره

سورة الزمر

(تنزيل الكتاب) تنزيل مبتدأ وخبره من الله أو خبر ابتداء مضمر تقديره هذا تنزيل ، ومن الله على هذا الوجه يتعلق بتنزيل أو يكون خبراً بعد خبر أو خبر مبتدأ آخر محذوف والكتاب هنا القرآن أو السورة واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة وأما الكتاب الثانى فهو القرآن باتفاق (بالحق) يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه متضمنا الحق ، والثانى أن يكون معناه بالاستحقاق والوجوب (مخلصاً له الدين) أى لا يكون فيه شرك أكبر ولا أصغر وهو الرياء (ألا لله الدين الخالص) قيل معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذى شرعه لعباده ولا يقبل غيره ومعنى الخالص الصافى من شوائب الشرك ، وقال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال الحسن هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يريد بالأولياء الشركاء المعبودين ، ويحتمل أن يريد بالذين اتخذوا الكفار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين والأول أظهر لأنه يحتاج على الثانى إلى حذف الضمير العائد على الذين تقديره الذين اتخذوهم ويكون ضمير الفاعل فى اتخذوا عائداً على غير مذكور وارتفاع الذين على الوجهين بالابتداء وخبره إما قوله إن الله يحكم بينهم أو المحذوف المقدر قبل قوله مانعبدهم لأن تقديره يقولون مانعبدهم والأول أرجح لأنّ المعنى به أكمل (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) هذه الجملة فى موضع معمول قول محذوف والقول فى موضع الحال أو فى موضع بدل من صلة الذين ، وقرأ ابن مسعود قالوا ما نعبدهم بإظهار القول أى يقول الكفار مانعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده ويعنى بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة أو الذين عبدوا الأصنام أو الذين عبدوا عيسى أو عزير فإن جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفى قربى فهو مصدر من يقربونا (إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار) إشارة إلى كذبهم فى قولهم ليقربونا إلى الله وقوله لا يهدى فى تأويله وجهان : أحدهما لا يهديه فى حال كفره والثانى أن ذلك مختص بمن قضى عليه بالموت على الكفر أعاذنا الله من ذلك وهذا تأويل : لا يهدى القوم الظالمين والكافرين حيثما وقع (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق

يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ
ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝
خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ
خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ * إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ

مايشاء) الولد يكون على وجهين أحدهما بالولادة الحقيقية وهذا محال على الله تعالى لا يجوز فى العقل والثانى التبنى بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الانسان ولد غيره ولدا لإفراط محبته له وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع فان قوله وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً يعم نفى الوجهين فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية : لو أراد الله أن يتخذ ولداً على وجه التبنى لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله ، وقال الزمخشرى معناه : لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك ولكنه يصطفى من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب لا على وجه اتخاذه ولداً فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب فحسب الكفار أنهم أولاده ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثا فأفرطوا فى الكفر والكذب على الله وملائكته (سبحانه هو الله الواحد القهار) نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافى اتخاذ الولد لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له لأنه واحد ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفى الشركاء والأنداد لأن كل شىء مقهور تحت قهره تعالى فكيف يكون شريكا له ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقة السموات والأرض وما بينهما ليدل على وحدانيته وقدرته وعظمته (يكور الليل على النهار) التكوير اللف واللىّ ومنه كور العمامة التى يلتوى بعضها على بعض وهو هنا استعارة ، ومعناه : على ما قال ابن عطية يعيد من هذا على هذا ، فكان الذى يطيل من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءا فيستره وكأن الذى ينقص يدخل فى الذى يطول فيستتر فيه ويحتمل أن يكون المعنى أن كل واحد منهما يغلب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى ستره له بثوب يلف على الآخر (لأجل مسمى) يعنى يوم القيامة (خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء خلقها من ضلع آدم ، فإن قيل: كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم بثم التى تقتضى الترتيب والمهلة ولا شك أن خلقة حواء كانت قبل خلقة بنى آدم ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى قوله واحدة لا على خلقكم كأنه قال خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها الثانى أن ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود . الثالث أنه يعنى بقوله خلقكم إخراج بنى آدم من صلب أبيهم كالذر وذلك كان قبل خلقه حواء (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) يعنى المذكورة فى الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسماها أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر وأما أنزل ففيه ثلاثة أوجه : الأول أن الله خلق أول هذه الأزواج فى السماء ثم أنزلها . الثانى أن معنى أنزل قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه. الثالث أنه أنزل المطر الذى ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد (خلقا من بعد خلق) يعنى أن الإنسان يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يتم خلقه ثم ينفخ فيه الروح (فى ظلمات ثلاث) هى البطن والرحم والمشيمة ، وقيل صلب الأب

اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ قُلْ إِنِّي

والرحم والمشيمة والأول أرجح لقوله بطون أمهاتكم ولم يذكر الصلب (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم) أى لا يضره كفركم (ولا يرضى لعباده الكفر) تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين : أحدهما أن الرضا بمعنى الإرادة ويعنى بعباده من قضى الله له بالإيمان والوفاة عليه ، فهو كقوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان والآخر أن الرضا غير الإرادة والعباد على هذا على العموم أى لا يرضى الكفر لأحد من البشر وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه دينا ولا شرعا وأراده وقوعا ووجودا وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة والعباد على العموم جريا على قاعدتهم فى القدر وأفعال العباد (وإن تشكروا يرضه لكم) هذا عموم والشكر الحقيقى يتضمن الإيمان (ولا تزر وازرة) ذكر فى الإسراء (وإذا مس الإنسان ضر) الآية : يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله وجعل له أنداداً ، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة ، فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله وإقامة الحجة على الإنسان بدعائه إلى الله ، فى الشدائد ، فإن قيل لم قال هنا وإذا مسّ بالواو وقال بعدها فإذا مس بالفاء ؟ فالجواب : أن الذى بالفاء مسبب عن قوله اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فجاء بفاء السببية قاله الزمخشرى وهو بعيد (ثم إذا خوله نعمة منه) خوله أعطاه والنعمة هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضر المذكور أو أى نعمة كانت (نسى ما كان يدعو إليه من قبل) يحتمل أن تكون ما مصدرية أى نسى دعاء أو تكون بمعنى الذى والمراد بها الله تعالى (أم من هو قانت) بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على من وقيل هى همزة النداء الأول أظهر ، وقرئ بتشديدها على إدخال أم على من ومن مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره أم من هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده وهو قوله «هل يستوى الذين يعلمون» ، والقنوت هنا بمعنى الطاعة والصلاة بالليل ، وآناء الليل ساعاته (قل ياعباد الذين آمنوا) الآية نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ومعناها التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يحتمل أن يتعلق فى هذه الدنيا بأحسنوا والمعنى الذين أحسنوا فى الدنيا لهم حسنة فى الآخرة ، أو يتعلق بحسنة والحسنة على هذا حسن الحال والعافية فى الدنيا والأول أرجح (وأرض الله واسعة) يراد البلاد المجاورة للأرض التى هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض على الهجرة (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) هذا يحتمل وجهين أحدهما أن الصابر يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثانى أن أجر الصابرين بغير حصر بل أكثر من

أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ۝ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۝ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۝ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ
ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ۝ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ
الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو
الْأَلْبَابِ ۝ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ۝ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن
فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

أن يحصر بعدد أو وزن وهذا قول الجمهور (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوف، فإن قيل: كيف عطف أمرت على أمرت والمعنى واحد؟ فالجواب أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص والثانى أمر بالسبق إلى الإسلام فهما معنيان اثنان وكذلك قوله قل الله أعبد ليس تكرارا لقوله أمرت أن أعبد الله لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة والثانى إخبار بأنه يفعل العبادة وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده (فاعبدوا ماشئتم من دونه) هذا تهديد ومبالغة فى الخذلان والتخلية لهم على ماهم عليه (ظلل) جمع ظلة بالضم وهو ماغشى من فوق كالسقف فقوله من فوقهم بين وأمامن تحتهم فسماه ظلة لأنه سقف لمن تحتهم فإن جهنم طبقات وقيل سماه ظلة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) قيل إنها نزلت فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا وقيل نزلت فى أبى ذر وسلمان وهذا ضعيف لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية والأظهر أنها عامة، والطاغوت كل ماعبد من دون الله، وقيل الشياطين (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام وقيل يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذى هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك وقيل هو الذى يستمع حديثا فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر وقال ابن عطية هو عام فى جميع الأقوال والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر سديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشرى مثل هذا المعنى (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) فيها وجهان: أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب أأنت تنقذه، فموضع من فى النار موضع المضمر، والهمزة فى قوله أفأنت هى الهمزة التى فى قوله أفمن وهى همزة الإنكار كررت للتأكيد، والثانى أن يكون التقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه فحذف الخبر ثم استأنف قوله أفأنت تنقذ من فى النار، وعلى هذا

لِذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

يوقف على العذاب، والأول أرجح لعدم الإضمار (فسلكه ينابيع فى الأرض) معنى سلكه أدخله وأجراه والينابيع جمع ينبوع وهو العين، وفى هذا دليل على أن ماء العيون من المطر (مختلفا ألوانه) أى أصنافه كالقمح والأرز والفول وغير ذلك، وقيل ألوانه الخضرة والحمرة وشبه ذلك، وفى الوجهين دليل على الفاعل المختار ورد على أهل الطبائع (أفمن شرح الله صدره للإسلام) تقديره أفمن شرح الله صدره كالقاسى قلبه، وروى أن الذى شرح الله صدره للإسلام علىّ بن أبى طالب وحمزة، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو لهب وأولاده، واللفظ أعم من ذلك (من ذكر الله) قال الزمخشرى من هنا سببية أى قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله، وهذا المعنى بعيد، ويحتمل عندى أن يكون قاسية تضمن معنى خالية، فلذلك تعدى بمن، والمعنى أن قلوبهم خالية من ذكر الله (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن (كتابا) بدل من أحسن أو حال منه (متشابها) معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضا فى الفصاحة والنطق بالحق، وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف (مثانى) جمع مثان أى تثنى فيه القصص وتكرر، ويحتمل أن يكون مشتقا من الثناء، لأنه يثنى فيه على الله، فإن قيل: مثانى جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم برمة أعشار، وثوب أخلاق، أو يكون تمييزا من متشابها كقولك حسن شمائل (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) إن قيل: كيف تعدى تلين بإلى؟ فالجواب أنه تضمن معنى فعل تعدى بإلى كأنه قال تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولا وحدها ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولا تقشعر ذكر الجلود وحدها، لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانيا تلين ذكر الجلود والقلوب، لأن اللين توصف به الجلود والقلوب: أما لين القلوب فهو ضد قسوتها وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت أولا من الخوف، ثم لانت بالرجاء (ذلك هدى الله) يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرار الجلود (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) الخبر محذوف كما تقدم فى نظائره تقديره أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب، ومعنى يتقى يلقى النار بوجهه ليكفها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا لقى شيأ من المخاوف استقبله بيديه، وأيدى هؤلاء مغلولة، فاتقوا النار بوجوههم (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان (قرآنا عربيا) نصب على الحال أو بفعل مضمر على المدح

غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝ وَٱلَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝

(غير ذى عوج) أى ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التى فى كلام البشر، وقيل معناه غير مخلوق وقيل غير ذى لحن ، فإن قيل : لم قال غير ذى عوج ولم يقل غير معوج ؟ فالجواب : أن قوله غير ذى عوج أبلغ فى نفى العوج عنه كأنه قال ليس فيه شىء من العوج أصلا (رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون متظالمون ، وقيل متشاجرون وأصله من قولك رجل شكس إذا كان ضيق الصدر ، والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحده ، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه ، والمملوك بينهم فى أسوإ حال وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد ، فمعنى قوله (سالما لرجل) أى خالصاله وقرئ سلما بغير ألف والمعنى واحد (إنك ميت وإنهم ميتون) فى هذا وعد للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد للكفار فإنهم إذا ماتوا جميعا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل وفيه أيضا إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم سيموت لئلا يختلف الناس فى موته كما اختلفت الأمم فى غيره وقد جاء أنه لما مات صلى الله عليه وسلم أنكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه موته حتى احتج عليه أبو بكر الصديق بهذه الآية فرجع إليها (تختصمون) قيل يعنى الاختصام فى الدماء وقيل فى الحقوق والأظهر أنه اختصام النبى صلى الله عليه وسلم مع الكفار فى تكذيبهم له فيكون من تمام ماقبله ويحتمل أن يكون على العموم فى اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها (فمن أظلم ممن كذب على الله) المعنى لا أحد أظلم ممن كذب على الله ويريد بالكذب على الله هنا ما نسبوا إليه من الشركاء والأولاد (وكذب بالصدق) أى كذب بالإسلام والشريعة (والذى جاء بالصدق وصدق به) قيل الذى جاء بالصدق النبى صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر وقيل الذى جاء بالصدق جبريل والذى صدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدق به المؤمنون واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل الذى للجنس كأنه قال الفريق الذى لأنه فى مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم (أليس الله بكاف عبده) تقوية لقلب محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإزالة للخوف الذى كان الكفار يخوفونه (ولئن سألتهم) الآية احتجاج

قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝
إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ۝ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ
كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝
وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝
قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝
وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ

على التوحيد وردّ على المشركين (هل هنّ كاشفات ضره) الآية رد على المشركين وبرهان على الوحدانية وروى أن سببها أن المشركين خوفوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من آلهتهم فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرون على شيء ، فإن قيل : كيف قال كاشفات وممسكات بالتأنيث ؟ فالجواب أنها لا تعقل فعاملها معاملة المؤنثة وأيضا ففي تأنيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها (اعملوا على مكانتكم) تهديد ومسالمة منسوخة بالسيف (بالحق) ذكر في أول السورة (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) هذه الآية اعتبار ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين : أحدهما وفاة كاملة حقيقية وهي الموت ، والآخر وفاة النوم لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع ومنه قوله «وهو الذي يتوفاكم بالليل» وتقديرها ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي يمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت الحقيقي ومعنى إمساكها أنه لا يردها الى الدنيا (ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) أي يرسل الأنفس النائمة وإرسالها هو ردها إلى الدنيا ، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقي ، وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق ، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله «قل الروح من أمر ربي» (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أم هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار والشفعاء هم الأصنام وغيرها ، لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (قل أو لو كانوا) دخلت همزة الاستفهام على واو الحال تقديره يشفعون وهم لا يملكون شيئا ولا يعقلون (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها ، فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه وفي هذا رد على الكفار في قولهم إن الأصنام تشفع لهم (وإذا ذكر الله وحده) الآية : معناها أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به ، ومعنى اشمأزت انقبضت من شدة الكراهة ، وروى أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة النجم ، فألقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا في الحج ، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى ، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا

اللَّهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۝ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يظنون لأنهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة . قال الزمخشرى : المراد بذلك تعظيم العذاب الذى يصيبهم أى ظهر لهم من عذاب الله مالم يكن فى حسابهم فهو كقوله فى الوعد « فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين » وقيل معناها عملوا أعمالا حسبوها حسنات ، فإذا هى سيئات وقال الحسن : ويل لأهل الربا من هذه الآية وهذا على أنها فى المسلمين والظاهر أنها فى الكفار (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) معنى حاق حل ونزل وقال ابن عطية وغيره إن هذا على حذف مضاف تقديره حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن ، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف وهو أحسن ، ومعناه حاق بهم العذاب الذى كانوا به يستهزؤن لأنهم كانوا فى الدنيا يستهزؤن ، إذا خوفوا بعذاب الله ، ويقولون متى هذا الوعد (قال إنما أوتيته على علم) يحتمل وجهين أحدهما وهو الأظهر : أن يريد على علم منى بالمكاسب والمنافع ، والآخر على علم الله باستحقاقى لذلك وإنما هنا تحتمل وجهين : أحدهما وهو الأظهر : أن تكون ما كافة وعلى علم فى موضع الحال ، والآخر أن تكون ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال أوتيته بالضمير المذكر وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى (بل هى فتنة) رد على الذى قال إنما أوتيته على علم (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون وغيره (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) قال على بن أبى طالب وابن مسعود هذه أرجى آية فى القرآن، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : ماأحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ، واختلف فى سببها فقيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة ، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ماوقع فيه من قتل حمزة وقيل نزلت فى قوم آمنوا ولم يهاجروا ، ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم ، وهذا قول عمر بن الخطاب : وقد كتب بها إلى هشام بن العاصى ، لما جرى له ذلك وقيل نزلت فى قوم من أهل الجاهلية ، قالوا : ماينفعنا الإسلام لأننا قد زنينا ، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ومعناها مع ذلك على العموم فى جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام يجب ماقبله ، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم فى النار وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصى إذا تاب غفر له ذنوبه ، وإن لم يتب فهو فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له فالمغفرة المذكورة فى هذه الآية ، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة ، والظاهر أنها نزلت فى الكفار وأن المغفرة المذكورة هى لهم إذا أسلموا

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّٰخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ۞ وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * اللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ * لَّهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ۞ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ ۞ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن

والدليل على أنها فى الكفار ماذكر بعدها إلى قوله قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم) يعنى اتبعوا القرآن وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض لأنه حسن كله . إنما المعنى أن يتبعوا بأعمالهم مافيه من الأوامر . ويجتنبوا مافيه من النواهى فالتفضيل الذى يقتضيه أحسن إنما هو فى الاتباع وقيل يعنى اتبعوا الناسخ دون المنسوخ وهذا بعيد (أن تقول نفس) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقول نفس وإنما ذكر النفس لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكفار (فى جنب الله) أى فى حق الله وقيل فى أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى (الساخرين) أى المستهزئين (بلى) جواب للنفس التى حكى كلامها ولايجاوب ببلى إلا النفى وهى هنا جواب لقوله لو أن الله هدانى لكنت من المتقين لأنه فى معنى النفى لأن لو حرف امتناع وتقرير الجواب بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب وقال ابن عطية هى جواب لقوله لو أن لى كرة فإن معناه يقتضى أن العمر يتسع للنظر فقيل له بلى على وجه الرد عليه والأول أليق بسياق الكلام لأن قوله قد جاءتك آياتى تفسير لما تضمنته بلى (وجوههم مسودة) يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب (بمفازتهم) أصله من الفوز والتقدير بسبب فوزهم وقيل معناه بفضائلهم (وهو على كل شىء وكيل) أى قائم بتدبير كل شىء (مقاليد) مفاتيح وقيل خزائن واحدها مقليد وقيل إقليد وقيل لاواحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية ، وقال عثمان بن عفان سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال هى لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير فإن صح هذا الحديث فمعناه أن من قال هذه الكلمات صادقا مخلصا نال الخيرات والبركات من السموات والأرض لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكأنها مفاتيح له (والذين كفروا) الآية قال الزمخشرى إنها متصلة بقوله وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم وما بينهما من الكلام اعتراض (أفغير الله) منصوب بأعبد (تأمرونى) حذفت إحدى النونين

قَبْلَكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّٰكِرِينَ ۝ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِالنَّبِيِّۧنَ وَالشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَٰفِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ

تخفيفاً وقرئ بإدغام إحدى النونين فى الأخرى (لئن أشركت ليحبطن عملك) دليل على إحباط عمل المرتد مطلقا خلافا للشافعى فى قوله لايحبط عمله إلا إذا مات على الكفر فإن قيل الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله لئن أشركت لواحد : فالجواب أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حدته ، فإن قيل : كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك ، فالجواب أن ذلك على وجه الفرض والتقدير أى لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة ويحتمل أن يكون الخطاب لغيرهم وخوطبوا هم ليدل المعنى على غيرهم بالطريق الأولى (وما قدروا الله حق قدره) أى ماعظموه حق تعظيمه ولاوصفوه بما يجب له ولا نزهوه عما لايليق به والضمير فى قدروا لقريش وقيل لليهود (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار الذين ماقدروا الله حق قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم فى غيرها من المشكلات فقالت المتأولة إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة وقال ابن الطيب إنها صفة زائدة على صفات الذات وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذى لايعلم علم حقيقته إلا الله وقد قال ابن عباس مامعناه إن الأرض فى قبضته والسموات مطويات كل ذلك بيمينه ، وقال ابن عمر مامعناه : إن الأرض فى قبضة اليد الواحدة والسموات مطويات باليمين الأخرى لأن كلتا يديه يمين (ونفخ فى الصور) هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت وقد قيل إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر فى هذه الآية (إلا من شاء الله) قيل يعنى جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يميتهم الله بعد ذلك وقيل استثناء الأنبياء وقيل الشهداء (ثم نفخ فيه أخرى) هى نفخة القيام (قيام ينظرون) قيل إنه من النظر وقيل من الانتظار أى ينتظرون ما يفعل بهم (ووضع الكتاب) يعنى صحائف الأعمال وإنما وحدها لأنه أراد الجنس وقيل هو اللوح المحفوظ (وجىء بالنبيين) ليشهدوا على قومهم (والشهداء) يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد فى سبيل الله والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين والمراد على هذا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس وقيل يعنى الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق (زمرا) فى الموضعين جمع زمرة وهى الجماعة من الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أشد نجم فى السماء إضاءة ثم هم بعد

جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝

ذلك منازل (خزنتها) جمع خازن حيث وقع (كلمة العذاب) يعنى القضاء السابق بعذابهم (وفتحت أبوابها) إنما قال فى الجنة وفتحت أبوابها بالواو وقال فى النار فتحت بغير واو لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجىء أهلها والمعنى حتى إذا جاؤها وأبوابها مفتحة فالواو واو الحال وجواب إذا على هذا محذوف وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤها فوقع قوله فتحت جواب الشرط فكأنه بغير واو وقال الكوفيون الواو فى أبواب الجنة واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية وقيل الواو زائدة وفتحت هو الجواب (وأورثنا الأرض) يعنى أرض الجنة والوراثة هنا استعارة كأنهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة (نتبوأ) أى ننزل من الجنة حيث نشاء ونتخذه مسكنا (حافين من حول العرش) أى محدقين به دائرين حوله (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول، ويحتمل هنا أن يكون للملائكة والقضاء بينهم توفية أجورهم على حسب منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة أو جميع الخلق أو أهل الجنة : لقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

(تمّ الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع وأوله : سورة غافر)

استدراك

وقع فى هذا الجزء فى بعض النسخ بصفحة ١٨٧ بالسطر الأول «لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ» وصوابه «لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ» فتنبه

فهرس الجزء الثالث من كتاب التسهيل

صفحة			صفحة			صفحة		
٢	سورة	مريم	٨٣	سورة	الشعراء	١٣٢	سورة	الأحزاب
١٠	»	طه	٩٢	»	النمل	١٤٦	»	سبأ
٢٢	»	الأنبياء	١٠٢	»	القصص	١٥٤	»	فاطر
٣٤	»	الحج	١١٣	»	العنكبوت	١٦٠	»	يس
٤٨	»	المؤمنون	١٢٠	»	الروم	١٦٨	»	الصافات
٥٨	»	النور	١٢٦	»	لقمان	١٧٨	»	ص
٧٤	»	الفرقان	١٢٩	»	السجدة	١٩٠	»	الزمر

كتاب التسهيل

لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الرابع

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية

وصححها نخبة من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر

مكية إلا آيتى ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * حٰمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۞ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ
ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۞ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ
فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۞ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ ۞ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا
وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ
عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

سورة غافر

(حم) تقدم الكلام على حروف الهجاء، وتختص حم بأن معناها: حم الأمر، أى قضى، وقال ابن عباس «الر» و «حم» و «ن» هى حروف الرحمن (تنزيل الكتاب) ذكر فى الزمر (ذى الطول) أى ذى الفضل والإنعام، وقيل الطول الغنى والسعة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) جعل لا يغررك بمعنى لا يحزنك ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (والأحزاب) يراد بهم عاد وثمود وغيرهم (ليأخذوه) أى ليقتلوه (ليدحضوا) أى ليبطلوا به الحق (حقت كلمة ربك) أى وجب قضاؤه (ومن حوله) عطف على الذين يحملون (ويؤمنون به) إن قيل مافائدة قوله ويؤمنون به، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشرى، وقال إن فيه فائدة أخرى وهى أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية، وهذه نزعته إلى مذهب المعتزلة فى استحالة رؤية الله (وسعت كل شىء رحمة وعلماً) أصل الكلام وسعت رحمتك وعلمك كل شىء، فالسعة فى المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم وإنما أسندتا إلى الله تعالى فى اللفظ لقصد المبالغة فى وصف الله تعالى بهما كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شىء (وقهم السيآت) يحتمل أن يكون المعنى قهم السيئات نفسها

وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ
مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا
بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ
لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۝ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝ فَادْعُوا
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن

بحيث لا يفعلونها أو يكون المعنى فهم جزاء السيآت فلا تؤاخذهم بها (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) المقت البغض الذى يوجبه ذنب أوعيب وهذه الحال تكون للكفار عنددخولهم النار فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أى مقت بعضهم بعضاً ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه فتناديهم الملائكة وتقول لهم مقت الله لكم فى الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم فقوله لمقت الله مصدر مضاف إلى الفاعل وحذف المفعول لدلالة مفعول مقتكم عليه وقوله إذ تدعون ظرف العامل فيه مقت الله عاما من طريق المعنى ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو لأن مقت الله مصدر فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته فيحتاج أن يقدر للظرف عامل وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله أنفسكم والابتداء بالظرف وهذا ضعيف لأن المراعى المعنى وقد جعل الزمخشرى مقت الله عاما فى الظرف ولم يعتبر الفصل (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) هذه الآية كقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدما أو كونهم فى الأصلاب أو فى الأرحام ، والموتة الثانية الموت المعروف والحياة الأولى حياة الدنيا ، والحياة الثانية حياة البعث فى القيامة وقيل الحياة الأولى حياة الدنيا والثانية الحياة فى القبر ، والموتة الأولى الموت المعروف ، والموتة الثانية بعد حياة القبر ، وهذا قول فاسد لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجىء الحياة ثلاث مرات فإن قيل كيف اتصال قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله فالجواب أنهم كانوا فى الدنيا يكفرون بالبعث فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك فأقروا به حينئذ ليرضوا الله بإقرارهم حينئذ فقولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إقرار بالبعث على أكمل الوجوه طمعا منهم أن يخرجوا عن المقت الذى مقتهم الله إذ كانوا يدعون إلى الإسلام فيكفرون (فاعترفنا بذنوبنا) الفاء هنا رابطة معناها التسبب ، فإن قيل كيف يكون قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين سببا لاعترافهم بالذنوب ؟ فالجواب أنهم كانوا كافرين بالبعث فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرر عليهم علموا أن الله قادر على البعث فاعترفوا بذنوبهم وهى إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصى فإن من لم يؤمن بالآخرة لا يبالى بالوقوع فى المعاصى (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) الباء سببية للتعليل والإشارة بذلكم يحتمل أن تكون للعذاب الذى هم فيه أو إلى مقت الله لهم أو مقتهم لأنفسهم والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام وذلك أنهم لما قالوا فهل إلى خروج من سبيل كأنهم قيل لهم لا سبيل إلى الخروج فالإشارة بقوله ذلكم إلى عدم خروجهم من النار (يريكم آياته) يعنى العلامات الدالة عليه من مخلوقاته ومعجزات رسله (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر (رفيع الدرجات) يحتمل أن يكون المعنى مرتفع الدرجات فيكون بمعنى العالى أو رافع

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۖ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ
ٱلْقَهَّارِ ۝ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ
ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟
سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ
ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

درجات عباده فى الجنة وفى الدنيا (يلقى الروح) يعنى الوحى (من أمره) يحتمل أن يريد الأمر الذى هو واحد الأمور أو الأمر بالخير فعلى الأول تكون من للتبعيض أو لابتداء الغاية وعلى الثانى تكون لابتداء الغاية أو بمعنى الباء (يوم التلاق) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك لأن الخلائق يلتقون فيه وقيل لأنه يلتقى فيه أهل السموات والأرض وقيل لأنه يلتقى الخلق مع ربهم ، والفاعل فى ينذر ضمير يعود على من يشاء أو على الروح أو على الله (لمن الملك اليوم) هذا من كلام الله تعالى تقرير اللخلق يوم القيامة فيجيبونه ويقولون لله الواحد القهار وقيل بل هو الذى يجيب نفسه لأن الخلق يسكتون هيبة له وقيل إن القائل لمن الملك اليوم ملك (يوم الآزفة) يعنى القيامة ومعناه القريبة (إذ القلوب لدى الحناجر) معناه أن القلوب قد صعدت من الصدور لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة أو مجاز عبر به عن شدة الخوف والحناجر جمع حنجرة وهى الحلق (كاظمين) أى محزونين حزنا شديدا كقوله فهو كظيم وقيل معناه يكظمون حزنهم أى يطمعون أن يخفوه والحال تغلبهم وانتصابه على الحال من أصحاب القلوب لأن معناه قلوب الناس أو من المفعول فى أنذرهم أو من القلوب وجمعها جمع المذكر لما وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (ما للظالمين من حميم) أى صديق مشفق (ولا شفيع يطاع) يحتمل أن يكون نفى الشفاعة وطاعة الشفيع أو نفى طاعة الشفيع خاصة ، كقولك ما جاءنى رجل صالح فنفيت الصلاح وإن كان قد جاءك رجل غير صالح ، والأول أحسن لأن الكفار ليس لهم من يشفع فيهم (يعلم خائنة الأعين) أى استراق النظر والخائنة مصدر بمعنى الخيانة أو وصف للنظرة وهذا الكلام متصل بما تقدم من ذكر الله واعتراض فى أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد اليه من قوله لينذر يوم التلاق (وسلطان مبين) حجة ظاهرة وهى المعجزات (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) هذا القتل غير القتل الذى كانوا يقتلون أولا قبل ميلاد موسى (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه) المعنى أنه لا يبالى بدعاء موسى لربه ، ولا يخاف من ذلك إن قتله ، ويظهر من قوله ذرونى أنه كان فى الناس من ينازعه فى قتل موسى ، وذلك يدل على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات

أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَٰقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝ وَقَالَ الَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝

موسى (أوأن يظهر فى الأرض الفساد) يعنى فسادأحوالهم فى الدنيا ، وقرئ وأن يظهر بالواو وبأو ويظهر بفتح الياء ورفع الفساد على الفاعلية وبضم الياء ونصب الفساد على المفعولية (وقال موسى إنى عذت) الآية لما سمع موسى ماهمّ به فرعون من قتله استعاذ بالله فعصمه الله منه ، وقال من كل متكبر ليشمل فرعون وغيره وليكون فيه وصف لغير فرعون بذلك الوصف القبيح (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل اسم هذا الرجل حبيب وقيل حزقيل ، وقيل شمعون بالشين المعجمة ، وروى أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون ، فقوله من آل فرعون صفة للمؤمن ، وقيل كان من بنى إسرائيل ، فقوله من آل فرعون على هذا يتعلق بقوله يكتم إيمانه ، والأول أرجح لأنه لايحتاج فيه إلى تقديم وتأخير ، ولقوله « فمن ينصرنا من بأس الله » لأن هذا كلام قريب شفيق ، ولأن بنى إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذاالكلام ، و (أن يقول) فى موضع المفعول من أجله تقديره أتقتلونه من أجل أن يقول ربى الله (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) أى إن كان موسى كاذبا فى دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه ، فلأى شىء تقتلونه ، فإن قيل : كيف قال وإن يك كاذبا بعدأن كان قد آمن به ؟ فالجواب أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير ، وقصد بذلك المحاجة لقومه ، فقسم أمر موسى إلى قسمين ، ليقيم عليهم الحجة فى ترك قتله على كل وجه من القسمين (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل إن بعض هنا بمعنى كل وذلك بعيد ، وإنماقال بعض ولم يقل كل مع أن الذى يصيبهم هو كل مايعدهم ليلاطفهم فى الكلام ، ويبعد عن التعصب لموسى ، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه ، فيرتجى إجابتهم للحق (وقال الذى آمن) هو المؤمن المذكور أولا وقيل هو موسى عليه السلام وهذا بعيد ، وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان وكان كلام المؤمن أولا غير صريح بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه ، إذ كان يكتم إيمانه ، والجواب : أنه كتم إيمانه أول الأمر ثم صرح به بعد ذلك ، وجاهرهم مجاهرة ظاهرة ، لما وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه إلى قوله « فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمرى إلى الله » (يوم التناد) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك لأن المنادى ينادى الناس ، وذلك قوله «يوم ندعو كل أناس» وقيل لأن بعضهم ينادى بعضا ، أى ينادى أهل الجنة

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِن بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ * ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ * أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ * وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ
يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ * يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ *
مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ * تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ
وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا
وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ

أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا وينادى أهل النار أن أفيضوا علينا من الماء (يوم تولون مدبرين) أى منطلقين إلى النار وقيل هاربين من النار (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) قيل هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب والبينات التى جاء بها يوسف لم تعين لنا، واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله لأن كل من ملك مصر يقال له فرعون (فلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) كلامهم هذا لايدل على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم لم يأت أحد يدعى الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية، وقال الزمخشرى: إنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته (الذين يجادلون) بدل من مسرف مرتاب وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد، لأنه فى معنى الجمع كأنه قال كل مسرف (كبر مقتا) فاعل كبر مصدر يجادلون، وقال الزمخشرى: الفاعل ضمير من هو مسرف (الأسباب) الأسباب هنا الطرق وقيل الأبواب، وكررها للتفخيم وللبيان (فأطلع) بالرفع عطف على أبلغ وبالنصب بإضمار أن فى جواب لعل لأن الترجى غير واجب، فهو كالتمنى فى انتصاب جوابه، ولا نقول إن لعل أشربت معنى ليت كما قال بعض النحاة (تباب) أى خسران (متاع) أى يتمتع به قليلا، فإن قيل لم كرر المؤمن نداء قومه مرارا؟ فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة والنصيحة، فإن قيل لم جاء بالواو فى قوله ويا قوم فى الثالث دون الثانى؟ فالجواب: أن الثانى بيان للأول وتفسير فلم يصح عطفه عليه بخلاف الثالث فإنه كلام آخر فصح عطفه عليه (ماليس لى به علم) أى ليس لى علم بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس بإله وإذا لم يكن إلها لم يصح علم ربوبيته (لا جرم) أى لابد ولا شك (ليس له دعوة) قال ابن عطية ليس له قدر ولا حق،

أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَامَكَرُوا وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ * قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ۝ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۝ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يجب أن يدعى اليه كأنه قال أتدعونى إلى عبادة مالا خطر له فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، ويحتمل اللفظ أن يكون معناه ليس له دعوة قائمة أى لا يدعى أحد إلى عبادته (فوقاه الله سيئات مامكروا) دليل على أن من فوض أمره إلى الله عز وجل كان الله معه (النار يعرضون عليها) النار بدل من سوء العذاب ، أو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمر ، وعرضهم عليها من حين موتهم إلى يوم القيامة ، وذلك مدة البرزخ بدليل قوله ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، واستدل أهل السنة بذلك على صحة ماورد من عذاب القبر ، وروى أن أرواحهم فى أجواف طيور سود تروح بهم وتغدو إلى النار (غدوا وعشيا) قيل معناه فى كل غدوة وعشية من أيام الدنيا وقيل المعنى على تقدير مابين الغدوة والعشية لأن الآخرة لاغدوة فيها ولا عشية (لخزنة جهنم) إن قيل هلا قال الذين فى النار لخزنتها فلم صرح باسمها ؟ فالجواب أن فى ذكر جهنم تهويلا ليس فى ذكر الضمير (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم فيكون متصلا بقوله فادعوا أو يكون من كلام الله تعالى استئنافا (إنا لننصر رسلنا) قيل إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار وليس بعام لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى ، والصحيح أنه عام ، والجواب عما ذكروه أن زكريا ويحيى لم يكونا من الرسل إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة لانصر الأنبياء كلهم (ويوم يقوم الأشهاد) يعنى يوم القيامة والأشهاد جمع شاهد أو شهيد ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور أو الشهادة على الناس أو الشهادة فى سبيل الله والأظهر أنه بمعنى الشهادة على الناس لقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) يحتمل أنهم لايعتذرون أو يعتذرون ولكن لاتنفعهم معذرتهم والأول أرجح لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون فنفى الاعتذار والانتفاع به (إن وعد الله حق) يعنى وعده لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالنصر والظهور على أعدائه الكفار (بالعشى والإبكار) قيل العشى صلاة العصر والإبكار صلاة الصبح وقيل العشى بعد العصر إلى الغروب والإبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (إن الذين يجادلون) يعنى كفار قريش (إن فى

يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ۝ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ
فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ كَذَٰلِكَ
يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ

صدورهم إلا كبر) أى تكبر وتعاظم يمنعهم من أن يتبعوك أوينقادوا إليك وقيل كبرهم أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها والأول أظهر لأن إرادتهم النبوة لأنفسهم حسد والأول هو الكبر (ماهم ببالغيه) أى لايبلغون مايقتضيه كبرهم من الظهور عليك ومن نيل النبوة (فاستعذ بالله) أى استعذ من شرهم لأنهم أعداءلك واستعذ من مثل حالهم فى الكبر والحسد واستعذ بالله فى جميع أمورك على الإطلاق (لخلق السموات والأرض أكبرمن خلق الناس) الخلق هنامصدرمضاف إلى المفعول والمرادبه الاستدلال على البعث لأن الإله الذى خلق السموات والأرض على كبرها قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها وقيل المراد توبيخ الكفار المتكبرين كأنه قال خلق السموات والأرض أكبرمن خلق الناس فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم والأول أرجح لوروده فى مواضع من القرآن لأنه قال بعده إن الساعة لآتية لاريب فيها فقدم الدليل ثم ذكر المدلول (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) الدعاءهنا هو الطلب والرغبة وهذا وعد مقيد بالمشيئة وهى موافقة القدر لمن أراد أن يستجيب له وقيل ادعونى هنا بمعنى اعبدونى بدليل قوله بعده إن الذين يستكبرون عن عبادتى وقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم تلا الآية وأستجب لكم على هذا القول بمعنى أغفرلكم أوأعطيكم أجوركم والأول أظهر ويكون قوله ويستكبرون عن عبادتى بمعنى يستكبرون عن الرغبة إلىّ كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة فمعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هى العبادة لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرعه إلى الله (داخرين) أى صاغرين (لتسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ورزقكم من الطيبات) يعنى المستلذات لأنه إذاجاء ذكر الطيبات فى معرض الإنعام فيرادبه المستلذات وإذا جاءفى معرض التحليل والتحريم فيرادبه الحلال والحرام (الحمدلله رب العالمين) هذامتصل بماقبله قال ذلك ابن عطية والزمخشرى وتقديره ادعوه مخلصين قائلين الحمد لله رب العالمين ولذلك قال ابن عباس من قال لاإله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين ويحتمل

الْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ إِذِ الْأَغْلَٰلُ فِىٓ
أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى الْحَمِيمِ ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِ
اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَٰفِرِينَ ۝ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ
فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۞ ادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِىَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا

أن يكون الحمد لله استئنافا (ثم يخرجكم طفلا) أراد الجنس ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة (ثم لتبلغوا أشدكم) ذكر الأشد فى سورة يوسف عليه السلام واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما لتبلغوا أجلا مسمى فمتعلق بمحذوف آخر تقديره فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى وهو الموت أو يوم القيامة (ألم تر إلى الذين يجادلون) يعنى كفار قريش وقيل هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم وهذا مردود بقوله الذين كذبوا بالكتاب إلا إن جعلته منقطعا مما قبله وذلك بعيد (إذ الأغلال فى أعناقهم) العامل فى إذ يعلمون وجعل الظرف الماضى من الموضع المستقبل لتحقق الأمر (يسحبون فى الحميم) أى يجرون والحميم الماء الشديد الحرارة (ثم فى النار يسجرون) هذا من قولك سجرت التنور اذا ملأته بالنار، فالمعنى أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب فى التنور، ولذلك قال مجاهد فى تفسيره توقد بهم النار (تمرحون) من المرح وهو الأشر والبطر وقيل الفخر والخيلاء (فبئس مثوى المتكبرين) إن قيل قياس النظم أن يقول بئس مدخل الكافرين لأنه تقدم قبله ادخلوا. فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود فى معنى الثوى (فإما نرينك بعض الذى نعدهم) أصل إما نرينك إن نريك ودخلت ما الزائدة بعد إن الشرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره إن أريناك بعض الذى نعدهم من العذاب قرت عينك بذلك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشد الانتقام (منهم من قصصنا عليك) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول وفى حديث آخر أربعة آلاف، وفى حديث أبى ذر إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ فذكر الله بعضهم فى القرآن، فهم الذين قص عليه ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه (فإذا جاء أمر الله قضى بالحق) قال الزمخشرى: أمر الله القيامة، وقال ابن عطية: المعنى إذا أراد

تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۝ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ۞

سورة فصلت

مكية وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي

الله إرسال رسول قضى ذلك ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذبين للرسل لقوله (وخسر هنالك المبطلون) هنالك فى الموضعين يراد به الوقت والزمان وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان (الأنعام) هى الإبل والبقر والضأن والمعز ، فقوله لتركبوا منها يعنى الإبل ومنها تأكلون يعنى اللحوم والمنافع منها اللبن والصوف وغير ذلك (ولتبلغوا عليها حاجة) يعنى قطع المسافة البعيدة وحمل الأثقال على الإبل، وتحملون يريد الركوب عليها وإنما كرره بعد قوله : لتركبوا منها لأنه أراد الركوب الأول المتعارف فى القرى والبلدان وبالحمل عليها الأسفار البعيدة ، قاله ابن عطية (ويريكم آياته) هذا عموم بعد ماقدم من الآيات المخصوصة ولذلك وبخهم بقوله فأى آيات الله تنكرون (فرحوا بما عندهم من العلم) الضمير يعود على الأمم المكذبين وفى تفسير علمهم وجوه : أحدها أنه ما كانوا يعتدون من أمر لا يبعثون ولا يحاسبون ، والثانى أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها ، والثالث أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع وقيل الضمير يعود على الرسل ، أى فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من يكذبهم وأما الضمير فى وحاق بهم فيعود على الكفار باتفاق ولذلك ترجح أن يكون الضمير فى فرحوا يعود عليهم ليتسق الكلام (سنة الله) انتصب على المصدرية والله سبحانه أعلم

سورة حم السجدة

(فصلت) أى بينت وقيل قطعت إلى سور وآيات (قرآنا عربيا) منصوب بفعل مضمر على التخصيص أو حال أو مصدر (لقوم يعلمون) معناه يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها وذلك هو العلم الذى يوجب التكليف وقيل معناه يعلمون الحق والإيمان فالأول عام وهذا خاص ، والأول أولى لقوله

ءَاذَانَنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ
إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَاسْتَقِيمُوٓا إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۝
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ
وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

فاعرض أكثرهم لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين، وقيل يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن إذ هو بلغتهم، وقوله لقوم يتعلق بتنزيل أو فصلت والأحسن أن يكون صفة لكتاب (فهم لا يسمعون) أى لا يقبلون ولا يطيعون وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة (فى أكنة) جمع كنان وهو الغطاء، (ومن بيننا وبينك حجاب) عبارة عن بعدهم عن الإسلام (فاعمل إننا عاملون) قيل معناه اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا فهى متاركة، وقيل اعمل فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك، فهو تهديد (الذين لا يؤتون الزكاة) هى زكاة المال وإنما خصها بالذكر لصعوبتها على الناس ولأنها من أركان الإسلام وقيل يعنى بالزكاة التوحيد وهذا بعيد وإنما حمله على ذلك لأن الآيات مكية ولم تفرض الزكاة إلا بالمدينة والجواب أن المراد النفقة فى طاعة الله مطلقا وقد كانت مأمورا بها بمكة (أجرا غير ممنون) أى غير مقطوع من قولك، منت الحبل إذا قطعته وقيل غير منقوص وقيل غير محصور، وقيل لا يمن عليهم به لأن المن يكدر الإحسان (أندادا) أى أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها (رواسى) يعنى الجبال (وبارك فيها) أكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أى أرزاق أهلها ومعاشهم وقيل يعنى أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التى بها قوام الأرض والأول أظهر (فى أربعة أيام) يريد أن الأربعة كملت باليومين الأولين فخلق الأرض فى يومين وجعل فيها ماذكر فى يومين، فتلك أربعة أيام وخلق السموات فى يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر فى مواضع كثيرة ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام بخلاف ماذكر فى المواضع الكثيرة (سواء) بالنصب مصدر تقديره استوت استواء قاله الزمخشرى، وقال ابن عطية انتصب على الحال (للسائلين) قيل معناه لمن سأل عن أمرها وقيل معناه للطالبين لها، ويعنى بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول تقديره يبين ذلك لمن سأل عنه ويتعلق بقدر على القول الثانى (ثم استوى إلى السماء) أى قصد إليها، ويقتضى هذا الترتيب: أن الأرض خلقت قبل السماء، فإن قيل كيف الجمع بين ذلك وبين قوله «والأرض بعد ذلك دحاها» فالجواب أنها خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد ذلك (وهى دخان) روى أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء فأيبس الماء فصار أرضا، ثم خلق السموات من الدخان المرتفع (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) هذه عبارة عن لزوم طاعتهما كما يقول الملك لمن تحت يده افعل كذا شئت أو أبيت أى لا بد لك من فعله، وقيل تقديره ائتيا طوعا وإلا أتيتما كرها ومعنى هذا الإتيان تصويرهما على الكيفية التى أرادها الله وقوله لهما ائتيا مجاز وهو عبارة عن تكوينه

قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا
بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ
جَآءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ
أُرْسِلْتُم بِهِ كَٰفِرُونَ ۝ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ
لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ

لها وكذلك قولها أتينا طائعين عبارة عن أنهما لم يمتنعا عليه حين أراد تكوينهما وقيل بل ذلك حقيقة وأنطق الله الأرض والسماء بقولها أتينا طائعين وإنما جمع طائعين جمع العقلاء لوصفهما بأوصاف العقلاء (فقضاهن سبع سموات) أى صنعهن والضمير للسموات السبع وانتصابها على التمييز تفسيرا للضمير وأعاد عليها ضمير الجماعة المؤنثة لأنها لا تعقل فهو كقولك الجذوع انكسرت وجمعهما جمع المفكر العاقل فى قوله طائعين لأنه وصفهما بالطوع وهو فعل العقلاء فعاملهما معاملتهم فهو كقولك رأيتهم لى ساجدين وأعاد ضمير التثنية فى قوله قالتا أتينا لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى (وأوحى فى كل سماء أمرها) أى أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ماشاء من الأمور التى بها قوامها وصلاحها وأضاف الأمر إليها لأنه فيها (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) يعنى الشمس والقمر والنجوم وهى زينة للسماء الدنيا سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات (وحفظا) تقديره وحفظناها حفظا ويجوز أن يكون مفعولا من أجله على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فإن أعرضوا) الضمير لقريش (صاعقة) يعنى واقعة واحدة شديدة وهى مستعارة من صاعقة النار وقرئ صعقة بإسكان العين وهى الواقعة من قولك صعق الرجل (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) معنى ما بين الأيدى المتقدم، ومعنى ما خلف المتأخر، فمعنى الآية: أن الرسل جاؤهم فى الزمان المتقدم واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك من بين أيديهم ثم جاءتهم رسل آخرون عندا كتمال أعمارهم فذلك من خلفهم قاله ابن عطية وقال الزمخشرى معناه أتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم فى التبليغ إليهم وقيل أخبروهم بما أصاب من قبلهم فذلك ما بين أيديهم وأنذروهم مايجرى عليهم فى الزمان المستقبل وفى الآخرة فذلك من خلفهم (أن لا تعبدوا إلا الله) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا إلا الله (فإنا بما أرسلتم به كافرون) ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعواكم وفيه تهكم (ريحا صرصرا) قيل إنه من الصر وهو شدة البرد فمعناه باردة وقيل إنه من قولك صرصر إذا صوت فمعناه لها صوت هائل (فى أيام نحسات) معناه من النحس وهو ضد السعد وقيل شديدة البرد وقيل متتابعة والأول أرجح، وروى أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وقرئ نحسات بإسكان الحاء وكسرها فأما الكسر فهو جمع نحس وهو صفة وأما الإسكان فتخفيف من الكسر على وزن فعل أو وصف بالمصدر (وأما ثمود فهديناهم) أى بينا لهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد (فهم يوزعون) أى يدفعون بعنف

فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ ۝ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ
وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن
ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝
فَإِن يَصْبِرُوا فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ ۝
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ * فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا
بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا

(وجلودهم) يعنى الجلود المعروفة وقيل هو كناية عن الفروج والأول أظهر (وما كنتم تستترون) الآيات يحتمل أن تكون من كلام الجلود أومن كلام الله تعالى أو الملائكة، وفى معناه وجهان: أحدهما لم تقدروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنها ملازمة لكم فلم يمكنكم احتراس من ذلك فشهدت عليكم، والآخر لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم، لأنكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، وهذا أرجح لاتساق مابعده معه ولما جاء فى الحديث الصحيح عن ابن مسعود: أنه قال اجتمع ثلاثة نفر قرشيان وثقفى قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم، فتحدثوا بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ماقلنا، فقال: الآخر إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا فقال الآخر: إن كان يسمع منا شيئاً فإنه يسمعه كله فنزلت الآية (أرداكم) أى أهلككم من الردى بمعنى الهلاك (وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين) هو من العتب بمعنى الرضا أى إن طلبوا العتبى ليس فيهم من يعطاها (وقيضنا لهم قرناء) أى يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الإنس (فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم) مابين أيديهم ماتقدم من أعمالهم، وما خلفهم ماهم عازمون عليه أو مابين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، والتكذيب بها (وحق عليهم القول) أى سبق عليهم القضاء بعذابهم (فى أمم) أى فى جملة أمم، وقيل فى بمعنى مع (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) روى أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله (والغوا فيه) المعنى لا تسمعوا إليه، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات وإنشاد الشعر وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد، وقيل معناه قعوا فيه وعيبوه (أرنا اللذين أضلانا) يقولون هذا إذا دخلوا جهنم، فقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضى، لتحققه، ومعنى اللذين أضلانا: كل من أغوانا

لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي

من الجن والإنس ، وقيل المراد ولد آدم الذى سن القتل وإبليس الذى أمر بالكفر والعصيان وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاصى وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر (تحت أقدامنا) أى فى أسفل طبقة من النار (ثم استقاموا) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، استقاموا على قولهم: ربنا الله ، فصح إيمانهم ودام توحيدهم وقال عمر بن الخطاب المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصى وقول عمر أكمل وأحوط وقول أبى بكر أرجح لما روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال قد قالها قوم ثم كفروا فمن مات عليها فهو ممن استقام ، وقال بعض الصوفية : معنى استقاموا أعرضوا عما سوى الله وهذه حالة الكمال على أن اللفظ لا يقتضيه (تتنزل عليهم الملائكة) يعنى عند الموت (ولكم فيها) الضمير للآخرة (ماتدعون) أى ماتطلبون (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) أى لا أحد أحسن أقولا منه ويدخل فى ذلك كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم ، وقيل : المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل المؤذنون وهذا بعيد لأنها مكية ، وإنما شرع الأذان بالمدينة ولكن المؤذنون يدخلون فى العموم (وما يلقاها) الضمير يعود على الخلق الجميل الذى يتضمنه قوله ادفع بالتى هى أحسن (ذو حظ عظيم) أى حظ من العقل والفضل وقيل حظ عظيم فى الجنة (وإما ينزغنك) إن شرطية دخلت عليها ما الزائدة ونزغ الشيطان وساوسه وأمره بالسوء (الذى خلقهن) الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر ، لأن جماعة مالا يعقل كجماعة المؤنث أو كالواحدة المؤنثة ، وقيل إنما يعود على الشمس والقمر وجمعهما لأن الاثنين جمع وهذا بعيد ، (الذين عند ربك) الملائكة (لا يسئمون) أى لا يملون (الأرض خاشعة) عبارة عن قلة النبات (اهتزت) ذكر فى الحج (إن الذى أحياها لمحيى الموتى) تمثيل واحتجاج على صحة البعث (إن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يطعنون عليها وهذا الإلحاد هو بالتكذيب وقيل باللغو فيه حسبما تقدم فى السورة (أفمن يلقى فى النار)

النَّار خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِى ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ اعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ الْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ

الآية : قيل إن المراد بالذى يلقى فى النار أبو جهل وبالذى يأتى آمناً عثمان بن عفان وقيل عمار بن ياسر واللفظ أعم من ذلك (اعملوا ماشئتم) تهديد لا إباحة (إن الذين كفروا بالذكر) الذكر هنا القرآن باتفاق وخبر إن محذوف تقديره ضلوا أو هلكوا ، وقيل خبرها أولئك ينادون من مكان بعيد ، وذلك بعيد (وإنه لكتاب عزيز) أى كريم على الله ، وقيل منيع من الشيطان (لا يأتيه الباطل) أى ليس فيما تقدمه مايبطله ولا يأتى بعده ما يبطله والمراد على الجملة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات (مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك) فى معناه قولان : أحدهما مايقول الله لك من الوحى والشرائع ، إلا مثل ماقال للرسل من قبلك ، والآخر مايقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ماقالت الأمم المتقدمون لرسلهم فالمراد على هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم بالتأسى ، والمراد على القول الأول أنه عليه الصلاة والسلام أتى بما جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته (إن ربك لذو مغفرة) يحتمل أن يكون مستأنفاً ، أو يكون هو المقول فى الآية المتقدمة وذلك على القول الأول ، وأما على القول الثانى فهو مستأنف منقطع مماقبله ، (ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته) الأعجمى الذى لا يفصح ولا يبين كلامه سواء كان من العرب أو من العجم والعجمى الذى ليس من العرب فصيحاً كان أو غير فصيح ، ونزلت الآية بسبب طعن قريش فى القرآن ، فالمعنى أنه لو كان أعجمياً لطعنوا فيه وقالوا هلا كان مبيناً فظهر أنهم يطعنون فيه على أى وجه كان (ءأعجمى وعربى) هذا من تمام كلامهم والهمزة للإنكار ، والمعنى : أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا قرآن أعجمى ورسول عربى ، أو مرسل إليه عربى ، وقيل إنما طعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية ، كسجين وإستبرق فقالوا قرآن أعجمى وعربى ، أى مختلط من كلام العرب والعجم ، وهذا يجرى على قراءة أعجمى بفتح العين (فى آذانهم وقر) عبارة عن إعراضهم عن القرآن فكأنهم صم لا يسمعون وكذلك (وهو عليهم عمى) عبارة عن قلة فهمهم له (أولئك ينادون من مكان بعيد) فيه قولان : أحدهما عبارة عن قلة فهمهم فشبههم بمن ينادى من مكان بعيد فهو لا يسمع الصوت ولا يفقه مايقال ، والثانى أنه حقيقة فى يوم القيامة ، أى ينادون من مكان بعيد ليسمعوا أهل الموقف توبيخهم ، والأول أليق بالكنايات التى قبلها (كلمة سبقت من ربك)

يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ۝

يعنى القدر (إليه يرد علم الساعة) أى علم زمان وقوعها ، فإذا سئل أحد عن ذلك قال : الله هو الذى يعلمها (من أكمامها) جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها (ويوم يناديهم أين شركائى) العامل فى يوم محذوف والمراد به يوم القيامة ، والضمير للمشركين وقوله أين شركائى توبيخ لهم ، وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين ، كأنه قال الشركاء الذين جعلتم لى (قالوا آذناك مامنا من شهيد) المعنى : أنهم قالوا أعلمناك مامنا من يشهد اليوم بأن لك شريكا لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى ضل عنهم شركاؤهم بمعنى أنهم لا يروهم حينئذ فما على هذا موصولة أوضل عنهم قولهم الذى كانوا يقولون من الشرك ، فما على هذا مصدرية (وظنوا مالهم من محيص) الظن هنا بمعنى اليقين ، والمحيص المهرب : أى علموا أنهم لامهرب لهم من العذاب وقيل يوقف على ظنوا ، ويكون مالهم : استئنافا ، وذلك ضعيف (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) أى لا يمل من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك ، ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة ، وقيل فى غيره من الكفار واللفظ أعم من ذلك (ليقولن هذا لى) أى هذا حقى الواجب لى ، وليس تفضلا من الله ولا يقول هذا إلا كافر ، ويدل على ذلك قوله (وما أظن الساعة قائمة) وقوله (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) معناه إن بعثت تكون لى الجنة وهذا تخرص وتكبر ، وروى أن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة (ونأى بجانبه) ذكر فى الإسراء (دعاء عريض) أى كثير ، وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذم لها (قل أرأيتم إن كان من عند الله) الآية معناها أخبرونى إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به ألستم فى شقاق بعيد فوضع قوله من أضل موضع الخطاب لهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) الضمير لقريش وفيها ثلاثة أقوال : أحدها أن الآيات فى الآفاق هى فتح الأقطار للمسلمين والآيات فى أنفسهم هى فتح مكة فجمع ذلك وعدا للمسلمين بالظهور ، وتهديدا للكفار ، واحتجاجا عليهم بظهور الحق وخمول الباطل ، والثانى أن الآيات فى الآفاق هى ما أصاب الأمم المتقدمة من الهلاك وفى أنفسهم يوم بدر . الثالث أن الآيات فى الآفاق : هى خلق السماء ومافيها من العبر والآيات ، وفى أنفسهم خلقة بنى آدم وهذا ضعيف لأنه قال سنريهم بسين الاستقبال ، وقد كانت السموات وخلقة بنى آدم مرئية والأول هو الراجح (إنه لحق) الضمير للقرآن أو للإسلام (محيط) أى محيط بعلمه وقدرته وسلطانه

سورة الشورى

مكية إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم ۝ عسق ۝ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ

سورة الشورى

(حم عسق) الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدم فى سورة البقرة ، وقد حكى الطبرى أن رجلا سأل ابن عباس عن حم عسق فأعرض عنه ، فقال حذيفة إنما كرهها ابن عباس لأنها نزلت فى رجل من أهل بيته اسمه عبد الله يبنى مدينة على نهر من أنهار المشرق ثم يخسف الله بها فى آخر الزمان ، والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد وقد ورد فى الحديث الصحيح أنها يخسف بها (كذلك يوحى إليك) الكاف نعت لمصدر محذوف والإشارة بذلك إلى ما تضمنه القرآن أو السورة ، وقيل الإشارة لقوله حم عسق فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها فى كل كتاب أنزله ، وفى صحة هذا نظر (الله العزيز الحكيم) اسم الله فاعل بيوحى ، وأما على قراءة يوحى بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الذى أوحى فقيل الله (تكاد السموات يتفطرن) أى يتشققن من خوف الله وعظيم جلاله ، وقيل من قول الكفار اتخذ الله ولدا ، فهى كالآية التى فى مريم قال ابن عطية : وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه : مردود لأن الله تعالى لا يوصف به (من فوقهن) الضمير للسموات والمعنى يتشققن من أعلاهن ، وذلك مبالغة فى التهويل ، وقيل الضمير للأرضين وهذا بعيد ، وقيل الضمير للكفار كأنه قال من فوق الجماعات الكافرة التى من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن ، وهذا أيضا بعيد (ويستغفرون لمن فى الأرض) عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض ، فهى كقوله ويستغفرون للذين آمنوا . وقيل إن يستغفرون للذين آمنوا نسخ هذه الآية ، وهذا باطل ، لأن النسخ لا يدخل فى الأخبار ، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم ، ومعناه الإمهال ، لهم وأن لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عاما ، فإن قيل : ما وجه اتصال قوله والملائكة يسبحون الآية : بما قبلها ؟ فالجواب أنا إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله فإنه يكون تسبيح الملائكة أيضا تعظيما له فينتظم الكلام ، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بنى آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بنى آدم وعن أقوالهم القبيحة (أم القرى) هى مكة ، والمراد أهلها ، ولذلك عطف عليه من حولها يعنى من الناس (يوم الجمع) يعنى يوم القيامة

هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ
رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ فَاطِرُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ
أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا
بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي
إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ فَلِذَٰلِكَ

وسمى بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه (أم اتخذوا) أم منقطعة ، والأولياء هنا المعبودون من دون الله (فحكمه إلى الله) أى ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم كقوله فردوه إلى الله والرسول (من أنفسكم أزواجا) يعنى الإناث (ومن الأنعام أزواجا) يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف (يذرؤكم فيه) معنى يذرؤكم يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن ، وقيل يكثركم ، والضمير المجرور يعود على الجعل الذى يتضمنه قوله جعل لكم ، وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه ، وقيل الضمير للتزويج الذى دل عليه قوله أزواجاً ، وقال الزمخشرى تقديره يذرؤكم فى هذا التدبير ، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا ، والضمير فى يذرؤكم خطاب للناس والأنعام غلب فيه العقلاء على غيرهم ، فإن قيل : لم قال يذرؤكم فيه وهلا قال يذرؤكم به ؟ فالجواب : أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبث والتكثير قاله الزمخشرى (ليس كمثله شىء) تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين ، قال كثير من الناس الكاف زائدة للتأكيد ، والمعنى ليس مثله شىء ، وقال الطبرى وغيره ليست بزائدة ، ولكن وضع مثله موضع هو ، والمعنى ليس كهو شىء قال الزمخشرى : وهذا كما تقول مثلك لا يبخل ، والمراد أنت لا تبخل ، فنفى البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته (مقاليد) قد ذكر (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا) اتفق دين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع جميع الأنبياء فى أصول الاعتقادات ، وذلك هو المراد هنا ، ولذلك فسره بقوله أن أقيموا الدين يعنى إقامة الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته ، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة ، وأما الأحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرائع فليست ترادهنا (أن أقيموا) يحتمل أن تكون أن فى موضع نصب بدلا من قوله ماوصى أو فى موضع خفض بدلا من به أو فى موضع رفع على خبر ابتداء مضمر أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب (كبر على المشركين ماتدعوهم إليه) أى صعب الإسلام على المشركين (الله يجتبى إليه من يشاء) الضمير فى إليه يعود على الله تعالى وقيل على الدين (وما تفرقوا) يعنى أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم (ولولا كلمة) يعنى القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم فى الدنيا (وإن الذين أورثوا الكتاب) يعنى المعاصرين لسيدنا

فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ اللَّهُ الَّذِىٓ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝ اللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى الْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ

محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، وقيل يعنى العرب ، والكتاب على هذا القرآن (فى شك منه) الضمير للكتاب ، أو للدين أولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فلذلك فادع) أى إلى ذلك الذى شرع الله فادع الناس فاللام بمعنى إلى والإشارة بذلك إلى قوله شرع لكم من الدين أو إلى قوله ما توصوهم إليه وقيل إن اللام بمعنى أجل والإشارة إلى التفرق والاختلاف أى لأجل ما حدث من التفرق ادع إلى الله وعلى هذا يكون قوله واستقم معطوفا وعلى الأول يكون مستأنفا فيوقف على فادع واستقم (كما أمرت) أى دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته (ولا تتبع أهواءهم) الضمير للكفار وأهواؤهم ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله (وأمرت لأعدل بينكم) قيل يعنى العدل فى الأحكام إذا تخاصموا إليه ، ويحتمل أن يريد العدل فى دعائهم إلى دين الإسلام أى أمرت أن أحملكم على الحق (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا جدال ولا مناظرة ، فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون (والذين يحاجون فى الله) أى يجادلون المؤمنين فى دين الإسلام ، ويعنى كفار قريش ، وقيل اليهود (من بعد ما استجيب له) الضمير يعود على الله أى من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا فى دينه ، وقيل يعود على الدين وقيل على محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر وأحسن (حجتهم داحضة) أى زاهقة باطلة (أنزل الكتاب) يعنى جنس الكتاب (بالحق) أى بالواجب أو متضمنا الحق (والميزان) قال ابن عباس وغيره يعنى العدل ، ومعنى إنزال العدل ، إنزال الأمر به فى الكتب المنزلة ، وقيل يعنى الميزان المعروف ، فإن قيل : ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟ فالجواب أن الساعة يوم الجزاء والحساب ، فكأنه قال اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذى تحاسبون فيه على أعمالكم (لعل الساعة قريب) جاء قريب ، بالتذكير لأن تأنيث الساعة غير حقيقى ، ولأن المراد به وقت الساعة (يستعجل بها) أى يطلبون تعجيلها استهزاء بها وتعجيزا للمؤمنين (يمارون) أى يجادلون ويخالفون (يرزق من يشاء) يعنى الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان فى قوله : وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها : أى ما تقوم به الحياة ، فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره والزائد خاص بمن شاء الله (حرث الآخرة) عبارة عن العمل لها وكذلك حرث الدنيا وهو مستعار من حرث الأرض لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل (نزد له فى حرثه) عبارة عن تضعيف الثواب (نؤته منها) أى نؤته منها ما قدر له لأن كل أحد لا بد أن يصل إلى ما قسم

وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تَرَى الظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌۢ
بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝
ذَٰلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ
وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ
يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ
عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ

له (وماله فى الآخرة من نصيب) هذا للكفار ، أو لمن كان يريد الدنيا خاصة ، ولا رغبة له فى الآخرة (أم لهم شركاء) أم منقطعة للإنكار والتوبيخ ، والشركاء الأصنام وغيرها ، وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) الضمير فى شرعوا للشركاء ، وفى لهم للكفار ، وقيل بالعكس والأول أظهر ولم يأذن بمعنى لم يأمر ، والمراد بما شرعوا من البواطل فى الاعتقادات وفى الأعمال كالبحيرة والوصيلة وغير ذلك (ولولا كلمة الفصل) أى لولا القضاء السابق بأن لا يقضى بينهم فى الدنيا لقضى بينهم فيها (ترى الظالمين مشفقين) يعنى فى الآخرة (ذلك الذى يبشر الله عباده) تقديره يبشر به وحذف الجار والمجرور (إلا المودة فى القربى) فيه أربعة أقوال : الأول أن القربى بمعنى القرابة ، وفى بمعنى من أجل ، والمعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودونى لأجل القرابة التى بينى وبينكم فالمقصد على هذا استعطاف قريش ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم قرابة : الثانى أن القربى بمعنى الأقارب ، أو ذوى القربى والمعنى إلا أن تودوا أقاربى وتحفظونى فيهم ، والمقصد على هذا وصية بأهل البيت : الثالث أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض ، والمعنى أن تودوا أقاربكم ، والمقصود على هذا وصية بصلة الأرحام : الرابع أن القربى التقرب إلى الله ، والمعنى إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته ، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع ، وأما على الأول والثانى فيحتمل الانقطاع لأن المودة ليست بأجر ، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فجعل المودة كالأجر (يقترف) أى يكتسب (نزد له فيها حسنا) يعنى مضاعفة الثواب (أم يقولون) أم منقطعة للإنكار والتوبيخ (فإن يشا الله يختم على قلبك) فالمقصد بهذا قولان : أحدهما أنه رد على الكفار فى قولهم أفترى على الله كذباً : أى لو افتريت على الله كذباً لختم على قلبك ولكنك لم تفتر على الله كذبا فقد هداك وسددك ، والآخر أن المراد إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذاهم (ويمح الله الباطل) هذا فعل مستأنف غير معطوف على ماقبله لأن الذى قبله مجزوم وهذا مرفوع فيوقف على ماقبله ويبدأ به ، وفى المراد به وجهان أحدهما أنه من تمام ماقبله : أى لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك ومحا الباطل الذى كنت تفتريه لو افتريت ، والآخر أنه وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر ويحق الحق وهو الإسلام (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) عن هنا بمعنى من ، وكأنه قال التوبة الصادرة من عباده وقبول

وَالْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ
إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ
خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن
مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ۝ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ

التوبة على ثلاثة أوجه : أحدها التوبة من الكفر فهى مقبولة قطعا والثانى التوبة من مظالم العباد فهى غير مقبولة حتى ترد المظالم أو يستحل منها والثالث التوبة من المعاصى التى بين العبد وبين الله فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية وقيل إنها فى المشيئة (ويعفو عن السيئات) العفو مع التوبة على حسب ماذكرنا وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام الأول العفو عن الكفر وهو لايكون أصلا والثانى العفو عن مظالم العباد وهو كذلك والثالث العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وهو حاصل باتفاق الرابع العفو عن الكبائر فمذهب أهل السنة فى المشيئة ومذهب المعتزلة أنها لاتغفر إلا بالتوبة (ويستجيب الذين آمنوا) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معنى يستجيب يجيب والذين آمنوا مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى أى يجيبهم فيما يطلبون منه وقال الزمخشرى أى أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام والثانى أن معناه يجيب والذين آمنوا فاعل أى يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه والثالث أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم واستفعل على هذا على بابه من الطلب والأول أرجح لدلالة قوله ويزيدهم من فضله ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل (ويزيدهم من فضله) أى يزيدهم مالايطلبون زيادة على الاستجابة فيما طلبوا وهذه الزيادة روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنها الشفاعة والرضوان (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) أى بغى بعضهم على بعض وطغوا لأن الغنى يوجب الطغيان وقال بعض الصحابة فينا نزلت لأنا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنيناها (وهو الذى ينزل الغيث من بعدماقنطوا) قيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال الآن يمطرون وأخذ ذلك من هذه الآية ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اشتدى أزمة تنفرجى (وينشر رحمته قيل يعنى المطر فهو تكرار للمعنى الأول بلفظ آخر وقيل يعنى الشمس وقيل بالعموم (ومابث فيهما من دابة) لاإشكال لأن الدواب فى الأرض وأما فى السماء فقيل يعنى الملائكة وقيل يمكن أن تكون فى السماء دواب لانعلمها نحن وقيل المعنى أنه بث فى أحدهما فذكر الاثنين كما تقول فى بنى فلان كذا وإنما هو فى بعضهم (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) يريد جمع الخلق فى الحشر يوم القيامة (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المعنى أن المصائب التى تصيب الناس فى أنفسهم وأموالهم إنما هى بسبب الذنوب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لايصيب ابن آدم خدش عود أوعثرة قدم ولااختلاج عرق إلا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر وقرئ بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذى وقرئ بالفاء على أن يكون ماأصابكم شرطا (بمعجزين) قدذكر (الجوارى) جمع جارية وهى السفينة (كالأعلام)

فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ * فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَٱلَّذِينَ
ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ

جمع علم وهو الجبل (إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) الضمير فى يظللن للجوارى وفى ظهره للجر، أى لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر فالمقصود تعديد النعمة فى إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه (أو يوبقهن بما كسبوا) عطف على يسكن الريح، ومعنى يوبقهن يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة والضمير فيه للسفن، وفى كسبوا لركابها من الناس والمعنى أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) أى يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله وقرئ يعلم بالرفع على الاستئناف، وبالنصب واختلف فى إعرابه على قولين: أحدهما أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء لأنه غير واجب وأنكر ذلك الزمخشرى وقال إنه شاذ فلا ينبغى أن يحمل القرآن عليه، والثانى قول الزمخشرى إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره، لينتقم منهم ويعلم، قال ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف فى القرآن كثير، ومنه قوله ولنجعله آية للناس (كبائر الإثم) ذكرنا الكبائر فى النساء وقيل كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هى الزنا واللفظ أعم من ذلك (والذين استجابوا لربهم) قيل يعنى الأنصار لأنهم استجابوا لما دعاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام، ويظهر لى أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، لأنه بدأ أولا بصفات أبى بكر الصديق، ثم صفات عمر بن الخطاب ثم صفات عثمان بن عفان ثم صفات على بن أبى طالب، فكونه جمع هذه الصفات ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك فأما صفات أبى بكر فقوله: الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، وإنما جعلناها صفة أبى بكر وإن كان جميعهم متصفا بها لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان الأمة لرجحهم وقال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة الإيمان وأبو بكر بابها وقال أبو بكر لو كشف الغطاء لما ازددت إلا يقينا والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان. أما صفات عمر فقوله: والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش لأن ذلك هو التقوى، وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة التقوى وعمر بابها وقوله وإذا ما غضبوا هم يغفرون، وقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله نزلت فى عمر، وأما صفات عثمان فقوله: والذين استجابوا لربهم لأن عثمان لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان تبعه وبادر إلى الإسلام وقوله وأقاموا الصلاة، لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية: وروى أنه كان يحيى الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله، وقوله وأمرهم شورى بينهم لأن عثمان ولى الخلافة بالشورى، وقوله ومما رزقناهم ينفقون، لأن عثمان كان كثير النفقة فى سبيل الله ويكفيك أنه جهز جيش العسرة، وأما صفة علىّ فقوله والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون، لأنه لما

هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۝ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ

قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارا للحق ، وانظر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقاتلين لعلى الفئة الباغية حسبما ورد فى الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فذلك هو البغى الذى أصابه وقوله « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » إشارة إلى فعل الحسن بن علىّ حين بايع معاوية ، وأسقط حق نفسه ليصلح أحوال المسلمين ، ويحقن دماءهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فى الحسن إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقوله ولمن انتصر بعد ظلمه ، فأولئك ماعليهم من سبيل إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن ، وطلبه للخلافة وانتصاره من بنى أمية ، وقوله « إنما السبيل على الذين يظلمون الناس » إشارة إلى بنى أمية ، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء فى الحديث عنهم ، أنهم جعلوا عباد الله خولا ومال الله دولا ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون على بن أبى طالب على منابرهم ، وقوله « ولمن صبر وغفر » الآية إشارة إلى صبر أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ماناالهم من الضر والذل ، طول مدة بنى أمية (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى العقوبة باسم الذنب وجعلها مثلها تحرزا من الزيادة عليها (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) هذا يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار ، لأنه ضمن الأجر فى العفو ، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة فى قوله « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل » وقيل إن الانتصار أفضل ، والأول أصح فإن قيل كيف ذكر الانتصار فى صفات المدح فى قوله « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » والمباح لامدح فيه ولاذم ، فالجواب : من ثلاثة أوجه أحدها أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا بباطل ، والثانى أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرزا ممن بدأ بالظلم فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم ، والثالث إن كانت الإشارة بذلك إلى على بن أبى طالب حسبما ذكرنا فانتصاره محمود ، لأن قتال أهل البغى واجب لقوله تعالى « فقاتلوا التى تبغى » (يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) عبارة عن الذل والكآبة ، ومن الذل يتعلق بخاشعين (ينظرون من طرف خفى) فيه قولان : أحدهما أنه عبارة عن الذل ، لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة والآخر أنهم يحشرون عميا فلا ينظرون بأبصارهم ، وإنما ينظرون بقلوبهم واستبعد هذا ابن عطية والزمخشرى : والظرف يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرا (يوم القيامة) يتعلق بقال أو بخسروا (ألا إن الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفا من كلام الله تعالى (لامرد له)

اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ۝ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۝ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ۝ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝

ذكر فى الروم (من نكير) أى إنكار يعنى لاتنكرون أعمالكم (يهب لمن يشاء إناثا) قدم الإناث اعتناء بهن وتأنيسا لمن وهبهن له . قال واثلة بن الأسقع من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر ، لأن الله بدأ بالإناث وقال بعضهم : نزلت هذه الآية فى الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور وإبراهيم كان له ذكور دون إناث ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم جمع الإناث والذكور ويحيى كان عقيما والظاهر أنها على العموم فى جميع الناس ، إذ كل واحد منهم لايخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التى ذكر وفى الآية من أدوات البيان التقسيم (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) الآية : بين الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه أحدها الوحى المذكور أولا وهو الذى يكون بإلهام أو منام والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب الثالث الوحى بواسطة الملك وهو قوله أو يرسل رسولا يعنى ملكا فيوحى بإذنه مايشاء إلى النبى وهذا خاص بالأنبياء والثانى خاص بموسى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ كلمه الله ليلة الإسراء وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرا وقد يكون لسائر الخلق ومنه وأوحى ربك إلى النحل ومنه منامات الناس (أو يرسل رسولا) قرئ يرسل ، ويوحى بالرفع على تقدير أو هو يرسل وبالنصب عطفا على وحيا لأن تقديره أن يوحى عطف على أن المقدرة (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الروح هنا القرآن والمعنى مثل هذا الوحى وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآن والأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور أو يكون من الأمر بالشىء (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان) المقصد بهذا شيئان أحدهما تعداد النعمة عليه صلى الله عليه وسلم بأن علمه الله مالم يكن يعلم والآخر احتجاج على نبوته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد، فإن قيل أما كونه لم يكن يدرى الكتاب فلا إشكال فيه وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم . فالجواب أن الإيمان يحتوى على معارف كثيرة وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه وقد كان مؤمنا بالله قبل ذلك فالإيمان هنا يعنى به كمال المعرفة وهى التى حصلت له بالنبوة (ولكن جعلناه نورا) الضمير للقرآن

سورة الزخرف

مكية إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ حٰمٓ ۞ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۞ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۞ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۞ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۞ وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۞ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ

سورة الزخرف

(والكتاب المبين) يعنى القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين ، أو المبين لغيره (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) أم الكتاب ، اللوح المحفوظ والمعنى أن القرآن وصف فى اللوح بأنه على حكيم ، وقيل المعنى أن القرآن نسخ بجملته فى اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله فوصفه الله بأنه على حكيم لكونه مكتوب فى اللوح المحفوظ والأول أظهر وأشهر (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) الهمزة للإنكار والمعنى أنمسك عنكم الذكر ونضرب من قولك أضربت عن كذا إذا تركته والذكر يراد به القرآن أو التذكير والوعظ وصفحا فيه وجهان : أحدهما أنه بمعنى الإعراض ، تقول صفحت عنه إذا أعرضت عنه فكأنه قال أنترك تذكيركم إعراضا عنكم وإعراب صفحا على هذا مصدر من المعنى أو مفعول من أجله أو مصدر فى موضع الحال والآخر أن يكون بمعنى العفو والغفران ، فكأنه يقول أنمسك عنكم الذكر عفوا عنكم وغفرانا لذنوبكم وإعراب صفحا على هذا مفعول من أجله أو مصدر فى موضع الحال (أن كنتم قوما مسرفين) قرئ بكسر الهمزة على الشرط والجواب فى الكلام الذى قبله وقرئ بالفتح على أنه مفعول من أجله (أشد منهم بطشا) الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله أن كنتم قوما مسرفين ، فإن قيل كيف قال إن كنتم على الشرط بحرف إن التى معناها الشك ومعلوم أنهم كانوا مسرفين ، فالجواب أن فى ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم فى ارتكابه فكأنه شىء لا يقع من عاقل فلذلك وضع حرف التوقع فى موضع الواقع (ومضى مثل الأولين) أى تقدم فى القرآن ذكر حال الأولين وكيفية إهلاكهم لما كفروا (ولئن سألتهم) الآية احتجاج على قريش لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذى خلق السموات والأرض وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره ، ومقتضى جوابهم أن يقولوا خلقهن الله ، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضى أن يعترفوا بأنه عزيز عليم ، وأما قوله الذى جعل لكم فهو من كلام الله لا من كلامهم (مهادا) أى فراشا على وجه التشبيه (سبلا) أى طرقا تمشون فيها (ماء بقدر) أى بمقدار ووزن معلوم وقيل معناه بقضاء (كذلك تخرجون) تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض (الأزواج كلها)

رَبِّكُم إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝

يعنى أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك (لتستووا على ظهوره) الضمير يعود على ماتركبون (ثم تذكروا نعمة ربكم) يحتمل أن يكون هذا الذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة فى تسخير هذا المركوب أوالنعمة على الاطلاق، وكان بعض السلف اذا ركب دابة يقول الحمد لله الذى هدانا للإسلام، ثم يقول سبحان الذى سخر لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أى مطيقين وغالبين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) اعتراف بالحشر فإن قيل مامناسبة هذا للركوب؟ فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من غرق السفينة أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعدا للموت الذى قد يعرض له وقيل يذكر عند الركوب ركوب الجنازة، (وجعلوا له من عباده جزءا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب، وفى له لله تعالى وهذا الكلام متصل بقوله ولئن سألتهم الآية والمعنى أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكأنهم جعلوا جزءا من عباده نصيباً له وحظا دون سائر عباده وقال الزمخشرى معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءا منه وقال بعض اللغويين الجزء فى اللغة الإناث واستشهد على ذلك ببيت شعر قال الزمخشرى وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم للإنكار والرد على الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ومعنى أصفاكم خصكم أى كيف يتخذ لنفسه البنات وهن أدنى وأصفاكم بالبنين وهم أعلا (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى إذا بشر بالأنثى وقد ذكر هذا المعنى فى النحل والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى عن قولهم (أومن ينشؤا فى الحلية) المراد بمن ينشأ فى الحلية النساء والحلية هى الحلى من الذهب والفضة وشبه ذلك ومعنى ينشأ فيها يكبر وينبت فى استعمالها وقرئ ينشأ بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربى فيها والمقصد الرد على الذين قالوا الملائكة بنات الله كأنه قال أجعلتم لله من ينشأ فى الحلية وذلك صفة النقص ثم أتبعها بصفة نقص أخرى وهى قوله وهو فى الخصام غير مبين يعنى أن الأنثى إذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها وقل ماتجد امرأة إلا تفسد الكلام وتخلط المعانى فكيف ينسب لله من يتصف بهذه النقائص وإعراب ينشأ مفعول بفعل مضمر تقديره أجعلتم لله من ينشأ أومبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ فى الحلية خصصتم به الله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة أحدها أنهم نسبوا إلى الله الولد، والآخر أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين، والثالث أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا، وقرئ عند الرحمن بالنون، والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم كقوله والذين عندربك، وقرئ عباد بالباء جمع عبد والمراد به أيضا الاختصاص والتشريف (أشهدوا خلقهم) هذا رد على العرب فى قولهم إن الملائكة إناثا، والمعنى هم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ماليس لهم به علم؟ (ستكتب شهادتهم ويسئلون) أى تكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة، ويسئلون عنها يوم القيامة

وَقَالُوا لَوْشَآءَ الرَّحْمَٰنُ مَاعَبَدْنَٰهُم مَّالَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم
بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۝ بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَٰلَ
أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ
سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ

(وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) الضمير فى قالوا للكفار، وفى عبدناهم للملائكة، وقال ابن عطية الأصنام والأول أظهر وأشهر، والمعنى احتجاج احتج به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا لوأراد الله أن لانعبدهم ماعبدناهم، فكونه يمهلنا وينعم علينا: دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم، ثم رد الله عليهم بقوله (مالهم بذلك من علم) يعنى أن قولهم بلادليل وحجة، وإنما هو تخرص منهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن، وهذا أيضا رد عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يحتجون به (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين وطريقة، والمعنى أنهم ليس لهم حجة، وإنماهم مقلدو آبائهم (وكذلك ماأرسلنا من قبلك) الآية المعنى كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة اتبع كل من كان قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة بل بطريق التقليد المذموم (قل أولوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) هذا رد على الذين اتبعوا آباءهم، والمعنى قل لهم أتتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذى وجدتم عليه آباءكم، وقرئ قال أو لوجئتكم، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم، وأما قراءة قل بالأمر فهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يقول ذلك لقريش وقيل هوللنذير المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه، والأول أظهر، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضا بين قصة المتقدمين، فإن قوله قالوا إنا بمأرسلتم به كافرون: حكاية عن الكفار المتقدمين، وكذلك قوله فانتقمنا منهم: يعنى من المتقدمين (إننى براء) أى برىء وبراء فى الأصل مصدر ثم استعمل صفة، ولذلك استوى فيه الواحد والجماعة كعدل وشبهه (إلا الذى فطرنى) يحتمل أن يكون استثناء منقطعا، وذلك إن كانوا لايعبدون الله، أويكون متصلا إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعرابه على هذا بدل مماتعبدون فهوفى موضع خفض أومنصوب على الاستثناء فهو فى موضع نصب (سيهدين) قال هنا سيهدين، وقال مرة أخرى فهو يهدين، ليدل على أن الهداية فى الحال والاستقبال (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) ضمير الفاعل فى جعلها يعود على إبراهيم عليه السلام، وقيل على الله تعالى، والأول أظهر، والضمير يعود على الكلمة التى قالها وهى إننى براء مماتعبدون، ومعناها التوحيد، ولذلك قيل يعود على الإسلام لقوله هو سماكم المسلمين من قبل، وقيل يعود على لا إله إلا الله، والمعنى متقارب: أى جعل إبراهيم تلك الكلمة ثابتة فى ذريته لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد، والعقب هو الولد وولد الولد ماتناسلا أبدا (بل متعت هؤلاء وآباءهم) الإشارة بهؤلاء إلى قريش، وهذا الكلام متصل بما قبله، لأن قريشا من عقب إبراهيم عليه السلام

مُّبِينٌ ۝ وَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَٰفِرُونَ ۞ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝

فالمعنى لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم ، بل متعتهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الضمير فى قالوا لقريش ، والقريتان مكة والطائف ، ومن القريتين معناها من إحدى القريتين كقولك يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان : أى من أحدهما ، وقيل معناه على رجل من رجلين من القريتين ، فالرجل الذى من مكة الوليد بن المغيرة ، وقيل عتبة بن ربيعة ، والرجل الذى من الطائف عروة بن مسعود ، وقيل حبيب بن عمير ، ومعنى الآية أن قريشا استبعدوا نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء ، وصفوه بالعظمة يريدون الرئاسة فى قومه وكثرة ماله ، فرد الله عليهم بقوله (أهم يقسمون رحمت ربك) يعنى أن الله يخص بالنبوة من يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته ، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ، ولا بإرادتهم ، ثم أوضح ذلك بقوله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى كما قسمنا المعايش فى الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية ، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة ، فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وهو من التسخير فى الخدمة : أى رفعنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضا (ورحمت ربك خير مما يجمعون) هذا تحقير للدنيا ، والمراد برحمة ربك هنا النبوة وقيل الجنة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) الآية : تحقير أيضا للدنيا ، ومعناها لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفا من فضة ، وذلك لهوان الدنيا على الله كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء (ومعارج عليها يظهرون) المعارج الأدراج والسلالم ، ومعنى يظهرون يرتفعون ، ومنه « فما استطاعوا أن يظهروه » ، والسرر جمع سرير ، والزخرف الذهب ، وقيل أثاث البيت من الستور والنمارق وشبه ذلك وقيل هو التزويق والنقش وشبه ذلك من التزيين كقولك « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) يعش من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره ، والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة ، وقال الزمخشرى يعشى بفتح الشين إذا حصلت الآفة فى عينيه ، ويعشو بضم الشين إذا نظر نظرة الأعشى وليس به آفة ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمى وتعامى ، فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق ، والظاهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر ،

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى
ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم
مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا

وذكر الرحمن ، وقال الزمخشرى يريد به القرآن ، وقال ابن عطية يريد به ماذكر الله به عباده من المواعظ ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، ويحتمل عندى أن يريد ذكر العبد لله ، ومعنى الآية : أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا ، فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان كما أن من داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان (وإنهم ليصدونهم عن السبيل) الضمير فى إنهم للشياطين ، وضمير المفعول فى يصدونهم لمن يعش عن ذكر الرحمن ، وجمع الضميرين لأن المراد به جمع (حتى إذا جاءنا) قرئ جاءنا بضمير الاثنين وهما من يعش وشيطانه ، وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد وهو من يعش ، والضمير فى قال لمن يعش ، وقيل للشيطان (بعد المشرقين) فيه قولان . أحدهما أنه يعنى المشرق والمغرب ، وغلب أحدهما فى التشبيه ، كما قيل القمران ، والآخر أنه يعنى المشرقين والمغربين ، وحذف المغربين لدلالة المشرقين عليه (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) هذا كلام يقال للكفار فى الآخرة ، ومعناه أنهم لا ينفعهم إشتراكهم فى العذاب ولا يجدون راحة التأسى التى يجدها المكروب فى الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذى أصابه ، والفاعل فى ينفعكم قوله «أنكم فى العذاب مشتركون ، وإذ ظلمتم : تعليل معناه بسبب ظلمكم ، وقيل الفاعل مضمر وهو التبرى الذى يقتضيه قوله «ياليت بينى وبينك بعد المشرقين» وأنكم على هذا تعليل ، والأول أرجح (أفأنت تسمع الصم) الآية : خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد بالصم والعمى الكفار إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام (فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون) إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة ، ومقصد الآية وعيد للكفار ، والمعنى إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإنا سننتقم منهم بعد وفاتك ، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون ، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام فى الدنيا أو يريد به عذاب الآخرة ، وقيل إن الضمير فى منهم منتقمون للمسلمين ، وأن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد ، وأنه أكرم نبيه عليه السلام بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته ، والأول أشهر وأظهر (وإنه لذكر لك ولقومك) الضمير فى إنه للقرآن أو للإسلام ، والذكر هنا بمعنى الشرف ، وقوم النبى صلى الله عليه وآله وسلم هم قريش وسائر العرب ، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها وصارت منهم الخلافة والملك ، وورد عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمر بعده لقريش ، ويحتمل أن يريد بالذكر التذكير والموعظة ، فقومه على هذا أمته كلهم وكل من بعث إليهم (وسوف تسئلون) أى تسئلون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) إن قيل كيف أمر النبى صلى الله عليه

من دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ۝ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا
وَأَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۝
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ
ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَآ أُلْقِىَ

وآله وسلم أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه رآهم ليلة الإسراء . الثانى أن المعنى اسأل أمة من أرسلنا قبلك . الثالث أنه لم يرد سؤالهم حقيقة ، وإنما المعنى أن شرائعهم متفقة على توحيد الله بحيث لو سئلوا أهل مع الله آلهة يعبدون لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها) الآيات هنا المعجزات كقلب العصا حية ، وإخراج اليد بيضاء وقيل البراهين والحجج العقلية ، والأول أظهر ومعنى أكبر من أختها أنها فى غاية الكبر والظهور ولم يرد تفضيلها على غيرها من الآيات ، إنما المعنى أنها إذا نظرت وجدت كبيرة ، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة فهو كقول الشاعر :
۝ من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم ۝ هكذا قال الزمخشرى ، ويحتمل عندى أن يريد ما نريهم من آية إلا هى أكبر مما تقدمها ، فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك) ظاهر كلامهم هذا التناقض ، فإن قولهم يا أيها الساحر يقتضى تكذيبهم له وقولهم ادع لنا ربك يقتضى تصديقه ، والجواب من وجهين : أحدهما أن القائلين لذلك كانوا مكذبين ، وقولهم ادع لنا ربك : يريدون على قولك وزعمك وقولهم إننا لمهتدون وعد نووا خلافه ، والآخر : أنهم كانوا مصدقين ، وقولهم يأيها الساحر إما أن يكون عندهم غير مذموم ، لأن السحر كان علم أهل زمانهم وكأنهم قالوا يأيها العالم ، وإما أن يكون ذلك اسما قد ألفوا تسمية موسى به من أول ماجاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه (ونادى فرعون فى قومه) يحتمل أنه ناداهم بنفسه أوأمر منادياً ينادى فيهم (قال ياقوم أليس لى ملك مصر) قصد بذلك الافتخار على موسى ، ومصر هى البلد المعروف وما يرجع إليه ، ومنتهى ذلك من نهر إسكندرية إلى أسوان بطول النيل (وهذه الأنهار تجرى من تحتى) يعنى الخلجان الكبار الخارجة من النيل كانت تجرى تحت قصره ، وأعظمها أربعة أنهار : نهر الإسكندرية وتنيس ودمياط ، ونهر طولون (أفلا تبصرون أم أنا خير) مذهب سيبويه أن أم هنا متصلة معادلة ، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فإنهم عنده بصراء ، وهذا من وضع السبب موضع المسبب ، وكان الأصل أن يقول أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم اقتصر على أم وحذف الفعل الذى بعدها واستأنف قوله ، أنا خير على وجه الإخبار ويوقف على هذا القول على أم وهذا ضعيف ، وقيل أم بمعنى بل فهى منقطعة (مهين) أى ضعيف حقير قاله الزمخشرى وغيره (ولا يكاد يبين) إشارة إلي ما بقى فى لسان موسى من أثر الجمرة ، وذلك أنها كانت قد أحدثت فى لسانه عقدة ، فلما دعا أن تحل أجيبت دعوته وبقى منها أثر كان معه لكنة ،

عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ
فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ۝ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ

وقيل يعنى العىّ فى الكلام ، وقوله ولا يكادبين : يقتضى أنه كان يبين، لأن كاد إذانفيت تقتضى الإثبات (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوّته ، والأسورة جمع سوار وأسوار ، وهو مايجعل فى الذراع من الحلىٔ، وكان الرجال حينئذ يجعلونه (مقترنين) أى مقترنين به لايفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا الحجة (فاستخف قومه) أى طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم (آسفونا) أى أغضبونا (فجعلناهم سلفاً ومثلا الآخرين) السلف بفتح السين واللام جمع سالف ، وقرئ بضمها جمع سليف ومعناه متقدم : أى تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ، ومثلا يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) روى عن ابن عباس وغيره فى تفسيره هذه الآية أنه لما نزل فى القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه ، قالت قريش مايريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا ، حكى ذلك ابن عطية والذى ضرب المثل على هذا هو الله فى القرآن ، ويصدون بمعنى يعرضون ، وقال الزمخشرى : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك ، وقال عبد الله بن الزبعرى أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ، فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبىّ وتثنى عليه خيراً وقد علمت أن النصارى عبدوه فإن كان عيسى فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ، ففرحت قريش بذلك وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، ونزلت هذه الآية ، فالمعنى على هذا لما ضرب ابن الزبعرى عيسى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة النصارى إياه إذا قريش من هذا المثل يصدون أى يضحكون ويصيحون من الفرح ، وهذا المعنى إنما يجرى على قراءة يصدون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح (وقالوا ءآلهتنا خير أم هو) يعنون بهو عيسى ، والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى ، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه لأنه خير من آلهتنا ، وهذا الكلام من تمام ماقبله على ماذكره الزمخشرى فى تفسير الآية التى قبله ، وأما على ماذكر ابن عطية فهذا ابتداء معنى آخر ، وحكى الزمخشرى فى معنى هذه الآية قولا آخر ، وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدمياً ونحن عبدنا الملائكة وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى . وقيل إن قولهم أم هو : يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم ، فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى قالوا أآلهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آلهتهم على محمد والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور ويدل على ذلك تقدم ذكره (ماضربوه لك إلا جدلا) أى ماضربوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل وهو أن

إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝
وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝
وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟
مُسْلِمِينَ ۝ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ
ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ
كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ

يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل ، فإن ابن الزبعرى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل فى قوله تعالى حصب جهنم ، ولكنهم أرادوا المغالطة ، فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) يعنى عيسى والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات وغير ذلك (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون) فى معناها قولان : أحدهما لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة يسكنون الأرض ويخلفون فيها بنى آدم ، فقوله منكم يتعلق ببدل المحذوف أو بيخلفون، والآخر لو نشاء لجعلنا منكم أى لولدنا منكم أولادا ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم ، فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشرى (وإنه لعلم للساعة) الضمير لعيسى وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل للقرآن ، فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد فالمعنى أنه شرط من أشراط الساعة يوجب العلم بها فسمى الشرط علما لحصول العلم به ، ولذلك قرئ لعلم بفتح العين واللام : أى علامة وأما على القول بأنه للقرآن : فالمعنى أنه يعلمكم بالساعة (أولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه) إنما بين البعض دون الكل لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لا أمور الدنيا ، وقيل بعض بمعنى كل وهذا ضعيف (فاختلف الأحزاب) ذكر فى مريم (هل ينظرون إلا الساعة) أى ينتظرون ، والضمير لقريش أو للأحزاب (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) الأخلاء جمع خليل وهو الصديق ، وإنما يعادى الخليل خليله يوم القيامة ، لأن الضرر دخل عليه من صحبته ، ولذلك استثنى المتقين ، لأن النفع دخل على بعضهم من بعض (ياعباد) الآية . تقديره يقول الله يوم القيامة للمتقين ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (تحبرون) أى تنعمون وتسرون (وهم فيه مبلسون) أى يائسون من الخير (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) المعنى أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ۞ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم
بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ۞ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى
ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ

العذاب ، وروى أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة وحينئذ يقول لهم إنكم ماكثون أى دائمون فى النار (لقد جئناكم بالحق) الآية من كلام الله تعالى لأهل النار ، أو من كلام الله لقريش فى الدنيا (أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون) الضمير لكفار قريش ، والمعنى أنهم إن أحكموا كيد النبى صلى الله عليه وسلم فإنا محكمون نصره وحمايته (أم يحسبون) الآية : روى أنها نزلت فى الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتمعا وقال الأخنس أترى الله يسمع سرنا ، فقال الآخر يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا (سرهم ونجواهم) السر ما يحدث الإنسان به نفسه أو غيره فى خفية ، والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) أى نسمع ورسلنا مع ذلك تكتب مايقولون والرسل هنا الملائكة الحافظون للأعمال (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) فى تأويل الآية أربعة أقوال : الأول أنها احتجاج ورد على الكفار على تقدير قولهم ، ومعناها لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد كما يعظم خدم الملك ولد الملك لتعظيم والده ، ولكن ليس للرحمن ولد فلست بعابد إلا الله وحده ، وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم لأنه علق عبادة الولد بوجوده ووجوده محال فعبادته محال ، ونظير هذا أن يقول المالكى إذا قصد الرد على الحنفى فى تحريم النبيذ . إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال لكنه مسكر فهو حرام ، القول الثانى إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله وحده وكذبكم فى قولكم أن له ولدا ، والعابدين على هذين القولين بمعنى العبادة ، القول الثالث أن العابدين بمعنى المنكرين : يقال عبد الرجل إذا أنف وتكبر وأنكر الشىء ، والمعنى إن زعمتم أن للرحمن ولدا فأنا أول المنكرين لذلك ، وإن على هذه الأقوال الثلاثة شرطية ، القول الرابع قال قتادة وابن زيد إن هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتم الكلام ، ثم ابتدأ قوله فأنا أول العابدين ، والأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة فى البراهين والأدلة ، وهو الذى عول عليه الزمخشرى ، وقال الطبرى هو ملاطفة فى الخطاب ونحوه قوله تعالى «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين» وقال ابن عطية منه قوله تعالى فى مخاطبة الكفار «أين شركائى» يعنى شركائى على قولكم (فذرهم) الآية موادعة منسوخة بالسيف (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) أى هو الإله لأهل الأرض وأهل السماء والمجرور يتعلق بإله لأن فيه معنى الوصفية (وعنده علم الساعة) أى علم زمان وقوعها (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) أى لا يملك كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله ، لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، فهو المالك للشفاعة وحده (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) اختلف هل يعنى بمن شهد بالحق الشافع أو المشفوع فيه ، فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع والمعنى لا يملك المعبودون شفاعة لكن من شهد بالحق وهو عالم

يَعْلَمُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝

سورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * بَلْ هُمْ

به فهو الذى يشفع فيه ، ويحتمل على هذا أن يكون من شهد مفعولا بالشفاعة على إسقاط حرف الجر تقديره الشفاعة فيمن شهد بالحق ، وإن أراد بمن شهد بالحق الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا وأن يكون متصلا إلا فيمن عبد عيسى والملائكة ، والمعنى على هذا لا يملك المعبودون شفاعة إلا من شهد بالحق (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) القيل مصدر كالقول ، والضمير يعود على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقرئ قيله بالنصب والخفض وقرئ فى غير السبع بالرفع ، فأما النصب فقيل هو معطوف على سرهم ونجواهم ، وقيل هو معطوف على موضع الساعة لأنها مفعول أضيف إلى المصدر وقيل معطوف على مفعول محذوف تقديره يكتبون أقوالهم وقيله ، وأما الخفض فقيل إنه معطوف على لفظ الساعة ، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله بالحق ، وأما على الرفع فقيل إنه مبتدأ وخبره مابعده ، وضعف الزمخشرى ذلك كله وقال إنه من باب القسم فالنصب والخفض على إضمار حرف القسم كقولك الله لأضربن زيدا والرفع كقولهم أيمن الله ولعمرك ، وجواب القسم قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كأنه قال أقسم بقيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) منسوخ بالسيف (وقل سلام) تقديره أمرى سلام : أى مسالمة ، وقيل سلام عليكم على جهة الموادعة وهو منسوخ على الوجهين (فسوف تعلمون) تهديد

سورة الدخان

(والكتاب المبين) ذكر فى الزخرف وهو قسم جوابه إنا أنزلناه ، وقيل إنا كنا منذرين وهو بعيد (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) يعنى ليلة القدر من رمضان وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شىء وقيل معناه أنه ابتدأ إنزاله فى ليلة القدر ، وقيل يعنى بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان وذلك باطل ، لقوله « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » مع قوله « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » (فيها يفرق كل أمر حكيم) معنى يفرق يفصل ويخلص ، والأمر الحكيم أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم فى ذلك العام نسخ من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر ليتمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة ، وقيل إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان وهذا باطل لما قدمنا (أمرا من عندنا) مفعول بفعل مضمر على الاختصاص قاله الزمخشرى ، وقال ابن عطية نصب على المصدر ، وقيل على الحال (مرسلين) إرسال الرسل عليهم السلام ، وقيل

فى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ
عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝
إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ
قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدُّوٓا إِلَىَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّى
ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِى فَٱعْتَزِلُونِ ۝ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝ وَٱتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝ كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا

من إرسال الرحمة والأول أظهر (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) فى هذا قولان أحدهما قول على بن أبى طالب وابن عباس أن الدخان يكون قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين وهو من أشراط الساعة ، وروى حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أول أشراط الساعة الدخان والثانى قول ابن مسعود إن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجدب فكان الرجل يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع قال ابن مسعود خمس قد مضين : الدخان واللزام والبطشة والقمر والدوم (هذا عذاب أليم) يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى ، أو من قول الناس لما أصابهم الدخان ، وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقا (أنى لهم الذكرى) هذا من كلام الله تعالى ومعناه استبعاد تذكيرالكفار مع تكذيبهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والواو فى قوله وقد جاءهم واو الحال (رسول مبين) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (البطشة الكبرى) قال ابن عباس هى يوم القيامة ، وقال ابن مسعود هى يوم بدر (ورسول كريم) يعنى موسى عليه السلام (أن أدوا إلىّ عباد الله) أن هنا مفسرة نائب مناب القول ، وأدوا فعل أمر من الأداء وعباد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل ، والمعنى أرسلوا بنى إسرائيل كما قال فى طه « أرسل معنا بنى إسرائيل » وقيل عباد الله منادى ، والمعنى أدوا إلىّ الطاعة والإيمان ياعباد الله ، والأول أظهر (وألا تعلوا) أى لا تتكبروا (بسلطان) أى حجة وبرهان (أن ترجمون) اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب والأول أظهر (فاعتزلون) أى اتركون وخلوا سبيلى (فأسر بعبادى) هذا أمر من الله لموسى عليه السلام والعباد هنا بنو إسرائيل أى اخرج بهم بالليل (إنكم متبعون) إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم (واترك البحر رهوا) أى ساكنا على هيئته وقيل يابسا وروى أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق ، فقال الله له اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه ، وقيل معنى رهوا سهلا ، وقيل منفرجا (وعيون) يحتمل أن يريد الخلجان الخارجة من النيل وكانت ثم عيون فى ذلك الزمان ، وقيل يعنى الذهب والفضة وهو بعيد (ومقام كريم) فيه قولان المنابر والمساكن الحسان (ونعمة) من التنعم بالأرزاق وغيرها (فاكهين) أى متنعمين ، وقيل فرحين

ءاخرين ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِى إِسْرَآءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ
الْمُهِينِ ۝ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ
الْأَيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا مُّبِينٌ ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝ فَأْتُوا
بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا
خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ
يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ

وقيل أصحاب فاكهة (كذلك) فى موضع نصب أى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم ، أوفى موضع رفع تقديره الأمر كذلك (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى إسرائيل حكاه الزمخشرى والماوردى وضعفه ابن عطية قال لأنه لم يرو فى مشهور التواريخ أن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر فى ذلك الزمان ، وقد قال الحسن إنهم رجعوا إليها ، ويدل على أن المراد بنو إسرائيل قوله فى الشعراء وأورثناها بنى إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه عبارة عن تحقيرهم ، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيمه بكت عليه السماء والأرض على وجه المجاز والمبالغة ، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالى بهم . الثانى قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله،فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار أو ليس لهم عمل صالح:الثالث أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض ، والأول أفصح وهو منزع معروف فى كلام العرب (وكانوا منظرين) أى مؤخرين (من فرعون) بدل من العذاب (عاليا) أى متكبراً (اخترناهم على علم) أى كنا عالمين بأنهم مستحقون لذلك (على العالمين) أى على أهل زمانهم (بلاء مبين) أى اختبار (إن هؤلاء) يعنى كفار قريش (فأتوا بآبائنا) خاطبت قريش بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على وجه التعجيز ، روى أنهم طلبوا أن يحيى لهم قصى بن كلاب يسألوه عن أحوال الآخرة (أهم خير أم قوم تبع) كان تبع ملك من حمير وكان مؤمنا وقومه كفاراً فذم الله قومه ولم يذمه ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى ، ومعنى الآية أقريش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار ، وقدأهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء ، فمقصود الكلام تهديد (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع : وقيل هو مبتدأ فيوقف على ما قبله والأول أصح (لاعبين) حال منفية ذكرت فى الأنبياء (يوم لا يغنى مولى عن مولى) المولى هنا يعم الولى والقريب وغير ذلك من الموالى (إلا من رحم الله) استثناء منقطع إن أراد بقوله ولاهم ينصرون الكفار ، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس (طعام الأثيم) أى الفاجر وهو من الإثم ، وقيل يعنى أباجهل فالألف واللام للعهد والأظهر أنها للجنس

سَوَآءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۞ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ۞

سـورة الجاثية

مكية إلا آية ١٤ فمدنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم ۞ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ * وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يَسْمَعُ آيَاتِ

فتعم أبا جهل وغيره (كالمهل) هو دردى الزيت ، وقيل مايذاب من الرصاص وغيره (فاعتلوه) أى سوقوه بتعنيف (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب فى الحقيقة إنما هو الحميم وهو الماء الحار ، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازاً لأن ذلك أبلغ وأشد تهويلا ، وقد جاء الأصل فى قوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم (ذق إنك أنت العزيز الكريم) يقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكم به أى كنت العزيز الكريم عند نفسك ، وروى أن أبا جهل قال مابين جبليها أعزمنى ولا أكرم فنزلت الآية (تمترون) تفتعلون من المرية وهى الشك (فى مقام أمين) قرئ بضم الميم أى موضع إقامة ، وفتحها أى موضع قيام والمراد به الجنة والأمين من الأمن أى مأمون فيه ، وقيل من الأمنة وصف به المكان مجازاً (من سندس وإستبرق) السندس الرقيق من الديباج والإستبرق الغليظ منه (كذلك) فى موضع رفع أى الأمر كذلك ، أو فى موضع نصب أى مثل ذلك زوجناهم (يدعون فيها) أى يدعون خدامهم (إلا الموتة الأولى) استثناء منقطع ، والمعنى لايذوقون فيها الموت : لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك ، ولولا قوله فيها لكان متصلا لعموم لفظ الموت ، وقيل إلا هنا بمعنى بعد وذلك ضعيف (يسرناه) أى سهلناه والضمير للقرآن (بلسانك) أى بلغتك وهى لسان العرب (فارتقب إنهم مرتقبون) أى ارتقب نصرنا لك وإهلاكهم فإنهم مرتقبون ضد ذلك ، ففيه وعد له ووعيد لهم .

سـورة الجاثيه

(تنزيل) ذكر فى الزمر وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات وقد ذكر معناه فى مواضع (ويل لكل أفاك أثيم)

اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا
هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مِن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ
اللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى
بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝

الأفاك مبالغة من الإفك وهو الكذب ، والأثيم من الإثم ، وقيل إنها نزلت فى النضر بن الحارث ولفظها على العموم (يصرّ) أى يدوم على حاله من الكفر ، وإنما عطفه بثم لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله واستبعاد ذلك فى العقل والطبع (وإذا علم من آياتنا) أى إذا بلغه منها شىء ولم يرد العلم الحقيقى (من ورائهم جهنم) كقوله من ورائه عذاب غليظ ، وقد ذكر فى إبراهيم (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض) يعنى الشمس والقمر والملائكة وبنى آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك (جميعا منه) أى كل نعمة فمن الله تعالى ، والمجرور فى موضع الحال أو خبر ابتداء مضمر ، وقرأ ابن عباس منه (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله) أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار ولا يؤاخذوهم إذا آذوهم ، وكان ذلك فى صدر الإسلام ، قيل إنها منسوخة بالسيف ، وقيل ليست بمنسوخة لأن احتمال الأذى مندوب إليه على كل حال ، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك ، وروى أن الآية نزلت فى عمر بن الخطاب شتمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به ، وأيام الله هى نعمه ، فالرجاء على أصله ، وقيل أيام الله عبارة عن عقابه ، فالرجاء بمعنى الخوف ويغفروا مجزوم فى جواب شرط مقدر دل عليه قل ، قال الزمخشرى حذف معمول القول ، والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) فاعل يجزى ضمير يعود على الله ، وقرئ بنون المتكلم ، وقال ابن عطية إن الآية وعيد ، فالقوم على هذا هم الذين لايرجون أيام الله ويكسبون يعنى السيئات ، وقال الزمخشرى القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون بكظم الغيظ واحتمال المكروه (على العالمين) ذكر فى البقرة (بينات من الأمر) أى معجزات من أمر الدين (جعلناك على شريعة من الأمر) أى ملة ودين (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين

هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ
سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ

آمنوا) أم هنا للإنكار ، واجترحوا اكتسبوا ، والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفار لمقابلته بالذين آمنوا ، ولأن الآية مكية : وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرددها ويبكى طول الليل ويقول لنفسه من أىّ الفريقين أنت ، ومعناها إنكار ماحسبه الكفار من أن يكونواهم والمؤمنون سواء فى المحيا والممات ، وفى تأويلها مع ذلك قولان : أحدهما أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفار لافى المحيا ولافى الممات ، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة ، والكفار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك ملتهم ليست سواء ، والقول الآخر أنهم استووا فى المحيا فى أمور الدنيا من الصحة والرزق فلايستوون فى الممات ، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون ، فالمراد بها إثبات الجزاء فى الآخرة وتفضيل المؤمنين على الكافرين فى الآخرة ، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح فيكون معنى الآية كقوله « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » وكقوله « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » (سواء محياهم ومماتهم) هذه الجملة بدل من الكاف فى قوله كالذين آمنوا وهى مفسرة للتشبيه ، وهى داخلة فيما أنكره الله بما حسبه الكفار وقيل هى كلام مستأنف ؛ والمعنى على هذا أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الكفار ومماتهم سواء لأن كل واحد يموت على ماعاش عليه ، وهذا المعنى بعيد ، والصحيح أنها من تمام ماقبلها على المعنى الذى اخترناه ، وأما إعرابها فمن قرأ سواء بالرفع فهو مبتدأ وخبره محياهم ومماتهم والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولا ثانيا لنجعل ، ومن قرأ سواء بالنصب فهو حال أو مفعول ثان لنجعل ، ومحياهم فاعل بسواء ، لأنه فى معنى مستوى (ساء مايحكمون) أى ساء حكمهم فى تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين (لتجزى كل نفس بما كسبت) معطوف على قوله بالحق ، لأن فيه معنى التعليل ، أو على تعليل محذوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت (اتخذ إلهه هواه) أى أطاعه حتى صار له كالإله (وأضله الله على علم) أى على علم من الله سابق ، وقيل على علم من هذا الضال بأنه على ضلال ، ولكنه يتبع الضلال معاندة (ختم) ذكر فى البقرة (فمن يهديه من بعد الله) قال ابن عطية فيه حذف مضاف تقديره من بعد إضلال الله إياه ، ويحتمل أن يريد فمن يهديه غير الله (وقالوا) الضمير لمن اتخذ إلهه هواه أو لقريش (نموت ونحيا) فيه أربع تأويلات : أحدها أنهم أرادوا يموت قوم ويحيا قوم ، والآخر نموت نحن ويحيا أولادنا ، الثالث نموت حين كنا عدما أو نطفا ، ونحيا فى الدنيا ، والرابع نموت الموت المعروف ، ونحيا قبله فى الدنيا فوقع فى اللفظ تقديم وتأخير ، ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة ، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية

مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا ائْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞
هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ
وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا
ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ
كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۞ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۞ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ
ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞

لقولهم ومايهلكنا إلا الدهر ، فرد الله عليهم بقوله ومالهم بذلك من علم الآية (قالوا ائتوا بآبائنا) ذكر فى الدخان (قل الله يحييكم) الآية : رد على المنكرين للحشر والاستدلال على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة (وترى كل أمة جاثية) أى تجثو على الركب وتلك هيئة الخائف الذليل (كل أمة تدعى إلى كتابها) أى إلى صحائف أعمالها ، وقيل الكتاب المنزل عليها ، والأول أرجح لقوله « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » الآية : فإن قيل : كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى ؟ فالجواب : أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم ثابتة فيه ، وأضافه إلى الله تعالى لأنه مالكه ، وأنه هو الذى أمر الملائكة أن يكتبوه (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نأمر الملائكة الحافظين بكتب أعمالكم ، وقيل إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ ، ثم يمسكونه عندهم فتأتى أفعال العباد على ذلك ، فتكتبها الملائكة ، فذلك هو الاستنساخ وكان ابن عباس يحتج على ذلك بأن يقول : لا يكون الاستنساخ إلا من أصل (أفلم تكن) تقديره يقال لهم ذلك (وحاق) ذكر مرارا (اليوم ننساكم) النسيان هنا بمعنى الترك ، وأما فى قوله كما نسيتم فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول (ولا هم يستعتبون) من العتبى وهى الرضا

سـورة الأحقاف

مكية إلا الآيات ١٠ و١٥ و٣٥ فمدنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ مَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَٰوَٰتِ ائْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا

سـورة الأحقاف

(تنزيل) ذكر فى الزمر (إلا بالحق) ذكر مرارا (وأجل مسمى) يعنى يوم القيامة (أرونى ماذا خلقوا) احتجاج على التوحيد ورد على المشركين ، فالأمر بمعنى التعجيز (شرك فى السموات) أى نصيب (ائتونى بكتاب) تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراك بالله ، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد (أو أثارة من علم) أى بقية من علم قديم يدل على مايقولون ، وقيل معناه من علم تثيرونه أى تستخرجونه ، وقيل هو الإسناد ، وقيل هو الخط فى الرمل ، وكانت العرب تتكهن به ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبى من الأنبياء يخط فى الرمل فمن وافق خطه فذاك (ومن أضل) الآية . معناها لاأحد أضل ممن يدعو إلها لايستجيب له وهى الأصنام فإنها لاتسمع ولاتعقل ، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم ، لأنها لاتسمعه (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أى كان الأصنام أعداء للذين عبدوها (وكانوا بعبادتهم كافرين) الضمير فى كانوا للأصنام : أى تتبرأ الأصنام من الذين عبدوها ، وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء لأنه أسند إليهم مايسند إلى العقلاء ، من الاستجابة والغفلة والعداوة (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً) أى لو افتريته لعاقبنى الله على الافتراء عقوبة لاتقدرون على دفعها ولا تملكون شيئاً من ردها عليه فكيف أفتريه وأتعرض لعقاب الله (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى بما تتكلمون به ، يقال أفاض الرجل فى الحديث إذا خاض فيه واستمر (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع والبديع من الأشياء : مالم ير مثله أى ما كنت أول رسول ، ولاجئت بأمر لم يجئ به أحد قبلى ، بل جئت بما جاء به ناس كثيرون قبلى ، فلأى شىء تنكرون ذلك (وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) فيها أربعة أقوال : الأول أنها فى أمر الآخرة وكان ذلك قبل أن يعلم

إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ

أنه فى الجنة ، وقبل أن يعلم أن المؤمنين فى الجنة وأن الكفار فى النار، وهذا بعيد، لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله والثانى أنها فى أمر الدنيا: أى لا أدرى بما يقضى الله علىّ وعليكم، فإن مقادير الله مغيبة وهذا هو الأظهر. الثالث ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم من الأوامر والنواهى وما تلزمه الشريعة . الرابع أن هذا كان فى الهجرة إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به) معنى الآية أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين، ثم حذف قوله ألستم ظالمين وهو الجواب ، لأنه دل على أن الله لا يهدى القوم الظالمين (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) هذه الجملة معطوفة على الجملة التى قبلها ، فالمعنى أرأيتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بنى إسرائيل على مثله ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم ألستم أضل الناس وأظلم الناس ، واختلف فى الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبد الله بن سلام ، فنيل على هذا إن الآية مدنية ، لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وقيل إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر ، وكان عبد الله بن سلام يقول فى نزلت الآية ، الثانى أنه رجل من بنى إسرائيل كان بمكة : الثالث أنه موسى عليه السلام ورجح ذلك الطبرى والضمير فى مثله للقرآن أى يشهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد ، والضمير فى آمن للشاهد فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر فإيمانه بين ، وإن كان موسى عليه السلام ، فإيمانه هو تصديقه بأمر محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره به (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه) أى لو كان الإسلام خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء ، والقائلون لهذه المقالة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب وقيل بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة ، وقيل بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله ابن سلام ، والأول أرجح لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة ومعنى الذين آمنوا من أجل الذين آمنوا : أى قالوا ذلك عنهم فى غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبوهم بهذا الكلام لأنه لو كان خطابا لقالوا ما سبقتمونا (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) أى لما لم يهتدوا قالوا هذا إفك قديم ونحو هذا ما جاء فى المثل من جهل شيئا عاداه ، ووصفه بالقدم لأنه قد قيل قديما ، فإن قيل : كيف تعمل فسيقولون فى إذ وهى للماضى والعامل مستقبل ؟ فالجواب : أن العامل فى إذ محذوف تقديره إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون ، قال ذلك الزمخشرى ، ويظهر لى أن إذ هنا بمعنى التعليل لا ظرفية بمعنى الماضى فلا يلزم السؤال ، والمعنى أنهم قالوا هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به ، وقد جاءت إذ بمعنى التعليل فى القرآن وفى كلام العرب ومنه « ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم » أى بسبب ظلمكم (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) الضمير فى قبله للقرآن وكتاب موسى هو التوراة ، وإماما حال ، ومعناه يقتدى به (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) الإشارة بهذا إلى القرآن ، ومعنى مصدق مصدق بما قبله من الكتب، وقد

مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ
بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا
أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ

ذكرنا ذلك فى البقرة ولسان حال من الضمير فى مصدق ، وقيل مفعول بمصدق أى صدق ذا لسان عربى وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، واختار هذا ابن عطية (استقاموا) ذكر فى حم السجدة (حسنا) ذكر فى العنكبوت (حملته أمه كرها ووضعته كرها) أى حملته بمشقة ووضعته بمشقة ، ويقال كره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) أى مدة حمله ورضاعه ثلاثون شهراً وهذا لا يكون إلا بأن ينقص من أحد الطرفين ، وذلك إما أن يكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين ، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر ، ومن هذا أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه والعلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه منتهى الرضاع (بلغ أشده) ذكر فى يوسف (وبلغ أربعين سنة) هذا حد كمال العقل والقوة ، ويقال إن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقيل إنها عامة (فى أصحاب الجنة) أى فى جملة أصحاب الجنة كما تقول رأيت فلانا فى الناس أى مع الناس (والذى قال لوالديه أف لكما) قال مروان بن الحكم نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق حين كفره كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما أف ، وأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك ، وقالت والله ما نزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن إلا براءتى ، ويبطل ذلك قطعا قوله تعالى «أولئك الذين حق عليهم القول لأن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين ، وكان له فى الجهاد غنى عظيم ، وقال السدى ما رأيت أعبد منه ، وقال ابن عباس نزلت فى ابن لأبى بكر ولم يسمه ، ويرد ذلك ما ذكرناه عن عائشة وقيل هى على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه ، ويدل على أنها عامة قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول بصيغة الجمع ، ولو أراد واحدا بعينه لقال ذلك الذى حق عليه القول ، وقد ذكرنا معنى أف فى الإسراء (أتعدانى أن أخرج) أى أتعدانى أنا أن أخرج من القبر إلى البعث (وقد خلت القرون من قبلى) أى وقد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) الضمير لوالديه أى يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقول منهما ثم يقولان له ويلك ثم يأمرانه بالإيمان : فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين : أى

وَٱلْإِنس إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ ۝ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ
الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا
كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ
وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا
لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم
بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ وَلَقَدْ

قد سطره الأولون فى كتبهم ، وذلك تكذيب بالبعث والشريعة (ولكل درجات مما عملوا) أى للمحسنين والمسيئين درجات فى الآخرة بسبب أعمالهم ، فدرجات أهل الجنة إلى علو ، ودرجات أهل النار إلى سفل ، وليوفيهم تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره جعل جزاءهم درجات ليوفيهم أعمالهم (ويوم يعرض) العامل فيه محذوف تقديره اذكر (أذهبتم طيباتكم) تقديره يقال لهم أذهبتم طيباتكم ؛ والطيبات هنا الملاذ من المآكل وغيرها ؛ وقرئ أذهبتم بهمزة واحدة على الخبر وبهمزتين على التوبيخ ، والآية فى الكفار بدليل قوله يعرض الذين كفروا وهى مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين ، ولذلك قال عمر لجابر بن عبدالله وقد رآه اشترى لحما أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية (عذاب الهون) أى العذاب الذى يقترن به هوان (واذكر أخا عاد) يعنى هودا عليه السلام (بالأحقاف) جمع حقف وهو الكدس من الرمل واختلف أين كانت فقيل بالشام ، وقيل بين عمان ومهرة وقيل بين عمان وحضرموت ، والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن (وقد خلت النذر) أى تقدمت من قبله ومن بعده ، والنذر جمع نذير ، فإن قيل : كيف يتصور تقدمها من بعده ؟ فالجواب أن هذه الجملة اعتراض وهى إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلا متقدمين قبل هود وبعده ، وقيل معنى من خلفه فى زمانه (قل إنما العلم عند الله) أى قل إن العذاب الذى قلتم ائتنا به ليس لى علم متى يكون ، وإنما يعلمه الله ، وما علىّ إلا أن أبلغكم ما أرسلت به (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم) العارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء ، والضمير فى رأوه يعود على ما تعدنا أو على المرئى المبهم الذى فسره قوله عارضا قال الزمخشرى وهذا أعرب وأفصح ، وروى أنهم كانوا قد قحطوا مدة ، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به فقال لهم هود عليه السلام : بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقوله ريح بدل من ما استعجلتم أو خبر ابتداء مضمر (تدمر كل شىء بأمر ربها) عموم يراد به الخصوص (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد أى مكناعادا فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك ، ثم أهلكناهم لما كفروا وإن هنا نافية بمعنى ما ، وعدل

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى

عن ما كراهية لاجتماعها مع التى قبلها ، وقيل إن شرطية ، وجوابها محذوف تقديره إن مكناكم فيه طغيتم ، قال ابن عطية : وهذا تنطع فى التأويل (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) يعنى بلاد عاد وثمود وسبأ وغيرها ، والمراد إهلاك أهلها (فلولا نصرهم) الآية عرض معناه النفى أى لم تنصرهم آلهتهم التى عبدوا من دون الله (قربانا) أى تقربوا بهم إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وانتصاب قربانا على الحال ، ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانياً لاتخذوا وآلهة بدل منه لفساد المعنى ، قاله الزمخشرى ، وقد أجازه ابن عطية (بل ضلوا عنهم) أى تلفوا لهم وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا اليهم (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أى أملناهم نحوك، والنفر دون العشرة وروى أن الجن كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكرانا ، لأن النفر الرجال دون النساء ، وكانوا من أهل نصيبين ، وقيل من أهل الجزيرة ، واختلف هل رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قيل إنه لم يرهم ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك ، وقيل بل علم بهم واستعدلهم واجتمع معهم ، وقد ورد فى ذلك عن عبد الله ابن مسعود أحاديث مضطربة ، وسبب استماع الجن أنهم لما طردوا من استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا ما هذا إلا لأمر حدث فطافوا بالأرض ينظرون ما أوجب ذلك حتى سمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى صلاة الفجر فى سوق عكاظ فاستمعوا إليه وآمنوا به (أنزل من بعد موسى) فى هذا دلالة على أنهم كانوا على دين اليهود وقيل كانوا لم يعلموا ببعث عيسى (مصدقا لما بين يديه) ذكر فى البقرة (داعى الله) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (يغفر لكم من ذنوبكم) من هنا للتبعيض على الأصح أى يغفر لكم الذنوب التى فعلتم قبل الإسلام ، وأما التى بعد الإسلام فهى فى مشيئة الله ، وقيل معنى التبعيض أن المظالم لا تغفر وقيل إن من زائدة (ويجركم من عذاب أليم) أى من النار ، واختلف الناس هل للجن ثواب زائد على النجاة من النار ، أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة (ومن لا يجب داعى الله) الآية : يحتمل أن يكون من كلام الجن أو من كلام الله تعالى ومعنى ليس بمعجز أى لا يفوت (أولم يروا) الآية: احتجاج على بعث الأجساد بخلق السموات والأرض (ولم يعى بخلقهن) يقال عييت بالأمر إذا لم تعرفه فالمعنى أنه تعالى علم كيف خلق السموات والأرض وأحكم خلقتها فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى (بقادر) فى موضع رفع لأنه خبر أن

النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ۞

سورة محمد

مدنية إلا آية ١٣ فنزلت فى الطريق أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۞ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ

وإنما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وخبرها (بلى) جواب لما تقدم أى هو قادر على أن يحيى الموتى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أى اصبر على تكذيب قومك وأولوا العزم هم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى، وقيل هم الثمانية عشر المذكورون فى سورة الأنعام لقوله فبهداهم اقتده ، وقيل كل من لقى من أمته شدة وقيل الرسل كلهم أولوا عزم فمن الرسل على هذا لبيان الجنس وعلى الأقوال المتقدمة للتبعيض (ولا تستعجل لهم) أى لا تستعجل نزول العذاب بهم فإنهم صائرون إليه فإنهم إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار لاستقصار أعمارهم (بلاغ) خبر ابتداء مضمر تقديره هذا الذى وعظتم به بلاغ بمعنى كفاية فى الموعظة أو بلاغ من الرسول عليه الصلاة والسلام أى بلغ هذه المواعظ والبراهين .

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

(الذين كفروا) يعنى كفار قريش وعموم اللفظ يعم كل كافر كما أن قوله بعد هذا والذين آمنوا يعنى الصحابة وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن (وصدوا عن سبيل الله) يحتمل أن يكون صدوا بمعنى أعرضوا فيكون غير متعد أو يكون بمعنى صدوا الناس فيكون متعدياً وسبيل الله الإسلام والطاعة (أضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبطها وقيل المراد بأعمالهم هنا ما أنفقوا فى غزوة بدر فإن هذه الآية نزلت بعد بدر واللفظ أعم من ذلك (وآمنوا بما نزل على محمد) هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد عموم قوله آمنوا وعملوا الصالحات ولذلك أكده بالجملة الاعتراضية ، وهو قوله وهو الحق من ربهم (وأصلح بالهم) قيل معناه أصلح حالهم وشأنهم وحقيقة البال الخاطر الذى فى القلب وإذا صلح القلب صلح الجسد كله فالمعنى إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه والمراد اقتلوهم ولكن عبر عنه بضرب الرقاب لأنه الغالب فى صفة القتل (حتى إذا أثخنتموهم)

تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ الْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَٰمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۞ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ

أى هزمتموهم والإثخان أن يكثر فيهم القتل والأسر (فشدوا الوثاق) عبارة عن الأسر (فإمامنا بعد وإما فداء) المن العتق والفداء فك الأسير بمال وهما جائزان فإن مذهب مالك أن الإمام مخير فى الأسارى بين خمسة أشياء وهى المن والفداء والقتل والاسترقاق وضرب الجزية وقيل لا يجوز المن ولا الفداء لأن الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين فلا يجوز على هذا إلا قتلهم والصحيح أنها محكمة وانتصب منا وفداء على المصدرية والعامل فيهما فعلان مضمران (حتى تضع الحرب أوزارها) الأوزار فى اللغة الأثقال فالمعنى حتى تذهب وتزول أثقالها وهى آلاتها وقيل الأوزار الآثام لأن الحرب لابد أن يكون فيها إثم فى أحد الجانبين واختلف فى الغاية المرادة هنا فقيل حتى يسلموا الجميع فحينئذ تضع الحرب أوزارها وقيل حتى تقتلوهم وتغلبوهم وقيل حتى ينزل عيسى ابن مريم قال ابن عطية ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبداً كما تقول أنا فاعل ذلك إلى يوم القيامة (ذلك) تقديره الأمر ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أو لو شاء الله لأهلك الكفار بعذاب من عنده ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض (عرفها لهم) أى جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة وقيل معناه طيبها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة وقيل معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التى هى الجبال (فتعسا لهم) أى عثارا وهلاكا وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمر وعلى هذا الفعل خطب وأضل أعمالهم (وللكافرين أمثالها) أى لكفار قريش أمثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك (مولى الذين آمنوا) أى وليهم وناصرهم وكذلك وأن الكافرين لا مولى لهم معناه لا ناصر لهم ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله وردوا إلى الله مولاهم الحق لأن معنى المولى مختلف فى الموضعين فمعنى مولاهم الحق ربهم وهذا على العموم فى جميع الخلق بخلاف قوله مولى الذين آمنوا فإنه خاص بالمؤمنين لأنه بمعنى الولى والناصر (ويأكلون كما تأكل الأنعام) عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهائم (من قريتك التى أخرجتك) يعنى مكة وخروجه صلى الله عليه وآله وسلم من وقت الهجرة ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج (أهلكناهم) الضمير للقرى المتقدمة المذكورة فى قوله وكأين من قرية وجمعه حملا على المعنى والمراد

لَهُمْ * أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ۝ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

أهلكنا أهلها (أفمن كان على بينة من ربه) أى على حجة ويعنى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما يعنى قريشا بقوله كمن زين له سوء عمله واللفظ أعم من ذلك (مثل الجنة) ذكر فى الرعد (غير آسن) أى غير متغير (كمن هو خالد فى النار) تقديره أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد فى النار فحذف هذا على التقدير والمراد به النفى وإنما حذف لدلالة التقدير المتقدم وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه (ومنهم من يستمع إليك) يعنى المنافقين وجاء يستمعون بلفظ الجمع رعيا لمعنى من (قالوا للذين أوتوا العلم) روى أنه عبدالله بن مسعود (ماذا قال آنفا) كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين إما احتقارا لكلامه كأنهم قالوا أى فائدة فيه، وإما جهلا منهم ونسيانا لأنهم كانوا وقت كلامه معرضين عنه وآنفا معناه الساعة الماضية قريبا وأصله من استأنفت الشىء إذا ابتدأته (والذين اهتدوا زادهم هدى) يعنى المؤمنين والضمير فى زادهم لله تعالى أو للكلام الذى قال فيه المنافقون ماذا قال آنفا وقيل يعنى بالذين اهتدوا قوما من النصارى آمنوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاهتداؤهم هو إيمانهم بعيسى وزيادة هداهم إسلامهم (فهل ينظرون إلا الساعة) الضمير للمنافقين والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة لأنها قريبة (فقد جاء أشراطها) أى علاماتها والذى كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قال أنا من أشراط الساعة وبعثت أنا والساعة كهاتين (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) أى كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة ففاعل جاءتهم الساعة، وذكراهم مبتدأ وخبره الاستفهام المتقدم والمراد به الاستبعاد (فاعلم أنه لا إله إلا الله) أى دم على العلم بذلك واستدل بعضهم بهذه الآية على أن النظر والعلم قبل العمل لأنه قدم قوله فاعلم على قوله واستغفر (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قيل متقلبكم تصرفكم فى الدنيا، ومثواكم إقامتكم فى القبور وقيل متقلبكم تصرفكم فى اليقظة ومثواكم منامكم (لولا نزلت سورة) كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إبطائه (محكمة) يحتمل أن يريد بالمحكمة أى ليس فيها منسوخ، أو يراد متقنة، وقرأ ابن مسعود سورة محدثة (رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك) يعنى

يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۞ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۞ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا

المنافقين ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتل لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشى عليه (فأولى لهم) فى معناه قولان أحدهما أنه بمعنى أحق وخبره على هذا طاعة والمعنى أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق والآخر أن أولى لهم كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم كقولك ويل لهم ومنه أولى لك فأولى ، فيوقف على أولى لهم على هذا القول ويكون طاعة ابتداء كلام ، تقديره طاعة وقول معروف أمثل ، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف ، وقولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم (فإذا عزم الأمر) أسند العزم إلى الأمر مجازا كقولك نهاره صائم وليله قائم (صدقوا الله) يحتمل أن يريد صدق اللسان ، أو صدق العزم والنية وهو أظهر (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج من الغيبة إلى الخطاب ، ليكون أبلغ فى التوبيخ والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد فى الأرض وقطع الأرحام إن توليتم ، ومعنى توليتم صرتم ولاة على الناس وصار الأمر لكم وعلى هذا قيل إنها نزلت فى بنى أمية وقيل معناه أعرضتم عن الإسلام (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) نزلت فى المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم وقيل نزلت فى قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة ثم كفروا به (سول لهم) أى زين لهم ورجاهم ومناهم (وأملى لهم) أى مد لهم فى الأمانى والآمال والفاعل هو الشيطان وقيل الله تعالى والأول أظهر ، لتناسب الضمير بين الفاعلين ، فى سول وأملى (سنطيعكم فى بعض الأمر) قال ذلك اليهود للمنافقين ، وبعض الأمر يعنون به مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته (فكيف إذا توفتهم الملائكة) أى كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة ، يعنى ملك الموت ومن معه ، والفاء رابطة للكلام مع ما قبله والمعنى هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم عند الموت (يضربون وجوههم) ضمير الفاعل للملائكة ، وقيل إنه للكفار أى يضربون وجوه أنفسهم وذلك ضعيف (أم حسب) الآية : معناها ظن المنافقون أن لن يفضحهم الله والضغن الحقد ويراد به هنا النفاق والبغض فى الإسلام وأهله (ولو نشاء لأريناكهم) أى لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلامتهم ولكن الله ستر عليهم إبقاء

أَخْبَارَكُمْ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۝ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۝ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۝ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ۝ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ۝

عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين ، وروى أن الله لم يذكر واحدا منهم باسمه (ولتعرفنهم فى لحن القول) معنى لحن القول مقصده وطريقته وقيل اللحن هو الخفى المعنى كالكناية والتعريض والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم سيعرفهم من دلائل كلامهم ، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين (ولنبلونكم) أى نختبركم (حتى نعلم) أى نعلمه علما ظاهرا فى الوجود تقوم به الحجة عليكم وقد علم الله الأشياء قبل كونها ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلينا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا (وشاقوا الرسول) أى خالفوه وعادوه ، ونزلت الآية فى المنافقين وقيل فى اليهود (ولا تبطلوا أعمالكم) يحتمل أربعة معان أحدها لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان والثانى لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ذكره الزمخشرى وهذا على مذهب المعتزلة خلافا للأشعرية فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات . والثالث لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب ، والرابع لا تبطلوا أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها ، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية : وبهذا يستدلون على أن من ابتدأ نافلة لم يجزله قطعها ، وهذا أبعد هذه المعانى ، والأول أظهر لقوله قبل ذلك فى الكفار أو المنافقين ، وسيحبط أعمالهم فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشاقتهم الرسول (فلن يغفر الله لهم) هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له وقد أجمع المسلمون على ذلك (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم) أى لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بالصلح فهو كقوله « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » (ولن يتركم أعمالكم) أى لن ينقصكم أجور أعمالكم يقال وترت الرجل أتره إذا نقصته شيئاً أو أذهبت له متاعا (ولا يسألكم أموالكم) أى لا يسألكم جميعها إنما يسألكم ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف (إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا) معنى يحفكم يلح عليكم والإحفاء أشد السؤال وتبخلوا جواب الشرط (ويخرج أضغانكم) الفاعل الله تعالى أو البخل ، والمعنى يخرج ما فى قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق (هؤلاء) منصوب على التخصيص أو منادى (لتنفقوا فى سبيل الله) يعنى الجهاد والزكاة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أى إنما ضرر بخله على نفسه فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذى يستحقه بالإنفاق (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم) أى يأت بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين فى الإنفاق فى سبيل الله ، فقيل إن هذا الخطاب لقريش ،

سورة الفتح

مدنية نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۞ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ

والقوم غيرهم هم الأنصار وهذا ضعيف لأن الآية مدنية نزلت والأنصار حاضرون ، وقيل الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة والقوم هم أهل اليمن وقيل فارس

سورة الفتح

نزلت هذ السورة حين انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر وهما راجعان إلى المدينة ، لقد نزلت علىّ سورة هى أحب إلىّ من الدنيا وما فيها ، (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) يحتمل هذا الفتح فى اللغة أن يكون بمعنى الحكم أى حكمنا لك على أعدائك ، أومن الفتح بمعنى العطاء كقوله «مايفتح الله للناس من رحمة» أو من فتح البلاد واختلف فى المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال : الأول أنه فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون وذكره بلفظ الماضى لتحققه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد ، الثانى أنه ماجرى فى الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية ، شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة ، ويتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة وهذا هو الأصح ، لأنه روى أنها لما نزلت قال بعض الناس ماهذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو أعظم الفتوح قد رضى المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالروح ، ورغبوا إليكم فى الأمان ، الثالث أنه ماأصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها ، الرابع أنه الهداية إلى الإسلام ودليل هذا القول قوله ليغفر الله لك فجعل الفتح علة للمغفرة ولا حجة فى ذلك إذ يتصور فى الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضا أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل فيكون المعنى إنا فتحنا لك فتحا مبينا فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك (هو الذى أنزل السكينة) أى السكون والطمأنينة ، يعنى سكونهم فى صلح الحديبية وتسليمهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه الرحمة (الظانين بالله ظن السوء) معناه أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين وقالوا لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وقيل معناه أنهم لايعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به ، والأول أظهر بدليل مابعده (عليهم

السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۞ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ

دائرة السوء) يحتمل أن يكون خبرا أو دعاء (إنا أرسلناك شاهدا) أى تشهد على أمتك (وتعزروه) أى تعظموه وقيل تنصرونه وقرئ تعززوه بزايين منقوطتين ، والضمير فى تعزروه وتوقروه للنبى صلى الله عليه وسلم وفى تسبحوه لله تعالى ، وقيل الثلاثة لله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) هذا تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله ثم أكد هذا المعنى بقوله « يد الله فوق أيديهم » وذلك على وجه التخييل والتمثيل يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو يد المبايعين له هى يد الله فى المعنى وإن لم تكن كذلك فى الحقيقة وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، كعقده مع الله كقوله « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة وهذا بعيد هنا ونزلت الآية فى بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) يعنى أن ضرر نكثه على نفسه ويراد بالنكث هنا نقض البيعة (سيقول لك المخلفون من الأعراب) الآية : سماهم بالمخلفين لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية ، والأعراب هم أهل البوادى من العرب ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة يعتمر رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وغيرهم فقعدوا عن الخروج معه ولم يكن إيمانهم متمكنا فظنوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر ففضحهم الله فى هذه السورة ، وأعلم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم ، وأعلمه أنهم كاذبون فى اعتذارهم (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) يحتمل أن يريد قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا لأنهم كذبوا فى ذلك أو قولهم فاستغفر لنا لأنهم قالوا ذلك رياء من غير صدق ولا توبة (قوما بورا) أى هالكين من البوار ، وهو الهلاك ويعنى به الهلاك فى الدين (سيقول المخلفون) الآية : أخبر الله رسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى ، وهى غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم لن تتبعونا (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أى يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية

قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ
مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝
لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا

وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها وأن يكون ذلك مختصا بهم دون غيرهم وأراد المخلفون أن يشاركوهم فى ذلك فهذا هو ماأرادوا من التبديل وقيل كلام الله قوله فلن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد الحديبية بمدة (كذلكم قال الله من قبل) يريد وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) معناه يعز عليكم أن نصيب معكم مالا وغنيمة وبل هنا للإضراب عن الكلام المتقدم وهو قوله لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فمعناها رد أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم وأما بل فى قوله تعالى بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا فهى إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد وإثبات لوصف المخلفين بالجهل (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) اختلف فى هؤلاء القوم على أربعة أقوال الأول : أنهم هوازن ومن حارب النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر والثانى أنهم الروم إذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتالهم فى غزوة تبوك والثالث أنهم أهل الردة من بنى حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق والرابع أنهم الفرس ويقوى الأول والثانى بأن ذلك ظهر فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية قال وهذا لا يوجد إلا فى أهل الردة قلت وكذلك هو موجود فى كفار العرب إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوى ذلك أنهم هوازن أو يسلمون عطف على تقاتلونهم وقال ابن عطية هو مستأنف (وإن تتولوا كما توليتم من قبل) يريد فى غزوة الحديبية (ليس على الأعمى حرج) الآية معناها أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض فى تركهم للجهاد لسبب أعذارهم (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها وفى الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وخمسمائة وسبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ الحديبية وهى موضع على نحو عشرة أميال من مكة أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر وأنه لا يريد حربا فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفر أحد وقيل بايعوه على الموت ثم جاء عثمان بعد ذلك سالما وانعقد الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر فى العام القابل ، والشجرة المذكورة كانت سمرة هنالك ثم ذهبت بعد سنين فمر عمر بن الخطاب بالموضع فى خلافته فاختلف الصحابة فى

قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ

موضعها (فعلم مافى قلوبهم) يعنى من صدق الإيمان وصدق العزم على مابايعوا عليه وقيل من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا السكينة (وأثابهم فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر وقيل فتح مكة والأول أشهر أى جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة وأما المغانم المذكورة أولا فهى غنائم خيبر وهى المعطوفة على الفتح القريب وأما المغانم الكثيرة التى وعدهم الله وهى المذكورة ثانيا فهى كل مايغنم المسلمون إلى يوم القيامة والإشارة بقوله فعجل لكم هذه إلى خيبر وقيل إن المغانم التى وعدهم هى خيبر والإشارة بهذه إلى صلح الحديبية (وكف أيدى الناس عنكم) أى كف أهل مكة عن قتالكم فى الحديبية وقيل كف اليهود وغيرهم عن إضرار نسائكم وأولادكم بينما خرجتم إلى الحديبية (ولتكون آية للمؤمنين) أى تكون هذه الفعلة وهى كف أيدى الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر ، واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره فعل الله ذلك لتكون آية (وأخرى لم تقدروا عليها) يعنى فتح مكة ، وقيل فتح بلاد فارس والروم وقيل مغانم هوازن فى حنين ، والمعنى لم تقدروا أنتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم ، وإعراب أخرى عطف على عجل لكم هذه أو مفعول بفعل مضمر تقديره أعطاكم أخرى أو مبتدأ (ولو قاتلكم الذين كفروا) يعنى أهل مكة (سنة الله) أى عادته والإشارة إلى يوم بدر وقيل الإشارة إلى نصر الأنبياء قديما وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) روى فى سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية ، ليصيبوا من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قوما ، وساقوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم ، فكف أيدى الكفار هو أن هزموا وأسروا وكف أيدى المؤمنين عن الكفار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل ، وقوله (من بعد أن أظفركم عليهم) يعنى من بعدما أخذتموهم أسارى (هم الذين كفروا) يعنى أهل مكة (وصدوكم عن المسجد الحرام) يعنى أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية (والهدى معكوفا أن يبلغ محله) الهدى مايهدى إلى البيت من الأنعام ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ساق حينئذ مائة بدنة وقيل سبعين ليهديها ، والمعكوف المحبوس ومحله موضع نحره يعنى مكة والبيت وإعراب الهدى عطف على الضمير المفعول فى صدوكم ومعكوفا حال من الهدى ، وأن يبلغ مفعول بالعكف فالمعنى صدوكم عن المسجد الحرام ، وصدوا الهدى عن أن يبلغ محله والعكف المذكور يعنى به منع المشركين للهدى عن بلوغ مكة أو حبس المسلمين بالهدى بينما ينظرون فى أمورهم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) الآية تعليل لصرف الله

فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ

المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة ، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم ، ولكن كفهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم ، وجواب لولا محذوف تقديره لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطناكم عليهم (أن تطئوهم) فى موضع بدل من رجال ونساء أو بدل من الضمير المفعول فى لم تعلموهم والوطء هنا الإهلاك بالسيف وغيره (فتصيبكم منهم معرة) أى تصيبكم من قتلهم مشقة وكراهة ، واختلف هل يعنى الإثم فى قتلهم أو الدية أو الكفارة أو الملامة أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين وهذا أظهر لأن قتل المؤمن الذى لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية ، ولا ملامة ، ولا عيب ، (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) يعنى رحمة المؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم أو رحمة لمن شاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك ، واللام تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره كان كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله فى رحمته من يشاء (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا) معنى تزيلوا تميزوا عن الكفار والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان أى لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار فقوله لعذبنا جواب لو الثانية وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا ويحتمل أن يكون لعذبنا جواب لو الأولى وكررت لو الثانية تأكيدا (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) يعنى أنفة الكفر وهى منعهم للنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن العمرة ومنعهم من أن يكتب فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله وقولهم لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك والعامل فى إذ جعل محذوف تقديره اذكر أو قوله لعذبنا والسكينة هى سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك (وألزمهم كلمة التقوى) قال الجمهور هى لا إله إلا الله وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل لا إله إلا الله والله أكبر وهذه كلها متقاربة وقيل هى بسم الله الرحمن الرحيم التى أبى الكفار أن تكتب (وكانوا أحق بها وأهلها) أى كانوا كذلك فى علم الله وسابق قضائه لهم وقيل أحق بها من اليهود والنصارى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون ، وروى أنه أتاه ملك فى النوم فقال له لتدخلن المسجد الحرام الآية : فأخبر الناس برؤياه ذلك فظنوا أن ذلك يكون فى ذلك العام فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون أين الرؤيا ، ووقع فى نفوس المسلمين شىء من ذلك فأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أى تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك فاطمأنت قلوب المؤمنين وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام وظهر صدق رؤياه وتلك عمرة القضية ثم فتح مكة بعد ذلك ثم حج هو وأصحابه وصدق فى هذا الموضع

ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ هُوَ الَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُ فَـَٔازَرَهُ

يتعدى إلى مفعولين ، وبالحق يتعلق بصدق أو بالرؤيا على أن يكون حالا منها (إن شاء الله) لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضى الشك فى الأمر ، وذلك محال على الله ، اختلف فى هذا الاستثناء على خمسة أقوال : الأول أنه استثناء قاله الملك الذى رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فحكى الله مقالته كما وقعت والثانى أنه تأديب من الله لعباده ليقولون إن شاء الله فى كل أمر مستقبل ، والثالث أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له ، والرابع أن الاستثناء راجع إلى قوله آمنين لا الدخول المسجد ، والخامس أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله (محلقين رؤسكم ومقصرين) الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة ، والحلق أفضل من التقصير ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله المحلقين ثلاثا ثم قال فى المرة الأخيرة والمقصرين (فعلم مالم تعلموا) يريد ماقدره من ظهور الإسلام فى تلك المدة فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ورغب الناس فى الإسلام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الحديبية فى ألف وخمسمائة وقيل ألف وأربعمائة وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر ، وقيل بيعة الرضوان وقيل صلح الحديبية ، وهذا هو الأصح لأن عمر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفتح هو يارسول الله قال نعم وقيل هو فتح مكة وهذا ضعيف ، لأن معنى قوله من دون ذلك قبل دخول المسجد الحرام وإنما كان فتح مكة بعد ذلك فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة وفتح مكة عام ثمانية (ليظهره على الدين كله) ذكر فى براءة (وكفى بالله شهيدا) أى شاهدا بأن محمدا رسول الله أو شاهدا بإظهار دينه (والذين معه) يعنى جميع أصحابه وقيل من شهد معه الحديبية وإعراب الذين معطوف على محمد رسول الله صفته وأشداء خبر عن الجميع ، وقيل الذين معه مبتدأ وأشداء خبره ورسول الله خبر محمد ورجح ابن عطية هذا والأول عندى أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا بالصحابة دون النبى صلى الله عليه وسلم وما أحق النبى صلى الله عليه وسلم بالوصف بذلك لأن الله قال فيه : بالمؤمنين رءوف رحيم ، وقال « جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » فهذه هى الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين (سيماهم فى وجوههم) السيما العلامة وفيه ستة أقوال ، الأول أنه الأثر الذى يحدث فى جبهة المصلى من كثرة السجود ، والثانى أنه أثر التراب فى الوجه الثالث أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة ، الرابع حسن الوجه لما ورد فى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوى فرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو غير مروى عنه ، الخامس أنه الخشوع ، السادس أن ذلك يكون فى الآخرة يجعل الله لهم نوراً من أثر السجود كما يجعل غرة من أثر الوضوء وهذا بعيد لأن قوله تراهم ركعاً سجداً وصف حالهم فى الدنيا فكيف يكون سيماهم فى وجوههم كذلك ، والأول أظهر ، وقد كان بوجه على بن الحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود (ذلك مثلهم فى التوراة) أى وصفهم فيها وتم الكلام

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *

سـورة الحجرات

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعـد المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

هنا ، ثم ابتدأ قوله ومثلهم فى الإنجيل ، كزرع ، وقيل إن مثلهم فى الإنجيل عطف على مثلهم فى التوراة ثم ابتدأ قوله كزرع وتقديره هم كزرع ، والأول أظهر ، ليكون وصفهم فى التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم فى الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك وعلى هذا يكون مثلهم فى الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثلهم فى التواة (كزرع أخرج شطأه) هذا مثل ضربه الله الإسلام حيث بدأ ضعيفا ، ثم قوى وظهر وقيل الزرع مثل للنبى صلى الله عليه وسلم لأنه بعث وحده وكان كالزرع حبة واحدة ، ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التى تنبت حول الأصل ، ويقال بإسكان الطاء وفتحها بمد وبدون مد وهى لغات (فآزره) أى قواه وهو من الموازرة بمعنى المعاونة ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه أو بالعكس لأن كل واحد منهما يقوى الآخر ، وقيل معناه ساواه طولا فالفاعل على هذا الشطأ ووزن آزره فاعله وقيل أفعله ، وقرئ بقصر الهمزة على وزن فعل (فاستغلظ) أى صار غليظا (فاستوى على سوقه) جمع ساق أى قام الزرع على سوقه ، وقيل قوله كزرع يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلىّ بن أبى طالب (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين فهو يتعلق بفعل يدل عليه الكلام تقديره جعلهم الله كذلك ليغيظ بهم الكفار ، وقيل يتعلق بوعد وهو بعيد (منهم) لبيان الجنس لا للتبعيض لأنه وعد عم جميعهم رضى الله عنهم

سـورة الحجرات

(لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) فيه ثلاثة أقوال أحدها لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به ولا تقطعوا فى أمر إلا بنظره والثانى لا تقدموا الولاة بمحضره فإنه يقدم من شاء والثالث لا تتقدموا بين يديه اذا مشى وهذا إنما يجرى على قراءة يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال ، والأول هو الأظهر لأن عادة العرب الاشتراك فى الرأى وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له فربما فعل ذلك قوم مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنهاهم الله عن ذلك ، ولذلك قال مجاهد معناه لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يذكره على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما قال بين يدى الله لأن النبى صلى الله عليه وسلم إنما يتكلم بوحى من الله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب كرامة له

أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ
أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ

وتعظيما وسببها أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم (أن تحبط أعمالكم) مفعول من أجله تقديره مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته أو جهرتم له بالقول صلى الله عليه وسلم فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معا من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثانى وهو لا تجهر وعند الكوفيين بالأول وهو لا ترفعوا أصواتكم، وهذا الإحباط لأن قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم والتقصير فى توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن، لعظيم ما وقع فيه من ذلك وقيل إن الآية خطاب للمنافقين وهذا ضعيف، لقوله فى أولها «يا أيها الذين آمنوا» وقوله وأنتم لا تشعرون فإنه لا يصح أن يقال هذا المنافق فانه يفعله جرأة وهو يقصده (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فانه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر: والله يا رسول الله لا أكلمك إلا سرا وكان عمر يخفى كلامه حين يستفهمه النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولفظها مع ذلك على عمومه ومعنى امتحن اختبر فوجدها كما يجب مثل ما يختبر الذهب بالنار، فيوجد طيبا، وقيل معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلف وقيل معناه أخلصها الله للتقوى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) الحجرات جمع حجرة وهى قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط وكان لكل واحدة من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حجرة ونزلت الآية فى وفد بنى تميم قدموا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ووقفوا خارجها ونادوا يا محمد اخرج إلينا فكان فى فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير فتربص رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس يا محمد إن مدحى زين وذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ذلك الله تعالى (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفى العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم والآخر أن يكون جميعهم ممن لا يعقل وأوقع القلة موضع النفى والأول أظهر فى مقتضى اللفظ والثانى أبلغ فى الذم (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) يعنى خيرا فى الثواب وفى انبساط نفس النبى صلى الله عليه وسلم وقضائه حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم (إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا) سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ زكاتهم فروى أنه كان معاديا لهم فأراد إذايتهم فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم وقال للنبى صلى الله عليه وسلم إنهم قد منعونى الصدقة وطردونى وارتدوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بغزوهم ونظر فى ذلك فورد وفدهم منكرين لذلك وروى أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه متلقين له فرآهم على بعد ففزع منهم وظن بهم الشر فانصرف فقال ما قال وروى أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيه صدقة ولا نطيعه فانصرف وقال ما قال فالفاسق المشار إليه فى الآية هو الوليد بن عقبة ولم يزل بعد ذلك يفعل

فَتَبَيَّنُوٓا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ

أفعال الفساق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم قال لهم أزيدكم إن شئتم ، ثم هى باقية فى كل من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر ، وقرئ فتبينوا من التبين وتثبتوا بالثاء من التثبت ويقوى هذه القراءة أنها لما نزلت روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التثبت من الله والعجلة من الشيطان ، واستدل بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد ، لأن دليل الخطاب يقتضى أن خبر غير الفاسق مقبول ، قال المنذر البلوطى : وهذه الآية ترد على من قال إن المسلمين كلهم عدول ، لأن الله أمر بالتبين قبل القبول ، فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا (أن تصيبوا قوما بجهالة) فى موضع المفعول من أجله تقديره مخافة أن تصيبوا قوما بجهالة ، والإشارة إلى قتال بنى المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ماذكر (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) أى لشقيتم ، والعنت المشقة ، وإنما قال لو يطيعكم ولم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم ، والحق خلاف ذلك ، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم ، وذلك أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأصوب من رأى غيره ، ولو أطاع الناس فى رأيهم لهلكوا ، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره ، وإلى ذلك الإشارة بقوله « ولكن الله حبب إليكم الإيمان » الآية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) اختلف فى سبب نزولها ، فقال الجمهور هو ماوقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبىّ بن سلول حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة فى مرضه فبال حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبىّ للنبى صلى الله عليه وسلم لقد آذانى نتن حمارك فرد عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد ، وقيل بالحديد ، وقيل سببها أن فريقين من الأنصار وقع بينهما قتال فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جهد ثم حكمها باق إلى آخر الدهر وإنما قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا لأن الطائفة فى معنى القوم والناس ، فهى فى معنى الجمع (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى) أمر الله فى هذه الآية بقتال الفئة الباغية ، وذلك إذا تبين أنها باغية فأما الفتن التى تقع بين المسلمين ، فاختلف العلماء فيها على قولين أحدهما أنه لا يجوز النهوض فى شىء منها ولا القتال وهو مذهب سعد بن أبى وقاص وأبى ذر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وحجتهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم كفر. وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف فى الفتن ، والقول الثانى أن النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية ، وهذا قول على وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة ، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء ، وحجتهم هذه الآية فإذا فرعنا على القول الأول ، فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فليدفعه عن نفسه وإن أدى ذلك إلى قتله لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد ، وإذا فرعنا على القول الثانى فاختلف مع من يكون النهوض فى الفتن فقيل مع السواد الأعظم وقيل مع العلماء ، وقيل مع من يرى أن الحق معه ،

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا

وحكم القتال فى الفتن أن لايجهز على جريح ولا يطلب هارب ، ولا يقتل أسير ولا يقسم فىء (حتى تفىء) أى ترجع إلى الحق (فأصلحوا بين أخويكم) إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغى اثنان ، وقيل أراد بالأخوين الأوس والخزرج ، وقرئ بين إخوتكم بالتاء على الجمع وقرئ بين إخوانكم بالنون على الجمع أيضا (لايسخر قوم من قوم) نهى عن السخرية وهى الاستهزاء بالناس (عسى أن يكونوا خيراً منهم) أى لعل المسخورمنه خير من الساخر عندالله وهذا تعليل للنهى (ولانساء من نساء) لما كان القوم لايقع إلاعلى الذكور عطف النساء عليهم (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لايطعن بعضكم على بعض واللمز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك ، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز فى سورة الهمزة وأنفسكم هنا بمنزلة قوله فسلموا على أنفسكم (ولاتنابزوا بالألقاب) أى لا يدع أحد أحدا بلقب والتنابز بالألقاب التداعى بها وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه اذا دعت إليه الضرورة ولم يقصد النقص والاستخفاف (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) يريد بالاسم أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن سمى مؤمنا ، وفى ذلك ثلاثة أوجه : أحدها استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان ، فمعنى ذلك أن من فعل شيئاً من هذه الأشياء التى نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنا ، والآخر بئس مايقوله الرجل لآخر يافاسق بعد إيمانه ، كقولهم لمن أسلم من اليهود يايهودى ، الثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن وهذا على مذهب المعتزلة (اجتنبوا كثيراً من الظن) يعنى ظن السوء بالمسلمين ، وأما ظن الخير فهو حسن (إن بعض الظن إثم) قيل فى معنى الإثم هنا الكذب لقوله صلى الله عليه وسلم الظن أكذب الحديث لأنه قد لايكون مطابقا الأمر ، وقيل إنما يكون إثما إذا تكلم به وأما إذا لم يتكلم به فهو فى فسحة لأنه لايقدر على دفع الخواطر واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع فى الشرع لأنه أمر باجتناب كثير من الظن ، وأخبر أن بعضه إثم فأمر باجتناب الأكثر من الإثم احترازاً من الوقوع فى البعض الذى هو إثم (ولاتجسسوا) أى لاتبحثوا عن مخبآت الناس وقرأ الحسن تحسسوا بالحاء والتجسس بالجيم فى الشر وبالحاء فى الخير ، وقيل التجسس ماكان من وراء والتحسس بالحاء الدخول والاستعلام (ولا يغتب بعضكم بعضا) المعنى : لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه والغيبة هى مايكره الإنسان ذكره من خلقه أوخلقه أودينه أوأفعاله أوغير ذلك ، وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره ، قيل يارسول الله وإن كان حقا ، قال إذا قلت باطلا فذلك بهتان وقد رخص فى الغيبة فى مواضع منها فى التجريح فى الشهادة والرواية والنكاح وشبهه وفى التحذير من أهل الضلال

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *

(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد فى تقبيحه أن جعله ميتاً لأن الجيفة مستقذرة ويجوز أن يكون ميتاً حال من الأخ أو من لحمه وقيل فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير كأنه لما قررهم قال هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا أجابوا فقالوا لا نحب ذلك فقال لهم فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره فكذلك فاكرهوا الغيبة التى هى تشبهه وحذف هذا لدلالة الكلام عليه وعلى هذا المحذوف يعطف قوله واتقوا الله ، قاله أبو على الفارسى ، وقال الرمانى كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم ، والطبع أعمى جاهل ، وقال الزمخشرى فى هذه الآية مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحد من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتاً ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الانسان حتى جعله أخاله (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى والأول أظهر وأصح لقوله صلى الله عليه وسلم أنتم من آدم وآدم من التراب ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، وروى أن سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى بياضة أن يزوجوا أباهند امرأة منهم فقالوا كيف نزوج بناتنا لموالينا (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم من القبيلة وتحته القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهم القرابة الأدنون فمضر وربيعة وأمثالهما شعوبا ، وقريش قبيلة ، وبنى عبد مناف بطن ، وبنو هاشم فخذ ، ويقال بإسكان الخاء فرقا بينه وبين الجارحة وبنو عبد المطلب فصيلة . وقيل الشعوب فى العجم والقبائل فى العرب والأسباط فى بنى إسرائيل ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا (قالت الأعراب آمنا) نزلت فى بنى أسد بن خزيمة وهى قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا فأكذبهم الله فى قولهم آمنا وصدقهم لو قالوا أسلمنا وهذا على أن الايمان هو التصديق بالقلب والاسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح فالإسلام والإيمان فى هذا الموضع متباينان فى المعنى وقد يكونان متفقان وقد يكون الاسلام أعم من الايمان فيدخل فيه الايمان حسبما ورد فى مواضع أخر (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) معنى لا يلتكم لا ينقصكم شيئا من أجور أعمالكم وفيه لغتان يقال لات وعليه قراءة نافع لا يلتكم بغير همز ، ويقال ألت وعليه قراءة من قرأ لا يألتكم بهمزة قبل اللام ، فإن قيل : كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلا من مؤمن؟ فالجواب : أن طاعة

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۝ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

سورة ق

مكية إلا آية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا

الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال فالمعنى إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم وعملتم أعمالا صالحة فإن الله لا ينقصكم منها شيئا (ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا فى إيمانهم وفى ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم فى شك وكذلك قوله فى هؤلاء أولئك هم الصادقون تعريض أيضا بالأعراب إذ كذبوا فى قولهم آمنا وإنما عطف ثم لم يرتابوا بثم إشعارا بثبوت إيمانهم فى الأزمنة المتراخية المتطاولة (وجاهدوا) يريد جهاد الكفار لأنه دليل على صحة الإيمان ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان لقوله بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (يمنون عليك أن أسلموا) نزلت فى بنى أسد أيضا فإنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) أى هداكم للإيمان على زعمكم ولذلك قال إن كنتم صادقين، ويمن عليكم يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم أو بمعنى يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه فى مقابلة يمنون عليك

سورة ق

تكلمنا على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة ويختص ق بأنه قيل إنه من اسم الله القاهر أو القدير وقيل هو اسم للقرآن وقيل اسم للجبل الذى يحيط بالدنيا (والقرآن المجيد) من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم محذوف تقديره ماردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك وعبر عن هذا المحذوف وقع الإضراب ببل وقيل الجواب مايلفظ من قول وقيل إن فى ذلك لذكرى وقيل قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير فى عجبوا لكفار قريش والمنذر هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية قال ولذلك قال تعالى فقال الكافرون أى الكافرون من الناس والصحيح أنه لقريش وقوله قال الكافرون وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالكفر كما تقول جاءنى فلان فقال الفاجر كذا إذا قصدت ذمه وقوله منذر منهم إن كان الضمير لقريش فمعنى منهم من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم وإن كان الضمير لجميع الناس فمعنى منهم إنسان مثلهم، وتعجبهم يحتمل أن يكون من أن بعث الله بشرا أو من الأمر الذى يتضمنه الإنذار وهو

شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝
بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا
مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ
عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ
نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ
الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ

الحشر ويؤيد هذا مايأتى بعد (أئذا متنا وكنا ترابا) العامل فى إذا محذوف تقديره أنبعث إذا متنا (ذلك رجع بعيد) الرجع مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت ومعنى بعيد أى بعيد الوقوع عندهم وقيل الرجع الجواب أى جوابهم هذا بعيد عن الحق وعلى هذا يكون قوله ذلك رجع بعيد من كلام الله تعالى وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار وهو أظهر (قد علمنا ماتنقص الأرض منهم) هذا رد على الكفار فى إنكارهم للبعث معناه قد علمنا ماتنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقيل المعنى قد علمنا مايحصل فى بطن الأرض من موتاهم والأول قول ابن عباس والجمهور وهو أظهر (وعندنا كتاب حفيظ يعنى اللوح المحفوظ ومعنى حفيظ جامع لايشذ عنه شىء وقيل معناه محفوظ من التغيير والتبديل (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أقبح من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة وماتضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك وقال ابن عطية هذا الاضراب عن كلام محذوف تقديره ماأجادوا النظر ونحو ذلك (فهم فى أمر مريج) أى مضطرب لأنهم تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وغير ذلك من أقوالهم وقيل معناه منكر وقيل ملتبس وقيل مختلط (وزيناها) يعنى بالنجوم (وما لها من فروج) أى من شقوق وذلك دليل على إتقان الصنعة (رواسى) يعنى الجبال (من كل زوج بهيج) أى من كل نوع جميل (ماء مباركا) يعنى المطر كله وقيل الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بالمبارك وهذا ضعيف (حب الحصيد) هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد (باسقات) أى طويلات (طلع نضيد) الطلع أول مايظهر من الثمر وهو أبيض منضد كحب الرمان فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد فإذا تفرق فليس بنضيد (كذلك الخروج) تمثيل لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض (وأصحاب الرس) قوم كانت لهم بئر عظيم وهى الرس بعث إليهم نبى فجعلوه فى الرس وردموا عليه فأهلكهم الله (وأصحاب الأيكة) يعنى قوم شعيب وقد ذكر (وقوم تبع) ذكر فى الدخان (فحق وعيد) أى حل بهم الهلاك (أفعيينا بالخلق الأول) يقال عيى بالأمر إذا لم يعرف علمه والخلق الأول خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة

حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۞ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا

وقيل يعنى خلق آدم ، وقيل خلق السموات والأرض ، والأول أظهر ، ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث والهمزة للإنكار (بل هم فى لبس من خلق جديد) أى هم فى شك من البعث وإنما نكر الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود (ولقد خلقنا الإنسان) يعنى جنس الإنسان ومعنى توسوس به نفسه تحدثه نفسه فى فكرتها وذلك أخفى الأشياء وقيل يعنى آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة والأول أظهر وأشهر (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) هو عرق كبير فى العنق وهما وريدان عن يمين وشمال وهذا مثل فى فرط القرب ، والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك : مسجد الجامع أو يراد بالحبل العاتق (إذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين الكاتبين الأعمال ، والتلقى هو تلقى الكلام بحفظه وكتابته ، والعامل فى إذ نحن أقرب ، وقيل مضمر تقديره اذكر واختاره ابن عطية (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى قاعد ، وقيل مقاعد بمعنى مجالس ، وردّه ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان ، والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان وإنما أفرده وهما اثنان لأن التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين ، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقال الفراء لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف (مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) العتيد الحاضر ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مقعد الملكين على الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق ، وعموم الآية يقتضى أن الملكين يكتبان جميع أعمال العبد ولذلك قال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك ، وقال عكرمة إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى بلقاء الله أو فراق الدنيا ، وفى مصحف عبد الله ابن مسعود : وجاءت سكرة الحق بالموت ، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق ، وإنما قال جاءت بالماضى لتحقق الأمر وقربه ، وكذلك مابعده من الأفعال (ذلك ما كنت منه تحيد) أى تفر وتهرب ، والخطاب للإنسان (سائق وشهيد) السائق ملك يسوقه ، وأما الشهيد فقيل ملك آخر يشهد عليه وهو الأظهر ، وقيل صحائف الأعمال ، وقيل جوارح الإنسان (لقد كنت فى غفلة من هذا) خطاب للإنسان الذى يقتضيه قوله : كل نفس ، يريد أنه كان غافلا عما لقى فى الآخرة ، وقيل هو خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أى كنت فى غفلة من هذا القصص وهذا فى غاية الضعف لأنه خروج عن سياق الكلام (فكشفنا عنك غطاءك) قيل كشف الغطاء معاينته أمور الآخرة (فبصرك اليوم حديد) أى يبصر مالم يبصره قبل ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا (وقال قرينه هذا مالدىّ عتيد) القرين هنا الشيطان الذى كان يغويه ، وقيل الملك الذى يتولى عذابه فى جهنم ، والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد ، ولقوله

ءاخر فألقياه في العذاب الشديد ۝ قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ۝ قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ۝ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ۝ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد * وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ۝ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ۝ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ۝ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ۝

نقيض له شيطانا ، فهوله قرين ، ومعنى قوله هذا مالدى عتيد ، أى هذا الإنسان حاضر لدى أعتدته ويسرته لجهنم ، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السائق ، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لدى حاضر ويحتمل أن يكون ما في قوله ، مالدى ، موصوفة أو موصولة ، فإن كانت موصوفة فعتيد وصف لها وإن كانت موصولة ، فعتيد بدل منها ، أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وما هى خبر المبتدأ على هذه الوجوه ، ويحتمل أن يكون عتيد الخبر وتكون ما بدلا من هذا أو منصوبة بفعل مضمر (ألقيا فى جهنم) الخطاب الملكين السائق والشهيد ، وقيل إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ، ثم أبدل منها ألف أو على أن يكون معناه ألق ألق مثنى مبالغة وتأكيدا أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم خليلى وصاحبى وهذا كله تكلف بعيد ، ومما يدل على أن الخطاب لاثنين قوله فألقياه فى العذاب الشديد (مناع للخير) قيل مناع للزكاة المفروضة والصحيح العموم (مريب) شاك فى الدين فهو من الريب بمعنى الشك (الذى جعل) يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره فألقياه وأدخل فيه ألف التضمنه معنى الشرط أو يكون بدلا أو صفة ويكون فألقياه تكرارا للتوكيد (قال قرينه ربنا ما أطغيته) القرين هنا شيطانه الذى وكل به فى الدنيا ، بلا خلاف ومعنى ما أطغيته ما أوقعته فى الطغيان ، ولكنه طغى باختياره وإنما حذف الواو هنا لأن هذه جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال قرينه قبل هذا فإنه عطف (لا تختصموا لدى) خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين (ما يبدل القول لدى) أى قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك ، وقيل معناه لا يكذب أحد لدى لعلمى بجميع الأمور فالإشارة على هذا إلى قول القرين ما أطغيته (وتقول هل من مزيد) الفعل مسند إلى جهنم ، وقيل إلى خزنتها من الملائكة ، والأول أظهر واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال ، والأظهر أنه حقيقة وذلك على الله يسير ، ومعنى قولها « هل من مزيد » إنما تطلب الزيادة وكانت لم تمتلىء وقيل معناه لا مزيد أى ليس عندى موضع للزيادة فهى على هذا قد امتلأت والأول أظهر وأرجح ، لما ورد فى الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يلقى فيها الجبار قدمه ، وفى الحديث كلام ليس هذا موضعه ، والمزيد يحتمل أن يكون مصدرا كالمحيض أو اسم مفعول فإن كان مصدرا فوزنه مفعل وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول (وأزلفت الجنة) أى قربت ثم أكد ذلك بقوله غير بعيد (لكل أواب) أى كثير الرجوع إلى الله فهو من آب يؤوب إذا رجع ، وقيل هو المسبح لله من قوله « ياجبال أوبى معه » (حفيظ) أى حافظ لأوامر الله فيفعلها ولنواهيه فيتركها (من خشى الرحمن بالغيب) أى اتقى الله وهو غائب عن الناس ، فالمجرور فى موضع الحال ومن خشى بدل أو مبتدأ ، فإن قيل : كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة ؟ فالجواب : أن ذلك لقصد المبالغة فى الثناء على من يخشى الله لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه ، قال ذلك الزمخشرى : ويحتمل أن يكون

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِى الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ السُّجُودِ ۝ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِى وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝

الجواب عن ذلك أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذى ليس بصفة كقولنا الله (ولدينا مزيد) قيل معناه النظر إلى وجه الله ، كقوله « الحسنى وزيادة» وقيل يعنى مالم يخطر على قلوبهم كما ورد فى الحديث مما يرويه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (هم أشد منهم بطشا) الضمير فى هم للقرون المتقدمة ، وفى منهم لكفار قريش (فنقبوا فى البلاد) أى طافوا فيها وأصله دخولها من أنقابها أو من التنقب عن الأمر ، بمعنى البحث عنه (هل من محيص) أى قالوا هل من مهرب من الله أو من العذاب (لمن كان له قلب) أى قلب واع يعقل و يفهم (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع وهو حاضر القلب (وما مسنا من لغوب) اللغوب الإعياء والتعب (فاصبر على مايقولون) يعنى كفار قريش وغيرهم (وسبح بحمد ربك) يحتمل أن يريد التسبيح باللسان ، أو يريد الصلاة وقد ذكر الزمخشرى فيه الوجهين وقال ابن عطية : معناه صل بإجماع من المتأولين ، وهى على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشاء ، وقيل هى النوافل (وأدبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما : الركعتين بعد المغرب وقال ابن عباس هى النوافل بعد الفرائض ، وقيل الو - (واستمع) معناه انتظر فهو عامل فى يوم ينادى على أنه مفعول به صريح ، وقيل المعنى استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة فعلى هذا لا يكون عاملا فى يوم ينادى فيوقف على استمع والأول أظهر (يوم ينادى المناد من مكان قريب) المنادى هنا إسرافيل الذى ينفخ فى الصور ، وقيل إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق ، وقيل المكان صخرة بيت المقدس ، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة ، وقيل لقربها من السماء ، لأنها أقرب إلى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وهذا ضعيف (يوم الخروج) يعنى خروج الناس من القبور (ويوم تشقق) العامل فى هذا الظرف معنى قوله « حشر علينا يسير » أو هو بدل مما قبله (وما أنت عليهم بجبار) أى بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله « لست عليهم بمصيطر » وقيل إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم رؤف بهم غير جبار عليهم وهذا أظهر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله «إنما تنذر الذين يخشون ربهم» لأنه لا ينفع التذكير إلا من يخاف

سـورة الذاريات

مكية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَالذَّارِيَٰتِ ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۞ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۞ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۞ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۞ قُتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۞

سـورة الذاريات

(والذاريات ذروا) هى الرياح تذرو التراب وغيره ، ومنه قوله تعالى «تذروه الرياح» وانتصب ذروا على المصدرية (فالحاملات وقرا) هى السحاب تحمل المطر والوقر الحمل وهو مفعول به (فالجاريات يسرا) هى السفن تجرى فى البحر وإعراب يسرا صفة لمصدر محذوف ومعناه بسهولة (فالمقسمات أمرا) هى الملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك ، وأمرا مفعول به ، وقيل إن الحاملات وقرا : السفن ، وقيل جميع الحيوان الحامل ، وقيل إن الجاريات يسرا : السحاب ، وقيل الجوارى من الكواكب والأول أشهر وهو قول على بن أبى طالب (إنما توعدون لصادق) هذا جواب القسم ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد والأظهر أنه يراد به البعث فى الآخرة وهو يشمل الوعد والوعيد (وإن الدين لواقع) الدين هنا الجزاء ، وقيل الحساب (والسماء ذات الحبك) أى ذات الطرائق مثل الطرائق التى تكون فى الماء إذا هبت عليه الرياح ، وكذلك حبك الزرع وهى الطرائق التى فيه وقيل الحبك النجوم وقيل زينة السماء وقيل حسن خلقتها وواحد الحبك حباك أو حبيكة (إنكم لفى قول مختلف) يحتمل أن يكون خطابا لجميع الناس لأنهم اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر ، ويحتمل أن يكون خطابا للكفار خاصة لأنهم اختلفوا فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم شاعر (يؤفك عنه من أفك) معنى يؤفك يصرف ، والضمير فى عنه يحتمل أربعة أوجه أحدها أن يكون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو للقرآن أو للإسلام والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف أى من سبق فى علم الله أنه مصروف . الثانى أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين والمعنى يصرف عن الايمان به من صرف . الثالث أن يكون الضمير للقول المختلف والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الاسلام من قضى الله بسعادته ، وهذا القول حسن إلا أن عرف الاستعمال فى أفك ويؤفك إنما هو فى العرف من خير إلى شر وهذا من شر إلى خير . الرابع أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببية والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الايمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقولهم قاتلك الله ، وقيل قتل بمعنى لعن ، قال ابن عطية واللفظ لا يقتضى ذلك وقال الزمخشرى أصله الدعاء بالقتل ، ثم جرى مجرى لعن وقبح ، والخراصون الكذابون ، وأصل الخرص التخمين والقول بالظن والاشارة إلى الكفار ، وقيل إلى الكهان والأول أظهر (الذين هم فى غمرة ساهون) الغمرة

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَفِي أَمْوَالِهِمْ
حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِي السَّمَاءِ

مايغطى عقل الانسان وأصله من غمرة الماء والمراد به هنا الجهالة والغفلة عن النظر (يسئلون أيان يوم الدين) أى يقولون متى يوم الدين على وجه الاستبعاد والاستخفاف (يوم هم على النار يفتنون) هذا جواب عن سؤالهم ، ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون ، ومنه قيل للحرة فتين لأن الشمس أحرقت حجارتها ، ويحتمل أن يكون يومهم معربا والعامل فيه مضمر تقديره يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون ، وأن يكون مبنيا لإضافته إلي مبنى ، وعلى هذا يجوز أن يكون فى موضع نصب بالفعل المضمر حسبما ذكرنا أو فى موضع رفع والتقدير هو يوم هم على النار يفتنون (ذوقوا فتنتكم) أى يقال لهم ذوقوا حرقتكم (آخذين ما آتاهم ربهم) بعنى يأخذون فى الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم ، وقيل المعنى آخذين فى الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه ، والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) الهجوع النوم وفى معنى الآية قولان : أحدهما وهو الصحيح أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر فى الصلاة والتضرع والدعاء ، والآخر أنهم كانوا لاينامون بالليل قليلا ولا كثيراً ، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين فأما على القول الأول ففى الإعراب أربعة أوجه : الأول أن يكون قليلا خبر كانوا ومايهجعون فاعل بقليلا ، لأن قليلا صفة مشبهة باسم الفاعل ، وتكون ما مصدرية ، والتقدير كانوا قليلا هجوعهم من الليل ، والثانى مثل هذا إلا أن ما موصولة والتقدير كانوا قليلا الذى يهجعون فيه من الليل ، والثالث أن تكون ما زائدة ، وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا يهجعون وقتاً قليلا من الليل ، والرابع مثل هذا إلا أن قليلا صفة لمصدر محذوف ، والتقدير كانوا يهجعون هجوعا قليلا ، وأما على القول الثانى ففى الإعراب وجهان : أحدهما أن تكون ما نافية ، وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا ما يهجعون قليلا من الليل ، والآخر أن تكون مانافية ، وقليلا خبر كان ، والمعنى كانوا قليلا فى الناس ، ثم ابتدأ بقوله من الليل مايهجعون وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية ، لأن ما النافية لايعمل مابعدها فيما قبلها فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه (وبالأسحار هم يستغفرون) أى يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم ، والأسحار آخر الليل ، وقد جاء فى الحديث أن الله تعالى يقول فى الثلث الآخر من الليل : من يستغفرنى فأغفر له ، وقيل معنى يستغفرون يصلون وهذا بعيد من اللفظ (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) الحق هنا نوافل الصدقات ، وقيل المراد الزكاة وهذا بعيد لأن الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، وقيل إن الآية منسوخة بالزكاة ، وهذا لايحتاج إليه لأن النسخ إنما يكون مع التعارض ، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل وتسمية النوافل بالحق كقوله حقا على المحسنين ، وإن كان غير واجب ، وقال بعض العلماء حق سوى الزكاة ورجحه ابن عطية واختلف الناس فى المحروم حتى قال الشعبي أعيانى أن أعلم ماالمحروم ، وقيل المحروم الذى ليس له فى بيت المال سهم ، وقيل الذى أجيحت ثمرته ، وقيل الذى ماتت ماشيته ، وقيل هو الكلاب

رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ * هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۝

وهذه أمثلة ، والمعنى الجامع لها أن المحروم الذى حرمه الله المال بأىّ وجه كان (وفى أنفسكم) إشارة إلى ما فى خلقة الإنسان من الآيات والعبر ، ولقد قال بعض العلماء فيه أن فيه خمسة آلاف حكمة ، وقال بعضهم الإنسان نسخة مختصرة من العالم (وفى السماء رزقكم وما توعدون) معنى فى السماء رزقكم المطر ، وقيل القضاء والقدر ، ويحتمل أن يكون ما توعدون من الوعد والوعيد والكل فى السماء ، ولذلك قيل يعنى الجنة والنار . وقيل الخير والشر (إنه لحق) هذا جواب القسم ، والضمير لما تقدم من الآيات أو الرزق أو لما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) أى حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه ، ومازائدة : وقرئ مثل بالنصب والرفع فالرفع صفة لحق ، والنصب على الحال من حق أو من الضمير المستتر فيه أو صفة لحق وبنى لإضافته إلى مبنى أو لتركيبه مع ما فيصير نحو أينما وكلما (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) المراد بالاستفهام فى مثل هذا التفخيم والتهويل ، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاؤا ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط ، ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون عند الله ، ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة والعامل فى إذ دخلوا على هذا : المكرمين ، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكر (فقالوا سلاما) نصب هذا لأنه فى معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمر ، ورفع الثانى لأنه خبر تقديره أمرى سلام ، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة ، وإن كان بمعنى التحية فإنما رفع الثانى ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية تقديره سلمنا عليك سلاما ، ويرتفع الثانى بالابتداء تقديره : سلام عليكم قوم منكرون أى لم يعرفهم (قال ألا تأكلون) يحتمل أن يكون ألا حضا على الأكل أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية (فأوجس منهم خيفة) إنما خاف منهم لما لم يأكلوا (وبشروه بغلام عليم) هو إسحاق عليه السلام لقوله « فبشرناها بإسحاق » (فى صرة) أى صيحة ، وذلك قولها ياويلتا ألد وأنا عجوز وهو من صرّ القلم وغيره إذا صوت ، وقيل معناه فى جماعة من النساء (فصكت وجهها) أى ضربته حياء منهم وتعجبا من ولادتها وهى عجوز (وقالت عجوز عقيم) تقديره قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد أو تقديره أتلد عجوز عقيم (قال فما خطبكم) أى ما شأنكم وخبركم ، والخطب أكثر ما يقال فى الشدائد (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنى قوم سيدنا لوط وقد ذكرنا الحجارة ومسومة فى هود (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها والمراد بالمؤمنين لوط وأهله : أمرهم الله بالخروج

وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَتَوَلَّىٰ
بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ۞
فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ۝ وَقَوْمَ
نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ
ٱلْمَٰهِدُونَ ۝ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا
تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟
سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ

من القرية لينجوا من العذاب الذى أصاب أهلها ، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان فى الأحزاب (وفى موسى) معطوف على قوله وفى الأرض آيات للموقنين أوعلى قوله وتركنا فيها آية (فتولى بركنه) معنى تولى أعرض عن الإيمان وركنه سلطانه وقوته (وقالوا ساحر أومجنون) أى قالوا إن موسى ساحر أومجنون : فأوللشك أوللتقسيم ، وقيل بمعنى الواو وهذا ضعيف ولا يستقيم هنا(وهومليم) أى فعل مايلام عليه يعنى فرعون (الريح العقيم) وصفها بالعقم لأنها لابركة فيهامن إنشاء المطرأو إلقاح الشجر (كالرميم) أى الفانى المنقطع والعموم هنايرادبه الخصوص فيماأذن للريح أن تهلكه (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) فيه قولان : أحدهما أن الحين هى الثلاثة الأيام بعدعقرهم الناقة والآخر أن الحين من بعد مابعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم ، وعلى هذا يكون فعتوا مترتبا بعد تمتعهم، وأما على الأول فيكون إخبارا عن حالهم غير مرتب على ماقبله (فأخذتهم الصاعقة) يعنى الصيحة التى صاحها جبريل (وهم ينظرون) أى يعاينونها لأنها كانت بالنهار (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة وانتصاب السماء بفعل مضمر (وإنا لموسعون) فيه ثلاثة أقوال :أحدها أن معناه قادرون فهومن الوسع وهو الطاقة ، ومنه على الموسع قدره أى القوى على الإنفاق ، والآخر جعلنا السماء واسعة أوجعلنا بينها وبين الأرض سعة ، والثالث أوسعنا الأرزاق بمطر السماء (فنعم الماهدون) الماهد الموطئ للموضع (ومن كل شىء خلقنا زوجين) أى نوعين مختلفين كالليل والنهار ، والسواد والبياض ، والصحة والمرض وغير ذلك (ففروا إلى الله) أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة وفى اللفظ تحذير وترهيب (أتواصوا به) توقيف وتعجيب أى هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول ذلك (فتول عنهم) منسوخ بالسيف (فماأنت بملوم)أى قد بلغت الرسالة فلالوم عليك (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قيل معناه خلقتهم لكى آمرهم بعبادتى ، وقيل ليتذللوا لى فإن جميع الإنس والجن متذلل (ماأريد

اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۞

سورة الطور

مكية وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝ هَٰذِهِ

منهم من رزق) أى ماأريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم (وما أريد أن يطعمون) أى لا أريد أن يطعمون لأنى منزه عن الأكل وعن صفات البشر ، وأنا غنى عن العالمين ، وقيل المعنى ماأريد أن يطعموا عبيدى ، فحذف المضاف تجوزا ، وقيل معناه ما أريد أن ينفعونى لأنى غنىّ عنهم ، وعبر عن النفع العام بالإطعام ، والأول أظهر (المتين) أى الشديد القوة (فإن للذين ظلموا ذنوبا) الذنوب النصيب ويريد به هنا نصيبا من العذاب ، وأصل الذنوب الدلو ، والمراد بالذين ظلموا كفار قريش ، وبأصحابهم من تقدم من الكفار (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم ببدر والأول أرجح لقوله فى المعارج «ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» يعنى يوم القيامة

سورة الطور

(والطور) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، وقيل الطور كل جبل فكأنه أقسم بجنس الجبال (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ ، وقيل القرآن ، وقيل صحائف الأعمال (فى رق منشور) الرق فى اللغة الصحيفة ، وخصصت فى العرف بما كان من جلد ، والمنشور خلاف المطوى (والبيت المعمور) هو بيت فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه أبداً وبهذا عمرانه ، وهو حيال الكعبة ، وقيل البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين ، والأول أظهر ، وهو قول على وابن عباس (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) هو بحر الدنيا ، وقيل بحر فى السماء تحت العرش والأول أظهر وأشهر ، ومعنى المسجور المملوء ماء ، وقيل الفارغ من الماء ، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة ، واللغة تقتضى الوجهين : لأن اللفظ من الأضداد ، وقيل معناه الموقد نارا من قولك سجرت التنور ، واللغة أيضا تقتضى هذا ، وروى أن جهنم فى البحر (إن عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم ، ويعنى عذاب الآخرة (يوم تمور السماء مورا) أى تجىء وتذهب ، وقيل تدور ، وقيل تتشقق ، والعامل فى الظرف واقع ودافع أو محذوف (الذين هم فى خوض يلعبون) الخوض التخبط فى الأباطيل شبه بخوض الماء (يوم يدعون) أى يدفعون بتعنيف ، ويوم بدل من الظرف المتقدم (أفسحر هذا) توبيخ للكفار

النَّارُ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ
عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ
رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ
كُلُّ امْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا

على ما كانوا يقولونه فى الدنيا من أن القرآن سحر (أم أنتم لا تبصرون) توبيخ أيضا لهم وتهكم بهم أى هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذى حل بكم كما كنتم فى الدنيا لا تبصرون الحقائق (اصبروا أو لا تصبروا) ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهى عنه وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه فى أن كل واحد من الحالين لا ينفعهم ولا يخفف عنهم شيئاً من العذاب (إنما تجزون ما كنتم تعملون) هذا تعليل لما ذكر من عذابهم، وليس تعليلا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس (فاكهين) يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو لابن وتامر أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور (ووقاهم) معطوف على قوله فى جنات أو على آتاهم ربهم، أو تكون الواو للحال (كلوا واشربوا) أى يقال لهم كلوا (هنيئاً) صفة لمصدر محذوف تقديره كلوا أكلا هنيئاً، ويحتمل أن يكون وقع موقع فعل تقديره هنأكم الأكل والشرب (بحور عين) الحور: جمع حوراء وهى الشديدة بياض العين وسواد سوادها، والعين جمع عيناء وهى الكبيرة العينين مع جمالها، وإنما دخلت الباء فى قوله بحور لأنه تضمن قوله زوجناهم معنى قرناهم، قاله الزمخشرى وقال إن الذين آمنوا معطوف على بحور عين أى قرناهم بحور للتلذذ بهن، وبالذين آمنوا للأنس معهم والأظهر أن الكلام تمّ فى قوله «بحور عين» ويكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) معنى الآية ماورد فى الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته فى الجنة، وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء، قيل إن ذلك فى الأولاد الذين ماتوا صغارا، وقيل على الإطلاق فى الأبناء المؤمنين، وبإيمان فى موضع الحال من الذرية، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم فى الإيمان، وقال الزمخشرى إن هذا المجرور يتعلق بألحقنا، والمعنى عنده بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذريتهم، والأول أظهر، فإن قيل: لم قال بإيمان بالتنكير؟ فالجواب: أن المعنى بشىء من الايمان لم يكونوا به أهلا لدرجة آبائهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة الآباء، فالمراد تقليل إيمان الذرية ولكنه رفع درجتهم فكيف إذا كان إيمانا عظيما (وما ألتناهم من عملهم من شىء) أى ما أنقصناهم من ثواب أعمالهم بل وفينالهم أجورهم، وقيل المعنى ألحقنا ذريتهم بهم وما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك بل فعلنا ذلك تفضلا زيادة إلى ثواب أعمالهم والضمير على القولين يعود على الذين آمنوا، وقيل إنه يعود على الذرية (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرتهن، فإما أن تنجيه حسناته، وإما أن تهلكه سيئاته (وأمددناهم بفاكهة) الإمداد هو الزيادة

وَلَا تَأْثِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ

مرة بعد مرة (يتنازعون فيها كأسا) أى يتعاطونها إذهم جلساء على الشراب (لالغو فيها ولا تأثيم) اللغو الكلام الساقط والتأثيم الذنب فهى بخلاف خمر الدنيا (غلمان لهم) يعنى خدامهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) اللؤلؤ الجوهر، والمكنون المصون، وذلك لحسنه وقيل هو الذى لم يخرج من الصدف (قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) أى كنا فى الدنيا خائفين من الله، والإشفاق شدة الخوف (السموم) أشد الحر وقيل هو من أسماء جهنم (إنا كنا من قبل ندعوه) يحتمل أن يكون بمعنى نعبده، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، ومن قبل يعنون فى الدنيا قبل لقاء الله (إنه هو البرّ الرحيم) البر الذى يبر عباده ويحسن إليهم، وقرئ أنه بفتح الهمزة على أن يكون مفعولا من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به، وقرئ بكسرها على الاستئناف (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى ذكر الناس ثم نفى عنه ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون. ومعنى بنعمة ربك: بسبب إنعام الله عليك (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) أم فى هذا الموضع وفيما بعده للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربص الانتظار، وريب المنون حوادث الدهر، وقيل الموت، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر ننتظر به ريب المنون فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابغة (قل تربصوا) أمر على وجه التهديد (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) الأحلام العقول: أى كيف تأمرهم عقولهم بهذا، والاشارة إلى قولهم هو شاعر أو إلى ماهم عليه من الكفر والتكذيب، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله أصلاتك تأمرك (أم هم قوم طاغون) أم هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار كما هى فى هذه المواضع كلها (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من تلقاء نفسه وضمير الفاعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول للقرآن (فليأتوا بحديث مثله) ردّ عليهم وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز (أم خلقوا من غير شىء) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم، فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله: الثانى أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجمادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات: الثالث أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم فهو على هذا كقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً (أم هم الخالقون) معناه أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق أم هم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون (أم عندهم خزائن ربك) المعنى أعندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته، وقيل أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاءوا ويمنعون من شاءوا، ويخصون بالنبوة من شاءوا (أم هم

فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۝ أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ * فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ النُّجُومِ *

المصيطرون) أى الأرباب الغالبون ، وقيل المسيطر المسلط القاهر (أم لهم سلم يستمعون فيه) يعنى أم لهم سلم يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقول الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم ثم عجزهم بقوله (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى بحجة واضحة على دعواهم (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون) معناه أتسألهم على الإسلام أجرة فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم اتباعك (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) المعنى أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب ، وقيل المعنى فهم يكتبون للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام وتسييب السوائب وشبه ذلك (أم يريدون كيدا) إشارة إلى كيدهم فى دار الندوة بالنبى صلى الله عليه وسلم حيث تشاوروا فى قتله أو إخراجه (فالذين كفروا هم المكيدون) أى المغلوبون فى الكيد ، والذين كفروا يعنى من تقدم الكلام فيهم وهم كفار قريش فوضع الظاهر موضع المضمر ، ويحتمل أن يريد جميع الكفار (أم لهم إله غير الله) المعنى هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه وحصر الله فى هذه الآية جميع المعانى التى توجب التكبر والبعد من الدخول فى الإسلام ونفاها عنهم ليبين أن تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفا من السماء ، فالمعنى أنهم لو رأوا الكسف ساقطا عليهم لبالغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكسف وإنما هو سحاب مركوم : أى كثيف بعضه فوق بعض (فذرهم) منسوخ بالسيف (يومهم الذى فيه يصعقون) يعنى يوم القيامة والصعقة فيه هى النفخة الأولى ، وقيل غير ذلك والصحيح ما ذكرنا لقوله فى المعارج عن يوم القيامة « ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » ، (عذابا دون ذلك) يعنى قتلهم يوم بدر وقيل الجوع بالقحط ، وقيل عذاب القبر (واصبر لحكم ربك) أى اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإنا نريك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه قول سبحان الله ، ومعنى حين تقوم من كل مجلس ، وقيل أراد حين تقوم وتقعد ، وفى كل حال وجعل القيام مثالا : الثانى أنه الصلوات النوافل ؛ والثالث أنه الصلوات الفرائض ، فحين تقوم الظهر والعصر : أى حين تقوم من نوم القائلة ، ومن الليل المغرب والعشاء ، وإدبار النجوم : الصبح ومن قال هى النوافل جعل إدبار النجوم ركعتى الفجر

سـورة النجم

مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞

سـورة النجم

(والنجم إذا هوى) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنها الثريا لأنها غلب عليها التسمية بالنجم ، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة ، الثانى أنه جنس النجوم ، ومعنى هوى كما ذكرنا أو انقضت ترجم الشياطين . الثالث أنه من نجوم القرآن وهى الجملة التى تنزل ، وهوى على هـذا معناه نزل (ما ضل صاحبكم وما غوى) هـذا جواب القسم ، والخطاب لقريش وصاحبكم هو النبى صلى الله عليه وسلم فنفى عنه الضلال والغىّ ، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد والغىّ بقصد وتكسب (وما ينطق عن الهوى) أى ليس يتكلم بهواه وشهوته إنما يتكلم بما يوحى الله إليه (إن هو إلا وحى يوحى) يعنى القرآن (علمه شديد القوى) ضمير المفعول للقرآن أو للنبى صلى الله عليه وسلم ، والشديد القوى : جبريل ، وقيل الله تعالى ، والأول أرجح لقوله « ذى قوة عند ذى العرش » والقوى جمع قوة (ذومرة) أى ذو قوة ، وقيل ذو هيئة حسنة ، والأول هو الصحيح فى اللغة (فاستوى) أى استوى جبريل فى الجو إذ رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو بحراء ، وقيل معنى استوى ظهر فى صورته على ستمائة جناح قد سد الأفق بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحى ، وكان ينزل فى صورة دحية (وهو بالأفق الأعلى) الضمير لجبريل وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أصح (ثم دنى فتدلى) الضميران لجبريل أى دنا من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فى الهواء وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره فتدلى فدنا (فكان قاب قوسين أو أدنى) القاب مقدار المسافة أى كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام فى القرب بمقدار قوسين عربيتين ، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر ، وقيل من الوتر إلى العود ، وقيل ليس القوس التى يرمى بها ، وإنما هى ذراع تقاس بها المقادير ذكره الثعلبى وقال إنه من لغة أهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قاب قوسين ثم حذفت هذه المضافات ، ومعنى أو أدنى أو أقرب وأو هنا مثل قوله أو يزيدون وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى ، وهذا الذى ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح ، وقد ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح ، وقيل إنها لله تعالى ، وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلى وغير ذلك (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فى هذه الضمائر ثلاثة أقوال : الأول أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى . الثانى

وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ * أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ * إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى ، وعاد الضمير على الله فى القولين لأن سياق الكلام يقتضى ذلك وإن لم يتقدم ذكره ، فهو كقوله إنا أنزلناه فى ليلة القدر . الثالث أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى ، وفى قوله ما أوحى إبهام مراد يقتضى التفخيم والتعظيم (ما كذب الفؤاد ما رأى) أى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بعينه بل صدق بقلبه أن الذى رآه بعينه حق والذى رأى هو جبريل يعنى حين رآه بمقدار ملأ الأفق ، وقيل رأى ملكوت السموات والأرض ، والأول أرجح لقوله «ولقد رآه نزلة أخرى» وقيل الذى رآه هو الله تعالى ، وقد أنكرت ذلك عائشة ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نورانى أراه (أفتمارونه على ما يرى) هذا خطاب لقريش ، والمعنى أتجادلونه على ما يرى ، وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى (ولقد رآه نزلة أخرى) أى لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام مرة أخرى وهو ليلة الإسراء ، وقيل ضمير المفعول لله تعالى ، وأنكرت ذلك عائشة ، وقالت من زعم أن محمداً رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية على الله تعالى (عند سدرة المنتهى) هى شجرة فى السماء السابعة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثمرتها كالقلال وورقها كآذان الفيلة ، وسميت سدرة المنتهى لأن إليها ينتهى علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى وقيل سميت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقى عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل ، ولا يتجاوزها ملائكة السفل إلى أعلى (عندها جنة المأوى) يعنى أن الجنة التى وعدها الله عباده هى عند سدرة المنتهى ، وقيل هى جنة أخرى تأوى إليها أرواح الشهداء والأول أظهر وأشهر (إذ يغشى السدرة ما يغشى) فيه إبهام لقصد التعظيم ، قال ابن مسعود غشيها فراش من ذهب ، وقيل كثرة الملائكة ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فغشيها ألوان لا أدرى ما هى ، وهذا أولى أن تفسر به الآية (ما زاغ البصر وما طغى) أى ما زاغ بصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عما رآه من العجائب بل أثبتها وتيقنها ، وما طغى : أى ما تجاوز ما رأى إلى غيره (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك . ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا أو نعتا لآيات ربه ، والمعنى يختلف على ذلك (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هذه أوثان كانت تعبد من دون الله فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم ، وقال ابن عطية : الرؤيا هنا رؤية العين لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية ، فأما اللات فصنم كان بالطائف ، وقيل كان بالكعبة ، وأما العزى فكانت صخرة بالطائف ، وقيل شجرة فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها ، وقيل كانت بيتا تعظمه العرب وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعز ، وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة ، وكانت أعظم هذه الأوثان ، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى : الثالثة الأخرى فأكدها بهاتين الصفتين ، وقال الزمخشرى الأخرى ذم وتحقير أى المتأخرة

بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰٓ ۝ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۞ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى السَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ۝ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا ۞ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ۞ وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۞ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ

الوضيعة القدر ، ومنه وقالت أخراهم لأولاهم (ألكم الذكر وله الأنثى) كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله ، فأنكر الله عليهم ذلك أى كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور ، وتجعلون لله البنات التى هى عندكم حقيرة بغيضة ، وقد ذكر هذا المعنى فى النحل وغيرها ، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهن إناث والإناث حقيرة بغيضة عندهم (تلك إذا قسمة ضيزى) أى هذه القسمة التى قسمتم جائرة غير عادلة يعنى جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى ووزن ضيزى فعلى بضم الفاء ، ولكنها كسرت لأجل الياء التى بعدها (إن هى إلا أسماء سميتموها) الضمير للأوثان ، وقد ذكر هذا المعنى فى الأعراف فى قوله أتجادلوننى فى أسماء (إن يتبعون إلا الظن) يعنى أنهم يقولون أقوالا بغير حجة كقولهم إن الملائكة بنات الله ، وقولهم إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك (أم للإنسان ما تمنى) أم هنا للإنكار ، والانسان هنا جنس بنى آدم : أى ليس لأحد ما يتمنى بل الأمر بيد الله وقيل إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام وقيل إلى قول العاصى بن وائل : لأوتين مالا وولدا ، وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون نبيا ، والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه (وكم من ملك فى السموات) الآية : رد على الكفار فى قولهم إن الأوثان تشفع لهم كأنه يقول الملائكة الكرام لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا بإذن الله فكيف أوثانكم (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) معناه أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة فيه ويرضى عنه (ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) يعنى قولهم إن الملائكة بنات الله ، ثم رد عليهم بقوله وما لهم به من علم (ذلك مبلغهم من العلم) أى إلى ذلك انتهى علمهم لأنهم علموا ما ينفع فى الدنيا ، ولم يعلموا ما ينفع فى الآخرة (ليجزى) اللام متعلقة بمعنى ما قبلها ، والتقدير أن الله ملك أمر السموات والأرض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ، وقيل يتعلق بضل واهتدى (كبائر الإثم) ذكرنا الكبائر فى النساء (إلا اللمم) فيه أربعة أقوال : الأول أنه صغائر الذنوب فالاستثناء على هذا منقطع . الثانى أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلتة والسقطة دون دوام عليها . الثالث أنه ما ألم به فى الجاهلية من الشرك والمعاصى : الرابع أنه الهم بالذنوب وحديث النفس به دون أن يفعل (أجنة) جمع جنين (فلا تزكوا أنفسكم) أى لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير ، قال ابن

فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى * أفرأيت الذى تولى * وأعطى قليلا وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما فى صحف موسى * وإبراهيم الذى وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى * وأن عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى * وأنه هو رب الشعرى * وأنه أهلك عادا

عطية : ويحتمل أن يكون نهى عن أن يزكى بعض الناس بعضا وهذا بعيد لأنه تجوز التزكية فى الشهادة وغيرها (أفرأيت الذى تولى) الآية : نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وقيل نزلت فى العاصى بن وائل (وأكدى) أى قطع العطاء وأمسك (وإبراهيم الذى وفى) قيل وفى طاعة الله فى ذبح ولده ، وقيل وفى تبليغ الرسالة ، وقيل وفى شرائع الإسلام ، وقيل وفى الكلمات التى ابتلاه الله بهن ، وقيل وفى هذه العشر الآيات (ألا تزر وازرة وزر أخرى) ذكر فيما تقدم ، وهذه الجملة تفسير لما فى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) السعى هنا بمعنى العمل ، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره ، وهى حجة لمالك فى قوله لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام ، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره ، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه ، واختلفوا فى الأعمال البدنية كالصلاة والصيام وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله «ألحقنا بهم ذريتهم» والصحيح أنها محكمة لأنها خبر والأخبار لا تنسخ وفى تأويلها ثلاثة أقوال : الأول أنها إخبار عما كان فى شريعة غيرنا فلا يلزم فى شريعتنا الثانى أن للإنسان ما عمل بحق وله ما عمل له غيره بهبة العامل له فجاءت الآية فى إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها الثالث أنها فى الذنوب وقد اتفق أنه لا يحتمل أحد ذنب أحد ، ويدل على هذا قوله بعدها «ألا تزر وازرة وزر أخرى» وكأنه يقول لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه (وأن سعيه سوف يرى) قيل معناه يراه الخلق يوم القيامة ، والأظهر أنه صاحبه لقوله «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره» (وأن إلى ربك المنتهى) فيه قولان أحدهما أن معناه إلى الله المصير فى الآخرة ، والآخر أن معناها أن العلوم تنتهى إلى الله ثم يقف العلماء عند ذلك ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فكرة فى الرب (وأنه هو أضحك وأبكى) قيل معناه أضحك أهل الجنة ، وأبكى أهل النار ، وهذا تخصيص لا دليل عليه وقيل أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات ، وهذا مجاز وقيل خلق فى بنى آدم الضحك والبكاء والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن فالمعنى أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده ، وأسر من شاء (وأمات وأحيا) يعنى الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل أحيا بالإيمان وأمات بالكفر والأول أرجح ، لأنه حقيقة (من نطفة) يعنى المنى (إذا تمنى) من قولك أمنى الرجل إذا خرج منه المنى (النشأة الأخرى) يعنى الإعادة للحشر وتمنى يعنى أكسب عباده المال ، وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره وقيل معنى أقنى أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة ، وقيل معناه أرضى وقيل قنع عبده (الشعرى) نجم فى السماء وتسمى كلب الجبار وهما شعريان وهما الغميصاء والعبور وخصها بالذكر دون سائر النجوم لأن

الْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۞ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۞ فَغَشَّىٰهَا مَاغَشَّىٰ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ۝ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۞ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۝

سورة القمر

مكية إلا الآيات ٤٤ و٤٥ و٤٦ فمدنية وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝

بعض العرب كان يعبدها (عادا الأولى) وصفها بالأولى لأنها كانت فى قديم الزمان ، فهى الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة ، وقيل إنما سميت أولى لأن ثم عادا أخرى متأخرة وهذا لا يصح وقرأ نافع عادا الاولى بإدغام تنوين عاد فى لام الأولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام وضعف المزنى والمبرد هذه القراءة وهمز قالون الأولى دون ورش وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين عادا وإسكان لام الأولى (وثمود فما أبقى) أى ما أبقى منهم أحدا وقيل ما أبقى عليهم (والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى) هى مدينة قوم لوط ، ومعنى أهوى طرحها من علو إلى أسفل وفى قوله ماغشى تعظيم للأمر (فبأى آلاء ربك تتمارى) هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق معناه بأى نعم ربك تشك (هذا نذير من النذر الأولى) يعنى القرآن أو النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى من النذر الأولى من نوعها وصفتها (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة (كاشفة) يحتمل لفظه ثلاثة أوجه : أن يكون مصدرا كالعافية أى ليس لها كشف وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة وأن يكون صفة لمحذوف تقديره نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويحتمل معناه وجهين : أحدهما أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة أى ليس لها من يزيلها إذا وقعت والآخر أن يكون بمعنى الاطلاع أى ليس لها من يعلم وقتها إلا الله (أفمن هذا الحديث تعجبون) الإشارة إلى القرآن وتعجبهم منه إنكاره (وأنتم سامدون) أى لاعبون لاهون ، وقيل غافلون مفرطون (فاسجدوا لله واعبدوا) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره ، وقد قال ابن مسعود قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسجد وسجد كل من كان معه

سورة القمر

(اقتربت الساعة) أى قربت القيامة ، ومعنى قربها أنها بقى لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى (وانشق القمر) هذا إخبار بما جرى فى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن قريشا سألته آية فأراهم انشقاق القمر فقال صلى الله عليه وآله وسلم اشهدوا ، وقال ابن مسعود انشق القمر فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه ، وقيل معنى انشق القمر أنه ينشق يوم القيامة ، وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر ، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) هذه الضمائر لقريش والآية المشار إليها انشقاق القمر وعند ذلك قالت

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ۞ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۞ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ
النُّذُرُ ۞ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ ۞ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ
مُنْتَشِرٌ ۞ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا
وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۞ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا
الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ
كَانَ كُفِرَ ۞ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ

قريش سحر محمد القمر ومعنى مستمر دائم وقيل معناه ذاهب يزول عن قريب وقيل شديد وهو على هذا المعنى من المرة وهى القوة (وكل أمر مستقر) أى كل شىء لابد له من غاية فالحق يحق والباطل يبطل (ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر) الأنباء هنا يراد بها ماورد فى القرآن من القصص والبراهين والمواعظ ومزدجر اسم مصدر بمعنى الازدجار أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن يزدجر به (حكمة بالغة) بدل من مافيه أو خبر ابتداء مضمر (فما تغن النذر) يحتمل أن تكون مانافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار (فتول عنهم) أى أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لاينفعهم (يوم يدع الداع إلى شىء نكر) العامل فى يوم مضمر تقديره اذكر أو قوله يخرجون بعد ذلك وليس العامل فيه تول عنهم لفساد المعنى فقدتم الكلام فى قوله تول عنهم فيوقف عليه وقيل المعنى تول عنهم أى يوم يدع الداع والأول أظهر وأشهر والداعى جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ فى الصور والشىء النكر الشديد الفظيع وأصله من الإنكار أى هو منكور لأنه لم يرقط مثله والمراد به يوم القيامة (خشعا أبصارهم) كناية عن الذلة وانتصب خشعا على الحال من الضمير فى يخرجون (يخرجون من الأجداث) أى من القبور (كأنهم جراد منتشر) شبههم بالجراد فى خروجهم من الأرض فكأنه استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات وقيل إنما شبههم بالجراد فى كثرتهم وأن بعضهم يموج فى بعض (مهطعين) أى مسرعين وقيل ناظرين إلى الداع (فكذبوا عبدنا) يعنى نوح عليه السلام ووصفه هنا بالعبودية تشريفا له واختصاصا (وازدجر) أى زجروه بالشتم والتخويف وقالوا له لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر) أى قد غلبنى الكفار فانتصر لى أو انتصر لنفسك، وقالت المتصوفة معناه قد غلبتنى نفسى حين دعوت على قومى فانتصر منى وهذا بعيد ضعيف (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) عبارة عن كثرة المطر فكأنه يخرج من أبواب، وقيل فتحت فى السماء أبواب يومئذ حقيقة والمنهمر الكثير (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) أى قد قضى فى الأزل ويحتمل أن يكون المعنى أنه قدر بمقدار معلوم، وروى فى ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعا (وحملناه على ذات ألواح ودسر) يعنى السفينة والدسر هى المسامير واحدها دسار، وقيل هى مقادم السفينة، وقيل أضلاعها والأول أشهر (تجرى بأعيننا) عبارة عن حفظ الله ورعيه لها (جزاء لمن كان كفر) أى جزاء لنوح: وقيل جزاء لله تعالى والأول أظهر وانتصب جزاء على أنه مفعول من أجله والعامل فيه ماتقدم من فتح أبواب السماء ومابعده من الأفعال

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ
مُّسْتَمِرٍّ ۝ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝ فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝ أَءُلْقِيَ
الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۝ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ
فَارْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ۝ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۝ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝ فَكَيْفَ

أى جعلنا ذلك كله جزاء لنوح ويحتمل أن يكون قوله كفر من الكفر بالدين والتقدير لمن كفر به فحذف الضمير أو يكون من الكفر بالنعمة لأن نوحا عليه السلام نعمة من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا إلى الضمير المحذوف (ولقد تركناها آية) الضمير للقصة المذكورة أو الفعلة أو السفينة وروى فى هذا المعنى أنها بقيت على الجودى حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) تحضيض على الادكار فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده ووزن مدكر مفتعل وأصله مدتكر ثم أبدل من التاء دالا وأدغمت فيها الدال (فكيف كان عذابى ونذر) توقيف فيه تهديد لقريش والنذر جمع نذير (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى يسرناه للحفظ وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظا بالغا بخلاف غيره من الكتب وقد روى أنه لم يحفظ شىء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن وقيل معنى الآية سهلناه للفهم والاتعاظ به لما تضمن من البراهين والحكم البليغة وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله فذوقوا عذابى ونذر لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها إذ كل قصة من القصص التى ذكرت عبرة وموعظة فختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد فى قوله فكيف كان عذابى ونذر ومن الملاطفة فى قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (ريحا صرصرا) أى مصوتة فهو من الصرير. وقيل معناه باردة فهو من الصر (يوم نحس مستمر) روى أنه كان يوم أربعاء حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر (تنزع الناس) أى تقلعهم من مواضعهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أعجاز النخل هى أصولها والمنقعر المنقطع فشبه الله عادا لما هلكوا بذلك لأنهم طوال عظام الأجساد كالنخل وقيل كانت الريح تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس فشبههم بأعجاز النخل لأنها دون أغصان وقيل كانوا حفروا حفرا يمتنعون بها من الريح فهلكوا فيها فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت فى حفرها (أبشر) هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرا وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدا وهم جماعة كثيرون (وسعر) أى عناد، وقيل معناه جنون، وقيل معناه هم وغم وأصله من السعير بمعنى النار وكأنه احتراق النفس بالهم (ءألقى الذكر عليه من بيننا) أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (أشر) بطر متكبر (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أى لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة فالضمير فى نبئهم يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلاء، وقيل إن الضمير لثمود، والمعنى لا يتعدى بعضهم على بعض (كل شرب محتضر) أى مشهود (فنادوا صاحبهم) يعنى عاقر الناقة واسمه قدار

كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝ نِّعْمَةً مِّنْ
عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ۝ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۝ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ
أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۝ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ
مُّقْتَدِرٍ * أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى
النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ * وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ

وهو أحيمر ثمود وأشقاها (فتعاطى) أى اجترأ على أمر عظيم، وهو عقر الناقة وقيل تعاطى السيف (صيحة واحدة) صاح بها جبريل صيحة فماتوا منها (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم هو ماتكسر وتفتت من الشجر وغيرها والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وهى حائط من الأغصان أو القصب ونحو ذلك، أو يكون تحليقا للمواشى أو السكنى فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها، وقيل المحتظر المحترق (حاصبا) ذكر فى العنكبوت (فتماروا بالنذر) تشككوا (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه وكان قومه قد ظنوا أنهم من بنى آدم وأرادوا منهم الفاحشة فطمس الله على أعينهم فاستوت مع وجوههم، وقيل إن الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا (أكفاركم خير من أولائكم) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد والهمزة للإنكار ومعناه: هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين بحيث أهلكناهم لما كذبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتم رسلكم، بل الذى أهلكهم يهلككم (أم لكم براءة فى الزبر) معناه أم لكم فى كتاب الله براءة من العذاب (أم يقولون نحن جميع منتصر) أى نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال (سيهزم الجمع ويولون الدبر) هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع قريش وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة (إن المجرمين فى ضلال وسعر) المراد بالمجرمين هنا الكفار وضلالهم فى الدنيا، والسعر لهم فى الآخرة وهو الاحتراق، وقيل أراد بالمجرمين القدرية لقوله فى الرد عليهم إنا كل شىء خلقناه بقدر والأول أظهر (يسحبون فى النار) أى يجرون فيها (إنا كل شىء خلقناه بقدر) المعنى أن الله خلق كل شىء بقدر أى بقضاء معلوم سابق فى الأزل ويحتمل أن يكون معنى بقدر بمقدار فى هيئته وصفته وغير ذلك والأول أرجح وفيه حجة لأهل السنة على القدرية وانتصب كل شىء بفعل مضمر يفسره خلقناه (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله والواحدة يراد بها الكلمة وهى

فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝

سورة الرحمٰن

مدنية وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن

فوله كن (ولقد أهلكنا أشياعكم) يعنى أشياعكم من الكفار (وكل شيء فعلوه فى الزبر) أى كل مافعلوه مكتوب فى صحائف الأعمال (مستطر) أى مكتوب وهو من السطر تقول سطرت واستطرت بمعنى واحد والمراد الصغير والكبير من أعمالهم وقيل جميع الأشياء (ونهر) يعنى أنهار الماء والخمر واللبن والعسل واكتفى باسم الجنس (فى مقعد صدق) أى فى مكان مرضى

سورة الرحمن عز وجل

(الرحمن علم القرآن) هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن وقيل معنى علم القرآن جعله علامة وآية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر وارتفع الرحمن بالابتداء والأفعال التى بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك مجيئها بدون حرف عطف (خلق الإنسان) قيل جنس الناس وقيل يعنى آدم وقيل يعنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا دليل على التخصيص والأول أرجح (علمه البيان) يعنى النطق والكلام (الشمس والقمر بحسبان أى يجريان فى الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدر وفى ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير (والنجم والشجر يسجدان) النجم عند ابن عباس النبات الذى لا ساق له كالبقول ، والشجر النبات الذى له ساق وقيل النجم جنس نجوم السماء ، والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى وقيل سجود الشمس غروبها وسجود الشجر ظله (ووضع الميزان) يعنى الميزان المعروف الذى يوزن به الطعام وغيره وكرر ذكره اهتماما به وقيل أراد العدل (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوا إذا وزنتم (للأنام) أى للناس وقيل الإنس والجن وقيل الحيوان كله الأكمام يحتمل أن يكون جمع كم بالضم وهو ما يغطى ويلف النخل من الليف وبه شبه كم القميص أو يكون جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة (العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو الريحان المعروف وقيل كل مشموم طيب الريح من النبات وقيل هو الرزق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الآلاء هى النعم واحدها إلى على وزن معى وقيل إلى على وزن قضى وقيل ألى على وزن أمد أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجن بدليل قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان روى أن هذه الآية لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت أصحابه فقال جواب الجن خير من سكوتكم إنى لما قرأتها على الجن قالوا لا نكذب بشيء من آلاء ربنا وكرر هذه الآية تأكيدا ومبالغة وقيل إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التى قبله فليس

نَّار * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَئَاتُ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَسْـَٔلُهُ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

بتأكيد لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) الإنسان هو آدم والصلصال الطين اليابس فإذا طبخ فهو فخار (وخلق الجان من مارج من نار) الجان الجن يعنى إبليس والدا الجن والمارج اللهيب المضطرب من النار (رب المشرقين ورب المغربين) يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب الشمس والقمر وقيل مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين يلتقيان) ذكر فى الفرقان، أى يلتقى ماء هذا وماء هذا وذلك إذا نزل المطر فى البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر، وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما بانصباب الأنهار فى البحر، وأما على قول من قال إن البحرين بحر فارس وبحر الروم، أو بحر القلزم واليمن فضعيف لقوله فى الفرقان «هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج» وكل واحد من هذه أجاج، والمراد بالبحرين فى هذه السورة ما أراد فى الفرقان (بينهما برزخ) أى حاجز يعنى جرم الأرض، أو حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على الآخر بالاختلاط، وقيل لا يبغيان على الناس بالفيض (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ كبار الجوهر والمرجان صغاره، وقيل بالعكس وقيل إن المرجان أحجار حمر، قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وأما قوله منهما ولا يخرج إلا من أحدهما، فقد تكلمنا عليه فى فاطر (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) يعنى السفن وسماها منشآت لأن الناس ينشؤنها، وقرئ بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج، والأعلام الجبال شبه السفن بها (كل من عليها فان) الضمير فى عليها للأرض يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر ويعنى بمن عليها بنى آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الوجه هنا عبارة عن الذات، وذو الجلال صفة الذات لأن من أسمائه تعالى الجليل ومعناه يقرب من معنى العظيم، وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال «ولقد كرمنا بنى آدم» أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته (يسأله من فى السموات والأرض) المعنى أن كل من فى السموات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه (كل يوم هو فى شأن) المعنى أنه تعالى يتصرف فى ملكوته تصرفا يظهر فى كل يوم من العطاء والمنع، والإماتة والإحياء وغير ذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقيل له وما ذلك الشأن، قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وسئل بعضهم كيف قال كل يوم هو فى شأن والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، فقال هو فى شأن يبديه لا فى شأن يبتديه (سنفرغ لكم أيه الثقلان) معناه الوعيد كقولك لمن تهدده سأفرغ لعقوبتك وليس المراد التفرغ من

تُكَذِّبَانِ ۝ يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَٰصِى وَالْأَقْدَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝

شغل ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا ، وإنه حينئذ ينقضى شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة فعبر عن ذلك بالتفرغ قال جعفر بن محمد سمى الإنس والجن ثقلين كأنهما ثقلا بالذنوب (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة أى إن قدرتم على الهروب والخروج من أقطار السموات والأرض فافعلوا ، وروى أنهم يفرون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة ، قد أحاطت بالأرض فيرجعون وقيل بل خوطبوا بذلك فى الدنيا والمعنى إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا وقوله فانفذوا أمر يراد به التعجيز (لا تنفذون إلا بسلطان) أى لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) الشواظ لهيب النار والنحاس الدخان وقيل هو الصفر يذاب ويصب على رؤسهم وقرئ شواظ بضم الشين وكسرها وهما لغتان وقرئ نحاس بالرفع عطف على شواظ وبالخفض عطف على نار (فإذا انشقت السماء) جواب إذا قوله فيومئذ وقال ابن عطية جوابها محذوف (فكانت وردة كالدهان) معنى وردة حمراء كالوردة ، وقيل هو من الفرس الورد ، قال قتادة السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء ، والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذاب من شدة الهول ، وقيل يشبه لمعانها بلمعان الدهن ، وقيل إن الدهان هو الجلد الأحمر (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) السؤال المنفى هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة فى صحائفهم ، وأما السؤال الثابت فى قوله : فوربك لنسألنهم أجمعين وغيره ، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفى والمثبت وقيل : إن ذلك باختلاف المواطن والأول أحسن (يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بعلامتهم وهى سواد الوجوه وغير ذلك ، والمجرمون هنا الكفار بدليل قوله هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) قيل معناه : يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه ، وقيل بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه فيطوى ويطرح فى النار (يطوفون بينها وبين حميم آن) الحميم الماء السخن والآن الشديد الحرارة ، وقيل الحاضر من قولك آن الشىء إذا حضر والأول أظهر (ولمن خاف مقام ربه جنتان) مقام ربه القيام بين يديه للحساب ومنه يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وقيل قيام الله بأعماله ، ومنه أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ، وقيل معناه لمن خاف ربه وأقحم المقام ، كقولك خفت جانب فلان واختلف

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَآمَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ

هل الجنتان لكل خائف على انفراده ، أو للصنف الخائف وذلك مبنى على قوله لمن خاف مقام ربه هل يراد به واحد أو جماعة ، وقال الزمخشرى : إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين فكأنه قال جنة للإنس وجنة للجن ، (ذواتا أفنان) ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات ، قاله ابن عطية ، والأفنان جمع فنن وهو الغصن أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها (من كل فاكهة زوجان) أى نوعان (وجنا الجنتين دان) الجنا هو ما يجتنى من الثمار ودان قريب ، وروى أن الإنسان يجتنى الفاكهة فى الجنة على أى حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع لأنها تتدلى له إذا أرادها وفى قوله جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس (قاصرات الطرف) ذكر فى الصافات (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) ، المعنى أنهن أبكار ، ولم يطمثهن معناه لم يفتضهن ، وقيل الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها ، ونفى أن يطمثهن إنس أو جان ، مبالغة وقصدا للعموم فكأنه قال لم يطمثهن شىء ، وقيل أراد لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجن جن ، وهذا القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر (كأنهن الياقوت والمرجان) شبه النساء بالياقوت والمرجان فى الحمرة والجمال ، وقد ذكرنا المرجان فى أول السورة ، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة ، ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذى سأل عنه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين ويقوى هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلى ، وجعل جنتين دونها لمن كان دون ذلك ، فالجنتان المذكورتان أولا للسابقين ، والجنتان المذكورتين ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد فى الواقعة ، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين ، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال : هنا عينان تجريان وقال فى الآخرتين عينان نضاختان ، والجرى أشد من النضخ وقال هنالك من كل فاكهة زوجان ، وقال هنا فاكهة ونخل ورمان ، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك وكذلك صفة البسط ويفسر ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وكل مافيهما وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما (مدهامتان) أى تضربان إلى السواد من شدة الخضرة (عينان نضاختان) أى تفوران بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أشد من النضح بالحاء المهملة (فاكهة ونخل

مَّقْصُورَاتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝

سـورة الواقعة

مكية إلا آيتى ٨١ و٨٢ فمدنيتان وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَـٰذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَـٰثَةً ۝ فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝

ورمان) خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما فى الفاكهة تشريفا لهما وبيانا لفضلهما على سائر الفواكه وهذا هو التجريد (خيرات حسان) خيرات جمع خيرة وقال الزمخشرى وغيره أصله خيرات بالتشديد ثم خفف كميت وقرئ بالتشديد، قالت أم سلمة يارسول الله أخبرنى عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (حور مقصورات فى الخيام) الحور جمع حوراء والمقصورات المحجوبات لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذممن بكثرة الخروج والخيام هى البيوت التى من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من اللؤلؤ (متكئين على رفرف خضر) الرفرف البسط، وقيل الوسائد وقيل رياض الجنة (وعبقرى حسان) العبقرى الطنافس، وقيل الزرابى، وقيل الديباج الغليظ، وهو منسوب إلى عبقر وتزعم العرب أنه بلد الجن فإذا أعجبتها شىء نسبته إليه (تبارك اسم ربك) ذكر تبارك فى الفرقان وغيرها والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر وقرأ الجمهور ذى الجلال بالياء صفة لربك وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم وقد ذكر معنى ذى الجلال والإكرام

سـورة الواقعة

روى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا ولما حضرت ابن مسعود الوفاة قيل له ماتركت لبناتك، قال: تركت لهن سورة الواقعة (إذا وقعت الواقعة) يعنى إذا قامت القيامة فالواقعة اسم من أسماء القيامة، تدل على هولها كالطامة والصاخة وقيل الواقعة الصيحة وهى النفخة فى الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس، تقع يوم القيامة وهذا بعيد (ليس لوقعتها كاذبة) يحتمل ثلاثة أوجه: الأول أن تكون الكاذبة مصدر كالعافية والمعنى ليس لها كذب ولا رد. الثانى أن تكون كاذبة صفة محذوف كأنه قال ليس لها حالة كاذبة أى هى صادقة الوقوع ولا بد وهذا المعنى قريب من الأول. الثالث أن يكون التقدير ليس لها نفس كاذبة أى تكذيب فى إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ (خافضة رافعة) تقديره هى خافضة رافعة، فينبغى أن يوقف على ماقبله لبيان المعنى والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقواما إلى النار وترفع أقواما إلى الجنة، وقيل ذلك عبارة عن هولها لأن السماء تنشق والأرض تتزلزل وتمر والجبال تنسف فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت وحركت تحريكا شديداً وإذا هنا بدل من إذا

وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝
ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ۝ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا

وقعت ويحتمل أن يكون العامل فيه خافضة رافعة (وبست الجبال بساً) أى فتتت وقيل سيرت (هباء منبثا) الهباء مايتطاير فى الهواء من الأجزاء الدقيقة ، ولا تكادترى إلا فى الشمس إذادخلت على كوة قاله ابن عباس وقال علىّ بن أبى طالب هو ماتطاير من حوافر الدواب من التراب ، وقيل ماتطاير من شرر النار ، فإذا طفى لم يوجد شيئاً والمنبث المتفرق (وكنتم أزواجاً ثلاثة) هذا خطاب لجميع الناس لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة وهم السابقون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، فأما السابقون فهم أهل الدرجات العلا فى الجنة ، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة ، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) هذا ابتداء خبر فيه معنى التعظيم ، كقولك زيد مازيد ، والميمنة يحتمل أن تكون مشتقة من اليمن وهو ضد الشؤم وتكون المشأمة به مشتقة من الشؤم أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال ، واليد الشؤمى هى الشمال وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال ، أولأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين ، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال (والسابقون السابقون) الأول مبتدأ والثانى خبره على وجه التعظيم كقولك أنت أنت أو على معنى أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى الجنة ، وقيل إن السابقون الثانى صفة للأول أو تأكيد ، والخبر أولئك المقربون ، والأرجح أن يكون الثانى خبر الأول لأنه فى مقابلة قوله أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، وعلى هذا يوقف على السابقون الثانى ويبتدئ بما بعده (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) الثلة الجماعة من الناس ، فالمعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين ، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة ، والدليل على ذلك ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفرقتان فى أمتى وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم فكثر السابقون من السلف الصالح ، وقلوا بعد ذلك ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقيل إن الفرقتين فى أمة كل نبى فالسابقون فى كل أمة يكثرون فى أولها ويقلون فى آخرها ، وقيل إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة والآخرين هم هذه الأمة فيقتضى هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة وهذا بعيد ، وقيل إن السابقين يراد بهم الأنبياء ، لأنهم كانوا فى أول الزمان أكثر مما كانوا فى آخره (على سرر موضونة) السرر جمع سرير والموضونة المنسوجة وقيل المشبكة بالدر والياقوت ، وقيل معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض (متقابلين) أى وجوه بعضهم إلى بعض (ولدان مخلدون) الولدان صغار الخدم والمخلدون الذين لا يموتون ، وقيل المقرطون بالخلدات وهى ضرب من الإفراط ، والأول أظهر (بأكواب وأباريق) الأكواب جمع كوب وهو الإناء وهو الذى لا أذن له ولا خرطوم يمسك به والأباريق جمع إبريق وهو الإناء الذى له خرطوم أو أذن يمسك (وكأس من معين) ذكر فى الصافات

يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝
وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝
إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ

لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أى لا يلحق رءوسهم الصداع الذى يصيب من خمر الدنيا وقيل لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة ، ومعنى لا ينزفون لا يسكرون (وفاكهة مما يتخيرون) قيل يتخيرون ما شاؤا لكثرتها ، وقيل مخيرة مرضية (وحور عين) قدمنا معناه ، وقرئ بالرفع على تقدير فيها حور أو عطف على الضمير فى متكئين ، أو على ولدان ، وبالخفض عطف على المعنى كأنه قال ينعمون بهذا كله وبحور عين ، وقيل خفض على الجوار (كأمثال اللؤلؤ المكنون) شبههن باللؤلؤ فى البياض ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه وسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاؤهن كصفاء الدر فى الأصداف الذى لا تمسه الأيدى (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما) اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره والتأثيم مصدر بمعنى لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره (إلا قيلا سلاما سلاما) انتصب سلاما على أنه بدل من قيلا أو صفة له أو مفعول به لقيلا ، لأن معناه قولا ، ومعنا السلام على هذا التحية ، والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام ، ويحتمل أن يكون معناه السلامة ، فينتصب بفعل مضمر تقديره أسلموا سلاما (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) هذا مبتدأ وخبره قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ويحتمل أن يكون الخبر فى سدر ، ويكون ما أصحاب اليمين اعتراضا ، والأول أحسن ، وكذلك إعراب أصحاب الشمال (فى سدر مخضود) السدر شجر معروف ، قال ابن عطية هو الذى يقال له شجر أم غيلان وهو كثير فى بلاد المشرق وهى فى بعض بلاد الأندلس دون بعض والمخضود الذى لا شوك له كأنه خضد شوكه ، وذلك أن سدر الدنيا له شوك ، فوصف سدر الجنة بضد ذلك وقيل المخضود هو الموقر الذى انثنت أغصانه من كثرة حمله فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه (وطلح منضود) الطلح شجر عظيم كثير الشوك ، قاله ابن عطية وقال الزمخشرى هو شجر الموز ، وحكى ابن عطية هذا عن على بن أبى طالب وابن عباس وقرأ على بن أبى طالب وطاع منضود بالعين فقيل له إنما هو وطلح بالحاء فقال ما للطلح والجنة فقيل له أنصلحها فى المصحف فقال المصحف اليوم لا يغير ، والمنضود الذى تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق (وظل ممدود) أى منبسط لا يزول لأنه لا تنسخه الشمس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها . اقرؤا إن شئتم وظل ممدود وماء مسكوب : أى مصبوب ، وذلك عبارة عن كثرته وقيل المعنى أنه جار فى غير أخاديد ، وقيل المعنى أنه يجرى من غير ساقية ولا دلو ولا تعب (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا ، فإن شجر الجنة يثمر فى كل وقت ولا تمتنع ببعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع (وفرش مرفوعة) هى الأسرة ، وقد روى ارتفاع السرير منها مسيرة خمسمائة عام وقيل هى النساء وهذا بعيد (إنا أنشأناهن) الضمير لنساء الجنة ، فإن سياق الكلام يقتضى ذلك ، وإن لم يتقدم ذكرهن ولكن تقدم ذكر الفرش

الْأَخِرِينَ ۝ وَأَصْحَٰبُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ الشِّمَالِ ۝ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۝ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَ ءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْءَاخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّآلُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۝ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُم

وهى تدل على النساء وأما من قال إن الفرش هى النساء فالضمير عائد عليها وقيل يعود على الحور العين المذكورة قبل هذا وذلك بعيد بإن ذلك فى وصف جنات السابقين ، وهـذا فى وصف جنات أصحاب اليمين ومعنى إنشاء النساء أن الله تعالى يخلقهن فى الجنة خلقا آخر فى غاية الحسن بخلاف الدنيا فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع حسنة (فجعلناهن أبكارا) روى أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا (عربا) جمع عروب وهى المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته وعبر عنهن ابن عباس بأنهن العواشق لأزواجهن وقيل هى الحسنة الكلام (أترابا لأصحاب اليمين) أى مستويات فى السن مع أزواجهن ، وروى أنهن يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين عاما ولأصحاب اليمين يتعلق بقوله أنشأناهن على ماقاله الزمخشرى ويحتمل أن يتعلق بأترابا ، وهـذا هو الذى يقتضيه المعنى أى أترابا لأزواجهن (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أى جماعة من أول هـذه الأمة وجماعة من آخرها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفرقتان من أمتى وفى ذلك رد على من قال إنهما من غير هذه الأمة وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين بخلاف السابقين فإنهم قليل فى الآخرين وذلك لأن السابقين فى أول هذه الأمة أكثر منهم فى آخرها لفضيلة السلف الصالح وأما أصحاب اليمين فكثير فى أولها وآخرها (فى سموم وحميم وظل من يحموم) السموم الحر الشديد والحميم الماء الحار جدا واليحموم هو الأسود وظل من يحموم هو الدخان فى قول الجمهور ، وقيل سرادق النار المحيط بأهلها فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلهم وقيل هو جبل فى جهنم (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) معنى يصرون يدومون من غير إقلاع والحنث هو الإثم ، وقيل هو الشرك ، وقيل هو الحنث فى اليمين أو اليمين الغموس (أئذا متنا) الآية معناها أنهم أنكروا البعث بعد الموت ، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين فى الرعد و آباؤنا فى الصافات (أيها الضالون) خطابا لكفار قريش وسائر الكفار (فشاربون عليه) الضمير للمأكول (فشاربون شرب الهيم) وزن الهيم فعل بضم الفاء ، وكسرت الهاء لأجل الياء وهو جمع أهيم وهو الجمل الذى أصابه الهيام بضم الهاء وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم والأنثى هيماء ، وقيل جمع هائم وهائمة ، وقيل الهيم الرمال التى لا تروى من الماء وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء وقرئ شرب بضم الشين واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب وقرئ بالفتح وهو مصدر فإن قيل كيف عطف قوله فشاربون على شاربون ومعناهما واحد ، فالجواب أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضى الشرب مطلقا والآخر يقتضى الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم (هذا نزلهم) النزل أول ما يأكله الضيف فكأنه يقول هذا أول عذابهم فما ظنك بسائره (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق إما بالخالق تعالى وإما بالبعث لأن

مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ
أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ
تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً

الخلقة الأولى دليل عليه (أفرأيتم ماتمنون) هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث وتتضمن أيضا وعيد وتعديد نعم ومعنى تمنون تقذفون المنى فى رحم المرأة (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) هذا توقيف يقتضى أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لاإله إلا هو (نحن قدرنا بينكم الموت) أى جعلناه مقدرا بآجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون) المسبوق على الشىء هو المغلوب عليه بحيث لايقدر عليه ونبدل أمثالكم معناه نهلككم ونستبدل قوما غيركم، وقيل نمسخكم قردة وخنازير وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم وفيما لاتعلمون معناه ننشئكم فى خلقة لاتعلمونها على وجه لاتصل عقولكم إلى فهمه فمعنى الآية أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم ففيها تهديد واحتجاج على البعث (فلولا تذكرون) تحضيض على التذكير والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة وفى هذا دليل على صحة القياس (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) المراد بالزراعة هنا إنبات مايزرع وتمام خلقته لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت والمراد بالحرث قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها وقد يقال لهذا زرع ومنه قوله يعجب الزراع (لونشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون) الحطام اليابس المفتت وقيل معناه تبن بلا قمح فظلتم تفكهون أى تطرحون الفاكهة وهى المسرة يقال رجل فكه إذا كان مسرورا منبسط النفس ويقال تفكه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا لأن صيغة تفاعل تأتى لزوال الشىء كقولهم تحرج وتأثم إذا زال عنه الحرج والإثم فالمعنى صرتم تحزنون على الزرع لوجعله الله حطاما وقد عبر بعضهم عن تفكهون بأن معناه تتفجعون وقيل تندمون وقيل تعجبون وهذه معان متقاربة والأصل ماذكرنا (إنا لمغرمون بل نحن محرومون) تقديره تقولون ذلك لوجعل الله زرعكم حطاما والمغرم المعذب لأن الغرام هو أشد العذاب ويحتمل أن يكون من الغرم أى مثقلون بماغرمنا من النفقة على الزرع والمحروم الذى حرمه الله الخير (من المزن) هى السحاب، والأجاج الشديد الملوحة، فإن قيل لم ثبتت اللام فى قوله لونشاء لجعلناه حطاما وسقطت فى قوله لونشاء جعلناه أجاجا؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أغنى إثباتها أولا عن إثباتها ثانيا مع قرب الموضعين والآخر أن هذه اللام تدخل للتأكيد فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب لأن الإنسان لايشرب إلا بعد أن يأكل (النار التى تورون) أى تقدحونها من الزناد والزناد قد يكون من حجرين ومن حجر وحديدة ومن شجر وهو المرخ والعفار ولما كانت عادة العرب فى زنادهم من شجر. قال الله تعالى «أأنتم أنشأتم شجرتها» أى الشجرة التى تزند

وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ

النار منها وقيل أراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك وهذا بعيد (نحن جعلناها تذكرة) أى تذكر بنار جهنم (ومتاعا للمقوين) المتاع مايتمتع به ويحتمل المقوين أن يكون من الأرض القواء وهى الفيافى ومعنى المقوين الذين دخلوا فى القواء ولذلك عبر ابن عباس عنه بالمسافرين ويحتمل أن يكون من قولهم أقوى المنزل إذا خلا فمعناه للذين خلت بطونهم أو موائدهم من الطعام ولذلك عبر بعضهم عنه بالجائعين (فلا أقسم بمواقع النجوم) لا فى هذا الموضع وأمثاله زائدة وكأنها زيدت لتأكيد القسم أو لاستفتاح الكلام نحو ألا وقيل هى نافية لكلام الكفار كأنه يقول لاصحة لما يقول الكفار وهذا ضعيف والأول أحسن لأن زيادة لا كثيرة معروفة فى كلام العرب ومواقع النجوم فيه قولان أحدهما قال ابن عباس إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبى صلى الله عليه وسلم مقطعا بطول عشرين سنة فكل قطعة منه نجم والآخر قول كثير من المفسرين أن النجوم الكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها ، وقيل مواضعها من السماء وقيل انكدارها يوم القيامة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله لو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض فى اعتراض ، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم وجواب القسم إنه لقرآن كريم وأعاد الضمير على القرآن لأن المعنى يقتضيه أو لأنه مذكور على قول من قال إن مواقع النجوم نزول القرآن (فى كتاب مكنون) أى مصون والمراد بهذا الكتاب المكنون المصاحف التى كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التى بأيدى الملائكة عليهم السلام (لا يمسه إلا المطهرون) الضمير يعود على الكتاب المكنون ، ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله إلا أن هذا ضعيف لوجهين أحدهما : أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز ، والحقيقة أولى من المجاز والآخر أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التى بأيدى الملائكة ، فالمطهرون يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب والآية إخبار بأنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم ؛ وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التى بأيدى الناس ، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين ، لأنهم مطهرون من الكفر أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر وهى الجنابة أو الحيض ، فالطهارة على هذا الاغتسال أو المطهرين من الحدث الأصغر ، فالطهارة على هذا الوضوء ويحتمل أن يكون قوله لا يمسه خبرا أو نهيا على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيا وقال لو كان نهيا لكان بفتح السين وقال المحققون إن النهى يصح مع ضم السين لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوما أو اتصل به ضمير المفرد المذكر ضم عند التقاء الساكنين إتباعا لحركة الضمير وإذا جعلناه خبرا فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار أو يكون خبرا بمعنى النهى وإذا كان لمجرد الإخبار فالمعنى أنه لا ينبغى أن يمسه إلا المطهرون أى هذا حقه وإن وقع خلاف ذلك واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات فى الآية ، فأجمعوا على أنه لا يجوز أن لا يمسه كافر لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين ، فذلك ظاهر وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال : الأول أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثا أصغر وهو

أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَأَمَّآ إِن

قول مالك وأصحابه ومنعوا أيضا أن يحمله بعلاقة أو وسادة وحجتهم الآية على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر وقد احتج مالك فى الموطأ بالآية على المسألة ومن حجتهم أيضا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر ، الثانى أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثا أصغر وهو مذهب أحمد بن حنبل والظاهرية وحملوا المطهرون على أنهم المسلمون والملائكة أو جعلوا لا يمسه لمجرد الإخبار ، والقول الثالث أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر ورخص مالك فى مسه على غير وضوء للمعلم والصبيان لأجل المشقة . واختلفوا فى قراءة الجنب للقرآن فمنعه الشافعى وأبو حنيفة مطلقا وأجازه الظاهرية مطلقا ، وأجاز مالك قراءة الآية اليسيرة . واختلف فى قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب فعن مالك فى ذلك روايتان ، وفرق بعضهم بين اليسير والكثير (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) هذا خطاب للكفار ، والحديث المشار إليه هو القرآن ، ومدهنون معناه متهاونون وأصله من المداهنة وهى لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن قال ابن عباس معناه مكذبون (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال ابن عطية أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين فى المطر إنه نزل بنوء كذا وكذا ، والمعنى تجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف شكر لدلالة المعنى عليه وقرأ على ابن أبى طالب وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس إلا أنه قرأ تكذبون بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة وقراءة على بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب أى يكذبون فى قولهم نزل المطر بنوء كذا ومن هذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول أصبح من عبادى مؤمن بى كافر بالكوكب وكافر بى مؤمن بالكوكب فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب . والمنهى عنه فى هذا الباب أن يعتقد أن للكوكب تأثيرا فى المطر وأما مراعاة العوائد التى أجراها الله تعالى فلا بأس به لقوله صلى الله عليه وسلم إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة ، وقد قال عمر للعباس وهما فى الاستسقاء كم بقى من نوء الثريا فقال العباس العلماء يقولون إنها تعترض فى الأفق بعد سقوطها سبعا ، قال ابن الطيب فما مضت سبع حتى مطروا ، وقيل إن معنى الآية تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبى صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يقولون إن آمنا به حرمنا الله الرزق ، كقولهم إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا فأنكر الله عليهم ذلك وإعراب أنكم على هذا القول مفعول بتجعلون على حذف مضاف تقديره تجعلون سبب رزقكم التكذيب ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله تقديره تجعلون رزقكم حاصلا من أجل أنكم تكذبون ، وأما على القول الأول فإعراب أنكم تكذبون مفعول لا غير (فلولا إذا بلغت الحلقوم) لولا هنا عرض والضمير فى بلغت للنفس لأن سياق الكلام يقتضى ذلك وبلوغها للحاقوم حين الموت والفعل الذى دخلت عليه لولا هو قوله ترجعونها أى هلا رددتم النفس حين الموت ، ومعنى الآية احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم لأنهم اذا حضر أحدهم الموت لم يقدروا أن يردوا روحه إلى جسده ، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون (وأنتم حينئذ تنظرون) هذا خطاب لمن يحضر الميت من

كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝

أقاربه وغيرهم ، يعنى تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء (ونحن أقرب إليه منكم) يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح فيكون من قرب المسافة (ولكن لا تبصرون) إن أراد بقوله نحن أقرب الملائكة فقوله لا تبصرون من رؤية العين ، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) لولا هنا عرض كالأولى وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام والفعل الذى دخلت عليه لولا الأولى والثانية قوله ترجعونها أى هلا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وغير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين فى كفركم وترتيب الكلام فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوا إن كنتم صادقين (فأما إن كان من المقربين) الضمير فى كان للمتوفى وكرر هنا ماذكره فى أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورن هناك (فروح وريحان) الروح الاستراحة وقيل الرحمة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فروح بضم الراء ومعناه الرحمة وقيل الخلود أى بقاء الروح وأما الريحان فقيل إنه الرزق وقيل الاستراحة وقيل الطيب وقيل الريحان المعروف وفى قوله روح وريحان ضرب من ضروب التجنيس (فسلام لك من أصحاب اليمين) معنى هذا على الجملة نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية والخطاب فى ذلك يحتمل أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم أو لأحد من أصحاب اليمين فان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالسلام بمعنى السلامة والمعنى سلام لك يا محمد منهم أى لا ترى منهم إلا السلامة من العذاب وإن كان الخطاب لأحد من أصحاب اليمين فالسلام بمعنى التحية والمعنى سلام لك أى تحية لك ياصاحب اليمين من إخوانك وهم أصحاب اليمين أى يسلمون عليك فهو كقوله إلا قيلا سلاما سلاما أو يكون بمعنى السلامة والتقدير سلامة لك ياصاحب اليمين ثم يكون قوله من أصحاب اليمين خبرا بتداء مضمر تقديره أنت من أصحاب اليمين (وأما إن كان من المكذبين الضالين) يعنى الكفار وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة (فنزل من حميم) النزل أول شيء يقدم للضيف (إن هذا لهو حق اليقين) الإشارة إلى ماتضمنته هذه السورة من أحوال الخلق فى الآخرة وحق اليقين معناه الثابت من اليقين ، وقيل إن الحق واليقين بمعنى واحد فهو من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك مسجد الجامع واختار ابن عطية أن يكون كقولك فى أمر توكده هذا يقين اليقين أو صواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب (فسبح باسم ربك العظيم) لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول فى السجود سبحان ربى الأعلى وفى الركوع سبحان ربى العظيم وأوجبه الظاهرية ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه والاسم هنا جنس الأسماء والتعظيم صفة للرب أو يكون الاسم هنا واحدا والعظيم صفة له وكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها وفى أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته ، قال ابن عباس اسم الله العظيم الأعظم موجود

سورة الحديد

مدنية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم * سبح لله مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم * هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور * يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور * ءامنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين ءامنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير * وما لكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين * هو الذى ينزل

فى ست أيات من أول سورة الحديد ، وروى أن الدعاء عند قراءتها مستجاب

سورة الحديد

(سبح لله مافى السموات والأرض) هذا التسبيح المذكور هنا وفى أوائل سائر السور المسبحات يحتمل أن يكون حقيقة أوأن يكون بلسان الحال لأن كل مافى السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته والأول أرجح لقوله : ولكن لاتفقهون تسبيحهم ، وذكر التسبيح هنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى ، وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع ، وكل واحد منهما يقتضى الدوام (هو الأول والآخر) أى ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية (والظاهر والباطن) أى الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذى لاتدركه الأبصار أوالباطن الذى لاتصل العقول إلى معرفة كنه ذاته وقيل الظاهر العالى على كل شىء فهو من قولك ظهرت على الشىء إذا علوت عليه ، والباطن الذى بطن كل شىء أى علم باطنه ، والأول أظهر وأرجح ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها وفى ذلك مطابقة لفظية ، وهى من أحسن أدوات البيان (ثم استوى على العرش) قد ذكر وكذلك مابعده (وهو معكم أينما كنتم) يعنى أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته . وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك (يولج الليل) ذكر فى الحج ولقمان (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى الإنفاق فى سبيل الله وطاعته ، وروى أنها نزلت فى الإنفاق فى غزوة تبوك وعلى هذا روى أن قوله «فالذين آمنوا منكم وأنفقوا» نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ ولفظ الآية مع ذلك عام وحكمها باق ، لجميع الناس وقوله مستخلفين فيه يعنى أن الأموال التى بأيديكم إنما هى أموال الله لأنه خلقها ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فورثتم عنه الأموال فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم كما خلفها لكم من كان قبلكم ، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق وتزهيد فى الدنيا (وما لكم لاتؤمنون بالله) معناه أى شىء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة

عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا
فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُولَٰٓئِكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يَوْمَ يَقُولُ

والمعجزات الظاهرة فقوله مالكم استفهام يراد به الإنكار ولا تؤمنون فى موضع الحال من معنى الفعل الذى يقتضيه مالكم والواو فى قوله والرسول يدعوكم واو الحال (وقد أخذ ميثاقكم) يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل فى العقول من النظر الذى يؤدى إلى الإيمان ، أو يكون الميثاق الذى أخذه على بنى آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (هو الذى ينزل على عبده آيات) يعنى سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والعبودية هنا للتشريف والاختصاص والآيات هنا القرآن (ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله) الآية : معناه أى شىء يمنعكم من الإنفاق فى سبيل الله والله يرث ما فى السموات والأرض إذا فنى أهلها ففى ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد فى الدنيا (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الفتح هنا فتح مكة ، وقيل صلح الحديبية ، والأول أظهر وأشهر ، ومعنى الآية التفاوت فى الأجر والدرجات بين من أنفق فى سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى الانفاق والقتال كانت أشد ويؤخذ من الآية أن من أنفق فى شدة أعظم أجرا ممن أنفق فى حال الرخاء وفى الآية حذف دل عليه الكلام تقديره لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل ثم حذف ذلك لدلالة قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وفى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، يعنى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة ، ويدخل فى الخطاب كل من يأتى إلى يوم القيامة (وكلا وعد الله الحسنى) أى كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) ذكر فى البقرة (يوم ترى) العامل فى الظرف أجر كريم أو تقديرا ذكر (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) قيل إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضىء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله فى أيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم ، وروى أن نور كل أحد على قدر إيمانه فمنهم من يكون نوره كالنخلة ومنهم من يضىء ما قرب من قدميه ، ومنهم من يضىء مرة ويهم بالإطفاء مرة ، قال ابن عطية ومن هذه الآية أخذ الناس مشى المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات (بشراكم اليوم جنات) أى يقال لهم ذلك (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) يوم بدل من يوم ترى

الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ

أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحذوف تقديره اذكر ومعنى الآية أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين فيقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم أى نأخذ منه ونستضىء به ومعنى انظرونا انتظرونا وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف والمنافقون ليسوا كذلك ويحتمل أن يكون من النظر أى انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤا بنورهم ولكن يضعف هذا لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بإلى وقرئ أنظرونا بهمزة قطع ومعناه أخرونا أى أمهلونا فى مشيكم حتى نلحقكم (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول الملائكة ومعناه الطرد للمنافقين والتهكم بهم لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور، ووراءكم ظرف العامل فيه ارجعوا وقيل إنه لا موضع له من الإعراب وأنه كما لو قال ارجعوا ومعنى هذا الرجوع ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور (فضرب بينهم بسور له باب) أى ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم وفى ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه وقيل إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار وقيل هو الجدار الشرقى من بيت المقدس وهذا بعيد (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) باطنه هو جهة المؤمنين وظاهره هو جهة المنافقين وهى خارجة كقوله ظاهر المدينة أى خارجها والضمير فى باطنه وظاهره يحتمل أن يكون للسور أو للباب والأول أظهر (ينادونهم ألم نكن معكم) أى ينادى المنافقين المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم فى الدنيا يريدون إظهارهم الإيمان (فتنتم أنفسكم) أى أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق (وتربصتم) أى أبطأتم بإيمانكم وقيل تربصتم الدوائر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين (وارتبتم) أى شككتم فى الإيمان (وغرتكم الأمانى) أى طول الأمل والتمنى ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أو يهزمون إلى غير ذلك من الأمانى الكاذبة (حتى جاء أمر الله) أى الفتح وظهور الإسلام أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب (الغرور) هو الشيطان (هى مولاكم) أى هى أولى بكم وحقيقة المولى الولى الناصر فكأن هذا استعارة منه أى لا ولىّ لكم تأوون إليه إلا النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) معنى ألم يأن: ألم يحن. يقال أنى الأمر إذا حان وقته، وذكر الله يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر أو التذكير بالمواعظ وهذه آية موعظة وتذكير قال ابن عباس عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن وسمع الفضيل بن عياض قارئا يقرأ هذه الآية فقال قد آن فكان سبب رجوعه إلى الله وحكى أن عبد الله بن المبارك أخذ العود فى صباه ليضرب به فنطق بهذه الآية فكسره ابن المبارك وتاب إلى

قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

الله (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) عطف ولا يكونوا على أن تخشع ويحتمل أن يكون نهيا والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) أى مدة الحياة وقيل انتظار القيامة ، وقيل انتظار الفتح والأول أظهر (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها) أى يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات ، وقيل إنه تمثيل للقلوب أى يحيى الله القلوب بالمواعظ كما يحيى الأرض بالمطر ، وفى هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع قلوبهم ، والأول أظهر وأرجح لأنه الحقيقة (إن المصدقين والمصدقات) بتشديد الصاد من الصدقة وأصله المتصدقين ، وكذلك قرأ أبىّ بن كعب وقرئ بالتخفيف من التصديق أى صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام ، (وأقرضوا الله) معطوف على المعنى ، كأنه قال إن الذين تصدقوا وأقرضوا ، وقد ذكرنا معنى أقرضوا فى قوله من ذا الذى يقرض الله (الصديقون) مبالغة من الصدق أو من التصديق ، وكونه من الصدق أرجح لأن صيغة فعيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثى فى الأكثر ، وقد حكى بناؤها من رباعى كقولهم رجل مسيك من أمسك (والشهداء عند ربهم) يحتمل أن يكون الشهداء مبتدأ وخبره مابعده ، أو يكون معطوفا على الصديقين ، فإن كان مبتدأ ففى المعنى قولان : أحدهما أنه جمع شهيد فى سبيل الله فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والآخر أنه جمع شاهد ، ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم يشهدون على قومهم ، وإن كان معطوفا ففى المعنى قولان ، أحدهما : أنه جمع شهيد فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء : أى جمعوا الوصفين ، وروى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مؤمنو أمتى شهداء وتلا هذه الآية ، والآخر أنه جمع شاهد لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله لتكونوا شهداء على الناس (لهم أجرهم ونورهم) هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفا ، ونورهم هو النور الذى يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر فى هذه السورة ، وقيل هو عبارة عن الهدى والإيمان ، (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الآية معناها تشبيه الدنيا بالزرع الذى ينبته الغيث فى سرعة تغيره بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره والكفار هنا يراد به الزراع فهو من قوله كفرت الحب اذا سترته تحت الأرض وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة ، فلا يعجبهم إلا ماهو حقيق أن يعجب ، وقيل أراد الكفار بالله وخصهم بالذكر لأنهم أشد إعجابا بالدنيا وأكثر حرصا عليها (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) أى سابقوا إلى الأعمال التى تستحقون بها المغفرة ، فقيل المعنى كونوا

عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ۝ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ

فى أول صف من القتال ، وقيل احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام ، وقيل كونوا أول داخل إلى المسجد ، وأول خارج منه وهذه أمثلة ، والمعنى العام المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات وقد استدل بها قوم على أن الصلاة فى أول الوقت أفضل (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) السماء هنا يراد به جنس السموات بدليل قوله فى آل عمران ، وقد ذكرنا هناك معنى عرضها (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) المعنى أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن تكون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر وقيل أراد به المصيبة فى العرف وهو ما يصيب من الشر وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس وفى الأرض يعنى القحوط والزلازل وغير ذلك وفى أنفسكم يعنى الموت ، والمرض ، والفقر ، وغير ذلك ونبرأها معناه نخلقها والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض ، وقيل يعود على جميعها لأن المعنى صحيح فى كلها (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) المعنى فعل الله ذلك وأخبركم به لكيلا تسلموا لقضاء الله ولا تكترثوا بأمور الدنيا ، ومعنى لا تأسوا لا تحزنوا أى فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا فيها وقرأ الجمهور بما آتاكم بالمد أى بما أعطاكم الله من الدنيا ، وقرأ أبو عمرو بما أتاكم بالقصر أى بما جاءكم من الدنيا فإن قيل إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما أتى بمال كثير اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا ، فالجواب : أن النهى عن الفرح إنما هو عن الذى يقود إلى الكبر والطغيان ، وعن الحزن الذى يخرج عن الصبر والتسليم (كل مختال فخور) المختال صاحب الخيلاء والفخور شديد الفخر على الناس (الذين يبخلون) بدل من كل مختال فخور أو خبر ابتداء مضمر تقديره هم الذين أو منصوب بإضمار أعنى أو مبتدأ وخبره محذوف (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) الكتاب هنا جنس الكتب والميزان العدل وقيل الميزان الذى يوزن به وروى أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) خبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال وقيل بل أنزله حقيقة لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة (فيه بأس شديد) يعنى أنه يعمل منه سلاح للقتال ولذلك قال

وَالْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝

وليعلم الله من ينصره ورسله والمنافع للناس سكك الحرث والمسامير وغير ذلك (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) أى من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم (وقفينا) ذكر فى البقرة (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم فى بعض كما وصف أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بأنهم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) الرهبانية هى الانفراد فى الجبال والانقطاع عن الناس فى الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا ومعنى ابتدعوها أى أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رأفة ورحمة أى جعل الله فى قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية وابتدعوها صفة للرهبانية والجعل هنا بمعنى الخلق والمعتزلة يعربون رهبانية مفعولا بفعل مضمر يفسره ابتدعوها لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله فأعربوها على مذهبهم وكذلك أعربها أبو على الفارسى وذكر الزمخشرى الوجهين (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) كتبنا هنا بمعنى فرضنا وشرعنا وفى هذا قولان: أحدهما أن الاستثناء منقطع والمعنى ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله والآخر أن الاستثناء متصل والمعنى كتبناها عليهم إبتغاء رضوان الله والأول أرجح لقوله «ابتدعوها» ولقراءة عبدالله بن مسعود ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها (فما رعوها حق رعايتها) أى لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها يعنى أن جميعهم لم يرعوها وإنما رعاها بعضهم والضمير فى رعوها للذين ابتدعوا الرهبانية وكان يجب عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم، لأن من دخل فى شىء من النوافل يجب عليه إتمامه وقيل الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم (وآمنوا برسوله) إن قيل كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغى فالجواب من وجهين: أحدهما أن معنى آمنوا دوموا على الإيمان واثبتوا عليه، والآخر أنه خطاب لأهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيد هذا قوله يؤتكم كفلين من رحمته أى نصيبين، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى الحديث (ويجعل لكم نورا تمشون به) يحتمل أن يريد النور الذى يسعى بين أيدى المؤمنين يوم القيامة أو يكون عبارة عن الهدى ويؤيد الأول أنه مذكور فى هذه السورة، ويؤيد الثانى قوله: وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شىء من فضل الله) لا فى قوله لئلا زائدة، والمعنى ليعلم أهل الكتاب وكذلك قرأها ابن عباس

سورة المجادلة

مدنية وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ

وقرأ ابن مسعود لكيلا يعلم ، والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب ياأهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدروا على شيء من فضل الله الذى وعد من آمن منكم ، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، لأنهم لم يسلموا ، فلم ينالوا شيئا من ذلك ، وإن كان الخطاب للمسلمين ، فالمعنى : ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئا مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، وقد روى فى سبب نزول الآية : أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية فى الرد عليهم ، وهو يقوى هذا القول ، وروى أيضا أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين فنزلت الآية معلمة أن المسلمين مثلهم فى ذلك

سورة المجادلة

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) نزلت الآية فى خولة بنت حكيم ، وقيل خولة بنت ثعلبة ، وقيل خولة بنت خويلد ، وقيل اسمها جميلة وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصارى أخى عبادة بن الصامت فظاهر منها وكان الظهار فى الجاهلية يوجب تحريما مؤبدا فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أوسا أكل شبابى ونثرت له بطنى فلما كبرت ومات أهلى ظاهر منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيتك إلا قد حرمت عليه ، فقالت يارسول الله لا تفعل إنى وحيدة ليس لى أهل سواه فراجعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمثل مقالته فراجعته ، فهذا هو جدالها (وتشتكى إلى الله) كانت تقول اللهم إنى أشكو إليك حالى وانفرادى وفقرى ، وروى أنها كانت تقول اللهم إن لى منه صبية صغارا إن ضممتهم إلىّ جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا (والله يسمع تحاوركما) المحاورة هى المراجعة فى الكلام قالت عائشة رضى الله عنها سبحان من وسع سمعه الأصوات لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى على وسمع الله كلامها ، ونزل القرآن فى ذلك فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى زوجها وقال له أتعتق رقبة ، فقال والله ما أملكها فقال أتصوم شهرين متتابعين ، فقال والله ما أقدر ، فقال له أتطعم ستين مسكينا ، فقال لا أجد إلا أن يعينى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعونة وصلاة يريد الدعاء فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا وقيل بثلاثين صاعا ودعا له فكفر بالإطعام وأمسك زوجته (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) قرئ يظاهرون بألف بعد الظاء وبحذفها وبالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار ، والظهار المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته أنت علىّ كظهر أمى ويجرى مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأبيد كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع والمصاهرة سواء ذكر لفظ الظهر

لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن

أولم يذكره كقوله أنت على كأمى أو كبطن أمى أويدها أورجلها خلافا للشافعى فإن ذلك كله عنده ليس بظهار لأنه وقف عند لفظ الآية وقاس مالك عليها لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام (ماهن أمهاتهم) ردالله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة وأخبر تعالى أن تصير الزوجة أماً باطل فإن الأم فى الحقيقة إنما هى الوالدة (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور فالمنكر هو الذى لاتعرف له حقيقة والزور هو الكذب وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يصير امرأته كأمه وهى لاتصير كذلك أبدا والظهار محرم ويدل على تحريمه أربعة أشياء أحدها قوله تعالى ماهن أمهاتهم فإن ذلك تكذيب للمظاهر والثانى أنه سماه منكرا والثالث أنه سماه زورا والرابع قوله وإن الله لعفو غفور فإن العفو والمغفرة لاتقع إلا عن ذنب وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف الناس فى معنى قوله ثم يعودون لما قالوا على ستة أقوال الأول أنه إيقاع الظهار فى الإسلام فالمعنى أنهم كانوا يظاهرون فى الجاهلية فإذا فعلوه فى الإسلام فذلك عود إليه هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار بخلاف أقوال غيره فإن الكفارة لاتجب إلا بالظهار والعود معا. الثانى أن العود هو وطأ الزوجة روى ذلك عن مالك فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت الثالث أن العود هو العزم على الوطئ وروى هذا أيضا عن مالك فإذا عزم على الوطء وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت . الرابع أن العود هو العزم على الوطئ وعلى إمساك الزوجة وهذا أصح الروايات عن مالك . الخامس أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب الشافعى فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار وجبت الكفارة . السادس أنه تكرار الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف لأنهم لايرون الظهار يوجب حكما فى أول مرة وإنما يوجب فى الثانية وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة فذلك يرد عليهم ويختلف معنى لما قالوا باختلاف هذه الأقوال فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية فما مصدرية والمعنى يعودون لقولهم وأما على سائر الأقوال فما بمعنى الذى والمعنى يعودون الوطء الذى حرموه أو للعزم عليه أو للإمساك الذى تركوه أو للعزم عليه (فتحرير رقبة) جعل الله الكفارة فى الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة لاينتقل إلى الثانى حتى يعجز عن الأول ولاينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثانى فالأول تحرير رقبة والثانى صيام شهرين متتابعين والثالث إطعام ستين مسكينا فأما الرقبة فاشترط مالك أن تكون مؤمنة لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد وجاءت هنا مطلقة وجاءت فى كفارة القتل مقيدة بالإيمان وأما صيام الشهرين فاشترط فيه التتابع فإن أفسد الصائم التتابع باختياره ابتدأه من أوله باتفاق وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك يبنى على ما كان فيه وقال أبو حنيفة يبتدئ ، وروى القولان عن الشافعى ، وأما الإطعام فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل مسكين بمد هشام واختلف فى مد هشام فقيل إنه مدان غير ثلث بمد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنه مد وثلث ، وقيل إنه مدان وقال الشافعى وابن القصار يطعم مدا بمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لكل مسكين ولايجزيه إلا كمال عدد الستين فإن أطعم مسكينا واحداً ستين يوما لم يجزه عند مالك والشافعى خلافا لأبى حنيفة وكذلك إن أطعم

قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا أَحْصَىٰهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِالْإِثْمِ

ثلاثين مرتين والطعام يكون من غالب قوت البلد (من قبل أن يتماسا) مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء ومادونه من اللمس والتقبيل فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يكفر، وقال الحسن والثورى أراد الوطء خاصة فأباحا مادونه قبل الكفارة وذكر الله قوله من قبل أن يتماسا فى التحريم والصوم ولم يذكره فى الإطعام فاختلف العلماء فى ذلك فحمل مالك الإطعام على ماقبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس وجعل ذلك من المطلق الذى يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة لأن الله لم ينص فى الإطعام أنه قبل المسيس (ذلك لتؤمنوا) قال ابن عطية الإشارة إلى الرخصة فى النقل من التحرير إلى الصوم وقال الزمخشرى المعنى ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وهذا أظهر لأنه أعم (إن الذين يحادون الله) أى يخالفون ويعادون (كبتوا) أى هلكوا وقيل لعنوا وقيل كبت الرجل اذا بقى خزيانا ونزلت الآية فى المنافقين واليهود (ما يكون من نجوى ثلاثة) يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفى فيكون ثلاثة ضاف إليه بمعنى الجماعة من الناس فيكون ثلاثة بدل أو صفة، والأول أحسن (إلا هو رابعهم) يعنى بعلمه وإحاطته وكذلك سادسهم، وهو معهم أينما كانوا (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزل فى قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فعادوا، وقيل نزلت فى المنافقين، والأول أرجح لقوله وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله لأن هذا من فعل اليهود والأحسن أن المراد والمنافقين معا لقوله: ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم فنزلت الآية فى الطائفتين (وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله) كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يا محمد بدلا من السلام عليكم والسام الموت وهو ما أرادوه بقولهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لهم وعليكم فسمعتهم عائشة يوما فقالت بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة إن الله يكره الفحش والتفحش فقالت أما سمعت ماقالوا قال أما سمعت ماقلت لهم إنى قلت وعليكم ويريد بقوله مالم يحيك به الله قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون

وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ
الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ

فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون لو كان نبيا لعذبنا الله بإذايته فقال الله (حسبهم جهنم) أى يكفيهم ذلك عذابا (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) قيل يعنى النجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه وقيل أراد نجوى اليهود والمنافقين ويؤيد هذا قوله ليجزى الذين آمنوا (إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) اختلف فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى مقاعد الحرب والقتال وقيل نزلت بسبب ازدحام الناس ، فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصهم على القرب منه وقيل أقام النبى صلى الله عليه وسلم ، قوما ليجلس أشياخا من أهل بدر فى مواضعهم ، فنزلت الآية ثم اختلفوا هل هى مقصورة على مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو هى عامة فى جميع المجالس ، فقال قوم إنها مخصوصة ويدل على ذلك قراءة المجلس بالإفراد ، وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وقد اختلف فى هذا النهى عن القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة (يفسح الله لكم) أى يوسع لكم فى جنته ورحمته (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك واختلف فى هذا النشوز المأمور به فقيل إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة ، وقيل إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه كان يحب الانفراد أحيانا وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام ، وقيل المراد القيام فى المجالس للتوسع (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) فيها قولان أحدهما يرفع الله المؤمنين العلماء درجات فقوله والذين أوتوا العلم درجات صفة للذين آمنوا كقوله جاءنى العاقل الكريم وأنت تريد رجلا واحداً ، والثانى يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء وعلى الثانى للمؤمنين الذين ليسوا علماء ، وللعلماء أيضا ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد فى موضع آخر كقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وقوله عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم رجلا وقوله عليه السلام يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء ، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) قال ابن عباس سببها أن قوما من شبان

نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ * ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ * كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ * لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ

المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فى غير حاجة ، لتظهر منزلتهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد أحدا ، فنزلت الآيه مشددة فى أمر المناجاة ، وقيل سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبى صلى الله عليه وسلم وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها (ءأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقة) الآية : فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام ، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا ؟ فقال قوم لم يعمل بها أحد وقال قوم عمل بها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه روى أنه كان له دينارا فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق فى كل مرة منها بدرهم وقيل تصدق فى كل مرة بدينار ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرا على الصدقة وأمامن لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (وتاب الله عليكم) التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم فى تركهم للصدقة التى أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى داوموا على هذه الأعمال التى هى قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت فى قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود وهم الذين غضب الله عليهم (ماهم منكم ولا منهم) يعنى أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود فهو كقوله فيهم « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعنى أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ماقالوا ولا فعلوا وقد صدر ذلك منهم مراراً كثيرة هى مذكورة فى السير وغيرها (اتخذوا أيمانهم جنة) أصل الجنة مايستتر به ويتقى به المحذور كالترس ، ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم ، وقرئ اتخذوا بكسر الهمزة (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب عليهم وتملك نفوسهم (فى الأذلين) أى فى جملة الأذلين : أى معهم (كتب الله) أى قضى وقدر (لاتجد قوما) الآية : معناها لاتجد مؤمنا يحب كافراً ولو كان أقرب الناس إليه وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان ، ولذلك كان الصحابة رضى الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا

أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

سورة الحشر

مدنية وآياتها ٢٤ نزلت بعد البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ

كفاراً ، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد ، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزير بن عمير يوم أحد ، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يقعد . وقيل إن الآية نزلت فى حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأحسن أنها على العموم ، وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد (يوادون) هذه مفاعلة من المودة فتقتضى أن المودة من الجهتين (من حاد الله) أى عاداه وخالفه (كتب فى قلوبهم الإيمان) أى أثبته فيها كأنه مكتوب (وأيدهم بروح منه) أى بلطف وهدى وتوفيق وقيل بالقرآن ، وقيل بجبريل (أولئك حزب الله) هذه فى مقابلة قوله أولئك حزب الشيطان ، والحزب هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه

سورة الحشر

نزلت هذه السورة فى يهود بنى النضير وكانوا فى حصون بمقربة من المدينة ، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأرادوا غدره فأطلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا فى البلاد (هو الذى أخرج الذين كفروا) يعنى بنى النضير (لأول الحشر) فى معناه أربعة أقوال : أحدها أنه حشر القيامة أى خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره ، وروى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم امضوا هذا أول الحشر ، وأنا على الأثر : الثانى أن المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام ، وذلك أن أكثر بنى النضير خرجوا إلى الشام ، وقد جاء فى الأثر أن حشر القيامة إلى أرض الشام ، وروى فى هذا المعنى أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لبنى النضير اخرجوا قالوا إلى أين ؟ قال إلى أرض المحشر . الثالث أن المراد الحشر فى الدنيا الذى هو الجلاء والإخراج ، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر ، وإخراج أهل خيبر آخره . الرابع أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول ماحشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقال الزمخشرى اللام فى قوله لأول بمعنى عند كقولك جئت لوقت كذا (ماظننتم أن يخرجوا) يعنى لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم (فأتاهم الله) عبارة عن أخذ الله لهم (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) أما إخراب المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها ، وأسند

فَاعْتَبِرُوا يَـٰٓأُولِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۞ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ مَاقَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۞ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ

ذلك إلى الكفار فى قوله يخربون لأنه كان بسبب كفرهم وعذرهم ، وأما إخراب الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد : أحدها حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ماخر به المسلمون من الأسوار ، والثانى ليحملوا معهم ماأعجبهم من الخشب والسوارى وغير ذلك . الثالث أن لاتبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموها شحا عليها (فاعتبروا ياأولى الأبصار) استدل الذين أثبتوا القياس فى الفقه بهذه الآية واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا) الجلاء هو الخروج عن الوطن ، فالمعنى لولا أن كتب الله على بنى النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم فى الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بنى قريظة ، ولهم مع ذلك عذاب النار (شاقوا) ذكر فى الأنفال (ماقطعتم من لينة) اللينة هى النخلة وقيل هى الكريمة من النخل ، وقيل النخلة التى ليست بعجوة ، وقيل ألوان النخل المختلط ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بنى النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه فقال بنو النضير ماهذا إلافساد ياحمد وأنت تنهى عن الفساد ، فنزلت الآية معلمة أن كل ماجرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين فى ذلك (ليخزى الفاسقين) يعنى بنى النضير ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب ، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها ، واختلف العلماء فى قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم فأجازه الجمهور لهذه الآية ، ولإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحريق نخل بنى النضير ، وكرهه قوم لوصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه الجيش الذى وجهه إلى الشام أن لايقطعوا شجرا مثمرا (ومأأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب) معنى أفاء الله : جعله فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوجفتم من الوجيف وهو سرعة السير ، والركاب هى الإبل ، والمعنى أن ماأعطى الله رسوله من أموال بنى النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولاتعبوا فيه ولاحصلوه بقتال ولكن حصل بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم على بنى النضير ، فأعلم الله من هذه الآية أن ماأخذ من بنى النضير وما أخذه من فدك : فهو فىء خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم يفعل فيه مايشاء ، لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فهما بخلاف الغنيمة التى تؤخذ بالقتال فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لنفسه من أموال بنى النضير قوت عياله وقسم سائرها فى المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئا غير أن أبادجانة وسهل بن حنيف شكوا فاقة فأعطاهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها سهما ، هذا قول جماعة ، وقال عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينفق منها على أهله نفقة سنة ومابقى جعله فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله وقال قوم من العلماء وكذلك كل مافتحه الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه فى مصالح المسلمين

أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ لِلْفُقَرَاءِ

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله والرسول) الآية اضطرب الناس فى تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابا عظيما فإن ظاهرها أن الأموال التى تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس ، ولا تقسم على من حضر الوقيعة وذلك يعارض ماورد فى الأنفال من إخراج الخمس ، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الوقيعة فقال بعضهم إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال وهذا خطأ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة وقال بعضهم إن آية الأنفال فى الأموال التى تغنم ماعدا الأرض ، وأن هذه الآية فى أرض الكفار قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين ، وهذا التخصيص لادليل عليه وقيل غير ذلك ، والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال ، فإن آية الأنفال فى حكم الغنيمة التى تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب ، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين ، وأما هذه الآية ففى حكم الفىء وهو مايؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب ، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين فى معنى غير معنى الأخرى ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفىء وفى الأنفال لفظ الغنيمة وقد تقرر فى الفقه الفرق بين الفىء والغنيمة ، وأن حكمهما مختلف ، قاله أبو محمد بن الفرس : وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه وهو أظهر الأقوال وأما فعل عمر فى أرض مصر والعراق ، فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين بقوله تعالى « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى » يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بنى النضير ، ولكنه حذف هذا لقوله فى الآية قبل هذا فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، فاستغنى بذكر ذلك أولا عن ذكره ثانيا ولذلك لم تدخل الواو العاطفة فى هذه الجملة لأنها من تمام الأولى فهى غير أجنبية منها فإنه بين فى الآية الأولى حكم أموال بنى النضير ، وبين فى هذه الآية حكم ماكان مثلها من أموال غيرهم على العموم ، ويصرف الفىء فيما يصرف فيه خمس الغنائم لأن الله سوى بينهما فى قوله لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقد ذكرنا ذلك فى الأنفال فأغنى عن إعادته وقد ذكرنا فى الأنفال معنى قوله لله وللرسول ومابعد ذلك (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أى كيلا يكون الفىء الذى أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم أموال بنى النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء ، ولم يعط الأنصار منها شيئا فإنهم كانوا أغنياء فقال بعض الأنصار لنا سهمنا من هذا الفىء فأنزل الله هذه الآية ، والدولة بالضم والفتح مايدول الإنسان أى يدور عليه من الخير ، ويحتمل أن يكون من المداولة أى كى لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شىء (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) نزلت بسبب الفىء المذكور : أى ما أتاكم الرسول من الفىء فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ، فكأنها أمر المهاجرين بأخذ الفىء ونهى للأنصار عنه ، ولفظ الآية مع ذلك عام فى أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نواهيه ، ولذلك استدل بها عبد الله بن مسعود على المنع من لبس المحرم المخيط ولعن الواشمة

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا

والواصلة فى القرآن لورود ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (للفقراء) هذا بدل من قوله لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ليبين بذلك أن المراد المهاجرين ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم (والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم) هم الأنصار والدار هى المدينة لأنها كانت بلدهم والضمير فى قبلهم للمهاجرين ، فإن قيل كيف قال تبوؤا الدار والإيمان وإنما تتبوأ الدار أى تسكن ولا يتبوأ الإيمان ؟ فالجواب من وجهين : الأول أن معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقولك : فعلفتها تبنا وماء باردا : تقديره : علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا . الثانى أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك . فإن قيل : قوله من قبلهم يقتضى أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان ، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم ، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل ، لأن أكثر المهاجرين أسلم قبل الأنصار . فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم ، والآخر أنه أراد تبوؤا الدار مع الإيمان معا أى جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين ، لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوئ الدار فيكون الإيمان على هذا مفعولا معه ، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال وعن السؤال الأول ، فإنه إذا كان الإيمان مفعولا معه لم يلزم السؤال الأول ، إذ لا يلزم إلا إذا كان الإيمان معطوفا على الدار (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) قيل إن الحاجة هنا بمعنى الحسد ، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتجاج على أصلها والضمير فى يجدون للأنصار ، وفى أوتوا للمهاجرين ، والمعنى أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفىء وغيره ، ولا يجدون فى صدورهم شيئاً بسبب ذلك (ويؤثرون على أنفسهم) أى يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا فى غاية الاحتياج والخصاصة هى الفاقة ، وروى أن سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه فقالوا بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة ، وروى أيضا أن سببها أن رجلا من الأنصار أضاف رجلا من المهاجرين فذهب الأنصارى بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته والله ماعندنا إلا قوت الصبيان فقال لها نومى صبيانك وأطفئى السراج ، وقدمى ماعندك للضيف ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل ففعلا ذلك فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) شح النفس هو البخل والطمع وفى هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك ، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم وبأنهم لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتى

لِلَّذِينَ ءامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا

المهاجرون وأنهم يحبون المهاجرين (والذين جاؤا من بعدهم) هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل فالمعنى أن الفيء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاءوا من بعدهم ويعنى بهم الفرقة الثالثة من الصحابة وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة وقيل يعنى من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة وعلى هذا حملها مالك فقال إن من قال فى أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له فى الغنيمة والفيء ، لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله (ألم تر إلى الذين نافقوا) الآية : نزلت فى عبدالله ابن أبىّ بن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بنى النضير ، وقالوا لهم اثبتوا فى حصونكم فإنا معكم كيف ماتقلبت حالكم (ولا نطيع فيكم أحداً أبداً) أى لا نسمع فيكم قول قائل ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم ثم كذبهم الله فى هذه المواعيد التى وعدوا بها ، فإن قيل : كيف قال لئن نصروهم ليولن الأدبار بعد قوله لا ينصرونهم ؟ فالجواب : أن المعنى على الفرض والتقدير أى لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) الرهبة هى الخوف ، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله (لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) أى لا يقدرون على قتالكم مجتمعين إلا وهم فى قرى محصنة بالأسوار والخنادق أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم (بأسهم بينهم شديد) يعنى عداوة بعضهم لبعض (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أى هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعنى يهود بنى قينقاع فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجلاهم عن المدينة قبل بنى النضير فكانوا أمثالهم وقيل يعنى أهل بدر الكفار ، فإنهم قبلهم ومثلالهم فى أن غلبوا وقهروا والأول أرجح لأن قوله قريبا يقتضى أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة وذلك أوقع على بنى قينقاع وأيضا فإن تمثيل بنى النضير ببنى قينقاع أليق لأنهم يهود مثلهم ، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم وذلك هو المراد بقوله «ذاقوا وبال أمرهم» وقريبا ظرف زمان (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) مثل الله المنافقين الذين أغووا يهود بنى النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان فإنه يغوى ابن آدم ثم يتبرأ منه والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس ، وقيل أراد الشيطان الذى أغوى قريشا يوم بدر وقال لهم إنى جار لكم ، وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد ، فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان

كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞

الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين مافعل فتعرض له الشيطان قال له اسجد لى أنجيك فسجد له فتركه الشيطان وقال له إنى برىء منك وهذا ضعيف فى النقل، والأول أرجح (فكان عاقبتهما أنهما فى النار) الضميران يعودان على الشيطان والإنسان، وفى ذلك تمثيل للمنافقين واليهود (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) هذا أمر بأن تنظر كل نفس ماقدمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات، وإنما عبر عن يوم القيامة بغد تقريباله لأن كل ماهو آت قريب، فإن قيل: لم كرر الأمر بالتقوى؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه تأكيد، والآخر وهو الأحسن أنه أمر أولا بالتقوى استعدادا ليوم القيامة، ثم أمر به ثانيا لأن الله خبير بما يعملون، فلما اختلف الموجبات كرره مع كل واحد منهما (ولاتكونوا كالذين نسوا الله) يعنى الكفار والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الغفلة أى نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) الآية: توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم (عالم الغيب والشهادة) أى يعلم ماغاب عن المخلوقين وماشاهدوه وقيل الغيب الآخرة والشهادة الدنيا، والعموم أحسن (القدوس) مشتق من التقديس، وهو التنزه عن صفات المخلوقين وعن كل نقص وعيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح (السلام) فى معناه قولان: أحدهما الذى سلم عباده من الجور، والآخر السليم من النقائص، وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام (المؤمن) فيه قولان: أحدهما أنه من الأمن أى الذى أمن عباده، والآخر أنه من الإيمان أى المصدق لعباده فى إيمانهم أوفى شهادتهم على الناس يوم القيامة أو المصدق نفسه فى أقواله (المهيمن) فى معناه ثلاثة أقوال الرقيب والشاهد والأمين، قال الزمخشرى أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء (الجبار) فى معناه قولان: أحدهما أنه من الإجبار بمعنى القهر، والآخر أنه من الجبر أى يجبر عباده برحمته، والأول أظهر (المتكبر) أى الذى له التكبر حقا (البارئ) أى الخالق يقال أبرأ الله الخلق أى خلقهم

سـورة الممتحنة

مدنية وآياتها ١٣ نزلت بعـد الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ

ولكن البارئ والفاطر يراد بهما الذى برأ الخلق واخترعه (المصور) أى خالق الصور (له الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ، قال المؤلف قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبى عبدالله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك فقلت له ولم ذلك ، قال لأنى قرأت على القاضى أبى على بن أبى الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود قال قرأت على النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك قلت ولم ذاك يارسول الله فداك أبى وأمى ، قال أقرأنى جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر ، قال لى ضع يدك على رأسك يامحمد قلت ولم ذاك قال إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها فقالت ياربنا ولم ذاك قال إنه شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت

سـورة الممتحنة

(لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) العدو يطلق على الواحد والجماعة ، والمراد به هنا كفار قريش وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورى عن ذلك بخيبر فشاع فى الناس أنه خارج إلى خيبر وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة منهم حاطب فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء فبعث على بن أبى طالب والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها أخرجى الكتاب فقالت مامعى كتاب ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئا فقال بعضهم مامعها كتاب فقال علىّ بن أبى طالب ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب الله ، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك قالت أعرضوا عنى فأخرجته من قرون رأسها ، وقيل أخرجته من حجزتها فجاؤا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب من كتب هذا قال أنا يارسول الله ولكن لاتعجل علىّ فوالله مافعلت ذلك ارتداداً عن دينى ولا رغبة فى الكفر ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ، ولم أكن من أنفسها فأحببت أن تكون لى عندهم يد يرعون بها فى قرابتى ، فقال عمر بن الخطاب دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حاطب إنه من أهل بدر ، وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم لاتقولوا لحاطب إلا خيرا فنزلت الآية عتابا لحاطب وزجرا عن أن يفعل أحد مثل فعله ، وفيها مع ذلك تشريف له ، لأن الله شهد له بالإيمان فى قوله ياأيها الذين آمنوا (تلقون إليهم بالمودة) عبارة عن إيصال المودة إليهم وألقى يتعدى بحرف جر وبغير حرف جر كقوله وألقيت عليك

وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا

محبة منى، وهذه الجملة فى موضع الحال من الضمير فى قوله لا تتخذوا أو فى موضع الصفة لأولياء أو استئناف (وقد كفروا) حال من الضمير فى لا تتخذوا أو فى تلقون (يخرجون الرسول وإياكم) أى يخرجون الرسول ويخرجونكم يعنى إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة، ومنهم من خرج إلى أرض الحبشة (أن تؤمنوا) مفعول من أجله أى يخرجونكم من أجل إيمانكم (إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى) جواب هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو لا تتخذوا، والتقدير إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وجهادا مصدر فى موضع الحال أو مفعول من أجله وكذلك ابتغاء (إن يثقفوكم) معناه إن يظفروا بكم (وودوا لو تكفرون) أى تمنوا أن تكفروا فتكونون مثلهم، قال الزمخشرى وإنما قال ودوا بلفظ الماضى بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع لأنهم أرادوا كفركم قبل كل شىء (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) إشارة إلى ما قصد حاطب من رعى قرابته (يوم القيامة يفصل بينكم) يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم أو من الفصل بمعنى التفريق أى يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة، وقيل إن العامل فى يوم القيامة ما قبله وذلك بعيد (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه) الأسوة هو الذى يقتدى به فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه فى عداوة الكفار والتبرئ منهم ومعنى والذين معه من آمن به من الناس، وقيل الأنبياء الذين كانوا فى عصره وقريبا من عصره، ورجح ابن عطية هذا القول بما ورد فى الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته ما على الأرض مؤمن بالله غيرى وغيرك (برآء) جمع برىء (كفرنا بكم) أى كذبناكم فى أقوالكم، ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض والمقاطعة لهم (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) هذا استثناء من قوله أسوة حسنة، فالمعنى اقتدوا بهم فى عداوتهم للكفار ولا تقتدوا بهم فى هذا، لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وقيل الاستثناء من التبرى والقطيعة، والمعنى تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له (ربنا عليك توكلنا) هذا من كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين معه وهو متصل بما قبل

وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ

الاستثناء فهو من جملة ما أمروا أن يقتدوا به (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) فى معناه قولان : أحدهما لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأنا على الحق وهم على الباطل . والآخر : لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا ، ورجح ابن عطية هذا ، لأنه دعاء لأنفسهم وأما على القول الأول فهو دعاء للكفار ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما أمر الله المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم فامتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة ، وهذه المودة كملت فى فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش وقيل المودة تزوج النبى صلى الله عليه وسلم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب سيد قريش ، ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) رخص الله للمسلمين فى مبرة من لم يقاتلهم من الكفار ، واختلف فيهم على أربعة أقوال : الأول أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب كانوا قد صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه . الثانى أنهم كانوا من كفار قريش لم يقاتلوا المسلمين ولا أخرجوهم من مكة ، والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال : الثالث أنهم النساء والصبيان ، وفى هذا ورد أن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت يارسول الله إن أمى قدمت علىّ وهى مشركة أفأصلها قال نعم صلى أمك . الرابع أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا ، وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم فهم كفار قريش (يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) أى اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن ، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن ، وقد اختلف فى هذا الامتحان على ثلاثة أقوال : أحدها أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها فى زوجها ولا لخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة ، والثانى أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، والثالث أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقة ، وقتل أولادهن وترك الزنا والبهتان ، والعصيان ، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة رضى الله تعالى عنها (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) نزلت هذه الآية أثر صلح الحديبية ، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمين إلى الكفار ، وكل من جاء

وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

مسلما من الرجال والنساء فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين وكانت المرأة التى هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة ، وقيل سبيعة الأسلمية ، ولما هاجرت جاء زوجها فقال يا محمد ردها علينا فإن ذلك فى الشرط الذى لنا عليك فنزلت الآية : فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردها وأعطى مهرها لزوجها ، وقيل نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط هربت من زوجها إلى المسلمين واختلف فى الرجال هل حكمهم فى ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم ، أو يجوز حتى الآن على قولين والأظهر الجواز لأنه إنما نسخ ذلك فى النساء (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات (وآتوهم ما أنفقوا) يعنى أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات اذا هاجرن ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصداق (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) العصم جمع عصمة أى النكاح فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر ، يعنى المشركات من عبدة الأوثان ، فالآية على هذا محكمة ، وقيل يعنى كل كافرة فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكتابيات لقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، وروى أن الآية نزلت فى امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلقها (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أى اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتى فررن إلى الكفار ، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتى هاجرن إلى المسلمين (وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) معنى فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار هروب نساء المسلمين إلى الكفار ، والخطاب فى قوله فعاقبتم وآتوا الذين ذهبت أزواجهم للمسلمين وقوله عاقبتم ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبى أى أصبتم عقبى وهى الغنيمة أو من التعاقب على الشىء كما يتعاقب الرجلان على الدابة اذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى ، فلما كان نساء المسلمين يهربون إلى الكفار ونساء الكفار يهربون إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء وسبب الآية أنه لما قال الله واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا : قالوا الكفار لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطى صداق من هربت زوجته إلينا من المسلمين ، فأنزل الله هذه الآية الأخرى وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصداق لمن هربت زوجته إلينا من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول من قال إن معنى فعاقبتم غنمتم ، وقيل من مال الفىء ، وقيل من الصدقات التى كانت تدفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه وهذه الأحكام التى تضمنتها هذه الآية ، قد ارتفعت لأنها نزلت فى قضايا معينة وهى مهادنة النبى صلى الله عليه وسلم مع مشركى العرب ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة فلا تجوز مهادنة المشركين من العرب إنما هو فى حقهم الإسلام أو السيف ، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس لأن الله قال فى المشركين اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وقال فى أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم

الَّذِى أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ الْقُبُورِ ۞

فى المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب (ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) هذه البيعة بيعة النساء فى ثانى يوم الفتح على جبل الصفا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعهن بالكلام ولا تمس يده يد امرأة ورد هذا فى الحديث الصحيح عن عائشة ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لف على يده ثوبا كثيفاً ثم لمس النساء يده كذلك وقيل إنه غمس يده فى إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء ، فغمسن أيديهن فيه (ولا يأتين ببهتان) معناه عند الجمهور أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدا ليس له وكانت المرأة تلتقط الولد ، فتقول لزوجها هذا ولدى منك وإنما قال يفترينه بين أيديهن وأرجلهن لأن بطنها الذى تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذى تلده به بين رجليها ، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم بأن ينسب للرجل غير ولده أو تفترى على أحد بالقول أو تكذب فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك ، وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال بين أيديهن يراد به اللسان والفم وبين الأرجل يراد به الفرج (ولا يعصينك فى معروف) أى لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهى ومن ذلك النهى عن النياحة وشق الجيوب ، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه ، وورد فى الحديث أن النساء لما بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المبايعة ، فقررهن على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة وهى امرأة أبى سفيان بن حرب يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ، فهل علىّ إن أخذت من ماله بغير إذنه ، فقال لها خذى مايكفيك وولدك بالمعروف فلما قررهن على أن لا يزنين ، قالت هند يارسول الله أتزنى الحرة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لا تزنى الحرة يعنى فى غالب المرأة ، وذلك أن الزنا فى قريش إنما كان فى الإماء فلما قال ولا يقتلن أولادهن قالت نحن ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت ببدر كبارا ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقفهن على أن لا يعصينه فى معروف قالت ماجلسنا هذا المجلس وفى أنفسنا أن نعصيك ، وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم ، لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ ، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقررت وعلمت من الشرع بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود وكان بعض فقراء المسلمين يتودد إليهم ليصيبوا من أموالهم ، وقيل يعنى كفار قريش ، والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفا لليهود كقوله «غير المغضوب عليهم» (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) من قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود ، فمعنى يئسوا من الآخرة يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها ومن قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش ، فالمعنى يئسوا من وجود الآخرة ، وصحتها لأنهم مكذبون بها تكذيبا جزما وقوله «كما يئس الكفار من أصحاب القبور» يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور فقوله من أصحاب

سـورة الصف

مدنية وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم

يتعلق ييئس وهو على حذف مضاف ، والآخر أن يكون من أصحاب القبور لبيان الجنس أى كما ييئس الذين فى القبور من سعادة الآخرة لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها

سـورة الحواريين

(لم تقولون مالا تفعلون) فى سببها ثلاثة أقوال أحدها قول ابن عباس أن جماعة قالوا وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية والآخر أن قوما من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم فى الغزو بما لم يفعلوا ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرا لهم والثالث أنها نزلت فى المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله يا أيها الذين آمنوا إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون ومع ذلك فحكم الآية على العموم فى زجر من يقول مالا يفعل (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) كان بعض السلف يستحى أن يعظ الناس لأجل هذه الآية ويقول أخاف من مقت الله والمقت هو البغض لريبة أو نحوها وانتصب مقتا على التمييز وأن تقولوا فاعل وقيل فاعل كبر محذوف تقديره كبر فعلكم مقتا وأن تقولوا بدل من الفاعل المحذوف أو خبرا بتداء مضمر (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التى قبلها فى شأن القتال وقال بعض الناس قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان قاله ابن عطية وهذا ضعيف خفى على قائله مقصد الآية وليس المراد نفس التراص وإنما المراد الثبوت والجد فى القتال (كأنهم بنيان مرصوص) المرصوص هو الذى يضم بعضه إلى بعض وقيل هو المعقود بالرصاص ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ (وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني) كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعصيانه وتنقيصه وانظر فى الأحزاب ولا تكونوا كالذين آذوا موسى (وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتقبيح لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله ولذلك أدخل قد الدالة على التحقيق (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) هذه عقوبة على الذنب بذنب وزيغ القلب هو ميله عن الحق (وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل) إنما قال موسى ياقوم وقال عيسى يابنى إسرائيل لأنه لم يكن له فيهم أب (مصدقا لما بين يدى من التوراة) معناه مذكور فى البقرة فى قوله مصدقا لما معكم (ومبشرا برسول) عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى ياروح

بالبينات قالوا هذا سحر مبين ۞ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين ۞ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ۞ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ۞ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ۞ تؤمنون بالله ورسوله ۞ وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ۞ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ۞ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ۞ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ۞

سورة الجمعة

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم ۞

الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أتقياء أبرار (اسمه أحمد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب فلا نبى بعدى وأحمد مشتق من الحمد ويحتمل أن يكون فعلا سمى به أو يكون صفة سمى بها كأحمد ويحتمل أن يكون بمعنى حامد أو بمعنى محمود كمحمد (فلما جاءهم بالبينات) يحتمل أن يريد عيسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام ويؤيد الأول اتصاله بما قبله ويؤيد الثانى قوله وهو يدعى إلى الإسلام لأن الداعى إلى الإسلام هو محمد صلى الله عليه وسلم (يريدون ليطفؤا نور الله) ذكر فى براءة (تؤمنون بالله) الآية تفسير للتجارة المذكورة قال الأخفش هو عطف بيان عليها (يغفر لكم) جزم فى جواب تؤمنون لأنه بمعنى الأمر وقد قرأه ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الأمر لأنه يقتضى التحضيض (وأخرى تحبونها) ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره ولكم نعمة أخرى أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره ويمنحكم أخرى (نصر من الله) تفسير لأخرى فهو بدل منها (وبشر المؤمنين) قال الزمخشرى عطف على تؤمنون بالله لأنه فى معنى الأمر (كونوا أنصار الله) جمع ناصر وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج سماهم الله به وليس ذلك المراد هنا (كما قال عيسى ابن مريم) هذا التشبيه محمول على المعنى لأن ظاهره كونوا أنصار الله كقول عيسى والمعنى كونوا أنصار الله كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله وقد ذكر فى آل عمران معنى الحواريين وأنصارى إلى الله (فأصبحوا ظاهرين) قيل إنهم ظهروا بالحجة، وقيل إنهم غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام، وقيل إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة الجمعة

(القدوس) ذكر فى الحشر (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم،

هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ۝ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوٓا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ
لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِالظَّٰلِمِينَ ۝ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ

والأميين هم العرب ، وقد ذكر معنى الأمى فى الأعراف (وآخرين منهم) عطفا على الأميين وأراد بهؤلاء فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآخرون فأخذ يد سلمان الفارسى ، وقال لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء يعنى فارس ، وقيل هم الروم ومنهم على هذين القولين يريد به فى البشرية وفى الدين لا فى النسب وقيل هم أهل اليمن وقيل التابعون، وقيل هم سائر المسلمين والأول أرجح لوروده فى الحديث الصحيح (لما يلحقوا بهم) أى لم يلحقوا بهم لنفى وسيلحقون وذلك أن لما الذكر الماضى القريب من الحال (ذلك فضل الله) إشارة إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهداية الناس به (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها (ولم يحملوها) لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها ، شبههم الله بالحمار الذى يحمل الأسفار على ظهره ولم يدر ما فيها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) يعنى اليهود الذين كذبوا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها لأن التوراة تنطق بنبوته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة (فتمنوا الموت) ذكر فى البقرة (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) النداء للصلاة هو الأذان لها ومن فى قوله من يوم الجمعة لبيان إذا ، وتفسير له وذكر الله يراد به الخطبة والصلاة ، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل الأولى اختلف فى الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات أو واجب لظاهر الآية لأنه شرط فى السعى لها أن يكون عند الأذان والسعى واجب فالأذان واجب . الثانية كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جدار المسجد وقيل على باب المسجد وقيل كان بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا وبقى بقرطبة زمانا وهو باق فى المشرق إلى الآن قال أبو محمد بن الفرس قال مالك فى المجموعة إن هشام ابن عبد الملك هو الذى أحدث الأذان بين يديه قال وهذا دليل على أن الحديث فى ذلك ضعيف . الثالث كان الأذان للجمعة واحدا ثم زاد عثمان رضى الله عنه النداء على الزوراء ليسمع الناس واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة : الرابعة ، السعى فى الآية بمعنى المشى لا بمعنى الجرى وقرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله وهذا تفسير للسعى فهو بخلاف السعى فى قول رسول الله

ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا نودى للصلاة فلا تأتونها وأنتم تسعون . الخامسة ، حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذى فى الآية على الوجوب باتفاق إلا أنها لاتجب على المرأة ولاعلى الصبى ولاعلى المريض باتفاق ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور خلافا للظاهرية وتعلقوا بعموم الآية وحجة الجمهور قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم الجمعة واجبة على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبى أو مريض وحجتهم فى المسافر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لايقيم الجمعة فى السفر واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا ، وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا ، والمشهور أنها لاتسقط عنه لعموم الآية ، السادسة اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة فقيل إذا زالت الشمس ، وقيل إذا أذن المؤذن وهو ظاهر الآية ، السابعة اختلف فى الموضع الذى يجب منه السعى إلى الجمعة فقيل ثلاثة أميال وهو مذهب مالك وقيل ستة أميال وقيل تجب على من كان داخل المصر ، وقيل على من سمع النداء ، وقيل على من آواه الليل إلى أهله ، الثامنة اختلف فى الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا على قولين ، والمشهور سقوطه لأن الله لم يشترطه فى الآية (وذروا البيع) أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون فى الأذان وذلك على الوجوب فيقتضى تحريم البيع واختلف فى البيع الذى يعقد فى ذلك الوقت هل يفسخ أم لا واختلف فى بيع من لاتلزمهم الجمعة من النساء والعبد هل يجوز فى ذلك الوقت أم لا والأظهر جوازه لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة ويجرى النكاح فى ذلك الوقت مجرى البيع فى المنع (فانتشروا فى الأرض) هذا الأمر للإباحة باتفاق وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية وابن الفرس (وابتغوا من فضل الله) قيل معناه طلب المعاش فالأمر على هذا الإباحة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الفضل المبتغى عيادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة وقيل هو طلب العلم وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فأقبلت عير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبى وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورا بها فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ولم يبق معه إلا اثنى عشر رجلا قال جابر ابن عبد الله أنا أحدهم وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف فى الثانى عشرة فقيل عبد الله مسعود وقيل عمار بن ياسر وقيل إنما بقى معه صلى الله عليه وسلم ثمانية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهؤلاء لقد كانت الحجارة سومت فى السماء على المنفضين وظاهر الآية يقتضى أن الجماعة شرط فى الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور إلا أنهم اختلفوا فى مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة فقال مالك ليس فى ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون وقال الشافعى أربعون وقال أبو حنيفة ثلاثة مع الامام وقيل اثنى عشر عدد الذين بقوا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل : لم قال انفضوا إليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أراد انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشرى والآخر أنه

اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ،

سـورة المنافقون

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعـد الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن

قال ذلك تهما بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هى سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قاله ابن عطية (وتركوك قائما) اختلفوا فى القيام فى الخطبة هل هو واجب أم لا ، وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا ، فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام ومن لم يوجبه رأى أن مافعله النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك لم يكن على الوجوب ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين وقال أبو حنيفة لايجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس ، وحجة مالك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة) إن قيل لم قدم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب أن كل واحد من الموضعين جاء على ماينبغى فيه وذلك أن العرب تارة يبتدؤن بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك فلان يخون فى الكثير والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه وتارة يبتدؤن بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك فلان أمين ، على القليل والكثير فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه ولو عكست فى كل واحد من المثالين لم يكن حسنا فإنك لو قدمت فى الخيانة القليل لعلم أنه يخون فى الكثير من باب أولى وأحرى ولو قدمت فى الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين فى القليل من باب أولى وأحرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة وكذلك قوله إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها . قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذى هو دونها وقوله خير من اللهو ومن التجارة قدم اللهو ليبين أن ماعند الله خير من اللهو وأنه أيضا خير من التجارة التى هى أعظم منه ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن

سـورة المنافقون

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله (والله يعلم إن المنافقين لكاذبون) أى كذبوا فى دعواهم الشهادة بالرسالة ، وأما قوله والله يعلم إنك لرسوله فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى ، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون إبطال للرسالة ، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة وعلى هذا ينبغى أن يوقف على قوله لرسول الله (جنة) ذكر فى المجادلة (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم ، وأما قوله آمنوا ثم كفروا فيحتمل وجهين : احدهما أن يكون

يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝
سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ هُمُ الَّذِينَ
يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

فيمن آمن منهم إيماناً صحيحا ثم نافق بعد ذلك ، والآخر أن يريد آمنوا فى الظاهر كقوله ، واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) يعنى أنهم حسان الصور (وإن يقولوا تسمع لقولهم) يعنى أنهم فصحاء الخطاب والضمير فى قوله وإذا رأيتهم تعجبك وفى قوله تسمع لقولهم للنبى صلى الله عليه وسلم ولكل مخاطب (كأنهم خشب مسندة) شبههم بالخشب فى قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر وقال الزمخشرى إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعه بخلاف الخشب التى فى سقف أو مغروسة فى جدار فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا فى عدم المنفعة ، وقيل كانوا يستندون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فشبههم فى استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط (يحسبون كل صيحة عليهم) عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بقتلهم (قاتلهم الله) الدعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) أى أمالوها إعراضا واستكبارا وقصص هذه الآية ومابعدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى غزوة بنى المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه فكان ممن ازدحم عليه جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين فلطم الجهجاه سنان فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا جهجاه بالمهاجرين فقال عبد الله بن أبىّ والله مامثلنا ومثل هؤلاء يعنى المهاجرين إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ثم قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه وأتباعه ويعنى بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، ثم قال لقومه إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم ، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبدالله بن أبى ابن سلول فحلف أنه ماقال من ذلك شيئا وكذب زيدا فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زيد وقال لقد صدقك الله يازيد فحزى عبد الله بن أبى ابن سلول ومقته الناس ، فقيل له امض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأى وقال أمرتونى بالإسلام فأسلمت وأمرتونى بأداء زكاة مالى ففعلت ولم يبق لكم إلا أن تأمرونى أن أسجد لمحمد ثم مات عبد الله بن أبىّ بعد ذلك بقليل وأسندت هذه الأقوال التى قالها عبدالله بن أبىّ إلى ضمير الجماعة لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) روى أنه لما نزلت إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأزيدن على السبعين فلما فعل عبدالله بن أبىّ وأصحابه مافعلوا شدد الله عليهم فى هذه السورة وأخبر أنه لايغفر لهم بوجه وفى هذا نظر ، لأن هذه السورة نزلت

لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

سورة التغابن

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

فى غزوة بنى المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا تشغلكم وذكر الله هنا على العموم فى الصلاة والدعاء والعبادة ، وقيل يعنى الصلاة المكتوبة والعموم أولى (وأنفقوا مما رزقناكم) عموم فى الزكاة وصدقة التطوع والنفقة فى الجهاد وغير ذلك ، وقيل يعنى الزكاة المفروضة والعموم أولى (وأكن من الصالحين) بالجزم عطف على موضع جواب الشرط ، وقرأ أبو عمرو فأكون بالنصب عطف على فأصدق

سورة التغابن

(هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) فى تأويل الآية وجهان : أحدهما الذى خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به لكن منكم من كفر ومنكم من آمن فالكفر والإيمان على هذا هو من اكتساب العبد والآخر أن المعنى هو الذى خلقكم على صنفين فمنكم من خلقه مؤمنا ومنكم من خلقه كافرا فالإيمان والكفر على هذا هو ماقضى الله على كل واحد ، والأول أظهر ، لأنه عطفه على خلقكم بالفاء يقتضى أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا فى أصل الخلقة (خلق السموات والأرض بالحق) ذكر معناه فى مواضع (وصوركم فأحسن صوركم) تعديد نعمة فى حسن خلقة بنى آدم لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر فلا يخرجه ذلك عن حسن الصورة الإنسانية وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس وقيل يعنى العقل والإدراك الذى خص به الإنسان والأول أرجح لأن الصورة إنما تطلق على الشكل (ألم يأتكم) خطاب لقريش وسائر الكفار

أَلِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ * زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞
فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ
وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞
مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ۞ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞
يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا

(فقالوا أبشر يهدوننا) معناه أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرا أو تكبروا عن اتباع بشر والبشر يقع على الواحد والجماعة (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) قال عبدالله بن عمر زعم كناية عن كذب (يوم يجمعكم) العامل فى يوم لتنبؤن أو محذوف تقديره اذكر ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ذلك يوم التغابن يعنى يوم القيامة والتغابن مستعار من تغابن الناس فى التجارة وذلك إذا فاز السعداء بالجنة فكأنهم غبنوا الأشقياء فى منازلهم التى كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء فالتغابن على هذا بمعنى الغبن وليس على المتعارف فى صيغة تفاعل من كونه بين اثنين كقولك تضارب وتقاتل إنما هى فعل واحد كقولك تواضع قال ابن عطية وقال الزمخشرى يعنى نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء والتغابن على هذا بين اثنين قال وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم فى جهنم ليس فى الحقيقة بغبن للسعداء (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) يحتمل أن يريد بالمصيبة الرزايا وخصها بالذكر لأنها أهم على الناس أو يريد جميع الحوادث من خير أو شر وبإذن الله عبارة عن قضائه وإرادته تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قيل معناه من يؤمن بأن كل شىء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله وهذا أحسن إلا أن العموم أحسن منه (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) سببها أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة فحذرهم الله من طاعتهم فى ذلك وقيل نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرق لهم ورجع ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله وإن تعفوا وتصفحوا الآية ولفظ الآية مع ذلك على عمومه فى التحذير ممن يكون للإنسان عدوا من أهله وأولاده سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا (والله عنده أجر عظيم) ترغيب فى الآخرة وتزهيد فى الأموال والأولاد التى فتن الناس بها (فاتقوا الله ما استطعتم) قيل إن هذا ناسخ لقوله اتقوا الله

وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

سورة الطلاق

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ

حق تقاته وروى أنه لما نزل حق تقاته شق ذلك على الناس حتى نزل مااستطعتم وقيل لانسخ بينهما لأن حق تقاته معناه فيما استطعتم إذ لايمكن أن يفعل أحد إلا مايستطيع وهذه الآية على هذا مبينة لتلك وتحرز بالاستطاعة من الاكراه والنسيان ومالا يؤاخذ به العبد وإعراب مافى قوله مااستطعتم ظرفية (خيرا لأنفسكم) منصوب بإضمار فعل لايظهر عند سيبويه وقيل هو مفعول بأنفقوا لأن الخير بمعنى المال وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره أنفقوا إنفاقا خيرا لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه) ذكر فى الحشر (إن تقرضوا) ذكر فى البقرة (والله شكور حكيم) ذكر فى اللغات

سورة الطلاق

(يأيها النبي إذا طلقتم النساء) إن قيل لم نودى النبي صلى الله عليه وسلم وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة ؟ فالجواب : أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته ، قيل إذا طلقتم خطاباً له ولهم وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنداء تعظيما له ، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا أى افعل أنت وقومك ، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لأمته ، فكأنه قال يأيها النبي إذا طلقت أنت وأمتك وقيل تقديره يأيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم وهذا ضعيف لأنه يقتضى أن هذا الحكم مختص بأمته دونه ، وقيل إنه خوطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطلقتم تعظيما له ، كما تقول للرجل المعظم أنتم فعلتم ، وهذا أيضا ضعيف ، لأنه يقتضى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته ، ومعنى إذا طلقتم هنا إذا أردتم الطلاق ، واختلف فى الطلاق هل هو مباح أو مكروه ، فأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع ولكن يلزم ، وأما اليمين بالطلاق فممنوع (فطلقوهن لعدتهن) تقديره طلقوهن مستقبلات لعدتهن ، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبى بن كعب فطلقوهن فى قبل عدتهن وقرأ ابن عمر لقبل عدتهن ورويت القراءتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك كله لايطلقها وهى حائض ، فهو منهى عنه بإجماع لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه فى الحال التى أمر الله بها وهو استقبال العدة ، واختلف فى النهى عن الطلاق فى الحيض هل هو معلل بتطويل العدة ، أو هو تعبد ، والصحيح أنه معلل بذلك ، وينبنى على هذا الخلاف فروع منها : هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا ؟ ومنها هل يجوز طلاقها فى الحيض وهى حامل أم لا ؟ ومنها هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهى حائض أم لا ؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضى جواز هذه الفروع ، والتعبد يقتضى المنع ، ومن طلق فى الحيض لزمه الطلاق ، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإجبار عند مالك

رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ

وبدون إجبار عند الشافعى حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك ، حسبما ورد فى حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك واشترط مالك أن يطلقها فى طهر لم يمسها فيه ليعتد بذلك الطهر فإنه إن طلقها فى طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدرى هل تعتد بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقا لعدتها كما أمر الله (وأحصوا العدة) أمر بذلك لما ينبنى عليها من الأحكام فى الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذى طلقها فيه ونهاها هى أن تخرج باختيارها ، فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف ، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة ، فإن كان المسكن ملكا للزوج ، أو مكترى عنده ، لزمه إسكانها فيه ، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففى لزوم خروج العدة له قولان فى المذهب والصحيح لزومه لأن الامتناع قد انقطع بالطلاق (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) اختلف فى هذه الفاحشة التى أباحت خروج المعتدة ما هى ؟ على خمسة أقوال الأول أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبى . الثانى أنه سوء الكلام مع الأصهار فتخرج ويسقط حقها من السكنى ، ويلزمها الإقامة فى مسكن تتخذه حفظا للنسب ، قاله ابن عباس ويؤيده قراءة أبى بن كعب ، إلا أن يفحشن عليكم . الثالث أنه جميع المعاصى من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك ، فمتى فعلت شيئا من ذلك سقط حقها فى السكنى ، قاله ابن عباس أيضا وإليه مال الطبرى الرابع أنه الخروج عن بيتها خروج . انتقال فمتى فعلت ذلك سقط حقها فى السكنى قاله ابن الفرس : وإلى هذا ذهب مالك فى المرأة إذا نشزت فى العدة ، الخامس أنه النشوز قبل الطلاق ، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتادة (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) المراد به الرجعة عند الجمهور أى أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم ، وقيل إن سبب الرجعة المذكورة فى الآية تطليق النبى صلى الله عليه وسلم لحفصة بنت عمر فأمره الله بمراجعتها (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) يريد آخر العدة والإمساك بمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة ، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط ونحو ذلك (وأشهدوا ذوى عدل منكم) هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور ، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين فى المذهب وقال ابن عباس هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة ، وهذا أظهر لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع ولا فرق فى هذا بين الرجعة والطلاق ، وقد ذكرنا العدالة فى البقرة وقوله ذوى عدل يدل على أنه إنما يشهد فى الطلاق والنكاح الرجال دون النساء وهو مذهب مالك خلافا لمن أجاز شهادة النساء فى ذلك وقوله منكم يريد من المسلمين وقيل من الأحرار فيؤخذ من ذلك رد

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا * وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ

شهادة العبيد ، وهو مذهب مالك (وأقيموا الشهادة لله) هذا خطاب للشهود وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد بها القيام فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد وهو فرض كفاية ، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولاغرض ، وبهذا فسره الزمخشرى وهو أظهر لقوله لله وهو كقوله « كونوا قوامين بالقسط » شهداء لله (ذلكم) إشارة إلى ماتقدم من الأحكام (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل إنها فى الطلاق ومعناها من يتق الله فيطلق طلقة واحدة ، حسبما تقتضيه السنة ، يجعل له مخرجا بجواز الرجعة متى قدم على الطلاق وفى هذا المعنى روى عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثا إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك ولا أرى لك مخرجا أى لارجعة لك وقيل إنها على العموم أى من يتق الله فى أقواله وأفعاله يجعل له مخرجا من كرب الدنيا والآخرة ، وقد روى هذا أيضا عن ابن عباس وهذا أرجح لخمسة أوجه أحدها حمل اللفظ على عمومه فيدخل فى ذلك الطلاق وغيره ، الثانى أنه روى أنها نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بالتقوى فلم يلبث إلا يسيرا وانطلق ولده ووسع الله رزقه ، والثالث أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة والرابع روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم « ومن يتق الله يجعل له مخرجا» الآية : فما زال يقرؤها ويعيدها الخامس قوله ويرزقه من حيث لايحتسب ، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم قال بعض العلماء الرزق على نوعين رزق مضمون لكل حى طول عمره وهو الغذاء الذى تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله ، ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ورزق موعود المتقين خاصة ، وهو المذكور فى هذه الآية (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه بحيث لايحتاج معه إلى غيره وقد تكلمنا على التوكل فى آل عمران (إن الله بالغ أمره) أى يبلغ مايريد ولا يعجزه شىء ، هذا حض على التوكل وتأكيد له ، لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه (قد جعل الله لكل شىء قدرا) أى مقدارا معلوما ووقتا محدودا (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) روى أنه لما نزل قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قالوا يارسول الله فما عدة من لاقرء لها من صغر أو كبر فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لاتحيض فعدتها ثلاثة أشهر فقوله اللائى يئسن من المحيض : يعنى التى انقطعت حيضتها لكبر سنها وقوله (واللائى لم يحضن) يعنى الصغيرة التى لم تبلغ المحيض وهو معطوف على اللائى يئسن أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره واللائى لم يحضن كذلك وقوله (إن ارتبتم) هو من الريب بمعنى الشك وفى معناه قولان أحدهما إن ارتبتم فى حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والآخر إن ارتبتم فى حيضها هل انقطع أو لم ينقطع فهى على التأويل الأول فى التى انقطعت حيضتها لكبر سنها حسبما ذكرنا وهو الصحيح وهى

أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا * أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ

على التأويل الثانى فى المرتابة وهى التى غابت عنها الحيضة وهى فى سن من تحيض وقد اختلف العلماء فى عدتها على ثلاثة أقوال أحدها أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل ، والآخر أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه والثالث أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لاتحيض وهو مذهب الشافعى وأبى حنيفة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) هذه الآية عند مالك والشافعى وأبى حنيفة وسائر العلماء عامة فى المطلقات والمتوفى عنهن فمتى كانت إحداهن حاملا فعدتها وضع حملها وقال على بن أبى طالب وابن عباس إنما هذه الآية فى المطلقات الحوامل فهن اللاتى عدتهن وضع حملهن وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فعدتها عندهما أبعد الأجلين إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرا فحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت زوجا لسعد بن خولة فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حبلى فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها انكحى من شئت وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ عليا رضى الله عنه لرجع إليه وقال عبد الله بن مسعود إن هذه الآية التى نزلت فى سورة النساء القصرى يعنى سورة الطلاق نزلت بعد الآية التى فى البقرة «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» فهى مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء (أسكنوهن من حيث سكنتم) أمر الله بإسكان المطلقة طول العدة فأما المطلقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق ، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال. أحدها أنها يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعى ، والثانى يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبى حنيفة ، والثالث أنها ليس لها سكنى ولا نفقة ، فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس وهو أن زوجها طلقها البتة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك عليه نفقة ، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة ، وحجة من أوجب لها السكنى : قول عمر بن الخطاب : لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لها السكنى والنفقة ، وحجة من لايجعل لها لا سكنى ولا نفقة أن فى بعض الروايات عنها أنها قالت لم يجعل لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفقة ولا سكنى ، وقوله (من حيث سكنتم) معناه : أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم فمن للتبعيض ، ويفسر ذلك قول قتادة لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها فى بعض جوانبه (من وجدكم) الوجد هو الطاقة والسعة فى المال فالمعنى أسكنوهن مسكنا مما تقدرون عليه ، وإعرابه عطف بيان لقوله حيث سكنتم ويجوز فى الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها وهو بمعنى واحد ، والضم أكثر وأشهر (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) اتفق العلماء على وجوب النفقة فى العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا واتفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة فى العدة إذا كان الطلاق رجعيا فإن كان بائنا فاختلفوا فى نفقتها حسبما ذكرناه وأما

أُخْرَىٰ ۝ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۞ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۞ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ

المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هى فى المطلقات وقال قوم لها النفقة فى التركة (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) المعنى إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع وهى النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر فى كتب الفقه (وائتمروا بينكم بمعروف) هذا خطاب للرجال والنساء والمعنى أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان وقيل معنى ائتمروا تشاوروا ومنه إن الملأ يأتمرون بك (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) المعنى إن تشططت الأم على الأب فى أجرة الرضاع وطلبت منه كثيرا فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدى أمه فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج (لينفق ذو سعة من سعته) أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلف الزوج مالا يطيق ولا تضيع الزوجة بل يكون الحال معتدلا وفى الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس وهو مذهب مالك خلافا لأبى حنيفة فإنه اعتبر الكفاية ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعى أنها تطلق عليه خلافا لأبى حنيفة وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففى التطليق عليه قولان فى المذهب (فحاسبناها حسابا شديدا) أى حاسبنا أهلها قيل يعنى الحساب فى الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده وقيل يعنى فى الدنيا وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك فى قوله ، أعد الله لهم عذابا شديدا ، أولأن قوله حاسبناها وعذبناها بلفظ الماضى فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع فمعنى حاسبناها أى آخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها والعذاب هو عقابهم فى الدنيا والنكر هو الشديد الذى لم يعهد مثله (قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا) الذكر هنا هو القرآن والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم وإعراب رسولا مفعول بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا وهذا الذى اختاره ابن عطية وهو أظهر الأقوال وقيل إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن والرسول على هذا بمعنى الرسالة وقيل إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره ذكر آ ذا رسول وقيل رسولا مفعول بالمصدر الذى هو الذكر وقال الزمخشرى الرسول هو جبريل بدل من الذكر لأنه نزل به أو سمى ذكرا لكثرة ذكره لله وهذا كله بعيد (ومن الأرض مثلهن) لا خلاف أن السموات سبع وأما الأرض فاختلف فيها فقيل إنها سبع أرضين لظاهر هذه الآية ولقوله صلى الله عليه وسلم من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين وقيل إنما هى واحدة فقوله مثلهن على القول الأول يعنى به المماثلة فى العدد وعلى القول الثانى يعنى به المماثلة فى

الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝

سورة التحريم

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ

عظم الجرم وكثرة العار وغير ذلك والأول أرجح (يتنزل الأمر بينهن) يحتمل أن يريد بالأمر الوحى أو أحكام الله وتقديره لخلقه

سورة التحريم

(ياأيها النبى لم تحرم ماأحل الله لك) فى سبب نزولها روايتان أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوما إلى بيت زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرت لزيارة أبيها فبعث إلى جاريته مارية فجا معها فى البيت فجاءت حفصة فقالت يا رسول الله ما كان فى نسائك أهون عليك منى أتفعل هذا فى بيتى وعلى فراشى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مترضيا لها أيرضيك أن أحرمها قالت نعم فقال إنى قد حرمتها ، والرواية الأخرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا ؛ فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها أكلت مغافير والمغافير صمغ العرفط وهو حلو كريه الريح ففعلن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكنى شربت عسلا ، فقلن له جرست نحلة العرفط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أشربه أبدا وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة فدخل بعد ذلك على زينب فقالت ألا أسقيك من ذلك : فقال لاحاجة لى به ، فنزلت الآية عتابا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل ، والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس فى فقه السورة ، وقد خرج الرواية الثانية البخارى وغيره ولنتكلم على فقه التحريم ، فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ماعدا النساء ، فلا يلزم ولاشىء عليه عند مالك ، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة ، وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم وإن لم ينو به ذلك لم يلزم وكان حكمه ماذكرنا فى الطعام وأما تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم إنما يلزم فيه كفارة يمين وقال مالك فى المشهور عنه ثلاث تطليقات فى المدخول بها وينوى فى غير المدخول بها فيحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث ، وقال ابن الماجشون هى ثلاث فى الوجهين وروى عن مالك أنها طلقة بائنة ، وقيل طلقة رجعية (تبتغى مرضات أزواجك) أى تطلب رضا أزواجك بتحريم ماأحل الله لك يعنى تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة ، وهذا يدل على أنها نزلت فى تحريم الجارية وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته (والله غفور رحيم) فى هذا إشارة إلى أن الله غفر له ماعاتبه عليه من التحريم على أن عتابه فى ذلك إنما كان كرامة له وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه السلام على نفسه وامتناعه مما كان له فيه أرب وبئس ماقال الزمخشرى فى أن هذا كان منه زلة لأنه حرم ماأحل

حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ

الله وذلك قلة أدب على منصب النبوة (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) التحلة هى الكفارة وأحال تعالى هنا على ماذكر فى سورة المائدة من صفتها واختلف فى المرادبها هنا فأماعلى قول من قال إن الآية نزلت فى تحريم الجارية فاختلف فى ذلك فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدل بها ومن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفارة هنا إنما هى لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلف وقال والله لاأطؤها أبدا وأما على القول بأن الآية نزلت فى تحريم العسل فاختلف أيضافمن أوجب فى تحريم الطعام كفارة قال هذه الكفارة للتحريم ومن قال لا كفارة فيه قال إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه وقيل هى فى يمينه عليه السلام أن لا يدخل على نسائه شهرا (والله مولاكم) يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا) اختلف فى هذا الحديث على ثلاثة أقوال أحدهاأنه تحريم الجارية فإنه لماحرمهاقال لحفصة لاتخبرى بذلك أحدا والآخر أنه قال إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده والثالث أنه قوله شربت عسلا والأول أشهر وبعض أزواجه حفصة (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه (وأعرض عن بعض) كانت حفصة قدأخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم الجارية فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك فعاقب حفصة على إفشائها لسره فطلقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها وقيل لم يطلقها فقوله فلما نبأت به حذف المفعول وهو عائشة وقوله وأظهره الله عليه أى أطلعه على إخبارها به وقوله عرف بعضه أى عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير فى العتاب وقرئ عرف بالتخفيف من المعرفة (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) أى لما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بأنها قد أفشت سره ظنت بأن عائشة هى التى أخبرته فقالت له من أنبأك هذا فلما أخبرها أن الله هو الذى أنبأه سكتت وسلمت (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) هذا خطاب لعائشة وحفصة وتوبتهما مما جرى منهما فى قصة تحريم الجارية أو العسل ومعنى صغت أى مالت عن الصواب وقرأ ابن مسعود زاغت والمعنى إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما مايوجب التوبة (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه) المعنى إن تعاونتما عليه صلى الله عليه وسلم بمايسوؤه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ماعطف عليه ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولى الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ماقبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره وهذا أظهر وأرجح لوجهين : أحدهما أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم وتشريفاً له ، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبى صلى الله عليه وسلم مع غيره ، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس فى ذلك إظهار مزية له ، الوجه الثانى أنه ورد فى الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك ، فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله يقتضى معك النصرة (وصالح المؤمنين) اختلف فى صالح هل هو مفرد أو جمع محذوف النون

وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

للإضافة فعلى القول بأنه مفرد هو أبوبكر ، وقيل على بن أبى طالب ، وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم فى كل صالح (عسى ربه إن طلقكن) الآية ، نصرة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وروى أن عمر قال ذلك ونزل القرآن بموافقته ولقد قال عمر حينئذ للنبى صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله لئن أمرتنى بضرب عنق حفصة لضربت عنقها ، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت ، والسائحات معناه الصائمات قاله ابن عباس وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل معناه مهاجرات وقيل ذاهبات إلى الله لأن أصل السياحة الذهاب فى الأرض وقوله ثيبات وأبكارا ، قال بعضهم المراد بالأبكار هنا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فإن الله يزوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم إياهما فى الجنة وهذا يفتقر إلى نقل صحيح ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان ، وقال الكوفيون هى واو الثمانية وذلك ضعيف (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أى أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة (وقودها) ذكر فى البقرة (ملائكة غلاظ شداد) يعنى زبانية النار وغلظهم وشدتهم يحتمل أن يريد فى أجرامهم وفى قساوة قلوبهم (ويفعلون مايؤمرون) قيل إن هذا تأكيد لقوله لا يعصون الله ، وقيل إن معنى لا يعصون امتثال الأمر ، ومعنى يفعلون مايؤمرون جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس (لا تعتذروا اليوم) يعنى يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله للكفار أو خطاب من الملائكة (توبة نصوحا) قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هى أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبداً ولا تريد أن تعود وقيل معناه توبة خالصة فهو من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ، وقيل هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا قال الزمخشرى وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازى والنصح فى الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم وقد تكلمنا على التوبة فى قوله وتوبوا إلى الله جميعا: فى النور (يوم لا يخزى الله النبى) العامل فى يوم يحتمل أن يكون ماقبله أو مابعده أو محذوف تقديره اذكر ، والوقف والابتداء يختلف على ذلك (والذين آمنوا) يحتمل أن يكون معطوفا على النبى أو مبتدأ وخبره بعده (نورهم يسعى) ذكر فى الحديد (جاهد الكفار والمنافقين)

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ۞

سورة الملك

مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

ذكر فى براءة (امرأة نوح وامرأة لوط) قيل اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والعة ، وهذا يفتقر إلى صحة نقل (فخانتاهما) قال ابن عباس خيانة امرأة نوح فى أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذاقدموا عليه ، وكانتا معذلك كافرتين ، وقيل خانتا بالزنا ، وأنكر ابن عباس ذلك وقال مازنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص ، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول لايغنى أحدعن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما وقيل هذا مثال لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فيما ذكر فى أول السورة وهذا باطل لأن الله إنما ضربه للذين كفروا . وامرأة فرعون اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها ، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها ، وروى فى قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح (من فرعون وعمله) تعنى كفره وظلمه ، وقيل مضاجعته لها وهذا ضعيف (أحصنت فرجها) يعنى الفرج الذى هو الجارحة وإحصانهاله هو صيانتها وعفتهاعن كل مكروه (فنفخنا فيهمن روحنا) عبارة عن نفخ جبريل فى فرجها ، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه ، وفى ذلك تشريف له (وصدقت بكلمات ربها وكتابه) كلمات ربها يحتمل أن يريد بها الكتب التى أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم ، وكتابه بالإفراد يحتمل أن يريدبه التوراة أوالإنجيل أوجنس الكتب وقرئ بالجمع يعنى جميع كتب الله (من القانتين) أى من العابدين ، فإن قيل : لم قال من القانتين بجمع المذكر وهى أنثى ؟ فالجواب : أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب الذكور

سورة الملك

ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه وأنه عليه الصلاة والسلام قال إنها تنجى من عذاب القبر (تبارك) فعل مشتق من البركة ، وقيل معناه تعاظم وهو مختص بالله تعالى ولم ينطق له بمضارع (بيده الملك) يعنى ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة ، وقيل يعنى ملك الملوك فى الدنيا فهو كقوله مالك الملك والأول أعم وأعظم (خلق الموت والحياة) يعنى موت

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ

الخلق وحياتهم، وقيل الموت الدنيا لأن أهلها يموتون ، والحياة الآخرة لأنها باقية فهو كقوله «وإن الدار الآخرة لهى الحيوان» وهو على هذا وصف بالمصدر والأول أظهر (ليبلوكم) أى ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه والمعنى ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم (أيكم أحسن عملا) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقال أيكم أحسن عملا وأشدكم لله خوفا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله (سبع سموات طباقا) أى بعضها فوق بعض ، والطباق مصدر وصفت به السموات أو على حذف مضاف تقديره ذوات طباق وقيل إنه جمع طبقة (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) أى من قلة تناسب وخروج عن الإتقان ، والمعنى أن خلقة السموات فى غاية الإتقان وقيل أراد خلقة جميع المخلوقات ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لورودها بعد قوله خلق سبع سموات طباقا فبان قوله ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت بيان وتكميل ماقبله والخطاب فى قوله ماترى وارجع البصر وما بعده للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب ليعتبر (فارجع البصر هل ترى من فطور) الفطور الشقوق جمع فطر ، وهو الشق وإرجاع البصر ترديده فى النظر ، ومعنى الآية الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هى ملتئمة مستوية (ثم ارجع البصر كرتين) أى انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقق ، وقال الزمخشرى معنى التثنية فى كرتين التكثير لا مرتين خاصة ، كقولهم لبيك فإن معناه إجابات كثيرة (ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) الخاسئ هو المبعد عن الشىء الذى طلبه ، والحسير هو الكليل الذى أدركه التعب فمعنى الآية أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خللا لارجع بصرك ولم ترشيئا من ذلك فكأنه خاسئ لأنه لم يحصل له ماطلب من رؤية الشقاق والخلل وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) السماء الدنيا هى القريبة منا ، والمصابيح يراد بها النجوم فإن كانت النجوم كلها فى السماء الدنيا فلا إشكال ، وإن كانت فى غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا ، لأنها ظاهرة فيها لنا ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التى فيها دون التى فى غيرها على أن القول بموضع الكواكب وفى أى سماء هى لم يرد فى الشريعة (وجعلناها رجوما للشياطين) أى جعلنا منها رجوما ، لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين فهو كقولك أكرمت بنى فلان إذا أكرمت بعضهم والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به ، قال الزمخشرى معنى كون النجوم رجوما للشياطين والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لا أن الراجمة هى الكواكب أنفسها لأنها ثابتة فى الفلك قال قتادة خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة السماء ورجوم الشياطين ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر (وأعتدنا لهم عذاب السعير) يعنى للشياطين (سمعوا لها شهيقا) الشهيق أقبح مايكون

فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ۝ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم
إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ۝ فاعترفوا بذنبهم فسحقا
لأصحاب السعير ۝ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ۝ وأسروا قولكم أو اجهروا به
إنه عليم بذات الصدور ۝ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ۝ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا
فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ۝ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا
هي تمور ۝ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ۝ ولقد كذب الذين
من قبلهم فكيف كان نكير ۝ أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن

من صوت الحمار ويعنى به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها أو شهيق أهلها ، والأول أظهر (وهي تفور) أي تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها (تكاد تميز من الغيظ) أي تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض لشدة غيظها على الكفار ، فيحتمل أن تكون هي المغتاظة بنفسها ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية والأول أظهر لأن حال الزبانية يذكر بعد هذا وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها أو يكون عبارة عن شدتها (كلما ألقي فيها فوج) أي كلما ألقي في جهنم جماعة من الكفار سألهم الزبانية هل جاءكم من نذير أي رسول وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم ، ولذلك اعترفوا فقالوا بلى قد جاءنا نذير ، وقوله كلما يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى في النار (إن أنتم إلا في ضلال كبير) يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار أو من قول الكفار للرسل في الدنيا (وقالوا) الضمير للكفار أي لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) اعترافهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد به تكذيب الرسل (فسحقا لأصحاب السعير) انتصب فسحقا بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم (بالغيب) فيه قولان أحدهما أن معناه وهم غائبون عن الناس ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص والآخر أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن في قوله يؤمنون بالغيب (وأسروا قولكم أو اجهروا به) المعنى سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر (ألا يعلم من خلق) هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء لأن الخالق يعلم مخلوقاته ويحتمل أن يكون من خلق فاعلا يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره ألا يعلم الخالق خلقه أو يكون من خلق مفعولا والفاعل مضمر تقديره ألا يعلم الله من خلق والأول أرجح لأن من خلق إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل (الأرض ذلولا) فعول هنا بمعنى مفعول أي مذللة فهي كركوب وحلوب (فامشوا في مناكبها) قال ابن عباس هي الجبال وقيل الجوانب والنواحي وقيل الطرق والمعنى تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها بالدواب (وإليه النشور) يعني البعث يوم القيامة (أأمنتم) الآية مقصودها التهديد والتخويف للكفار وكذلك الآية التي بعدها (تمور) ذكر في الطور (حاصبا) يحتمل أن يريد حجارة أو ريحا شديدة (نذير) بمعنى الإنذار وكذلك النكير بمعنى الإنكار (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات) تنبيه

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۞ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ۞

على الاعتبار بطيران الطيور فى الهواء من غير شىء يمسكها وصافات جمع صافة وهى التى تبسط جناحها للطيران والقبض ضم الجناحين إلى الجنب وعطف يقبض على صافات لأن الفعل فى معنى الاسم تقديره قابضات فإن قيل لم لم يقل قابضات على طريقة صافات فالجواب أن بسط الجناحين هو الأصل فى الطيران كما أن مد الأطراف هو الأصل فى السباحة فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته ، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلا للاستراحة والاستعانة فذكر بلفظ الفعل لقلته (أمن هذا الذى هو جند لكم) خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم ودخلت أم التى يراد بها الإنكار على من أدغمت فيها وكذلك أمن هذا الذى يرزقكم والضمير فى أمسك لله أى من يرزقكم إن منع الله رزقه ، (بل لجوا) أى تمادوا فى العتو والنفور عن الإيمان (أفمن يمشى مكبا على وجهه) الآية توقيف على الحالتين ، أيهما أهدى والمراد بها توبيخ الكفار ، وفى معناها قولان : أحدهما أن المشى هنا استعارة فى سلوك طريق الهدى والضلال فى الدنيا ، والآخر أنه حقيقة فى المشى فى الآخرة لأن الكافر يحمل على المشى إلى جهنم على وجهه فأما على القول الأول فقيل إن الذى يمشى مكبا أبو جهل والذى يمشى سويا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل حمزة وقيل هى على العموم فى كل مؤمن وكافر ، وقد تمشى هذه الأقوال أيضا على الثانى ، والمكب هو الذى يقع على وجهه يقال أكب الرجل وكبه غيره فالمعدى دون همزة والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال (ويقولون متى هذا الوعد) الضمير للكفار والوعد يراد به البعث أو عذابهم فى الدنيا (فلما رأوه) ضمير الفاعل للكفار وضمير المفعول للعذاب الذى يتضمنه الوعد (زلفة) أى قريبا وقيل عيانا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ظهر فيها السوء لما حل بها (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تطلبون وتستعجلون به والقائلون لذلك الملائكة أو يقال لهم بلسان الحال (قل أرأيتم إن أهلكنى الله) الآية سببها أن الكفار كانوا يتمنون هلاك النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين فأمره الله أن يقول لهم إن أهلكنى الله وأهلك من معى أو رحمنا فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال والهلاك هنا يحتمل أن يراد به الموت أو غيره ومعنى من يجير الكافرين من عذاب أليم : من يمنعهم من العذاب (قل أرأيتم إن أصبح

سـورة القلم

مكية إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ

ماؤكم غورا) الآية احتجاج على المشركين والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غاير أى ذاهب فى الأرض والمعين الكثير واختلف هل وزنه فعيل أو مفعول فالمعنى إن غار ماؤكم الذى تشربون هل يأتيكم غير الله بماء معين

سـورة القلم

(ن) حرف من حروف الهجاء وقد تقدم الكلام عليها فى البقرة ويختص ن بأنه قيل إنه حرف من الرحمن فإن حروف الرحمن ألف ولام وراء وحاء وميم ون وقيل إن نون هنا يراد به الحوت وزعموا أنه الحوت الأعظم الذى عليه الأرضون السبعة وهذا لا يصح على أن نون بمعنى الحوت معروف فى اللغة ومنه ذو النون وقيل إن نون هنا يراد به الدواة وهذا غير معروف فى اللغة ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض ولكان فى آخره تنوين فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء نحو ألم وغيره من حروف الهجاء الموقوفة (والقلم وما يسطرون) اختلف فيه على قولين أحدهما أنه القلم الذى كتب به اللوح المحفوظ فالضمير فى يسطرون للملائكة والآخر أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم والضمير فى يسطرون على هذا لبنى آدم (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم وهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم معناه نفى نسبة الكفار له من الجنون وبنعمة ربك اعتراض بين ما وخبرها كما تقول أنت بحول الله أفضل والمجرور فى موضع الحال وقال الزمخشرى إن العامل فيه بمجنون (غير ممنون) ذكر فى فصلت (وإنك لعلى خلق عظيم) هذا ثناء على خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تعنى التأدب بآدابه وامتثال أوامره وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع وذلك رأس الخلق وتفصيل ذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة ، فمن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم وكثرة العلم وشدة الحياء وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك حسبما ورد فى أخباره وسيره صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وقال الجنيد سمى خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله عز وجل (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) قيل إن المفتون هنا بمعنى المجنون ويحتمل غير ذلك من معانى الفتنة والخطاب فى قوله فستبصر للنبى صلى الله عليه وسلم وفى قوله ويبصرون لكفار قريش واختلف فى الباء التى فى قوله بأيكم على أربعة أقوال الأول أنها زائدة ، الثانى أنها غير زائدة والمعنى بأيكم الفتنة فأوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم ماله معقول أى عقل ، الثالث أن الباء بمعنى فى والمعنى فى أى

عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ
مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ۞ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا

فريق منكم المفتون واستحسن ابن عطية هذا ، الرابع أن المعنى بأيكم فتنة المفتون ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه (ودّوا لو تدهن فيدهنون) المداهنة هى الملاينة والمداراة فيما لا ينبغى ، وروى أن الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية ولم ينتصب فيدهنون فى جواب التمنى بل رفعه بالعطف على تدهن قاله ابن عطية وقال الزمخشرى هو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهم يدهنون (حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) هو الضعيف الرأى والعقل قال ابن عطية هو من مهن إذا ضعف فالميم فاء الفعل ، وقال الزمخشرى هو من المهانة وهى الذلة والحقارة وقال ابن عباس المهين الكذاب (همّاز) هو الذى يعيب الناس (مشاء بنميم) أى كثير المشى بالنميمة يقال نميم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة نمام (مناع للخير) أى شحيح لأن الخير هنا هو المال وقيل معناه مناع من الخير أى يمنع الناس من الإسلام ، والعمل الصالح (معتد) هو من العدوان وهو الظلم (أثيم) من الإثم وهو ارتكاب المحرمات (عتل) أى غليظ الجسم قاسى القلب بعيد الفهم كثير الجهل (زنيم) أى ولد زنا ؛ وقيل هو الذى فى عنقه زنمة كزنمة الشاة التى تعلق فى حلقها ، وقيل معناه مريب قبيح الأفعال وقيل ظلوم ، وقيل لئيم وقوله بعد ذلك أى بعد ما ذكرنا من عيوبه ، فهذا الترتيب فى الوصف لا فى الزمان واختلف فى الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة ، فقيل لم يقصد بها شخص معين بل كل من اتصف بها وقيل المقصود بها الوليد بن المغيرة لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين ، وكذلك كان ، وقيل أبو جهل وقيل الأخنس بن شريق ويؤيد هذا أنه كانت له زنمة فى عنقه ، قال ابن عباس عرفناه بزنمته وكان لقيط من ثقيف ويعد فى بنى زهرة فيصح وصفه بزنيم على القولين ، وقيل الأسود بن عبد يغوث (أن كان ذا مال وبنين) فى موضع مفعول من أجله يتعلق بقوله لاتطع أى لاتطعه بسبب كثرة ماله وبنيه ، ويجوز أن يتعلق بما بعده ، والمعنى على هذا أنه قال فى القرآن أساطير الأولين ، لأنه ذومال وبنين يتكبر بماله وبنيه والعامل فى أن كان على هذا فعل من المعنى ولايجوز أن يعمل فيه قال الذى هو جواب إذالأن مابعد الشرط لايعمل فيما قبله والأول أظهر وقد تقدم معنى أساطير الأولين (سنسمه على الخرطوم) أصل الخرطوم أنف السبع ثم استعير للإنسان استخفافا به وتقبيحا له والمعنى نجعل له سمة وهى العلامة على خرطومه ، واختلف فى هذه السمة قيل هى الضربة بالسيف يوم بدر ، وقيل علامة من نار تجعل على أنفه فى جهنم وقيل علامة تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) أى بلونا قريشا كما بلونا أصحاب الجنة وكانوا إخوة من بنى إسرائيل لهم جنة ، روى أنها بمقربة من صنعاء فحلفوا أن لايعطوا مسكيناً منها شيئاً وباتوا عازمين على ذلك ، فأرسل الله على جنتهم طائفا من نار فأحرقتها فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطؤا الطريق ثم تبينوها فعرفوها وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝
فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝ فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا
ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ *
قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ۝ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝
كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ أَفَنَجْعَلُ

فندموا وتابوا إلى الله ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك فعاقبهم الله كما عاقبهم وقيل شبه قريشا لما أصابهم الجوع بشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أى حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح وكانت الغلة ثمرا (ولا يستثنون) فى معناه ثلاثة أقوال أحدها لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمنها والآخر لا يستثنون شيأ من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم والثالث لا يتوقفون فى رأيهم ولا ينتهوا عنه أى لا يرجعون عنه (فطاف عليهم طائف) قال الفراء الطائف الأمر الذى يأتى بالليل (فأصبحت كالصريم) فيه أربعة أقوال الأول أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها والصريم فى اللغة الليل الثانى أصبحت كالنهار لأنها ابيضت كالحصيد ويقال صريم لليل والنهار الثالث أن الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب الرابع أصبحت كالمصرومة أى المقطوعة (فتنادوا مصبحين) أى نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا وقال بعضهم لبعض (اغدوا على حرثكم) أى جنتكم (إن كنتم صارمين) أى حاصدين لثمرتها (يتخافتون) يكلم بعضهم بعضا فى السر ويقولون (لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) وأن فى قوله أن اغدوا وأن لا يدخلنها حرف عبارة وتفسير (وغدوا على حرد قادرين) فى الحرد أربعة أقوال الأول أنه المنع الثانى أنه القصد الثالث أنه الغضب الرابع أن الحرد اسم للجنة وقادرين يحتمل أن يكون من القدرة أى قادرين فى زعمهم أو من التقدير بمعنى التضييق أى ضيقوا على المساكين (إنا لضالون) أى أخطأنا طريق الجنة قالوا ذلك لما لم يعرفوها فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا (بل نحن محرومون) أى حرمنا الله خيرها (قال أوسطهم) أى خيرهم وأفضلهم ومنه أمة وسطا أى خيارا (لولا تسبحون) أى تقولون سبحان الله وقيل هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه وقيل أراد الاستثناء فى اليمين كقولهم إن شاء الله والأول أظهر لقولهم بعد ذلك سبحان ربنا والمعنى أن هذا الذى هو أفضلهم كان قد حضهم على التسبيح (يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله ألم أقل لكم لولا تسبحون (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) يحتمل أنهم طلبوا البدل فى الدنيا أو فى الآخرة والأول أرجح لأنه روى عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا (كذلك العذاب) أى مثل

الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝
أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۝ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۞
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ۝ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا
الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ

هذا العذاب الذى ينزل بأهل الجنة ينزل بقريش (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الهمزة للإنكار أى كيف يسوى الله بين المسلمين والمجرمين بل يجازى كل أحد بعمله والمراد بالمجرمين هنا الكفار (مالكم) توبيخ للكفار وما مبتدأ ولكم خبره وتم الكلام هنا فينبغى أن يوقف عليه (كيف تحكمون) توبيخ آخر أى كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم (إن لكم فيه لما تخيرون) هذه الجملة معمول تدرسون وكان أصل إن الفتح وكسرت لأجل اللام التى فى خبرها وتخيرون معناه تختارون لأنفسكم ومعنى الآية هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون) المعنى هل حلفنا لكم أيمانا أن لكم ما تحكمون ومعنى بالغة ثابتة واصلة إلى يوم القيامة ، وقوله إن لكم هو جواب القسم الذى يقتضيه الأيمان ولذلك أكده بإن واللام وما تحكمون هو اسم إن دخلت عليه اللام المؤكدة (سلهم أيهم بذلك زعيم) أى يا محمد اسأل قريشا أيهم زعيم بهذه الأمور ، والزعيم هو الضامن الأمر القائم به (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم) هذا تعجيز للكفار ، ومعناه إن كان لكم شركاء يقدرون على شىء فأتوا بهم ، واختلف هل قوله فليأتوا بهم فى الدنيا ، أى أحضروهم حتى يرى حالهم أو يقال لهم ذلك يوم القيامة : والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها وقال الزمخشرى معناه أم لكم ناس يشاركونكم فى هذا القول ، ويوافقونكم عليه فأتوا بهم يعنى أنهم لا يوافقهم أحد عليه ، والأول أظهر (يوم يكشف عن ساق) قال المتأولون ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته ، وفى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينادى مناد يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس ويتبع القمر من كان يعبد القمر ويتبع كل أحد ما كان يعبد ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم ما شأنكم فيقولون ننتظر ربنا قال فيجيئهم الله فى غير الصورة التى عرفوه فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ، قال فيقول أتعرفونه بعلامة ترونها فيقولون نعم فيكشف لهم عن ساق فيقولون نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن وترجع أصلاب المنافقين عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا وتأويل الحديث كتأويل الآية (ويدعون إلى السجود) تفسيره فى الحديث الذى ذكرنا ، فإن قيل كيف يدعون فى الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف ؟ فالجواب : أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود فى الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) أى قد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون فى أعضائهم قادرون عليه (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) تهديد للمكذبين بالقرآن وإعراب من يكذب مفعول

مُثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝

سورة الحاقة

مكية وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ

معه أو معطوف ، وقد ذكرنا فى الأعراف سنستدرجهم وما بعده (أم تسألهم أجرا) معناه أنت لا تسألهم أجرة على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم فى تركهم الإسلام ، وقد فسرتا هذا وما بعده فى الطور (فاصبر) يقتضى مسالمة للكفار ، نسخت بالسيف (ولا تكن كصاحب الحوت) هو يونس عليه السلام وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه وهو أيضا ذو النون والنون هو الحوت ، وقد ذكرنا قصته فى الأنبياء والصافات ، فنهى الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله فى الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبا ، وروى أن هذه الآية نزلت لما هم النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو على الكفار (إذ نادى وهو مكظوم) هذا آخر ما جرى ليونس ونداؤه هو قوله فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، والمكظوم الشديد الحزن (لنبذ بالعراء وهو مذموم) هو جواب لولا والمنفى هو الذم لا نبذه بالعراء فإنه قد قال فى الصافات فنبذناه بالعراء فالمعنى لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم لكنه نبذ وهو غير مذموم وقد ذكرنا العراء فى الصافات (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) عبارة عن شدة عداوتهم وإن مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام وليزلقونك معناه يهلكونك كقولك نظر فلان إلى عدوه نظرة كاد يصرعه وأصله من زلق القدم ، وقرئ بفتح الياء وضمها وهما لغتان وقيل إن المعنى يأخذونه بالعين وكان ذلك فى بنى أسد كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شىء إلا أصابه بالعين ، فأراد بعضهم أن يصيب النبى صلى الله عليه وسلم فعصمه الله من ذلك ، وقال الحسن دواء من أصيب بالعين قراءة هذه الآية (وما هو إلا ذكر للعالمين) يعنى القرآن أو هو موعظة وتذكير للخلق

سورة الحاقة

(الحاقة) هى القيامة ووزنها فاعلة وسميت الحاقة لأنها تحق أى يصح وجودها ، ولا ريب فى وقوعها ولأنها حقت لكل أحد جزاء عمله أو لأنها تبدئ حقائق الأمور (ما الحاقة) ما استفهامية يراد بها التعظيم وهى مبتدأ وخبرها ما بعده والجملة خبر الحاقة ، وكان الأصل الحاقة ما هى ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التعظيم والتهويل ، وكذلك وما أدراك ما الحاقة لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتهويل (بالقارعة)

أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۞ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ

هى القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها (بالطاغية) يعنى الصيحة التى أخذت ثمود وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد فى الشدة ، وقيل الطاغية مصدر فكأنه قال أهلكوا بطغيانهم ، فهو كقوله كذبت ثمود بطغواها وقيل هى صفة لمحذوف تقديره أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية أو الفئة الطاغية والباء على هذين القولين سببية وعلى القول الأول كقولك قتلت زيدا بالسيف (بريح صرصر عاتية) ذكر فى فصلت ، وعاتية أى شديدة وسميت بذلك لأنها عتت على عاد ، وقيل عتت على خزانها فخرجت بغير إذنهم (سخرها عليهم سبع ليال) روى أنها بدت صيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر (حسوما) قال ابن عباس معناه كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك ، وقيل معناه شؤما وقيل هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع أى قطعتهم بالإهلاك فحسوما على القول الأول والثانى مصدر فى موضع الحال ، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله (فترى القوم فيها صرعى) جمع صريع وهو المطروح بالأرض ، والضمير المجرور يعود على منازلهم لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها أو على الأيام والليالى ، أو على الريح (كأنهم أعجاز نخل خاوية) تقدم فى القمر معنى تشبيههم بأعجاز النخل ، والخاوية هى التى خلت من طول بلائها وفسادها (من باقية) أى من بقية ، وقيل من فئة باقية وقيل إنه مصدر بمعنى البقاء (ومن قبله) يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة وأقربهم إليه قوم شعيب ، والظاهر أنهم المراد لأن عادا وثمود قد ذكرا وقوم لوط هم المؤتفكات وقوم نوح قد أشير إليهم فى قوله لما طغى الماء حملناكم فى الجارية ، وقرئ بكسر القاف وفتح الباء ومعناه جنده وأتباعه (بالخاطئة) إما أن يكون مصدرا بمعنى الخطيئة أو صفة لمحذوف تقديره بالفعلة الخاطئة (فعصوا رسول ربهم) إن عاد الضمير على فرعون وقومه ، فالرسول موسى عليه السلام ، وإن عاد على المؤتفكات : فالرسول لوط عليه السلام ، وإن عاد على الجميع : فالرسول اسم جنس أو بمعنى الرسالة (رابية) أى عظيمة وهى من قولك ربا الشىء إذا كثر (طغى الماء) عبارة عن كثرته ، فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض أو على خزانه يعنى وقت طوفان نوح عليه السلام (حملناكم فى الجارية) هى السفينة ، فإن أراد سفينة نوح فمعنى حملناكم حملنا آباءكم لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه فى السفينة ، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته (لنجعلها لكم تذكرة) الضمير للفعلة وهى الحمل فى السفينة وقيل للسفينة ، فإن أراد جنس السفن : فالمعنى أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركب أو سمع بها وإن أراد سفينة نوح فقد قيل إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيدانها أول هذه الأمة (وتعيها أذن واعية) الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها ، وهذا يقوى أن يكون للفعلة ، والأذن الواعية هى التى تفهم ماتسمع وتحفظه ، يقال وعيت العلم إذا حصلته ، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التى عقلت عن الله ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب إنى دعوت الله أن يجعلها أذنك ياعلىّ ، قال علىّ فما نسيت

وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ وَانْشَقَّتِ السَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓئًا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ

بعد ذلك شيئاً سمعته ، قال الزمخشرى : إنما قال أذن واعية بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعاة ولتوبيخ الناس بقلة من بقى منهم ، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهى المعتبرة عند الله دون غيرها (نفخة واحدة) يعنى نفخة الصور وهى الأولى (فدكتا) الضمير للأرض والجبال ، ومعنى دكتا ضرب بعضها ببعض حتى تندق ، وقال الزمخشرى : الدك أبلغ من الدق ، وقيل معناه بسطت حتى تستوى الأرض والجبال (وقعت الواقعة) أى قامت القيامة ، وقيل وقعت صخرة بيت المقدس وهذا ضعيف (واهية) أى مسترخية ساقطة القوة ، ومنه قولهم دار واهية أى ضعيفة الجدران (والملك على أرجائها) الملك هنا اسم جنس والأرجاء الجوانب واحدها رجا مقصور ، والضمير يعود على السماء ، والمعنى أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جواب السماء لأنها إذا وهيت وقفوا على أطرافها ، وقيل يعود على الأرض لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها ، وروى فى ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفا على جوانب الأرض والأول أظهر وأشهر (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ابن عباس هى ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم وقيل ثمانية أملاك رؤسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة ، ويؤيد هذا ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هو اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم (يومئذ تعرضون) خطاب لجميع العالم والعرض البعث أو الحساب (خافية) أى حال خافية من الأعمال والسرائر ويحتمل المعنى لا يخفى من أجسادهم لأنهم يحشرون حفاة عراة (فأما من أوتى كتابه بيمينه) الكتاب هنا صحائف الأعمال (هاؤم اقرؤا كتابيه) هاؤم اسم فعل ، قال ابن عطية معناه تعالوا وقال الزمخشرى هو صوت يفهم منه معنى خذ ، وكتابيه مفعول يطلبه هاؤم واقرؤا من ضمير المعنى تقديره هاؤم كتاب اقرؤا كتابى ثم حذف لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل ، الثانى وهو اقرأوا عند البصريين ، والعامل الأول هو هاؤم عند الكوفيين ، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال اقرؤه ، والهاء فى كتابيه للوقف وكذلك فى حسابيه وماليه وسلطانيه وكان الأصل أن تسقط فى الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف وقد أسقطها فى الوصل بعضهم ، ومعنى الآية أن العبد الذى يعطى كتابه بيمينه يقول للناس اقرأوا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه (إنى ظننت) الظن هنا بمعنى اليقين (راضية) أى ذات رضا كقولهم تامر لصاحب التمر قال ابن عطية ليست بياء اسم فاعل ، وقال الزمخشرى يجوز أن يكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازا وهو لصاحبها حقيقة (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود (دانية) أى قريبة ، وروى أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أى حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع (أسلفتم) أى قدمتم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) أى الماضية يعنى أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه

يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَٰطِـُٔونَ ۝ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا

بشماله) هم الكفار بدليل قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم ، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم ، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم ، هل يعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها ؟ وهذا أرجح لقوله هاؤم اقرأوا كتابيه لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى النار (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) أى يتمنى أنه لم يعط كتابه وقال ابن عطية يتمنى أن يكون معدوما لا يجرى عليه شىء والأول أظهر (ياليتها كانت القاضية) أى ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء (ما أغنى عنى ماليه) يحتمل أن يكون نفيا أو استفهاما يراد به النفى (هلك عنى سلطانيه) أى زال عنى ملكى وقدرتى وقيل ذهبت عنى حجتى (خذوه) خطاب للزبانية يقوله لهم الله تعالى أو الملائكة بأمر الله (فغلوه) أى اجعلوا غلا فى عنقه ؛ وروى أنها نزلت فى أبى جهل (ذرعها سبعون ذراعا) معنى ذرعها أى طولها ، واختلف فى هذا الذراع فقيل إنه الذراع المعروف ، وقيل بذراع الملك وقيل فى الذراع سبعون باعا ، كل باع ما بين مكة والكوفة ولله در الحسن البصرى فى قوله الله أعلم بأى ذراع هى ، جعلها سبعين ذراعا لإرداة وصفها بالطول فإن السبعين من الأعداد التى تقصد بها العرب التكثير ، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعلبى ذلك (فاسلكوه) أى أدخلوه ، وروى أن هذه السلسلة تدخل فى فم الكافر وتخرج من دبره ، فاسلكوه على هذا من المقلوب فى المعنى كقولهم أدخلت القلنسوة فى رأسى وروى أنها تلتوى عليه حتى تعمه وتضغطه فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها ، وإنما قدم قوله فى سلسلة على اسلكوه لإرادة الحصر أى لا تسلكوه إلا فى هذه السلسلة وكذلك قدم الحميم على صلوه لإرادة الحصر أيضا (طعام المسكين) يحتمل أنه أراد إطعام مسكين فوضع الاسم موضع المضمر أو يقدر لا يحض على بذل طعام المسكين وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة ووصفه وبأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى ، وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها ، لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله (فليس له اليوم هاهنا حميم) فيه قولان : أحدهما : ليس له صديق والآخر ليس له شراب (ولا طعام إلا من غسلين) فإن الحميم الماء الحار ، والغسلين صديد أهل النار عند ابن عباس وقيل شجر يأكله أهل النار ، وقال اللغويون هو ما يجرى من الجراح إذا غسلت وهو فعلين من الغسل (الخاطئون) جمع خاطئ وهو الذى يفعل ضد الصواب متعمدا والمخطئ الذى يفعله بغير تعمد (فلا أقسم) لا زائدة غير نافية (عما تبصرون ومالا تبصرون) بعنى جميع الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر كالدنيا والآخرة والإنس والجن والأجسام والأرواح وغير ذلك (إنه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم والضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل لمحمد عليه الصلاة والسلام (قليلا ما تؤمنون) قال ابن عطية يحتمل أن تكون ما نافية ، فنفى إيمانهم بالجملة

مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ *
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ *

سورة المعارج

مكية وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝

أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلة، وقال الزمخشرى القلة هنا بمعنى العدم، أى لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) التقول هو أن ينسب إلى أحد مالم يقل، ومعنى الآية لو تقول علينا محمد لعاقبناه، ففى ذلك برهان على أن القرآن من عند الله (لأخذنا منه باليمين) قال ابن عباس اليمين هنا القوة ومعناه لو تقول علينا لأخذناه بقوتنا وقيل هى عبارة عن الهوان كما يقال لمن يسجن أخذ بيده وبيمينه، قال الزمخشرى معناه لو تقول علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله: لأخذنا منه باليمين لأن السياف إذا أراد أن يضرب المقتول فى جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف (الوتين) نياط القلب، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه، فالمعنى لقتلناه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاجز المانع، والمعنى لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه وإنما جمع حاجزين لأن أحد فى معنى الجماعة (وإنه لتذكرة) الضمير للقرآن وقيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أظهر (وإنه لحسرة على الكافرين) أى حسرة عليهم فى الآخرة، لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين (وإنه لحق اليقين) قال الكوفيون هذا من إضافة الشىء إلى نفسه، كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشرى المعنى عين اليقين ومحض اليقين، وقال ابن عطية ذهب الحذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه: —

سورة المعارج

(سأل سائل بعذاب واقع) من قرأ سائل بالهمز احتمل معنيين أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء أى دعا داع بعذاب واقع، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفار أمطر علينا حجارة من السماء وكان الذى قالها النضر بن الحرث، والآخر أن يكون بمعنى الاستخبار أى سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى عن وتكون الإشارة إلى قوله متى هذا الوعد وغير ذلك، وأما من قرأ سال بغير همز فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون مخففا من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران، والثانى أن يكون من سال السيل إذا جرى ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس سال سيل، وتكون الباء على هذا كقولك ذهبت بزيد وإذا كان من السيل احتمل وجهين: أحدهما أن يكون شبه العذاب فى شدته وسرعة وقوعه بالسيل وثانيهما أن تكون حقيقة قال زيد بن ثابت فى جهنم واد يقال له سائل فتلخص من هذا أن فى القراءة بالهمز يحتمل معنيين وفى القراءة بغير همز أربعة معان (للكافرين) يحتمل أن يتعلق بواقع

تَعْرُجُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝
وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝ يُبَصَّرُونَهُمْ

وتكون اللام بمعنى على أو تكون صفة للعذاب أو يتعلق بسأل إذا كانت بمعنى دعا أى دعا للكافرين بعذاب أو تكون مستأنفا كأنه قال هو للكافرين (من الله) يحتمل أن يتعلق بواقع أى واقع من عند الله أو بدافع أى ليس له دافع من عند الله أو يكون صفة للعذاب أو مستأنفا (ذى المعارج) جمع معرج وهو المصعد إلي علو كالسلم والمدارج التى يرتقى بها قال ابن عطية هى هنا مستعارة فى الفضائل والصفات الحميدة وقيل هى المراقى إلى السماء وهذا أظهر لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة (والروح إليه) أى إلى عرشه ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه فالعروج هو من الأرض إلى العرش والروح هنا جبريل عليه السلام بدليل قوله نزل به الروح الأمين على قلبك وقيل الروح ملائكة حفظة على الملائكة وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل وقيل الروح جنس أرواح الناس وغيرهم (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) اختلف فى هذا اليوم على قولين: أحدهما أنه يوم القيامة والآخر أنه فى الدنيا والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث مانع الزكاة مامن صاحب ذهب ولافضة لايؤدى زكاتها إلاصفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد يعنى يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة وهذا هو الأظهر أو هل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم وإذا قلنا إنه فى الدنيا فالمعنى أن الملائكة والروح يعرجون فى يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا فى خمسين ألف سنة وقيل الخمسون ألف سنة هى مدة الدنيا والملائكة تعرج وتنزل فى هذه المرة وهذا كله على أن يكون قوله فى يوم يتعلق بتعرج ويحتمل أن يكون فى يوم صفة للعذاب فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة والمعنى على هذا مستقيم (فاصبر) هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره أى اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة فى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم (إنهم يرونه بعيدا) يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذى مقداره خمسين ألف سنة والبعيد يحتمل أن يراد به بعد الزمان أو بعد الإمكان وكذلك القرب يحتمل أن يراد به قرب الزمان لأن كل آت قريب ولأن الساعة قد قربت وقرب الإمكان لقدرة الله عليه (يوم تكون السماء كالمهل) يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أو بدل من الضمير المنصوب فى نراه أو منصوب بقوله قريبا أو بقوله يود المجرم أو بفعل مضمر تقديره اذكر والمهل هو دردى الزيت شبه السماء به فى سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة وقيل هو ما أذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به فى تلونه (وتكون الجبال كالعهن) العهن هو الصوف شبه الجبال به فى انتفاشه وتخلخل أجزائه وقيل هو الصوف المصبوغ ألواناً فيكون التشبيه فى الانتفاش وفى اختلاف الألوان لأن الجبال منها بيض وسود وحمر (ولا يسأل حميم حميما) الحميم هنا الصديق والمعنى لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إعانة لعلمه أنه لا يقدر له على شىء، وقيل لا يسأله عن حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه (يبصرونهم) يقال بصر الرجل بالرجل إذا رآه وبصرته إياه بالتشديد إذا أريته إياه والضميران يعودان على الحميمين لأنهما فى معنى الجمع، والمعنى أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكنه لا يسأله

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ، كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ، تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى ، إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولَئِكَ فِى جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ،

(وصاحبته) يعنى امرأته (وفصيلته) يعنى القرابة الأقربين (تؤويه) أى تضمه فيحتمل أن يريد تضمه فى الانتماء إليها أو فى نصرته وحفظه من المضرات (ثم ينجيه) الفاعل الافتداء الذى يقتضيه لو يفتدى وهذا الفعل معطوف على لو يفتدى وإنما عطفه بثم إشعاراً ببعد النجاة وامتناعها ولذلك زجره عن ذلك بقوله (كلا إنها لظى) الضمير للنار لأن العذاب يدل عليها ، ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر ولظى علم لجهنم مشتق من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) الشوى أطراف الجسد وقيل جلد الرأس فالمعنى أن النار تنزعها ثم تعود ونزاعة بالرفع بدل من لظى أو خبر ابتداء مضمر أو خبر لإنها إن جعلنا لظى منصوبا على التخصيص أو بدل من الضمير ، أو خبر ثان لإنها إن جلنا لظى خبر لها ونزاعة بالنصب حال (تدعو من أدبر وتولى) يعنى الكفار الذين تولوا عن الإسلام ودعاؤها لهم عبارة عن أخذها لهم وقال ابن عباس تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وقيل معناه تهلك حكاه الخليل عن العرب (وجمع فأوعى) يقال أوعيت المال وغيره اذا جمعته فى وعاء ، فالمعنى جمع المال وجعله فى وعاء وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حله ومنعوه من حقه (إن الإنسان خلق هلوعا) الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه، سئل أحمد بن يحي مؤلف الفصيح عن الهلوع فقال قد فسره الله فلا تفسيراً بين من تفسيره وهو قوله « إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا » وذكره الله على وجه الذم لهذه الخلائق ، ولذلك استثنى منه المصلين لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها (الذين هم على صلاتهم دائمون) الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هى أداؤها فى أوقاتها وتوفية الطهارة لها (حق معلوم) قد ذكرنا فى الذاريات معنى حق والسائل والمحروم، ووصفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة فهى معلومة المقدار شرعا وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم أن العبد يجعل على نفسه وظيفه معلومة عنده (غير مأمون) أى لا يكون أحد آمنا منه فإن الأمن من عذاب الله حرام فلا ينبغى للعبد أن يزيل عنه الخوف حتى يدخل الجنة (لأماناتهم وعهدهم) ذكر فى المؤمنين وكذلك لفروجهم حافظون (والذين هم بشهاداتهم قائمون) قال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال الجمهور يعنى الشهادة عند الحكام ثم اختلف على هذا فى

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *

معنى القيام بها فقيل هو التحقيق لها كقوله صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهدوا وقيل هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع فأما إن دعى الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه وأما إذا لم يدع إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام أحدها حقوق الناس ، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك ، والثانى حقوق الله التى يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والاحباس ، فيجب أداء الشهادة بذلك دعى أو لم يدع الثالث حقوق الله التى لايستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغى ستره ، حتى يدعى إليه (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أى مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته ، ومعنى قبلك فى جهتك وما يليك (عزين) أى جماعات شتى وهو جمع عزة بتخفيف الزاى وأصله عزوة ، وقيل عزهة ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضا من اللام المحذوفة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) كانوا يقولون إن كان ثم جنة فنحن أهلها (كلا) ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة (إنا خلقناهم مما يعلمون) كناية عن المنى الذى خلق الإنسان منه ، وفى المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه أحدها : تحقير الإنسان والرد على المتكبرين كما قال بعضهم إن الإنسان خلق من نطفة مذرة ويصير جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، الثانى الرد على الكفار فى طمعهم أن يدخلوا الجنة كأنه يقول إنا خلقناكم مما خلقنا منه الناس ، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لأنكم سواء فى الخلقة ، الثالث الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين فهو قادر على أن يعيدهم كقوله ألم يك نطفة من منى يمنى ، إلى آخر السورة (فلا أقسم) معناه أقسم ولا زائدة (برب المشارق والمغارب) ذكر فى الصافات (إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال خير منهم (وما نحن بمسبوقين) أى مغلوبين والمعنى إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث (فذرهم) وعيد لهم وفيه مهادنة منسوخة بالسيف (يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه (يوم يخرجون من الأجداث) وهى القبور (كأنهم إلى نصب يوفضون) النصب الأصنام ، وأصله كل ما نصب إلى الإنسان فهو يقصد إليه مسرعا من علم أو بناء أو غير ذلك وفيه لغات فتح النون وإسكان الصاد وضم النون وإسكان الصاد وضمها ويوفضون معناه يسرعون والمعنى أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشى إلى أصنامهم فى الدنيا

سـورة نوح

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ

سـورة نوح عليه السلام

(أن أنذر) و (أن اعبدوا) يحتمل أن تكون أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن أنذر وبأن اعبدوا والأول أظهر (عذاب أليم) يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذى أصابهم (يغفر لكم من ذنوبكم) من هنا للتبعيض أى يغفر لكم مافعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا لأن الإسلام يجبّ ماقبله ولم يضمن أن يغفر لهم مابعد إسلامهم ، لأن ذلك فى مشيئة الله تعالى وقيل إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن من لاتزاد عند سيبويه إلا فى غير الواجب وقيل هى لبيان الجنس وقيل لابتداء الغاية وهذان القولان ضعيفان فى المعنى والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه (ويؤخركم إلى أجل مسمى) ظاهر هذا يقتضى أنهم إن فعلوا ماأمروا به أخروا إلى أجل مسمى وإن لم يفعلوا لم يؤخروا وذلك يقتضى القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة وعلى هذا حملها الزمخشرى ، وأما على مذهب أهل السنة فهى من المشكلات وتأولها ابن عطية فقال ليس للمعتزلة فى الآية مجال لأن المعنى أن نوحا عليه الصلاة السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل ولاقال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قدحان لكن قد سبق فى الأزل إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير أو ممن قضى له بالكفر والمعاجلة وكان نوحا عليه السلام قال لهم آمنوا يظهر فى الوجود أنكم ممن قضى له بالإيمان والتأخير وإن بقيتم على كفركم يظهر فى الوجود أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة فكان الاحتمال الذى يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة وأما عند الله فالحال الذى يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) هذا يقتضى أن الأجل محتوم كما قال تعالى فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وفى هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذى ذكرنا وفيه أيضا رد على المعتزلة فى قولهم بالأجلين ولما كان كذلك قال الزمخشرى إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذى لا يؤخر هو الأجل الثانى وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلا ألف عام وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام فالألف عام هى التى تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هى التى وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا (دعوتهم لتغفر لهم) أى دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة التى هى سبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) فعلوا ذلك لئلا

وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا * وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ

يسمعوا كلامه فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك (واستغشوا ثيابهم) أى جعلوها غشاوة عليهم لئلا سمعوا كلامه أو لئلا يراهم ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إعراضهم (وأصروا) أى داوموا على كفرهم (دعوتهم جهارا) إعراب جهارا مصدر من المعنى كقولك قعد القرفصاء أو صفة لمصدر محذوف تقديره دعا جهارا أو مصدر فى موضع الحال أى مجاهرا (ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) ذكر أولا أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار ، وهذه غاية الجد فى النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال ابن عطية الجهار دعاؤهم فى المحافل ومواضع اجتماعهم ، والإسرار دعاء كل واحد على حدته (يرسل السماء عليكم مدرارا) مفعول من الدر وهو كثرة الماء، وفى الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء ثم نزل المطر وشكا رجل إلى الحسن الجدب فقال له استغفر الله (مالكم لا ترجون لله وقارا) فيه أربع تأويلات : أحدها أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة فالمعنى مالكم لا ترجون أن يوقركم الله فى دار ثوابه قال ذلك الزمخشرى وقوله لله على هذا بيان للموقر ولو تأخر لكان صفة لوقارا . والثانى أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت والمعنى مالكم لا ترجون لله وقارا متثبتين حتى تتمكنون من النظر بوقاركم وقوله لله على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك ضربت لزيد وإعراب وقارا على هذا مصدر فى موضع الحال ، الثالث : أن الرجاء هنا بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة والسلطان فالمعنى مالكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه ولله على هذا صفة للوقار فى المعنى ، الرابع : أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك وقر بالمكان إذا استقر فيه والمعنى مالكم لا تخافون الاستقرار فى دار القرار إما فى الجنة أو النار (وقد خلقكم أطوارا) أى طورا بعد طور ، يعنى أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله ، وقيل الأطوار الأنواع المختلفة ، فالمعنى أن الناس على أنواع فى ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك (طباقا) ذكر فى الملك (وجعل القمر فيهن نورا) القمر إنما هو فى السماء الدنيا وساغ أن يقول فيهن لما كان فى إحداهن فهو فى الجميع كقولك ، فلان فى الأندلس ، إذا كان فى بعضها والشمس فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وجعل القمر نورا والشمس سراجا ، لأن ضوء السراج أقوى من النور فإن السراج هو الذى يضىء فيبصر به والنور قد يكون أقل من ذلك (والله أنبتكم من الأرض نباتا) هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض ونباتا مصدر على غير المصدر أو يكون تقديره أنبتكم فنبتم إنباتا ويحتمل أن يكون منصوبا على الحال (ثم يعيدكم فيها) يعنى بالدفن

يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۝ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝

(ويخرجكم إخراجا) يعنى بالبعث من القبور (والله جعل لكم الأرض بساطا) شبه الأرض بالبساط فى امتدادها واستقرار الناس عليها وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل وفى ذلك نظر (سبلا فجاجا) ذكر فى الأنبياء (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) يعنى اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم وقرئ ولده بفتحتين وولد بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد (ومكروا مكرا كبارا) الكبار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أى وصى بعضهم بعضا بذلك (ولا تذرن ودا ولا سواعا) هذه أسماء أصنامهم، كان قوم نوح يعبدونها وروى أنها أسماء رجال صالحين كانوا فى صدر الدنيا، فلما ماتوا صورهم أهل ذلك العصر من حجارة وقالوا ننظر إليها لنتذكر أعمالهم الصالحة، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم من بعدهم لتلك الصور حتى عبدوها من دون الله ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها وقيل بل الأسماء فقط إلى قبائل العرب، فكان ودّ لكلب بدومة الجندل وكان سواع لهذيل وكان يغوث لمراد وكان يعوق لهمذان وكان نسر لذى الكلاع من حمير وقرئ ودا بفتح الواو وضمها وهما لغتان (وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء من قوم نوح والمعنى أضلوا كثيرا من أتباعهم وهذا من كلام نوح عليه السلام، وكذلك لا تزد الظالمين إلا ضلالا من كلامه وهو دعاء عليهم وقال الزمخشرى إنه معطوف على قوله «رب إنهم عصونى» والتقدير قال رب إنهم عصونى وقال «لا تزد الظالمين إلا ضلالا» (مما خطيئاتهم أغرقوا) هذا من كلام الله إخبارا عن أمرهم، ومازائدة للتأكيد وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضا ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار، إنما كان بسبب خطاياهم وهى الكفر وسائر المعاصى (فأدخلوا نارا) يعنى جهنم وعبر عن ذلك بالفعل الماضى لأن الأمر محقق وقيل أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ديارا من الأسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما فى الدار ديار أى ما فيها أحد ووزنه فيعال وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وليس وزنه فعال لأنه لو كان كذلك لقيل دوار لأنه مشتق من الدور أو من الدار، وروى أن نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم (رب اغفر لى ولوالدى) يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره وكان ولدا نوح عليه السلام مؤمنين قال ابن عباس لم يكن لنوح ابن كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام واسم والد نوح لمك بن متوشلخ وأمه شمخا

سـورة الجن

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعـد الأعراف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِيٓ إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۞ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۞ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۞ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۞ وَأَنَّا لَمَسْنَا

بنت أنوش ، حكاه الزمخشرى (ولمن دخل بيتى مؤمناً) قيل بيتـه المسجد وقيل السفينة وقيل شريعته سماها بيتا استعارة وهذا بعيد وقيل داره وهذا أرجح لأنه الحقيقة (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك خلافا لمن قال من المتأخرين أنه لايجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم ، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة ، قال بعض العلماء إن الإله الذى استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات (تبارا) أى هلاكا والله أعلم

سـورة الجن

(قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) تقدمت فى الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا) أى قال ذلك بعضهم لبعض وعجبا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك عجبت عجبا وقيل هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب (وأنه تعالى جد ربنا) جد الله جلاله وعظمته وقيل معناه من قولك فلان مجدود إذا استغنى وقرئ أنه فى هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله وأنا منا المسلمون فأما الكسر فاستئناف أو عطف على إنا سمعنا لكنه كسر فى معمول القول فيكون ما عطف عليه من قول الجن وأما الفتح فقيل إنه عطف على قوله أنه استمع نفر وهذا خطأ من طريق المعنى لأن قوله استمع نفر فى موضع معمول أوحى فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحى وأن لايكون من كلام الجن وقيل إنه معطوف على الضمير المجرور فى قوله آمنا به وهذا ضعيف لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض وقال الزمخشرى هو معطوف على محل الجار والمجرور فى آمنا به كأنه قال صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وكذلك مابعده ولا خلاف فى فتح ثلاث مواضع وهى : أنه استمع ، وأن لو استقاموا ، وأن المساجد لله ؛ لأن ذلك مما أوحى لا من كلام الجن (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا) هذا من كلام الجن وسفيههم أبو هم إبليس ، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية ، والشطط التعدى ومجاوزة الحد (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) أى ظننا أن الأقوال التى كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب لأنا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) تفسير هذا ماروى أن العرب كانوا إذا حل أحد منهم بواد صاح بأعلى صوته ياعزيز هذا الوادى إنى أعوذ بك من

السَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْأَنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِى الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

السفهاء الذين فى طاعتك ويعتقد أن ذلك الجن الذى بالوادى يحميه (فزادوهم رهقا) ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للإنس والمعنى أن الجن زادوا الإنس ضلالا وإثما لما عاذوا بهم أوزادوهم تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم، وقيل ضمير الفاعل الإنس وضمير المفعول للجن والمعنى أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم حتى كان الجن يقول أنا سيد الجن والإنس (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) الضمير فى ظنوا لكفار الإنس وظننتم خطاب الجن بعضهم لبعض، فالمعنى أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) هذا إخبار عن ماحدث عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجمهم واللمس المس واستعير هنا للطلب، والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام، ولذلك وصف بشديد وهو مفرد ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة وكرر الشهب لاختلاف اللفظ (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) المقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة قعود الجن أنهم كانوا احدا فوق واحد فمتى أحرق الأعلى طلع الذى تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) الرصد اسم جمع للراصد كالحراس للحارس وقال ابن عطية هو مصدر وصف به ومعناه منتظر قال بعضهم إن رمى الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم واختار ابن عطية والزمخشرى أنه كان قبل المبعث قليلا، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض ما كنتم تقولون لهذا فى الجاهلية؟ قالوا كنا نقول ولد ملك أو مات ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الأمر كذلك ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك فى أشعارهم (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن الأرض) الآية: قال ابن عطية معناه لا ندرى أيؤمن الناس بهذا النبى فيرشدوا، أو يكفرون به فينزل بهم الشر؟ وقال الزمخشرى معناه لا ندرى هل أراد الله بأهل الأرض خيرا أو شرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو من توفيق؟ (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أى منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا أو الذين ليس لهم صلاح فإن دون قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير (كنا طرائق قددا) الطرائق المذاهب والسير وشبهها والقدد المختلفة وهو جمع قدة وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل وهو على حذف مضاف أى كنا ذوى طرائق (وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض) الظن هنا بمعنى العلم، وقال ابن عطية هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم (سمعنا الهدى) يعنون القرآن (فلا

تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ۝
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝
وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝ قُلْ إِنِّي
لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ
اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ

يخاف بخسا ولا رهقا) البخس النقص والظلم ، والرهق تحمل مالايطاق ، وقال ابن عباس البخس نقص الحسنات ، والرهق الزيادة فى السيئات (ومنا القاسطون) يعنى الظالمين : يقال قسط الرجل إذاجار، وأقسط بالألف إذا عدل وهاهنا انتهى ماحكاه الله من كلام الجن ، وأما قوله فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا يحتمل أن يكون من بقية كلامهم أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذى اختاره ابن عطية ، وأما قوله وأن لو استقاموا فهو من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم (تحروا) أى قصدوا الرشد (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) الماء الغدق الكثير وذلك استعارة فى توسيع الرزق والطريقة هى طريقة الإسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك لوسع الله أرزاقهم فهو كقوله «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» وقيل هى طريقة الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم فى الدنيا أملاكهم استدراجا ويؤيد هذا قوله «لنفتنهم فيه» والأول أظهر ، والضمير فى استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للقاسطين المذكورين أو لجميع الجن أو للجن الذين سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لجميع الخلق (لنفتنهم فيه) إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة ، فمعنى الفتنة الاختبار هل يسلمون أم لا وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج (نسلكه عذابا صعدا) معنى نسلكه ندخله والصعد الشديد المشقة وهو مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة يقال فلان فى صعد أى فى مشقة وقيل صعدا جبل فى النار (وأن المساجد لله) أراد المساجد على الإطلاق وهى بيوت عبادة الله ، وروى أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة ، وقيل أراد الأعضاء التى يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهذا بعيد ، وعطف أن المساجد لله على أوحى إلىّ أنه استمع وقال الخليل معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، أى لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله (وأنه لما قام عبدالله يدعوه) عبدالله هنا محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا وقال الزمخشرى أنه سماه هنا عبد الله ولم يقل الرسول أو النبى لأن هذا واقع فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه لأنه مما أوحى إليه فذكر صلى الله عليه وسلم نفسه على مايقتضيه التواضع والتذلل وهذا الذى قاله بعيد مع أنه إنما يمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة فيكون عطفا على أوحى إلى أنه استمع وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخبارا من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ماقاله (كادوا يكونون عليه لبدا) اللبد الجماعات واحدها لبدة والضمير فى كادوا يحتمل أن يكون للكفار من الناس أى كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره أو يكون للجن الذين استمعوا أى كادوا يجتمعون عليه

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝

لاستماع القرآن والبركة به (ملتحدا) أى ملجأ (إلا بلاغا) بدل من ملتحدا أى لا أجد منجأ إلا بلاغ الرسالة ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا (ن الله) قال الزمخشرى هذا الجار والمجرور ليس بصلة البلاغ إنما هو بمعنى بلاغا كائناً من الله ويحتمل عندى أن يكون متعلقا ببلاغا والمعنى بلاغ من الله (ورسالاته) قال الزمخشرى إنه معطوف على بلاغا كأنه قال إلا التبليغ والرسالة، ويحتمل أن يكون ورسالاته معطوفا على اسم الله (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) جمع خالدين على معنى من يعص لأنه فى معنى الجمع والآية فى الكفار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم فى النار والدليل على أنها فى الكفار وجهان أحدهما أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار والآخر دلالة ماقبلها ومابعدها على أن المراد بها الكفار (حتى اذا رأوا مايوعدون) تعلقت حتى بقوله يكونون عليه لبدا وجعلت غاية لذلك والمعنى أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا مايوعدون قال ذلك الزمخشرى وقال أيضاً يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل لايزالون على ماهم عليه من الكفر حتى إذا رأوا مايوعدون وهذا أظهر (قل إن أدرى أقريب ماتوعدون) إن هنا نافية والمعنى قل لاأدرى أقريب ماتوعدون أم بعيد وعبر عن بعده بقوله أم يجعل له ربى أمدا ويعنى بما توعدون قتلهم يوم بدر أو يوم القيامة (فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) أى لا يطلع أحدا على علم الغيب إلا من ارتضى وهم الرسل فإنه يطلعهم على ماشاء من ذلك ومن فى قوله من رسول لبيان الجنس لا للتبعيض والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة وعلى هذا حملها ابن عطية أو الرسل من بنى آدم وعلى هذا حملها الزمخشرى واستدل بها على نفى كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم وفيها أيضا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التى يدعى أهلها الاطلاع على الغيب لأنهم ليسوا من الرسل (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) المعنى أن الله يسلك من بين يدى الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصدا يحفظونه من الشياطين وقد ذكرنا رصدا فى هذه السورة قال بعضهم مابعث الله رسولا إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) فى الفاعل بيعلم ثلاثة أقوال: الأول أى ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أى يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل كونه. الثانى ليعلم محمد أن الملائكة الرصد أبلغوا رسالات ربهم. الثالث ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر وجمع الضمير فى أبلغوا وفى ربهم حملا على المعنى لأن من ارتضى من رسول يراد به جماعة (وأحاط بما لديهم) أى أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع وهذه الجملة معطوفة على قوله ليعلم لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال (وأحصى كل شىء عددا) هذا عموم فى جميع الأشياء وعددا منصوب على الحال أو تمييز أو مصدر من معنى أحصى

سـورة المزمل

مكية إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

سـورة المزمل

(يأيها المزمل) نداء للنبى صلى الله عليه وسلم ووزن المزمل متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت فى الزاى وفى تسمية النبى صلى الله عليه وسلم بالمزمل ثلاثة أقوال أحدها أنه كان فى وقت نزول الآية متزملا فى كساء أو لحاف والتزمل الالتفاف فى الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة والجمهور ، والثانى أنه كان قد تزمل فى ثيابه للصلاة ، الثالث أن معناه المتزمل للنبوة أى المتشمر المجد فى أمرها والأول هو الصحيح لما ورد فى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك وهو فى غار حراء فى ابتداء الوحى رجع صلى الله عليه وسلم إلى خديجة ترعد فرائصه فقال زملونى زملونى فنزلت يأيها المدثر وعلى هذا نزلت يأيها المزمل فالمزمل على هذا تزمله من أجل الرعب الذى أصابه أول ماجاءه جبريل وقال الزمخشرى كان نائما فى قطيفة فنودى يأيها المزمل ليبين الله الحالة التى كان عليها من التزمل فى القطيفة لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل وهذا القول بعيد غير سديد ، وقال السهيلى فى ندائه بالمزمل فائدتان : إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعلى : قم أبا تراب ، والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتنبه إلى ذكر الله لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة (قم الليل) هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب ، فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه فرض على النبى صلى الله عليه وسلم وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفى ، الثانى أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ثم نسخ بقوله فى آخر السورة إن ربك يعلم أنك تقوم الآية : وصار تطوعا هذا قول عائشة رضى الله عنها وهو الصحيح ، واختلف كم بقى فرضا فقالت عائشة عاما وقيل ثمانية أشهر وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية ، الثالث أنه فرض عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ ، ولكن ليس الليل كله إلا ماتيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين (إلا قليلا نصفه أو انقص منه قيلا أو زد عليه) فى معنى هذا الكلام أربعة أقوال : الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل أو من قليلا ، وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران فى قوله : أو انقص منه ، أو زد عليه : عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه . الثانى : قال الزمخشرى إلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلا فخيره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف ، لأن قوله أو انقص منه قليلا تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة فى استثناء القليل من النصف ، القول الثالث قال الزمخشرى أيضا : يجوز أن يريد بقوله أو انقص منه قليلا نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير فى قوله أو زد عليه يعود على ذلك ، أى زد على الربع فيكون ثلثا فيكون التخيير

وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝

على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع ، وهذا أيضا بعيد ، القول الرابع قال ابن عطية : يحتمل أن يكون معنى إلا قليلا الليالى التى يمنعه العذر من القيام فيها ، والمراد بالليل على هذا الليالى فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه ، فدل ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالى ، فإن قيل : لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال أو انقص منه قليلا وأطلق فى الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلا؟ فالجواب : أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيدها بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا (ورتل القرآن ترتيلا) الترتيل هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف ، وذلك معين على التفكر فى معانى القرآن بخلاف الهذ الذى لا يفقه صاحبه مايقول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته حرفا حرفا ولا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) هذه الآية اعتراض بين آية قيام الليل ، والقول الثقيل هو القرآن واختلف فى وصفه بالثقل على خمسة أقوال أحدها أنه سمى ثقيلا لما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يلقاه من الشدة عند نزول الوحى عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد ، وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به ، وأوحى إليه وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد والثقل على هذا حقيقة ، الثانى أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده ، الثالث أنه ثقيل فى الميزان ، الرابع أنه كلام له وزن ورجحان ، الخامس أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهى ، وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية ، قيام الليل لمشقته (إن ناشئة الليل) فى الناشئة سبعة أقوال : الأول أنه النفس الناشئة بالليل أى التى تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة ، الثانى الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة ، الثالث العبادة الناشئة بالليل أى تحدث فيه ، الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة ، الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء ، السادس الناشئة بعد المغرب والعشاء ، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها (هى أشد وطئا) يحتمل معنيين أحدهما : أثقل وأصعب على المصلى ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر ، والأثقل أعظم أجرا فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر . الثانى أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس ويقرب هذا من معنى أقوم قيلا وقرئ وطئا بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة أى يوافق القلب اللسان بحضور الذهن (إن لك فى النهار سبحا طويلا) السبح هنا عبارة عن التصرف فى الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف فى أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك وقيل المعنى إن فاتك شىء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك (واذكر اسم ربك) قيل معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم فى أول صلاتك واللفظ أعم من ذلك (وتبتل إليه تبتيلا) أى انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير

إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝ السَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ

قياس (فاتخذه وكيلا) الوكيل هو القائم بالأمور والذى توكل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله (واصبر على مايقولون) أى على مايقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التى يقتضيها قوله اهجرهم هجرا جميلا وأما الصبر فمأمور به فى كل وقت (وذرنى والمكذبين) هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه أو معطوف (أولى النعمة) أى التنعم فى الدنيا وروى أن الآية نزلت فى بنى المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين فى الدنيا (أنكالا) جمع نكل وهو القيد من الحديد. روى أنها قيود سود من نار (وطعاما ذاغصة) شجرة الزقوم ومعنى ذاغصة أى يغص به آكلوه وقيل هو شوك يعترض فى حلوقهم لاينزل ولا يخرج وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فصعق (يوم ترجف الأرض) أى تهتز وتتزلزل والعامل فى يوم معنى الكلام المتقدم وهو إن لدنيا أنكالا، (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) الكثيب كدس الرمل والمهيل اللين الرخو الذى تهيله الريح أى تنشره وزنه مفعول والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب (إنا أرسلنا إليكم رسولا) خطاب لجميع الناس لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة وقال الزمخشرى هو خطاب لأهل مكة (وشهيدا عليكم) أى يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى عيسى وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام وهو المراد بقوله فعصى فرعون الرسول فاللام للعهد (أخذا وبيلا) أى عظيما شديداً (يوما) مفعول به وناصبه تتقون أى كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم، وقيل هو ظرف أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكروا قوله السماء منفطر به (يجعل الولدان شيبا) الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، ويجعل يحتمل أن يكون مسنداً إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل إن ذلك حقيقة، وقيل إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل إنه عبارة عن طوله (السماء منفطر به) الانفطار الانشقاق والضمير المجرور يعود على اليوم أى تنفطر السماء لشدة هوله ويحتمل أن يعود على الله أى تنفطر بأمره وقدرته والأول أظهر والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقى أو على الاضافة تقديره ذات انفطار أو لأنه أراد السقف (كان وعده مفعولا) الضمير فى وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله والأول أظهر لأنه ملفوظ به (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى ماتقدم من المواعظ والوعيد (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) يريد سبيل التقرب إلى الله ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه (إن ربك يعلم أنك تقوم

الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرءان علم أن سيكون منكم مرضى وءاخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وءاخرون يقتلون فى سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلوٰة وءاتوا الزكوٰة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ٭

سورة المدثر

مكية وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ يأيها المدثر ٭ قم فأنذر ٭ وربك فكبر ٭ وثيابك فطهر ٭ والرجز فاهجر ٭

أدنى من ثلثى الليل) هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به فى أول السورة من قيام الليل ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا مرة يكثرو مرة يقل ، لأنكم لا تقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤا ما تيسر من القرآن (ونصفه وثلثه) من قرأها بالخفض فهو عطف على ثلثى الليل أى تقوم أقل من ثلثى الليل وأقل من نصفه وثلثه ومن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أى تقوم أدنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة (وطائفة) يعنى المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل فى تقوم (علم أن لن تحصوه) الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام أى لن تحصوا تقدير الليل ، وقيل معناه لن تطيقوه أى لن تطيقوا قيام الليل كله (فتاب عليكم) عبارة عن التخفيف كقوله فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أى إذا لم تقدروا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقرؤا فى صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن ، وهذا الأمر للندب ، وقال ابن عطية هو للإباحة عند الجمهور وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن حتى قال بعضهم من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر ، وقيل كان فرضا ثم نسخ بالصلوات الخمس ، وقال بعضهم هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم (علم أن سيكون منكم مرضى) ذكر الله فى هذه الآية الأعذار التى تكون لبنى آدم تمنعهم من قيام الليل فمنها المرض ومنها السفر للتجارة وهى الضرب فى الأرض لابتغاء فضل الله ومنها الجهاد ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للأمر به أو تأكيدا للتخفيف وهذا أظهر لأنه ذكره بأثر الأعذار (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يعنى المكتوبتين (وأقرضوا الله) معناه تصدقوا ، وقد ذكر فى البقرة (هو خيراً) نصب خيرا لأنه مفعول ثان لتجدوه والضمير فصل (واستغفروا الله) قال بعض العلماء إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا

سورة المدثر

(يأيها المدثر) وزنه متفعل ومعناه الذى تدثر فى كساء أو ثياب وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا فى موضعه وقال السهيلى: فى ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد: الاثنتان اللتان ذكرتا فى المزمل وفائدة ثالثة وهى أن

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ

العرب يقولون النذير العريان للنذير الذى يكون فى غاية الجد والتشمير والنذير بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على مايجب من التشمير ، وقيل إن هذه أول سورة نزلت من القرآن : والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها (قم فأنذر) أى أنذر الناس وهذه بعثة عامة (وربك فكبر) أى عظمه ويحتمل أن يريد قول الله أكبر ويؤيد ذلك ماروى عن أبى هريرة أن المسلمين قالوا بم نفتتح صلاتنا فنزلت وربك فكبر وقوله وربك فكبر : من المقلوب الذى يقرأ من أوله وآخره (وثيابك فطهر) فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه حقيقة فى تطهير الثياب من النجاسة واختلف فى هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة ، والآخر أنه يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز ، الثالث : أن معناه لاتلبس الثياب من مكسب خبيث (والرجز فاهجر) فيه ثلاثة أقوال ، أحدها : أن الرجز الأوثان ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول عائشة ، والآخر أن الرجز السخط والعذاب وهذا أصله فى اللغة فمعناه اهجر مايؤدى إليه ويوجبه ، الثالث : أنه المعاصى والفجور ، قال بعضهم كل معصية رجز (ولاتمنن تستكثر) يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء أو بمعنى المن وهو ذكر العطاء وشبهه ، أو بمعنى الضعف فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان ، أحدهما : أن معناه لاتعط شيئا لتأخذ أكثر منه ، قال بعضهم هذا خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم ومباح لأمته ، والآخر : لاتعط الناس عطاء وتستكثره ، لأن الكريم يستقل مايعطى وإن كثيرا ، وإن كان من المن بالشىء ففيه وجهان ، الأول : لاتمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه ، الثانى : لاتمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجاب وإن كان من الضعف فمعناه لاتضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ماحملناك من ذلك (ولربك فاصبر) أى اصبر لوجهه وطلب رضاه ، ويحتمل أن يريد الصبر على المكاره والمصائب ، أو على إذاية الكفار له ، أو على العبادة (فإذا نقر فى الناقور) يعنى نفخ فى الصور ، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى والثانية (ذرنى ومن خلقت وحيدا) هذا وعيد وتهديد ، ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة باتفاق ، وفى معنى وحيدا ثلاثة أقوال : أحدها : روى أنه كان يلقب الوحيد ، أى لانظير له فى ماله وشرفه وكونه وحيدا نعمة عددها الله عليه ، الثانى : أن معناه خلقته منفردا ذليلا ، الثالث : أن معناه خلقته وحدى فوحيدا على هذا من صفة الله تعالى وإعرابه على هذا حال من الضمير الفاعل فى قوله خلقت وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول (وجعلت له مالا ممدوداً) أى كثيراً ، واختلف فى مقداره فقيل : ألف دينار ، وقيل عشرة آلاف دينار ، وقيل يعنى الأرض لأنها ممدت (وبنين شهودا) أى حضوراً ، وروى أنه كان له عشرة من الأولاد ، وقيل ثلاثة عشرة لايفارقونه ، وأسلم منهم ثلاثة وهم : خالد وهشام وعمار (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى الدنيا بالمال والقوة وطيب العيش (ثم يطمع أن أزيد) أى يطمع فى الزيادة على ما أعطاه الله ، وهذا غاية الحرص

قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ
ٱلْبَشَرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا
جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ
وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

(كلا) زجر عما طمع فيه من الزيادة (عنيدا) أى معانداً مخالفا ، والآيات هنا يراد بها القرآن لأن الوليد قال فيه إنه سحر ، ويحتمل أن يريد الدلائل (سأرهقه صعودا) الصعود العقبة الصعبة ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها عقبة فى جهنم كلما صعدها الانسان ذاب ثم يعود ، فالمعنى سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها (إنه فكر وقدر) أى فكر فيما يقول ، وقدر فى نفسه مايقول فى القرآن أى هيأ كلامه ، روى أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم ، ودخل إلى أبى بكر الصديق فعاتبه أبو جهل ، وقال له إن قريشا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد وما يخلصك عندهم إلا أن تقول فى كلام محمد قولا يرضيهم ، فافتتن وقال أفعل ذلك ثم فكر فيما يقول فى القرآن فقال : أقول شعر ماهو شعر ، أقول كهانة ماهو بكهانة ، أقول إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلا من عند الله (فقتل كيف قدر) دعاء عليه وذم وكرره تأكيداً لذمه وتقبيح حاله قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن ، فيكون قوله قتل لايراد به الدعاء عليه وإنما هو كقولهم قاتل الله فلانا ما أنجعه يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه ، وقال الزمخشرى يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء أو حكاية لقول قريش تهكما بهم (ثم نظر) أى نظر فى قوله (ثم عبس وبسر) البسور هو تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس ، وفعل ذلك من حسده للنبى صلى الله عليه وسلم أى عبس فى وجهه عليه الصلاة والسلام ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر مايقول (ثم أدبر) أى أعرض عن الاسلام (سحر يؤثر) أى ينقل عمن تقدم (وما أدراك ماسقر) تعظيم لها وتهويل (لا تبقى ولا تذر) مبالغة فى وصف عذابها أى لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياها أو لا تبقى شيئا ألقى فيها إلا أهلكته وإذا أهلك لم تذره هالكا بل يعود للعذاب (لواحة للبشر) معنى لواحة مغيرة يقال لوحه السفر اذا غيره والبشر جمع بشرة وهى الجلدة ، فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسودها وقيل لواحة من لاح إذا ظهر والبشر الناس أى تلوح للناس ، وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام (تسعة عشر) يعنى الزبانية خزنة جهنم فقيل هم تسعة عشر ملكا وقيل تسعة عشر صفا من الملائكة والأول أشهر (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) سبب الآية أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل : أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به ، فنزلت الآية ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم وروى أن الواحد منهم يرمى بالجبل على الكفار (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أى جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ماقالوا (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من عدد ملائكة النار حق لأنه موافق لما فى كتبهم (ولا يرتاب) أى لا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أن ماقاله محمد صلى الله عليه وسلم حق ، فإن قيل : كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد وهو تكرار؟ فالجواب

وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ
إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝
نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝
فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ
الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمْ

أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن فكأنه وصفهم باليقين فى الحال والاستقبال وقال الزمخشرى ذلك مبالغة وتأكيد (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) المرض عبارة عن الشك وأكثر ما يطلق الذين فى قلوبهم مرض على المنافقين فإن قيل هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة ، فالجواب من وجهين أحدهما أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا ففيه إخبار بالغيب والآخر أن يريد من كان بمكة من أهل الشك ، وقولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا : استبعاد لأن يكون هذا من عند الله (ومايعلم جنود ربك إلا هو) يحتمل القصد بهذا وجهين أحدهما وصف جنود الله بالكثرة أى هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله والآخر رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر أى لا يعلم أعداد جنود الله إلا هو لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبما أراد الله (وماهى إلا ذكرى للبشر) الضمير لجهنم أو للآيات المتقدمة (كلا) ردع للكفار عن كفرهم وقال الزمخشرى هى إنكار لأن تكون لهم ذكرى (إذ أدبر) أى ولى وقرئ دبر بغير ألف والمعنى واحد وقيل معناه دبر الليل والنهار أى جاء فى دبره (والصبح إذا أسفر) أى أضاء ومنه الإسفار بصلاة الصبح (إنها لإحدى الكبر) الضمير لجهنم أو للآيات والنذارة أى هى من الأمور العظام والكبر جمع كبرى وقال ابن عطية جمع كبيرة والأول هو الصحيح (نذيرا للبشر) تمييز أو حال من إحدى الكبر وقيل النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا ضعيف وقيل هو حال من هذه السورة أى قم فأنذر نذيرا وهذا بعيد قال الزمخشرى هو من بدع التفاسير (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى والتأخر ضده ولمن شاء بدل من البشر أى هم متمكنون من التقدم والتأخر وقيل معناه الوعيد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلى هذا أعرب الزمخشرى أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره والأول أظهر (رهينة) قال ابن عطية الهاء فى رهينة للمبالغة أو على تأنيث النفس وقال الزمخشرى ليست بتأنيث رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هى بمعنى الرهن أى كل نفس رهن عند الله بعملها (إلا أصحاب اليمين) أى أهل السعادة فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فك الراهن رهنه بأداء الحق وقال على بن أبى طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وقال ابن عباس هم الملائكة (يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين فى النار (ماسلككم فى سقر) أى ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم لم نك من المصلين وما بعده أى هذا الذى أوجب دخولهم النار ، وإنما أخر التكذيب بيوم الدين تعظيما له لأنه أعظم جرائمهم (نخوض) الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغى من الباطل وشبهه (حتى أتانا اليقين) هو الموت عند المفسرين وقال ابن

شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ۝ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۞ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝

سـورة القيامة

مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝ فَإِذَا

عطية : إنما اليقين الذى أرادوا ما كانوا يكذبون به فى الدنيا ، فيتيقنونه بعد الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) إنما ذلك لأنهم كفار ، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد فى الكفار ، وجمع الشافعين دليل على كثرتهم كما ورد فى الآثار ، تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين (فما لهم عن التذكرة معرضين) يعنى كفار قريش (كأنهم حمر مستنفرة) المستنفرة بفتح الفاء التى استنفرها الفزع وبالكسر بمعنى النافرة شبه الكفار بالحمر النافرة فى جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعنى حمر الوحش ، (فرت من قسورة) قال ابن عباس : القسورة الرماة وقال أيضا هو الأسد ، وقيل أصوات الناس ، وقيل الرجال الشداد ، وقيل سواد أول الليل (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابا من الله ، ومعنى منشرة منشورة غير مطوية أى طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لا نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء فيه من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر باتباعك (كلا) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أى هذه هى العلة والسبب فى إعراضهم (كلا) تأكيد للردع الأول أو ردع عن عدم خوفهم الآخرة (إنه تذكرة) الضمير لما تقدم من الكلام أو للقرآن بجملته (فمن شاء ذكره) فاعل شاء ضمير يعود على من ، وفى ذلك حض وترغيب وقيل الفاعل هو الله ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه ، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله

سـورة القيامة

(لا أقسم) فى الموضعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم وقيل هى استفتاح كلام بمنزلة ألا وقيل هى نفى لكلام الكفار (النفس اللوامة) هى التى تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير فى الطاعات ، فإن النفوس على ثلاثة أنواع فخيرها النفس المطمئنة وشرها النفس الأمارة بالسوء وبينهما النفس اللوامة ، وقيل اللوامة هى المذمومة الفاجرة ، وهذا بعيد لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ويستقيم إن كان لا أقسم نفيا للقسم (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفار المنكرين للبعث ومعناه أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها فى التراب ، وهذه الجملة هى التى تدل على جواب

بَرِقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۞ يَقُولُ الْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّؤُا الْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ بَلِ الْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

القسم المتقدم (بلى) تقديره نجمعها (قادرين) منصوب على الحال من الضمير فى نجمع والتقدير نجمعها ونحن قادرون (على أن نسوى بنانه) البنان الأصابع ، وفى المعنى قولان : أحدهما أنه إخبار بالقدرة على البعث أى قادرين على أن نسوى أصابعه أى نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة ، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها والآخر أنه تهديد فى الدنيا ، أى قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه فى منافعه والأول أليق بسياق الكلام (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) هذه الجملة معطوفة على أيحسب الإنسان ، ويجوز أن يكون استفهاما مثلها أو تكون خبرا وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هى للخروج منه إلى مابعده ، وليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور وفى معنى أمامه ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبارة عما يستقبل من الزمان ، أى يفجر بقية عمره الثانى أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته يقال مشى فلان قدامه إذا لم يرجع عن شىء يريده والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان ، الثالث أن الضمير يعود على يوم القيامة والمعنى يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة (يسأل أيان يوم القيامة) أيان معناها متى وهذا السؤال على يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد (برق البصر) هذا إخبار عن يوم القيامة ، وقيل عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد ، ولا يجمع بينه وبين الشمس وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق ، وقرئ بكسر الراء ومعناه تحير من الفزع ، وقيل معناه شخص فيتقارب معنى الفتح والكسر (وخسف القمر) ذهب ضوؤه ، يقال خسف هو وخسفه الله والخسوف للقمر والكسوف للشمس ، وقيل الكسوف ذهاب بعض الضوء ، والخسوف ذهاب جميعه وقيل بمعنى واحد (وجمع الشمس والقمر) فى جمعهما ثلاثة أقوال : أحدها أنهما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب ، والآخر أنهما يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذفان فى النار ، وقيل فى البحر ، فتكون النار الكبرى . الثالث أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما (لا وزر) أى لا ملجأ ولا مغيث (بما قدم وأخر) أى بجميع أعماله ماقدم منها فى أول عمره وما أخر فى آخره ، وقيل ماتقدم فى حياته وماأخر من سنة أو وصية بعد مماته ، وقيل ماقدم لنفسه من ماله وماأخر منه لورثته (بل الإنسان على نفسه بصيرة) فى معناه قولان : أحدهما : أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة ، والآخر : أنه حجة بينة لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصارة مجازا لأن من نظر فيه أبصر الحق ، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها ، وكذلك يلتئم مع قوله ولو ألقى معاذيره ، ويكون هو جواب لو حسبما نذكره (ولو ألقى معاذيره) فيه قولان ، أحدهما : أن المعاذير الأعذار أى الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها والآخر أن المعاذير الستور أى الانسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه فى الدنيا حين يفعل القبائح (لا تحرك به لسانك لتعجل به) الضمير فى به يعود على القرآن

بَيَانَهُ ۝ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۝ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۝ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۝ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ

دلت على ذلك قرينة الحال وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه ، فأمره الله أن ينصت ويستمع ، وقيل كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية والأول هو الصحيح لأنه ورد فى البخارى وغيره (إن علينا جمعه وقرآنه) ضمن الله له أن يجمعه فى صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله ، ويحتمل قرآنه هنا وجهين ، أحدهما : أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت ، والآخر : أن يكون معناه تأليفه فى صدره فهو مصدر من قولك قرأت الشىء أى جمعته (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده ، ومعنى اتبع قرآنه اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها ، وقيل اتبع القرآن فى الأوامر والنواهى (ثم إن علينا بيانه) أى علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه ، وقيل علينا أن نبين معانيه وأحكامه ، فإن قيل ما مناسبة قوله لاتحرك به لسانك الآية لما قبلها فالجواب أنه لعله نزل معه فى حين واحد فجعل على ترتيب النزول (بل تحبون العاجلة) أى تحبون الدنيا ، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم فى حب الدنيا وكلا ردع عن ذلك (وجوه يومئذ ناضرة) بالضاد أى ناعمة ، ومنه نضرة النعيم (إلى ربها ناظرة) هذا من النظر بالعين ، وهو نص فى نظر المؤمنين إلى الله تعالى فى الآخرة وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة ، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر ، تقول نظرتك أى انتظرتك ، وأما المتعدى بإلى فهو من نظر العين ، ومنه قوله ومنهم من ينظر إليك وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هى واحد الآلاء بمعنى النعم وهذا تكلف فى غاية البعد ، وتأوله الزمخشرى بأن معناه كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لاتحتمل التأويل فهى تفسير للآية (باسرة) أى عابسة تظهر عليها الكآبة والبسور أشد من العبوس (تظن أن يفعل بها فاقرة) أى مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين (إذا بلغت التراقى) يعنى حالة الموت والتراقى جمع ترقوة وهى عظام أعلى الصدر والفاعل ببلغت نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت (وقيل من راق) أى قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه وقيل معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أى يصعد بها إلى السماء فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثانى من الرقى وهو العلو (وظن أنه الفراق) أى تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله (والتفت الساق بالساق) هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته أى التفت ساقه على الأخرى عند السياق وقيل هو مجاز كقوله كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله وقيل التفت أى لفها الكافر إذا كفر وفى قوله الساق والمساق ضرب من ضروب التجنيس (إلى ربك يومئذ المساق) هذا جواب

يَتَمَطَّىٰ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ *

سورة الإنسان

مدنية وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمٰن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ إِنَّا

إذا بلغت التراقى والمساق مصدر من السوق كقوله إلى الله المصير (فلا صدق ولا صلى) لاهنا نافية وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة ونزلت هذه الآية وما بعدها فى أبى جهل (يتمطى) أى يتبختر فى مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء وكانت هذه المشية معروفة فى بنى مخزوم الذين كان أبوجهل منهم (أولىلك) وعيد وتهديد (فأولى) وعيد ثان ثم كرر ذلك تأكيدا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبب أبا جهل وقال له إن الله يقول لكأولىلك فأولى ثم أولى لك فأولى فنزل القرآن بموافقة ذلك (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) هذا توبيخ ومعناه أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، والانسان هنا جنس، وقيل نزلت فى أبى جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصا ومعناها عام (ألم يك نطفة من منى يمنى) النطفة النقطة وتمنى من قولك أمنى الرجل ومعنى الآية الاستدلال بخلقة الانسان على بعثه كقوله: قل يحييها الذى أنشأها أول مرة والعلقة الدم لأن المنى يصير فى الرحم دما (فخلق فسوى) أى خلقه بشراً فسوى صورته أى أتقنها (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) هذا تقرير واحتجاج، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال بلى وفى رواية سبحانك اللهم بلى

سورة الإنسان

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام، وقيل هل بمعنى قل، والانسان هنا جنس، والحين الذى أتى عليه حين كان معدوما قبل أن يخلق، وقيل الانسان هنا آدم والحين الذى أتى عليه حين كان طينا قبل أن ينفخ فيه الروح وهذا ضعيف لوجهين أحدهما قوله «إنا خلقنا الانسان من نطفة» وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هنا فى آدم، والآخر أن مقصد الآية تحقير الإنسان (من نطفة أمشاج) أى أخلاط واحدها مشج بفتح الميم والشين وقيل مشج بوزن عدل، وقال الزمخشرى ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم برمة أعشار، ولذلك أوقع صفة للمفرد واختلف فى معنى الأخلاط هنا فقيل اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة وروى أن عظام الإنسان، وعصبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة، وقيل معناه ألوان وأطوار أى يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) أى نختبره وهذه الجملة فى موضع الحال أى خلقناه مبتلين له وقيل

أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن

معناه نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة (فجعلناه سميعا بصيرا) هذا معطوف على خلقنا الانسان ومن جعل نبتليه بمعنى نصرفه فى بطن أمه فهذا عطف عليه ، وقيل أن نبتليه مؤخر فى المعنى أى جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهذا تكلف بعيد (إنا هديناه السبيل) أى سبيل الخير والشر ولذلك قسم الانسان إلى قسمين شاكراً أو كفورا وهما حالان من الضمير فى هديناه والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وموهبة العقل الذى يميز به بينهما ويحتمل أن يكون بمعنى الارشاد أى هدى المؤمن الإيمان والكافر للكفر قل كل من عندالله (سلاسلا) من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له فى الآحاد ومن قرأه بالتنوين فله ثلاث توجيهات أحدها أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل مالا ينصرف إلا أفعل والآخر أن النون بدل من حرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف والثالث أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عود لسانه صرف مالا ينصرف فجرى على ذلك (الأبرار) جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر (من كأس) ذكر فى الصافات معنى الكاس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبعيض أو الابتداء الغاية (مزاجها كافورا) أى تمزج الخمر بالكافور وقيل المعنى أنه كافور فى طيب رائحته كما تمدح طعاما فتقول هذا مسك (عينا) بدل من كافورا على القول بأن الخمر تمزج بالكافور أو بدل من موضع من كأس على القول الآخر كأنه قال يشربون خمرا خمر عين وقيل هو مفعول يشربون وقيل منصوب بإضمار فعل (يشرب بها) قال ابن عطية الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف لأن الباء إنما تزاد فى مواضع ليس هذا منها وإنما هى كقولك شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر (عباد الله) وصفهم بالعبودية وفيه معنى التشريف والاختصاص . كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا (يفجرونها تفجيرا) أى يفجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم وفى الأثر أن فى قصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة عينا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين (مستطيرا) أى منتشرا شائعا ومنه استطار الفجر إذا انشق ضوؤه (ويطعمون الطعام) نزلت هذه الآية ومابعدها فى على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم ليأكلوه جاء مسكين فرفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين والآية على هذا مدنية لأن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة وقيل إنما هى مكية وليست فى على (على حبه) الضمير للطعام أى يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» ففى قوله على حبه تتميم وهو من أدوات البيان وقيل الضمير لله وقيل للإطعام المفهوم من يطعمون والأول أرجح وأظهر (مسكينا ويتيما وأسيرا) قد ذكرنا المسكين واليتيم وأما الأسير ففيه خمسة أقوال أحدها أن الأسير الكافر بين المسلمين ففى إطعامه أجر لأنه فى كل ذى كبد رطبة أجر وقيل نسخ ذلك بالسيف والآخر أنه الأسير المسلم إذا

رَبُّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝

خرج من دار الحرب لطلب الفدية والثالث أنه المملوك الرابع أنه المسجون الخامس أنه المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم وهذا بعيد والأول أرجح لأنه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له أحسن إليه (إنما نطعمكم لوجه الله) عبارة عن الإخلاص لله ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم لانريد منكم جزاء ولا شكورا والشكور مصدر كالشكر ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم أو قالوه فى نفوسهم فهو عبارة عن النية والقصد (يوما عبوسا) وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين أحدهما أن يوصف اليوم بصفة أهله كقولهم نهاره صائم وليله قائم وروى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران والآخر يشبه فى شدته بالأسد العبوس (قمطريرا) قال ابن عباس معناه طويل وقيل شديد (ولقاهم نضرة وسرورا) النضرة التنعم وهذا فى مقابلة عبوس الكافر وقوله وقاهم ولقاهم من أدوات البيان (بما صبروا) أى بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا من قصة على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ، وقد ذكرنا الأرائك (لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا) عبارة عن اعتدال هوائها أى ليس فيها حر ولا برد ، والزمهرير هو البرد الشديد ، وقيل هو القمر بلغة طيء ، والمعنى على هذا أن للجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) معناه أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة منهم وإعراب دانية معطوف على متكئين ، وقال الزمخشرى هو معطوف على الجملة التى قبلها وهى لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا ، لأن هذه الجملة فى حكم المفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية ، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم أى جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال ، وقيل هو صفة لجنة عطف بالواو كقولك فلان عالم وصالح وقيل هو معطوف عليها أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها (وذللت قطوفها تذليلا) القطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ، وشبه ذلك ، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض ، وروى أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أى حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع ، لأنها تتدلى لهم كما يريدون ، وهذه الجملة فى موضع الحال من دانية ، أى دانية فى حال تذليل قطوفها أو معطوفة عليها (بآنية) هى جمع إناء ووزنها أفعلة وقد ذكرنا الأكواب فى الواقعة (قواريرا) القوارير هى الزجاج ، فإن قيل كيف يتفق أنها زجاج مع قوله من فضة ؟ فالجواب : أن المراد أنها فى أصلها من فضة وهى تشبه الزجاج فى صفائها وشفيفها ، وقيل هى من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها ومن قرأ قوارير بغير تنوين فهو على الأصل ومن نونه فعلى ماذكرنا فى سلاسل (قدروها تقديرا) هذه صفة للقوارير والمعنى قدروها على قدر الأكف أو على قدر مايحتاجون من الشراب قال مجاهد : هى لاتغيض ولا تفيض ، وقيل قدروها على حسب مايشتهون ، والضمير الفاعل فى قدروها

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَٰؤُلَآءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ

يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفين بها (مزاجها زنجبيلا) هو كما ذكرنا فى مزاجها كافورا (سلسبيلا) معناه سلسل منقادا لجرية ، وقيل سهل الانحدار فى الحلق ، يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد وزيدت الباء فى التركيب للمبالغة فى سلاسته فصارت الكلمة خماسية ، وقيل سل فعل أمر سبيلا مفعول به وهذا فى غاية الضعف (ولدان مخلدون) ذكر فى الواقعة (لؤلؤا منثورا) شبههم باللؤلؤ فى الحسن والبياض وبالمنثور منه فى كثرتهم وانتشارهم فى القصور (وإذا رأيت ثم) مفعول رأيت محذوف ليكون الكلام على الإطلاق فى كل مايرى فيها وثم ظرف مكان ، وقال الفراء تقديره إذا رأيت ما ثم فما مفعولة ثم حذفت ، قال الزمخشرى وهذا خطاب لأن ثم صلة لما ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة (ملكا كبيرا) يعنى كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه ، حسبما ورد فى الحديث وقيل أراد أن الملائكة تسلم عليهم ، وتستأذن عليهم ، فهم بذلك كالملوك (عاليهم) بسكون الياء مبتدأ خبره (ثياب سندس) أى مايعلوهم من الثياب ثياب سندس ، وقرئ بالنصب على الحال ، من الضمير فى يطوف عليهم أو فى حسبتهم . وقال ابن عطية العامل فيه لقاهم أو جزاهم ، وقال أيضاً يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقاهم ، وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق وقرئ (خضر) بالخفض صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب (وإستبرق) بالرفع عطف على ثياب ، وبالخفض عطف على سندس (وحلوا) وزنه فعلوا معناه جعل لهم حلى (أساور من فضة) ذكرنا الأساور فى الكهف ، فإن قيل كيف قال هنا أساور من فضة ، وفى موضع آخر أساور من ذهب ؟ فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فلعل الذهب للمقربين ، والفضة لأهل اليمين ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معاً (شرابا طهورا) أى ليس بنجس كخمر الدنيا ، وقيل معناه أنه لم تعصره الأقدام ، وقيل معناه لا يصير بولا (إن هذا كان لكم جزاء) أى يقال لهم هذا بقوله الله تعالى والملائكة (آثما أو كفورا) أو هنا للتنويع فالمعنى لا تطع النوعين ، فاعلا للإثم ولا كفورا ، وقيل هى بمعنى الواو أى جامعا للوصفين لأن هذه هى حالة الكفار ، وروى أن الآية نزلت فى أبى جهل ، وقيل أن الآثم عتبة بن ربيعة ، والكفور الوليد بن المغيرة ، والأحسن أنها على العموم ، لأن لفظها عام ، وإن كان سبب نزولها خاصا (بكرة وأصيلا) هذا أمر بذكر الله فى كل وقت ، وقيل إشارة إلى الصلوت الخمس ، فالبكرة صلاة الصبح ، والأصيل الظهر والعصر ، ومن الليل المغرب والعشاء (إن هؤلاء يحبون العاجلة) أى الدنيا والإشارة إلى

وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

سورة المرسلات

مكية إلا آية ٤٨ فمدنية وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهمزة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝

الكفار واليوم الثقيل يوم القيامة ، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته (وشددنا أسرهم) الأسر الخلقة وقيل المفاصل والأوصال ، وقيل القوة (بدلنا أمثالهم تبديلا) أى أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم وقيل مسخناهم فبدلنا صورهم وهذا تهديد (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها (فمن شاء) تحضيض وترغيب ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله (والظالمين) منصوب بفعل مضمر تقديره ويعذب الظالمين

سورة المرسلات

اختلف فى معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين : أحدهما أنها الملائكة والآخر أنها الرياح فعلى القول بأنها الملائكة سماهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحى وغيره وسماهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح فى سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى ، وسماهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم فى الجو ، وينشرون الشرائع فى الأرض ، أو ينشرون صحائف الأعمال وسماهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل ، وعلى القول بأنها الرياح ، سماها المرسلات لقوله « الله الذى يرسل الرياح» وسماها العاصفات من قوله ريح عاصف أى شديدة وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب فى الجو ومنه قوله يرسل الرياح فتثير سحابا وسماها الفارقات لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله فيجعله كسفا وأما الملقيات ذكرا فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام والأظهر فى المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة والأظهر فى الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ولأن الملقيات المذكورة بعدها هى الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال والمرسلات فالعاصفات ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال والناشرات ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء وقد قيل فى المرسلات والملقيات أنهم الأنبياء عليهم السلام (عرفا) معناه فضلا وإنعاما وانتصابه على أنه مفعول من أجله وقيل معناه متتابعة وهو مصدر فى موضع الحال وأما عصفا ونشرا وفرقا فمصادر وأما ذكرا فمفعول به (عذرا أو نذرا) العذر فسره ابن عطية وغيره بمعنى إعذار الله إلى عباده لئلا تبقى لهم حجة أو عذر وفسره الزمخشرى بمعنى الاعتذار يقال عذر إذا محا الإساءة وأما نذرا فمن الإنذار وهو التخويف وقرئ بضم الذال فى الموضعين وبإسكانها ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من ذكرا أو مفعولا بذكرا ويحتمل أن

وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۞ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۞
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۞ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۞ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ
وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ ٱنطَلِقُوٓا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۞ ٱنطَلِقُوٓا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۞ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۞ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞

يكون عذرا جمع عذير أو عاذر ونذرا جمع نذير يكون نصبهما على الحال (إنما توعدون لواقع) يعنى البعث والجزاء وهو جواب القسم (فإذا النجوم طمست) أى زال ضوؤها وقيل محيت (وإذا السماء فرجت) أى انشقت (وإذا الجبال نسفت) أى صارت غبارا (وإذا الرسل أقتت) أى جعل لها وقت معلوم فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة وقرئ وقتت بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو (لأى يوم أجلت) هو من الأجل كما أن التوقيت من الوقت وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بينه بقوله (ليوم الفصل) أى يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله (وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين) تكراره فى هذه السورة قيل إنه تأكيد وقيل بل فى كل آية ما يقتضى التصديق فجاء ويل يومئذ للمكذبين راجعا إلى ما قبله فى كل موضع منها (ألم نهلك الأولين) يعنى الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره (كذلك نفعل بالمجرمين) أى مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعنى الكفار (ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى المنى، والمهين الضعيف (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى رحم المرأة وبطنها (إلى قدر معلوم) يعنى وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فقدرنا) بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله فنعم القادرون وإذا كان من التقدير فهو تجنيس (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) الكفات من كفت إذا ضم وجمع فالمعنى أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والموتى فى بطنها وانتصب أحياء وأمواتا على أنه مفعول بكفاتا لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع فكأنه قال جامعة أحياء وأمواتا ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتا فيكون نصبهما على الحال من الضمير وإنما نكر أحياء وأمواتا للتفخيم ودلالة على كثرتهم (رواسى) يعنى الجبال (شامخات) أى مرتفعات (ماء فراتا) أى حلوا (انطلقوا) خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض ثم كرره لبيان المنطلق إليه (إلى ظل) يعنى دخان جهنم ومنه ظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) أى يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلهم بينما يكون المؤمنون فى ظلال العرش وقيل إن هذه الآية فى عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شعب فيقال لهم انطلقوا إليه (لا ظليل) نفى عنه أن يظلهم كما يظل العرش المؤمنين ونفى أيضا أن يمنع عنهم اللهب (إنها ترمى بشرر كالقصر) الضمير فى إنها لجهنم والقصر واحد القصور وهى الديار العظام شبه الشرر به فى عظمته وارتفاعه فى الهواء وقيل هو الغليظ من الشجر

هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝

سورة النبأ : مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ

واحده قصرة كجمرة وجمر (كأنه جمالت صفر) فى الجمالات قولان أحدهما أنها جمع جمال شبه بها الشرر وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة وقيل صفر هنا بمعنى سود يقال جمل أصفر أى أسود وهذا أليق بوصف جهنم الثانى أن الجمالات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة وقرئ جمالات بضم الجيم وهى قلوس السفن وهى حبالها العظام (هذا يوم لا ينطقون) هذا فى مواطن وقد يتكلمون فى مواطن أخر لقوله يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (فإن كان لكم كيد فكيدون) تعجيز لهم وتعريض بكيدهم فى الدنيا وتقريع عليه (كلوا واشربوا) يقال لهم ذلك فى الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال (هنيئا بما كنتم تعملون) نصب هنيئا على الحال أو على الدعاء (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار على وجه التهديد تقديره قل لهم كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) هذا إخبار عن حال الكفار فى الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة وقيل معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون على الركوع كقوله ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون والأول أشهر وأظهر (فبأى حديث بعده يؤمنون) الضمير للقرآن

سورة النبأ

(عم يتساءلون) أصل عم عن ما ثم أدغمت النون فى الميم وحذفت ألف ما لأنها استفهامية تقديرها عن أى شىء يتساءلون وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر والضمير فى يتساءلون لكفار قريش أو لجميع الناس ومعناه يسأل بعضهم بعضا (عن النبأ العظيم) هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك ويتعلق عن النبإ بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره يتساءلون عن النبأ ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام وبيانا للمسؤول عنه كأنه لما قال عم يتساءلون أجاب فقال يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل يتعلق عن النبأ بيتساءلون الظاهر والمعنى على هذا لأى شىء يتساءلون عن النبأ العظيم والأول أفصح وأبرع وينبغى على ذلك أن يوقف على قوله عم يتساءلون (الذى هم فيه مختلفون) إن كان الضمير فى يتساءلون لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالتكذيب ومنهم من يشك أو يكون اختلافهم قول بعضهم

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً

سحر وقول بعضهم شعر وكهانة وغير ذلك وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر (كلا سيعلمون) ردع وتهديد ثم كرره للتأكيد (ألم نجعل الأرض مهادا) أى فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث كأنه يقول إن الإله الذى قدر على خلقة هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد لأن الذى خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لاشريك له (والجبال أوتادا) شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد (وخلقناكم أزواجا) أى من زوجين ذكرا وأنثى، وقيل معناه أنواعا فى ألوانكم وصوركم وألسنتكم (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لكم، وقيل معناه قطعا للأعمال والتصرف والسبت القطع وقيل معناه موتا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت منامها» (وجعلنا الليل لباسا) شبهه بالثياب التى تلبس لأنه ستر عن العيون (وجعلنا النهار معاشا) أى تطلب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش، وقال الزمخشرى معناه يعاش فيه فجعله بمعنى الحياة فى مقابلة السبات الذى بمعنى الموت (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى السموات (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس والوهاج الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل الحار الذى يضطرم من شدة لهبه (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) يعنى المطر والمعصرات هى السحاب وهو مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة، بمعنى الإغاثة ومنه وفيه يعصرون، وقيل هى السموات وقيل الرياح والثجاج السريع الاندفاع (لنخرج به حبا ونباتا) الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب والنبات هو العشب (وجنات ألفافا) أى ملتفة وهو جمع لف بضم اللام، وقيل بالكسر وقيل لا واحد له (كان ميقاتا) أى فى وقت معلوم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى نفخة القيام من القبور (فتأتون أفواجا) أى جماعات (فكانت أبوابا) أى تنفتح فتكون فيها شقاق كالأبواب (وسيرت الجبال) أى حملت (فكانت سرابا) عبارة عن تلاشيها وفنائها والسراب فى اللغة مايظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا وإنما هو تشبيه فى أنه لاشىء (مرصادا) أى موضع المرصد والرصد هو الارتقاب والانتظار، أى تنتظر الكفار ليدخلوها وقيل معناه طريقا المؤمنين يمرون عليه إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم (مآبا) أى مرجعا (لابثين فيها أحقابا) جمع حقبة أو حقب وهى المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل إنها محدودة ثم اختلف فى مقدارها، فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها ثمانون ألف سنة، وقال ابن عباس ثلاثون سنة وقيل ثلثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقابا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى

وفاقا * إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا ، وكل شيء أحصيناه كتابا * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ، إن للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا ، وكأسا دهاقا ، لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا * جزاء من ربك عطاء حسابا ، رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا ، يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا * ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا * إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا *

غير نهاية وقيل إنه كان يقتضى أن مدة العذاب تنقضى ، ثم نسخ بقوله « فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا » وهذا خطاب لأن الأخبار لا تنسخ ، وقيل هى فى عصاة المؤمنين الذى يخرجون من النار ، وهذا خطأ لأنها فى الكفار لقوله وكذبوا بآياتنا وقيل معناها أنهم يبقون أحيانا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار وقيل لا يذوقون ماء بارداً وقيل البرد هنا النوم والأول أظهر (إلا حميما وغساقا) استثناء من الشراب وهو متصل والحميم الماء الحار والغساق صديد أهل النار وقد ذكر فى سورة داود (جزاء وفاقا) أى موافقا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار ، ووفاقا مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره ذو وفاق (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) هذا مثل لا يرجون لقاءنا وقد ذكر (كذابا) بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة وهى تكذيب بعضهم لبعض (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل فى أهل النار أشد من هذه الآية (مفازا) أى موضع فوز يعنى الجنة (حدائق) أى بساتين (وكواعب) جمع كاعب وهى الجارية التى خرج ثديها (أترابا) أى على سن واحد (وكأسا دهاقا) أى ملأى وقيل صافية والأول أشهر (عطاء حسابا) أى كافيا من أحسب الشيء اذا كفاه ، وقيل معناه على حسب أعمالهم (رب السموات) بالرفع مبتدأ أو خبرا بتداء مضمر وبالخفض صفة لربك ، والرحمن بالخفض صفة وبالرفع خبر المبتدأ أو خبرا بتداء مضمر (لا يملكون منه خطابا) قال ابن عطية الضمير للكفار أى لا يملكون أن يخاطبوه بمقدرة ولا غيرها وقيل المعنى لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله ولا يكلمهم الله وقال الزمخشرى الضمير لجميع الخلق أى ليس بأيديهم شىء من خطاب الله (يوم يقوم الروح) قيل هو جبريل وقيل ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا ، وقيل يعنى أرواح بنى آدم فهو اسم جنس ويوم يتعلق بلا يملكون أو لا يتكلمون (لا يتكلمون) الضمير للملائكة والروح أى تمنعهم الهيبة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم وقول الصواب يكون فى ذلك الموطن على هذا وقيل الضمير للناس خاصة والصواب المشار إليه قول لا إله إلا الله أى من قالها فى الدنيا (ذلك اليوم الحق) أى الحق وجوده ووقوعه (فمن شاء) تخصيص وترغيب (عذابا قريبا) يعنى عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب أو لأن الدنيا على آخرها (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) المرء هنا عموم فى المؤمن والكافر ، وقيل هو المؤمن وقيل هو الكافر والعموم أحسن لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة الآية (ويقول

سـورة النازعات : مكية وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۞ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۞ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۞ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۞ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۞ يَقُولُونَ

الكافر ياليتنى كنت ترابا) تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل تمنى أن يكون فى الدنيا ترابا أى لم يخلق ، وروى أن البهائم تحشر ليقتص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها ، وهذا يقوى الأول ، وقيل الكافر هنا إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب فى قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين

سورة النازعات

اختلف فى معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات ، فقيل إنها الملائكة وقيل النجوم ، فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بنى آدم من أجسادها وناشطات لأنهم ينشطونها أى يخرجونها فهو من قولك نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها وسابحات لأنهم يسبحون فى سيرهم أى يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج وسابحات لأنها تسبح فى الفلك ومنه كل فى فلك يسبحون فتسبق فى جريها فتدبر أمرا من علم الحساب ، وقال ابن عطية لا أعلم خلافا أن المدبرات أمراً الملائكة وحكى الزمخشرى فيها ما ذكرنا وقد قيل فى النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزع بالموت فتنشط من الأجساد ، وقيل فى السابحات والسابقات أنها الخيل وأنها السفن (غرقا) إن قلنا النازعات الملائكة ففى معنى غرقا وجهان : أحدهما أنها من الغرق أى تغرق الكفار فى جهنم والآخر أنه من الإغراق فى الأمر بمعنى المبالغة فيه أى تبالغ فى نزعها فتقطع الفلك كله ، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق أى تغرق فى الخروج من الجسد والإعراب غرقا مصدر فى موضع الحال ، ونشطا وسبحا وسبقا مصادر ، وأمرا مفعول به ، وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة ، وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة على تقدير حذف لام التأكيد ، وقيل هو «إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى» وهذا بعيد لبعده عن القسم ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قيل الراجفة النفخة الأولى فى الصور والرادفة النفخة الثانية لأنها تتبعها ولذلك سماها رادفة من قولك ردفت الشىء إذا تبعته ، وفى الحديث أن بينهما أربعين عاما ، وقيل الراجفة الموت والرادفة القيامة ، وقيل الراجفة الأرض ، من قوله «ترجف الأرض والجبال» والرادفة السماء لأنها تنشق يومئذ والعامل فى يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر تقديره لتبعثن يوم ترجف الراجفة وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل فى يوم معنى قوله «قلوب يومئذ واجفة» وقوله «تتبعها الرادفة» فى موضع الحال ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها (قلوب يومئذ واجفة) أى شديدة الاضطراب والوجيف والوجيب بمعنى واحد وارتفع قلوب بالابتداء وواجفة خبره ، وقال الزمخشرى : واجفة صفة والخبر أبصارها خاشعة

أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ ۝ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝ فَأَرَىٰهُ الْءَايَةَ الْكُبْرَىٰ ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۝ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ الْءَاخِرَةِ وَالْأُولَىٰٓ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

(أبصارها خاشعة) كناية عن الذل والخوف وإضافت الأبصار إلى القلوب على تجوز والتقدير قلوب أصحابها (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة) هذا حكاية قول الكفار فى الدنيا، ومعناه على الجملة إنكار البعث فالهمزة فى قوله «أئنا لمردودون» للإنكار ولذلك اتفق العلماء على قراءته بالهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من خففها واختلفوا فى إذا كنا عظاما نخرة فمنهم من قرأه بهمزة واحدة لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيدا للإنكار المتقدم ثم اختلفوا فى معنى الحافرة على ثلاثة أقوال: أحدها أنها الحالة الأولى يقال رجع فلان فى حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى فالمعنى أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت والآخر أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة فالمعنى أئنا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن فى القبور والثالث أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرئ ناخرة بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد إلا أن حذف الألف أبلغ لأن فعل أبلغ من فاعل وقيل معناه العظام المجوفة التى تمر بها الريح فيسمع لها نخير والعامل فى إذا كنا محذوف تقديره إذا كنا عظاما نبعث ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون فى الحافرة ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين لأن همزة الاستفهام لا يعمل ماقبلها فيما بعدها (قالوا تلك إذاً كرة خاسرة) الكرة الرجعة والخاسرة منسوبة إلى الخسران كقوله عيشة راضية أى ذات رضى أو معناه خاسر أصحابها ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا إن كان البعث حقا فكرتنا خاسرة لأنا ندخل النار (فإنما هى زجرة واحدة) يعنى النفخة فى الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث كأنه يقول لا تظنوا أنه صعب على الله هو عليه يسير فإنما ينفخ نفخة واحدة فى الصور فيقوم الناس من قبورهم (فإذاهم بالساهرة) إذا هنا فجائية والساهرة وجه الأرض والباء ظرفية والمعنى إذا نفخ فى الصور حصلوا بالأرض أسرع شىء (هل أتاك) توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام (طوى) ذكر فى طه (اذهب إلى فرعون) تفسير للنداء (هل لك إلى أن تزكى) أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل وقال بعضهم تزكى تسلم وقيل تقول لا إله إلا الله والأول أعم (الآية الكبرى) قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء وجعلهما واحدة لأن الثانية تتبع الأولى ويحتمل أن يريد الأولى وحدها (ثم أدبر يسعى) الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان ويسعى عبارة عن جده فى الكفر وفى إبطال أمر موسى عليه السلام وقيل هو حقيقة أى قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا (فحشر) أى جمع جنوده وأهل مملكته (فنادى) أى نادى قومه وقال لهم ماقال ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم والأول أظهر وروى أنه قام فيهم خطيبا فقال ماقال (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النكال مصدر بمعنى التنكيل والعامل فيه أخذه الله لأنه بمعناه وقيل العامل

لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝ فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِىَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَأْوَىٰ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَا ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝

محذوف والآخرة هى دار الآخرة والأولى الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق وقيل الآخرة قوله أنا ربكم الأعلى والأولى قوله ماعلمت لكم من إله غيرى وقيل بالعكس فالمعنى أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى (أأنتم أشد خلقا أم السماء) هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث فإن الذى خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها (رفع سمكها) السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذى بين سطح السماء الأسفل الذى يلينا وسطحها الأعلى الذى يلى مافوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام وقيل السمك السقف (فسواها) أى أتقن خلقتها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض (وأغطش ليلها) أى جعله مظلما يقال غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله (وأخرج ضحاها) أى أظهر ضوء الشمس فى وقت الضحى وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أنهما ظاهران منها وفيها (والأرض بعد ذلك دحاها) أى بسطها واستدل بها من قال إن الأرض بسيطة غير كروية وقد ذكرنا فى فصلت الجمع بين هذا وبين قوله ثم استوى إلى السماء (أخرج منها ماءها) ومرعاها نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها فإن قيل لما قال أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب أن هذه الجملة فى موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشرى (والجبال أرساها) أى أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض (متاعا لكم) تقديره فعل ذلك كله تمتيعا لكم منه (ولأنعامكم) لأن بنى آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر (الطامة) هى القيامة وقيل النفخة الثانية واشتقاقها من قولك لهم الأمر إذا علا وغلب (وبرزت الجحيم لمن يرى) أى أظهرت لكل من يرى فهى لا تخفى على أحد (مقام ربه) ذكر فى سورة الرحمن (ونهى النفس عن الهوى) أى ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة قال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه وقال سهل التسترى لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين (أيان مرساها) ذكر فى الأعراف (فيم أنت من ذكراها) أى من ذكر زمانها فالمعنى لست فى شىء من ذكر ذلك قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الآية انتهى (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده (إنما أنت منذر من يخشاها) أى إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها وخص الإنذار بمن يخشاها لأنه هو الذى ينفعه الإنذار (لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا فى الدنيا أو فى القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم وأضاف الضحى كذلك إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما فى يوم واحد

سورة عبس : مكية وآياتها ٤٢ نزلت بعد النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝

سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إسلام قريش وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا فيسلم بإسلامهم غيرهم فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أمية بن خلف ، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبدالله بن أم مكتوم الأعمى فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع الأعمى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذى كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عبدالله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه وقد استخلفه على المدينة مرتين (عبس وتولى) أى عبس فى وجه الأعمى وأعرض عنه قال ابن عطية فى مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة فى العتب لأن فى ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشرى فى الإخبار بالغيبة زيادة فى الإنكار ، وقال غيرهما هو إكرام للنبى صلى الله عليه وسلم وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن (أن جاءه الأعمى) فى موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولى أو عبس وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى ليدل أن عماه هو الذى أوجب احتقاره وفى هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو يشهد صاحبها ومنه قول المحدثين سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك (وما يدريك) أى أىّ شىء يطلعك على حال هذا الأعمى (لعله يزكى) أى يتطهر وينتفع فى دينه بما يسمع منك ، (أما من استغنى فأنت له تصدى) أى تتعرض للغنى رجاء أن يسلم (وما عليك ألا يزكى) أى لا حرج عليك أن لا يتزكى هذا الغنى (وأما من جاءك يسعى) إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم ، ومعنى يسعى يسرع فى مشيه من حرصه فى طلب الخير (وهو يخشى) أى يخشى الله أو يخاف الكفار وإذايتهم له على اتباعك وقيل جاء وليس معه من يقوده ، فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف (فأنت عنه تلهى) أى تشتغل عنه بغيره من قولك لهيت عن الشىء إذا تركته ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأدب بما أدبه الله فى هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغنى ، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء ، فكان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى كالأمراء وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء (كلا) ردع عن معاودة ماوقع العتاب فيه (إنها تذكرة) فيه وجهان ، أحدهما : أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبى صلى الله عليه وسلم والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغى أن يؤثر فيه أحد على أحد ، وهذا أرجح لأنه يناسبه : فمن شاء ذكره ، ومابعده ، وأنث الضمير فى قوله إنها تذكرة على معنى القصة أوالموعظة أو السورة أو القراءة

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ قُتِلَ الْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝

وذكرها فى قوله فمن شاء ذكره على معنى الوعظ أو الذكرى والقرآن (فى صحف) صفة لتذكرة أى ثابتة فى صحف وهى الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ وقيل هى مصاحف المسلمين (مرفوعة) إن كانت الصحف المصاحف فمعناه مرفوعة المقدار وإن كانت صحف الملائكة فمعناه كذلك أو مرفوعة فى السماء ومطهرة أى منزهة عن أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) هى الملائكة، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عبيده، وقيل يعنى القراء من الناس والأول أرجح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة أى أنه يعمل مثل عملهم فى كتابة القرآن وتلاوته أوله من الأجر على القرآن مثل أجورهم (قتل الإنسان) دعاء عليه على ماجرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، ومعناه تقبيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك، وقيل معناه لعن وهذا بعيد (ما أكفره) تعجيب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك (من أى شىء خلقه) توقيف وتقرير ثم أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه) يعنى المنى ومقصد الكلام تحقير الإنسان ومعناه أنه يجب عليه أن يعظم الرب الذى خلقه (فقدره) أى هيأه لما يصلح له ومنه خلق كل شىء فقدره تقديرا، وقيل معناه جعله على مقدار معلوم فى إعطائه وأجله ورزقه وغير ذلك (ثم السبيل يسره) نصب السبيل بفعل مضمر فسره يسره، وفى معناه ثلاثة أقوال أحدها: يسر سبيل خروجه من بطن أمه والآخر أنه سبيل الخير والشر لقوله إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا، الثالث سبيل النظر السديد المؤدى إلى الإيمان، والأول أرجح لعطفه على قوله من نطفة خلقه فقدره وهو قول ابن عباس (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يقال قبرت الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه من قبره يقال نشر الميت إذا قام وأنشره الله والإشارة بإذا شاء ليوم القيامة، أى الوقت الذى يقدر أن ينشره فيه (كلا) ردع للإنسان عما هو فيه (لما يقض ما أمره) أى لم يقض الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله، قال بعضهم لا يقضى أحد أبدا جميع ما افترض الله عليه إذ لا بد للعبد من تفريط (فلينظر الإنسان إلى طعامه) أمر بالاعتبار فى الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر به، وقيل فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه، والأول أشهر وأظهر فى معنى الآية على أن القول الثانى صحيح وانظر كيف فسره بقوله أنا صببنا الماء صبا ومابعده ليعدد النعم ويظهر القدرة وقرئ إنا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام (ثم شققنا الأرض) يعنى بخرج النبات منها (حبا) يعنى القمح والشعير وسائر الحبوب (وقضبا) قيل هى الفصفصة، وقيل هى علف البهائم واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها مما يؤكل رطبا (غلبا) أى غليظة ناعمة (وأبا) الأب المرعى عند ابن عباس والجمهور، وقيل التبن وقد توقف

وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ،

سورة التكوير: مكية وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ

فى تفسيره أبو بكر وعمر رضى الله عنهما (الصاخة) القيامة وهى مشتقة من قولك صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه فكأنه إشارة إلى النفخة فى الصور أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته وقيل هى من قولك أصاخ للحديث إذا استمعه والأول هو الموافق للاشتقاق (يفر المرء من أخيه) الآية ذكر فرار الإنسان من أحبابه ورتبهم على ترتيبهم فى الحنو والشفقة فبدأ بالأقل وختم بالأكثر لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه ؛ وقيل إن فراره منهم لئلا يطالبوه بالتبعات والأول أرجح وأظهر ، لقوله «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» أى هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب ، حتى لا يسعه ذكر غيره ، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام ، يومئذ نفسى نفسى (وجوه يومئذ مسفرة) أى مضيئة من السرور ، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء (عليها غبرة) أى غبار والقترة أيضا الغبار قال ابن عطية : الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض ، والقترة هى غبار الأرض ، وقال الزمخشرى الغبرة غبار يعلوها والقترة سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد

سورة التكوير

ذكر الله فى هذه السورة أهوال القيامة ، وما يعترى الموجودات حينئذ من التغيير (إذا الشمس كورت) قال ابن عباس : ذهب ضوءها وأظلمت وقيل رمى بها وقيل اضمحلت وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها (وإذا النجوم انكدرت) أى تساقطت من مواضعها ، وقيل تغيرت والأول أرجح لأنه موافق لقوله «وإذا الكواكب انتثرت» وروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها ، كما قال «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (وإذا الجبال سيرت) أى حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى (وإذا العشار عطلت) العشار جمع عشراء وهى الناقة الحامل التى مر لحملها عشرة أشهر وهى أنفس ما عند العرب وأعزها فلا تعطل إلا من شدة الهول ، وتعطيلها هو تركها سائبة أى ترك حلبها (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت وفى صفة حشرها ثلاثة أقوال : أحدها أنها تحشر أى تبعث يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض ثم تكون ترابا والآخر أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس وقال إنها لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن والثالث أنها تجمع فى أول أهوال القيامة وتفر فى الأرض فذلك حشرها (وإذا البحار سجرت) فيه ثلاثة أقوال أحدها ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا والآخر ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار والثالث فرغت من مائها ويبست وأصله من سجرت التنور إذا ملأتها

سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَآءُ كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ * فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۞ وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا

فالقول الأول والثانى أليق بالأصل . والأول والثالث موافق لقوله فجرت (وإذا النفوس زوجت) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن التزويج بمعنى التنويع لأن الأزواج هى الأنواع فالمعنى جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن والثانى زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين والثالث زوجت الأرواح والأجساد أى ردت إليها عند البعث والأول هو الأرجح ، لأنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن عباس (وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت) الموؤدة هى البنت التى كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ومن غيرته عليها فتسأل يوم القيامة بأى ذنب قتلت على وجه التوبيخ لقاتلها وقرأ ابن عباس « وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت » بضم القاف وسكون اللام وضم التاء واستدل ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين فى الجنة لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم (وإذا الصحف نشرت) هى صحف الأعمال تنشر ليقرأ كل أحد كتابه ، وقيل هى الصحف التى تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء (وإذا السماء كشطت) الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ وكشط السماء هو طيها كطى السجل قاله ابن عطية وقيل معناه كشفت وهذا أليق بالكشط (وإذا الجحيم سعرت) أى أوقدت وأحميت (وإذا الجنة أزلفت) أى قربت (علمت نفس ما أحضرت) هذا جواب إذا المكررة فى المواضع قبل هذا ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم وقال ابن عطية إنما أفردها ليبين حقارتها وذلتها وقال الزمخشرى هذا من عكس كلامهم الذى يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله «ربما يود الذين كفروا» ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه أعم الجموع «ما أحضرت» عبارة عن الحسنات والسيآت (فلا أقسم) ذكرت نظائره (بالخنس الجوار الكنس) يعنى الدرارى السبعة وهى الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والمشترى والزهرة وذلك أن هذه الكواكب تخنس فى جريها أى تتقهقر فيكون النجم فى البرج ثم يكر راجعا وهى جوارى فى الفلك وهى تنكنس فى أبراجها أى تستتر وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه وقيل يعنى الدرارى الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس وقيل يعنى النجوم كلها لأنها تخنس فى جريها وتنكس بالنهار أى تستتر وتختفى بضوء الشمس وقيل يعنى بقر الوحش فالخنس على هذا من خنس الأنف والكنس من سكناها فى كناسها (والليل إذا عسعس) يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام فقيل ذلك فى أوله وقيل فى آخره وهذا أرجح لأن آخر الليل أفضل ولأنه أعقبه بقوله (والصبح إذا تنفس) أى استطار واتسع ضوؤه (إنه لقول رسول كريم) الضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال السهيلى لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه السلام لأن الآية نزلت فى الرد على الذين قالوا إن محمدا قال القرآن فكيف يخبر الله أنه قوله وإنما أراد جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو فى الحقيقة قول الله تعالى وهذا الذى قال السهيلى لا يلزم فإنه قد يضاف إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ذى قوة وقد وصف جبريل

صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ *

سورة الانفطار : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَٰٓأَيُّهَا الْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِى خَلَقَكَ

بهذا لقوله شديد القوى ذومرة (عندذى العرش) يتعلق بذى قوة ، وقيل بمكين وهذا أظهر والمكين الذى له مكانة أى جاه وتقريب (مطاع ثم أمين) هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو عندذى العرش أى مطاع فى ملائكة ذى العرش (وماصاحبكم بمجنون) هو محمد صلى الله عليه وسلم باتفاق (ولقدرآه بالأفق المبين) ضمير الفاعل لمحمد صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية له بغار حراء على كرسى بين السماء والأرض . وقيل الرؤية التى رآه عند سدرة المنتهى فى الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين لأنه روى أنه كان فى المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضا فكل أفق فهو مبين (وماهو على الغيب بضنين) الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالضاد فمعناه بخيل أى لا يبخل بأداء ماألقى إليه من الغيب ، وهو الوحى ، ومن قرأ بالظاء فمعناه متهم أى لايتهم على الوحى بل هو أمين عليه ورجح بعضهم هذه القراءة بأن الكفار لم ينسبوا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى البخل بالوحى بل اتهموه فنفى عنه ذلك (وما هو بقول شيطان رجيم) الضمير للقرآن (فأين تذهبون) خطاب لكفار قريش أى ليس لكم زوال عن هذه الحقائق وقد تقدم تفسير بقية السورة فى نظائره فيما تقدم

سـورة الانفطار

(إذا السماء انفطرت) أى انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) أى سقطت من مواضعها (وإذا البحار فجرت) أى فرغت وقيل فجر بعضها إلى بعض فاختلط (وإذا القبور بعثرت) أى نبشت على الموتى الذين فيها وقال الزمخشرى أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء والمعنى بحثت وأخرج موتاها (علمت نفس ماقدمت وأخرت) هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها وقيل ماقدمت فى حياتها وماأخرت بماتركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها وأفردت النفس والمراد به العموم حسبماذكرنا فى التكوير (ياأيها الإنسان) خطاب لجنس بنى آدم (ماغرك بربك الكريم) هذا توبيخ وعتاب معناه أى شىء غرك بربك حتى كفرت به أوعصيته أو غفلت عنه فدخل فى العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله فى بعض الأحيان من الصالحين وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قرأ ماغرك بربك الكريم فقال غره جهله وقال عمر غره جهله وحمقه وقرأ إنه كان ظلوما جهولا ، وقيل غره الشيطان المسلط عليه وقيل غره ستر الله عليه وقيل غره طمعه فى عفو الله عنه ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد

فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝

سورة المطففين

مكية وآياتها ٣٦ نزلت بعد العنكبوت وهى آخر سورة نزلت بمكة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ

منها ما يغر الإنسان إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين فإن قيل ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب أن الكريم ينبغى أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه ومقابلة لكرمه ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب (فعدلك) بالتشديد والتخفيف أى عدل أعضاءك وجعلها متوازية فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة (فى أى صورة ما شاء ركبك) المجرور يتعلق بركبك وما زائدة والمعنى ركبك فى أى صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره ركبك حاصلا فى أى صورة وقيل يتعلق بعدلك على أن يكون بمعنى صرفك إلى أى صورة شاء وهذا بعيد، ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف (كلا) ردع عن الغرور المذكور قبل، والتكذيب المذكور بعد (بل تكذبون بالدين) هذا خطاب للكفار والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة أو الحساب أو الجزاء (وإن عليكم لحافظين) يعنى الملائكة الذين يكتبون أعمال بنى آدم (يعلمون ما تفعلون) يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك وقيل إن الملك يجد لها ريحا يدركها به (إن الأبرار لفى نعيم) فى هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع (وما هم عنها بغائبين) فيه قولان أحدهما أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها والآخر لا يغيبون عنها فى البرزخ قبل دخولها لأنهم يعرضون عليها غدوا وعشيا (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم له وتهويل وكرره للتأكيد والمعنى أنه من شدته بحيث لا يدرى أحد مقدار هوله وعظمته (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أى لا يقدر أحد على منفعة أحد وقرئ يوم بالرفع على البدل من يوم الدين أو على إضمار مبتدأ وبالنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره يجازون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره اذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو فى موضع رفع

سورة المطففين

(ويل للمطففين) التطفيف فى اللغة هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشرى واختاره ابن عطية وقيل هو تجاوز الحد فى زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس فى

أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ

المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطى بالأنقص فالسورة على هذا مدنية وقيل مكية لذكر أساطير الأولين وقيل نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فساداً فى هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) معنى اكتالوا على الناس قبضوا منهم بالكيل فعلى بمعنى من وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم ويجوز أن يتعلق على الناس بيستوفون وقدم المفعول لإفادة التخصيص (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) معنى يخسرون ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة ، يقال خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر ، وكالوهم معناه كالوا لهم أووزنوهم معناه وزنوا لهم ، ثم حذف حرف الجر فانتصب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجر يقال كلتك وكلت لك ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد وحذف المفعول الثانى وهو المكيل والموزون والواو التى هى ضمير الفاعل للمطففين والهاء الذى هى ضمير المفعول للناس فالمعنى إذا كالوا أووزنوا لهم طعاما أو غيره مما يكال أو يوزن يخسرونهم حقوقهم ، وقيل إنهم فى كالوهم أووزنوهم تأكيد للضمير الفاعل وروى عن حمزة أنه كان يقف على كالوا ووزنوا ثم يبتدئ هم ليبين هذا المعنى وهو ضعيف من وجهين ، أحدهما : أنه لم يثبت فى المصحف ألف بعد الواو فى كالوا ووزنوا فدل ذلك على أن هم ضمير المفعول والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع فى الفعل لا فى المباشر ، ألا ترى أن إذا اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود ، قال ابن عطية ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجلى قال صدر الآية فى المشترين فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة وقوله وإذا كالوهم أو وزنوهم فى البائعين فهم الذين يخسرون المشترى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة ، وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم وكان عبد الله بن عمر إذا مر بالبائع يقول له اتق الله وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الظرف منصوب بقوله مبعوثون وقيل بفعل مضمر أو بدل من يوم عظيم ، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة (كلا) ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام (إن كتاب الفجار لفى سجين) كتاب الفجار هو ما يكتب من أعمالهم ، والفجار هنا يحتمل أن يريد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين ، والأول أظهر لقوله بعد هذا ويل يومئذ للمكذبين وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظم أمره بقوله وما أدراك ما سجين ثم فسره بأنه كتاب مرقوم أى مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتضييق فى جهنم ولأنه فى مكان الهوان والعذاب كالسجن ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فى الأرض السفلى ، وروى

يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ *
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ *
ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ *

عنه أنه فى بئرهناك ، وحكى كعب عن التوراة أنه فى شجرة سوداء هنالك ، وقال ابن عطية يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجار فى سجين أى كتبوا هنالك فى الأزل (أساطير الأولين) قد ذكر (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لايعرفون الرشدمن الغى وفى الحديث أن العبدإذا أذنب ذنبا صارت نكتة سوداء فى قلبه فإذازاد ذنب آخرزادالسوادفلا يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين(لمحجوبون) حجب الكفار عن الله على أن المؤمنين لايحجبون وقد استدل بها مالك والشافعى على صحة رؤية المؤمن لله فى الآخرة وتأولها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته (إن كتاب الأبرار لفى عليين) عليون اسم علم للكتاب الذى تكتب فيه الحسنات وهذا جمع منقول من صفة على ، على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه بقوله «وما أدراك ماعليون» ثم فسره بقوله كتاب مرقوم وهو مشتق من العلو لأنه سبب فى ارتفاع الدرجات فى الجنة ، أو لأنه مرفوع فى مكان علىّ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تحت العرش ، وقال ابن عباس : هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم فى الموضعين على أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره هو كتاب ، وقال ابن عطية : كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلف يفسد به المعنى ، وقد روى فى الأثر ماروى فى الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضيه الله قال اجعلوه فى عليين ، وإن لم يرضه قال اجعلوه فى سجين (يشهده المقربون) يعنى الملائكة المقربين (الأرائك) قد ذكر (ينظرون) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ينظرون إلى أعدائهم فى النار وقيل ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها (نضرة النعيم) أى بهجته ورونقه ، كما يرى فى وجوه أهل الرفاهية والعافية والخطاب فى تعرف للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين (يسقون من رحيق مختوم) الرحيق الخمر الصافية والمختوم فسره الله بأن ختامه مسك ، وقرئ ختامه بألف بعد التاء ، وخاتمه بألف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها وفى معناه ثلاثة أقوال : أحدها أنه من الختم على الشىء ، بمعنى جعل الطابع عليه فالمعنى أنه ختم على فم الإناء الذى هو فيه بالمسك كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها ، وصيانتها الثانى أنه من ختم الشىء أى تمامه فمعناه خاتم شربه مسك أى يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته الثالث أن معناه مزاجه مسك أى يمزج الشراب بالمسك ، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) التنافس فى الشىء هو الرغبة فيه ، والمغالاة فى طلبه والتزاحم عليه (ومزاجه من تسنيم) تسنيم اسم لعين فى الجنة ، يشرب منها المقربون صرفا ويمزج منه الرحيق الذى يشرب منه الأبرار ، فدل

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝

سورة الانشقاق مكية : وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ

ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار ، فالمقربون هم السابقون والأبرار هم أصحاب اليمين (عينا) منصوب على المدح بفعل مضمر ، أو على الحال من تسنيم (يشرب بها) بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها أو كقولك شربت الماء بالعسل (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) نزلت هذه الآية فى صناديد قريش ، كأبى جهل وغيره مر بهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وجماعة من المؤمنين ، فضحكوا منهم واستخفوا بهم (وإذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينيه والضمير فى مروا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار ، والضمير فى يتغامزون للكفار لاغير (فكهين) من الفكاهة وهى اللهو أى يتفكهون بذكر المؤمنين ، والاستخفاف بهم قاله الزمخشرى ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أى إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال ، وقيل إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال والأول أظهر وأشهر (وما أرسلوا عليهم حافظين) أى ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين ، يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أوضلالهم وكأنه قال كلامهم بالمؤمنين فضول منهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) يعنى باليوم يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) معنى ثوب جوزى يقال ثوبه وأثابه إذا جازاه وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها فى موضع مفعول ينظرون فتوصل مع ماقبلها أو تكون توقيفا فيوقف قبلها ويكون معمول ينظرون محذوفا حسبما ذكرنا فى ينظرون الذى قبل هذا وهذا أرجح لاتفاق الموضعين

سورة الانشقاق

(إذا السماء انشقت) اختلف فى هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام أو انفتاحها أبوابا ، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ فى التهويل إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره وحذف للعلم به اكتفاء بما فى سورة التكوير والانفطار من الجواب وقيل الجواب مادل عليه فملاقيه : أى إذا السماء انشقت لقى الإنسان ربه ، وقيل الجواب أذنت على زيادة الواو وهذا ضعيف (وأذنت لربها) معنى أذنت فى اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء مافيها (وحقت) أى حق لها أن تسمع وتطيع لربها أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به أى يجب عليه أن يفعله فالمعنى يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها أو يحق عليها أن تتشقق ، ويحتمل أن يكون أصله حققت بفتح الحاء

مَافِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۞ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن

وضم القاف على معنى التعجب ثم أدغمت القاف فى القاف التى بعدها و نقلت حركتها إلى الحاء (وإذا الأرض مدت) أى زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية (وألقت مافيها وتخلت) أى ألقت مافى جوفها من الموتى للحشر وقيل ألقت مافيها من الكنوز وهذا ضعيف لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلت أى بقيت خالية مما كان فيها (ياأيها الإنسان) خطاب للجنس (إنك كادح إلى ربك) الكدح فى اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة فالمعنى أنك فى غاية الاجتهاد فى السير إلى ربك لأن الزمان يطير وأنت فى كل لحظة تقطع حظا من عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقى ربك ، وقيل المعنى إنك ذو جد فيما تعمل من خير أو شر ثم تلقى ربك فيجازيك به والأول أظهر لأن كادح تعدى بإلى لما تضمن معنى السير ولو كان بمعنى العمل لقال لربك (فأما من أوتى كتابه بيمينه) ذكر فى الحاقة (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هين سهل ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب فقالت عائشة ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ذلك العرض وأما من نوقش الحساب فيهلك وفى الحديث أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يدنى العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول فعلت كذا وكذا ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال من حاسب نفسه فى الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة (وينقلب إلى أهله مسرورا) أى يرجع إلى أهله فى الجنة مسرورا بما أعطاه الله والأهل زوجاته فى الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشرى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) يعنى الكافر وروى أن هاتين الآيتين نزلتا فى أبى سلمة ابن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفى أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك فإن قيل كيف قال فى الكافر هنا أن يؤتى كتابه وراء ظهره وقال فى الحاقة بشماله ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه وقيل تدخل يده اليسرى فى صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه (يدعو ثبورا) أى يصيح بالويل والثبور (إنه كان فى أهله مسرورا) أى كان فى الدنيا مسرورا مع أهله متنعما غافلا عن الآخرة وهذا فى مقابلة ماحكى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورا فى الجنة وهو ضد ماحكى عن المؤمنين فى الجنة من قولهم إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين (إنه ظن أن لن يحور) أى لا يرجع إلى الله والمعنى أنه يكذب بالبعث (بلى) أى يحور ويبعث (فلا أقسم) ذكر فى نظائره (بالشفق) هى الحمرة التى تبقى بعد غروب الشمس وقال أبو حنيفة هو البياض وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة (والليل وماوسق) أى جمع وضم ومنه الوسق وذلك أن الليل يضم الأشياء

طَبَقٍ ۞ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۞ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞

سورة البروج : مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ

ويسترها بظلامه (والقمر إذا اتسق) أى إذا كمل ليلة أربعة عشر ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا وفى الآية من أدوات البيان لزوم مالا يلزم لالتزام السين قبل القاف فى وسق واتسق (لتركبن طبقا عن طبق) الطبق فى اللغة له معنيان أحدهما ماطابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه والآخر جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتركبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة الأخرى وعلى الثانى يكون المعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات بعضها فوق بعض ثم اختلف فى تفسير هذه الأحوال وفى قراءة تركبن فأمامن قرأ بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان وفى تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال أحدها أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء والآخر أنها كون الانسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت والثالث لتركبن سنن من كان قبلكم وأمامن قرأ تركبن بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعانى الثلاثة التى ذكرنا وقيل هى خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال أحدها لتركبن مكابدة الكفار حالا بعد حال والآخر لتركبن فتح البلاد شيئا بعد شىء والثالث لتركبن السموات فى الاسراء بعد سماء وقوله عن طبق فى موضع الصفة لطبقا أوفى موضع حال من الضمير فى تركبن قاله الزمخشرى (فمالهم لا يؤمنون) الضمير لكفار قريش والمعنى أى شىء يمنعهم من الايمان (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وليست عند مالك من عزائم السجدات (الذين كفروا) يعنى المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر (والله أعلم بما يوعون) أى بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب أوبما يجمعون فى صحائفهم يقال أوعيت المال وغيره إذا جمعته (فبشرهم بعذاب أليم) وضع البشارة فى موضع النذارة تهكما بهم (إلا الذين آمنوا) يعنى من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية وقال الزمخشرى هو منقطع (أجر غير ممنون) قد ذكر

سورة البروج

(والسماء ذات البروج) البروج هى المنازل المعروفة وهى اثنا عشر ، تقطعها الشمس فى السنة ، وقيل هى النجوم العظام لأنها تتبرج أى تظهر (واليوم الموعود) هو يوم القيامة باتفاق وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاهد ومشهود) يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أومشهود به أومشهود فيه ، وقداضطرب الناس فى تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما ويتلخص من أقوالهم فى الشاهد ستة عشر قولا يقابلها فى المشهود اثنان وثلاثون قولا ، الأول : أن الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا ؛ والمشهود على هذا يحتمل

الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

ثلاثة أوجه ، أحدها أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم والآخر أن تكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها والثالث أن يكون يوم القيامة بمعنى أنه يشهد فيه أى يحضر للحساب والجزاء أو تقع فيه الشهادة على الناس القول الثانى : أن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله «ويكون الرسول عليكم شهيدا» والمشهود على هذا يحتمل أن يكون أمته لأنه يشهد عليهم أو أعمالهم لأنه يشهد بها أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه أى يحضر أو تقع فيه الشهادة على الأمة ، القول الثالث : أن الشاهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله «لتكونوا شهداء على الناس» والمشهود على هذا سائر الأمم لأنهم يشهدون عليهم أو أعمالهم أو يوم القيامة ، القول الرابع أن الشاهد هو عيسى عليه السلام والمشهود أمته لقوله «وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم» أو أعمالهم ، أو يوم القيامة . الخامس أن الشاهد جميع الأنبياء ، والمشهود أممهم لأن كل نبى يشهد على أمته ، أو يشهد القول بأعمالهم أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه ، القول السادس أن الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود على هذا الناس ، لأن الملائكة يشهدون عليهم أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها أو يوم القيامة أو صلاة الصبح لقوله « إن قرآن الفجر كان مشهودا » القول السابع أن الشاهد جميع الناس ، لأنهم يشهدون يوم القيامة أى يحضرونها والمشهود يوم القيامة لقوله «فذلك يوم مشهود» والقول الثامن أن الشاهد الجوارح والمشهود عليه أصحابها لقوله «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم» أو الأعمال لأن الجوارح تشهد بها يوم القيامة لأن الشهادة تقع فيه ، القول التاسع أن الشاهد الله والملائكة وأولوا العلم لقوله « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » والمشهود به الوحدانية ، القول العاشر الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك ، القول الحادى عشر أن الشاهد النجم لما ورد فى الحديث لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم والمشهود على هذا الليل والنهار لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل القول الثانى عشر أن الشاهد الحجر الأسود والمشهود الناس الذين يحجون . القول الثالث عشر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس ، القول الرابع عشر أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر قاله على بن أبى طالب . القول الخامس عشر أن الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة. القول السادس عشر أن الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة (قتل أصحاب الأخدود) الكلام هنا فى ثلاثة فصول : الأول فى جواب القسم وفيه أربعة أقوال أحدها أنه قوله «إن بطش ربك لشديد» والثانى أنه «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات » وهذان القولان ضعيفان لبعد القسم من الجواب ، وثالثها أنه «قتل أصحاب الأخدود» تقديره لقد قتل ورابعها أنه محذوف يدل عليه قتل أصحاب الأخدود تقديره لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار وتأنيسا للمسلمين المعذبين ، الفصل الثانى فى تفسير لفظها ، فأما قتل فاختلف هل هو دعاء أو خبر واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن ، وأما الأخدود فهو الشق فى الأرض كالخندق وشبهه ، وأما أصحاب الأخدود فيحتمل أن يريد بهم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين فى الأخدود أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبرا ، والأول أظهر. الفصل الثالث فى قصة أصحاب

إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ

الأخدود وفيها أربعة أقوال : الأول ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل معناه : أن ملكا كافراً أسلم أهل بلده ، فأمر بالأخدود فخدّ فى أفواه السكك وأضرم فيها النيران فقال من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبرى فإنك على الحق . الثانى أن ملكا زنى بأخته ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات فأطاعه قوم ومنهم أخذ المجوس ذلك ، وعصاه قوم فخفر لهم الأخدود فأحرقهم فيه بالنار القول الثالث أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود . القول الرابع أن أصحاب الأخدود ذو نواس المذكورة فى قصة عبد الله بن التامر التى وقعت فى السير ، ويحتمل أن يكون ذو نواس الملك الذى ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيتفق هذا القول مع الأول فإن ذا نواس حفر أخدوداً فأوقد فيه نيرانا وألقى فيها كل من وحد الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر (النار ذات الوقود) النار بدل من الأخدود وهو بدل اشتمال والوقود ما توقد به النار والقصد وصف النار بالشدة والعظم (إذ هم عليها قعود) الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين فى الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر والعامل فى إذ قوله قتل فروى أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفا ، وقيل سبعين ألفا فقتل على هذا بمعنى لعن أى لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين وروى أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقى أى قتلهم النار ؛ وقيل الضمير فى إذ هم للمؤمنين والأول أشهر وأظهر لقوله وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود (وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود) يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة أو يكون بمعنى الحضور أى كانوا حاضرين على ذلك الفعل (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله) أى ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله وهذا لا ينبغى أن ينكر فإن قيل لم قال أن يؤمنوا بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضى لأن القصة قد وقعت؟ فالجواب أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا فى المستقبل لم يعذبوهم فلذلك ذكره بلفظ المستقبل فكأنه قال إلا أن يدوموا على الايمان (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) إن كانت هذه الآية فى أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق وإن كانت فى كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب وهذا أظهر لقوله ثم لم يتوبوا لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب وفى الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له مافعل فى حال كفره لقوله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ماقبله (ولهم عذاب الحريق) يحتمل أن يكون فى الآخرة فيكون تأكيدا لعذاب جهنم أو نوعا من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم ويحتمل أن يريد فى الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار (إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بقوة وسرعة (إنه هو يبدئ ويعيد) أى يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث وقيل يبدئ البطش ويعيده أى يبطش بهم فى الدنيا والآخرة والأول أظهر وأرجح لقوله إنه يبدئ الخلق ثم يعيده وقد ذكرنا

وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۞ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ ۝ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ۞ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝

سـورة الطارق : مكية وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۞ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۞ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۞ إِنَّهُ

الودود فى اللغات (ذو العرش المجيد) أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر وقرئ المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش (هل أتاك) توقيف يرادبه التنبيه وتعظيم الأمر والمراد بذكر الجنود تهديد الكفار وتأنيس النبى صلى الله عليه وسلم (والله من ورائهم محيط) تهديدلهم معناه لايفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء (فى لوح محفوظ) يعنى اللوح المحفوظ الذى فى السماء وقرئ محفوظ بالخفض صفة للوح وبالرفع صفة للقرآن أى حفظه الله من التبديل والتغيير أوحفظه المؤمنون فى صدورهم

سـورة الطارق

(والسماء والطارق) هـذه السماء التى أقسم الله بها هى المعروفة وقيـل أراد المطر لأن العرب قد تسميه سماء وهذا بعيد والطارق فى اللغة مايطرق أى يجىء ليلا وقد فسره الله هنا بأنه النجم الثاقب وهو يطلع ليلا ومعنى الثاقب المضىء أوالمرتفع فقيل أراد جنس النجوم وقيل الثريا لأنه الذى تطلق عليه العرب النجم وقيل زحل لأنه أرفع النجوم إذ هو فى السماء السابعة (إن كل نفس لمـا عليها حافظ) هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور أن كل نفس من بنى آدم عليها حافظ يـكتب أعمالها يعنى الملائـكة الحفظة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرهذه الآية أن لـكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل ولووكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين وإن صح هذا الحديث فهو المعمول عليه وقرئ لما عليها بتخفيف الميم وعلى هذا تـكون إن مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد ومازائدة وقرئ لمـا بالتشديد وعلى هذا تـكون إن نافية ولمـا بمعنى الايجاب بعد النفى (فلينظر الإنسان مم خلق) حذف ألف ما لأنها استفهامية وجوابها خلق من ماء دافق وسمى المنى ماء دافقا من الدفق بمعنى الدفع فقيل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق فى الحقيقة قال سيبويه هو على النسب أى ذودفق ، وقال ابن عطية يصح أن يكون المـاء دافقا لأن بعضه يدفع بعضا ومقصود الآية إثبات الحشر فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذى خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده ووجه اتصال هـذا الـكلام بمـا قبله أنه لمـا أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها (يخرج من بين الصاب والترائب) الضمير فى يخرج للمـاء وقال ابن عطية يحتمل أن يـكون للإنسان وهـذا بعيد جدا والترائب عظام الصدر واحدها تريبة وقيـل هى الأطراف كاليدين

عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝

والرجلين ، وقيل هى عصارة القلب ، ومنها يكون الولد ، وقيل هى الأضلاع التى أسفل الصلب ، والأول هو الصحيح المعروف فى اللغة ولذلك قال ابن عباس: هى موضع القلادة ما بين ثدى المرأة ، ويعنى صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها ، وقيل أراد صلب الرجل وترائب المرأة (إنه على رجعه لقادر) الضمير فى إنه لله تعالى وفى رجعه للإنسان ، والمعنى أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته ، والمراد إثبات البعث ، وقيل إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة ، وقيل رده من الكبر إلى الشباب ، وقيل الضمير فى رجعه للماء الدافق ، والمعنى رده فى الإحليل أو فى الصلب وهذا كله ضعيف بعيد والقول الأول هو الصحيح المشهور (يوم تبلى السرائر) يعنى يوم القيامة ، والسرائر جمع سريرة وهى ما أسر العبد فى قلبه من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال وبلاؤها هو تعرفها والاطلاع عليها ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها لذلك خصها بالذكر ، والعامل فى يوم قوله رجعه أى يرجعه يوم تبلى السرائر ، واعترض بالفصل بينهما وأجيب بقوة المصدر فى العمل ، وقيل العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم وهذا لا يلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع فى ذلك اليوم وقال من احترز من الاعتراضين فى القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر ، وهذا كله على المعنى الصحيح فى رجعه ، وأما على الأقوال الأخر فالعامل فى يوم مضمر تقديره اذكر (فما له من قوة ولا ناصر) الضمير للإنسان ولما كان دفع المكاره فى الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة (والسماء ذات الرجع) المراد بالرجع عند الجمهور المطر وسماه رجعا بالمصدر لأنه يرجع كل عام أو لأنه يرجع إلى الأرض ، وقيل الرجع السحاب الذى فيه المطر ، وقيل هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة (والأرض ذات الصدع) يعنى ما تصدع عنه الأرض من النبات ، وقيل يعنى ما فى الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها (إنه لقول فصل) الضمير للقرآن ، لأن سياق الكلام يقتضيه والفصل معناه الذى فصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والهزل اللهو يعنى أنه جد كله (إنهم يكيدون كيدا) الضمير لكفار قريش وكيدهم هو ما دبروه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإضرار به وإبطال أمره (وأكيد كيدا) هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين (فمهل الكافرين) أى لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم أو بالدعاء عليهم وهذا منسوخ بالسيف (أمهلهم رويدا) أى إمهالا يسيرا قليلا يعنى إلى قتلهم يوم بدر أو إلى الدار الآخرة وجعله يسيرا لأن كل آت قريب ولفظ رويدا هذا صفة لمصدر محذوف وقد تقع بمعنى الأمر بالتساهل كقولك رويدا يا فلان وكرر الأمر فى قوله أمهلهم وخالف بينه وبين لفظ مهل لزيادة التسكين والتصبير قاله الزمخشرى

سـورة الأعلى : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ * سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ *

سورة الأعلى جل جلاله

(سبح اسم ربك الأعلى) التسبيح فى اللغة التنزيه وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المراد المسمى ويكون الاسم صلة كالزائد ، ومعنى الكلام سبح ربك أى نزهه عما لا يليق به ، وقد يتخرج ذلك على قول من قال إن الاسم هو المسمى ، والآخر أن يكون الاسم مقصوداً بالذكر ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه ، الأول : تنزيه أسماء الله تعالى عن المعانى الباطلة كالتشبيه والتعطيل ، الثانى : تنزيه أسماء الله عن أن يسمى بها صنم أو وثن : الثالث : تنزيه أسماء الله عن أن تدرك فى حال الغفلة دون خشوع . الرابع : أن المراد قول سبحان الله ولما كان التسبيح باللسان لا بد فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم وهذا القول هو الصحيح ويؤيده ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال سبحان ربى الأعلى وأنها لما نزلت قال اجعلوها فى سجودكم فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب ولا بد فى التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى فلذلك قال سبح اسم ربك الأعلى مع أن التسبيح فى الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذى يوصل به إلى التسبيح باللسان وعلى هذا يكون موافقا فى المعنى لقوله «فسبح باسم ربك» لأن معناه نزه الله بذكر اسمه ويؤيد هذا ماروى عن ابن عباس أن معنى سبح صل باسم ربك أى صل واذكر فى الصلاة اسم ربك ، والأعلى يحتمل أن يكون صفة للرب أو للاسم والأول أظهر (الذى خلق فسوى) حذف مفعول خلق وسوى لقصد الاجمال الذى يفيد العموم والمراد خلق كل شىء فسواه أى أتقن خلقته وانظر ماذكرنا فى قوله فسواك فعدلك (والذى قدر فهدى) قدر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء أو من التقدير والموازنة بين الأشياء ، وقرئ بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير وحذف المفعول ليفيد العموم فإن كان من التقدير فالمعنى قدر لكل حيوان مايصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به ، وقيل هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل وقيل هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدى وقيل هدى الناس للخير والشر والبهائم للمراتع وهذه الأقوال أمثلة والأول أعم وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب ، وقال الفراء المعنى هدى وأضل واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأخرى وهذا بعيد (والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) المرعى هو النبات الذى ترعاه البهائم ، والغثاء هو النبات اليابس المحتطم ، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغثاء والمعنى أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود لأن الغثاء إذا قدم تعفن واسود ، وقيل : إن أحوى حال من المرعى ، ومعناه : الأخضر الذى يضرب إلى السواد وتقديره الذى أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء ، وفى هذا القول تكلف (سنقرئك فلا تنسى) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه ، وفى ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۞ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۞ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۞ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۞ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۞ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۞

لأنه كان أميا لا يكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن ، وقيل معنى الآية كقوله لا تحرك به لسانك الآية : فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفا أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه ، وقيل فلا تنسى : نهى عن النسيان وقد علم الله أن ترك النسيان ليس فى قدرة البشر فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه وهذا بعيد لإثبات الألف فى تنسى (إلا ماشاء الله) فيه وجهان : أحدهما أن معناه لا تنسى إلا ماشاء الله أن تنساه كقوله أو ننسها والآخر أنه لا ينسى شيئاً ولكن قال إلا ماشاء الله تعظيما لله بإسناد الأمر إليه كقوله «خالدين فيها إلا ماشاء الله» على بعض الأقوال وعبر الزمخشرى : عن هذا بأنه من استعمال التقليل فى معنى النفى والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع قراءة عباد بن بشير رحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت قد نسيتها (ونيسرك لليسرى) عطف على سنقرؤك ومعناه نوفقك للأمور المرضية التى توجب لك السعادة ، وقيل معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام دين الله يسر أى سهل لا حرج فيه (فذكر إن نفعت الذكرى) المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى ، واستبعاد تأثير الذكرى فى قلوبهم كقولك قد أوصيتك لو سمعت ، وقيل المعنى ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه وهذا بعيد وليس عليه الرونق الذى على الأول (سيذكر من يخشى) أى من يخاف الله (ويتجنبها الأشقى) يعنى الكافر وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ، والضمير المفعول للذكرى (النار الكبرى) هى نار جهنم وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا وقيل سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم فإنها تتفاضل ، وبعضها أكبر من بعض وكلا القولين صحيح إلا أن الأول أظهر ويؤيده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى توقدون جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لا يموت فيها ولا يحيى) أى لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة وعطف هذه الجملة بثم لأن هذه الحالة أشد من صلى النار فكأنها بعده فى الشدة (قد أفلح من تزكى) يحتمل أن يكون بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصى أو بمعنى الطهارة للصلاة أو بمعنى أداء الزكاة وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر والمعنى أدى زكاة الفطر (وذكر اسم ربه) فى طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام وصلى صلاة العيد ، وقد روى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس (إن هذا) الإشارة إلى ماذكر من التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة أو إلى ماتضمنته السورة أو إلى القرآن بجملته ، والمعنى أنه ثابت فى كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت فى هذا الكتاب

سـورة الغاشية : مكية وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ

سـورة الغاشية

(هل أتاك) توقيف يرادبه التنبيه والتفخيم للأمر ، وقيل هل بمعنى قد وهـذا ضعيف (الغاشية) هى القيامة لأنها تغشى جميع الخلق ، وقيل هى النار من قوله وتغشى وجوههم النار وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين أهل الشقاوة وأهل السعادة (خاشعة) أى ذليلة (عاملة ناصبة) هو من النصب بمعنى التعب وفى المرادبهم ثلاثة أقوال : أحدها أنهم الكفار ويحتمل على هذا أن يكون عملهم ونصبهم فى الدنيا لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها أو يكون فى الآخرة فيعملون فيها عملا يتعبون فيه من جر السلاسل والأغلال وشبه ذلك ويكون زيادة فى عذابهم : الثانى أنها فى الرهبان الذين يجتهدون فى العبادة ولا تقبل منهم لأنهم على غير الإسلام وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبكى رحمة لراهب نصرانى رآه مجتهدا فعاملة ناصبة على هذا فى الدنيا وناصبة إشارة إلى اجتهادهم فى العمل أوإلى أنه لاينفعهم فليس لهم منه إلا النصب . الثالث أنها فى القدرية وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر القدرية فبكى وقال إن فيهم المجتهد (تسقى من عين آنية) أى شديدة الحر ومنه حميم آن ووزن آنية هنا فاعلة بخلاف آنية من فضة فإن وزنه أفعلة (ليس لهم طعام إلامن ضريع) فى الضريع أربعة أقوال : أحـدها أنه شوك يقال له البشرق وهو سم قاتل وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه ولأن النبى صلى الله عليه وسلم قال الضريع شوك فى النار . الثانى أنه الزقوم لقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم . الثالث أنه نبات أخضر منتن ينبت فى البحر وهذا ضعيف ، الرابع أنه واد فى جهنم وهذا ضعيف لأن مايجرى فى الوادى ليس بطعام إنما هو شراب ولله در من قال الضريع طعام أهل النار فإنه أعم وأسلم من عهدة التعيين واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به ، وقيل هو بمعنى مضرع للبدن أى مضعف وقيل إن العرب لاتعرف هذا اللفظ ، فإن قيل : كيف قال هنا ليس لهم طعام إلا من ضريع وقال فى الحاقة ولاطعام إلا من غسلين ؟ فالجواب أن الضريع لقوم والغسلين لقوم أو يكون أحدهما فى حال والآخر فى حال (لايسمن ولايغنى من جوع) هـذه الجملة صفة لضريع أو لطعام نفى عنه منفعة الطعام وهى التسمين وإزالة الجوع (وجوه يومئذ ناعمة) أى متنعمة فى الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم (لسعيها راضية) أى راضية فى الآخرة لأجل سعيها وهو عملها فى الدنيا (فى جنة عالية) يحتمل أن يكون من علو المكان أومن علو المقدار أوالوجهين (لاتسمع فيها لاغية) هو من لغو الكلام ومعناه الفحش ومايكره فيحتمل أن يريد كلمة لاغية أوجماعة لاغية (فيها عين جارية) يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحـدة شرفها بالتعيين (وأكواب

مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝

سورة الفجر: مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ

موضوعة) قد ذكرنا أكواب ومعنى موضوعة حاضرة معدة بشرابها وفى قوله مرفوعة وموضوعة مطابقة (ونمارق) جمع نمرقة وهى الوسادة (وزرابىّ) هى بسط فاخرة وقيل هى الطنافس واحدها زربية (مبثوثة) أى متفرقة وذلك عبارة عن كثرتها وقيل مبسوطة (أفلا ينظرون إلى الإبل) حض على النظر فى خلقتها لما فيها من العجائب فى قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف وصبرها على العطش وكثرة المنافع التى فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك وقيل أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال والصحيح أن المراد الحيوان المعروف وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم فى الغالب منه وهو أكثر المواشى فى بلادهم (لست عليهم بمصيطر) أى قاهر متسلط وهذا من المنسوخ بالسيف (إلا من تولى) استثناء منقطع معناه لكن من تولى (وكفر فيعذبه الله) وقيل هو استثناء من مفعول فذكر والمعنى ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه فهو على هذا متصل ، وقيل هو استثناء من قوله لست عليهم بمسيطر أى لا تسلط إلا على من تولى وكفر وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه وهذا بعيد لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة (إن إلينا إيابهم) أى رجوعهم والآية تهديد

سـورة الفجر

(والفجر) أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم كما أقسم بالصبح ، وقيل أراد صلاة الفجر وقيل أراد النهار كله ، وقيل فجر يوم الجمعة وقيل فجر يوم النحر وقيل فجر ذى الحجة ولا دليل على هذه التخصيصات وقيل أراد انفجار العيون من الحجارة وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (وليال عشر) هى عشر ذى الحجة عند الجمهور وقيل العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء وقيل العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول منه (والشفع والوتر) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة ، وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنها الصلوات منها شفع ووتر وقيل الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة وقيل الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد وقيل الشفع آدم وحواء والوتر الله تعالى ، وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام ، وقيل الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية والوتر أبواب النار لأنها سبعة وقيل الشفع قران الحج والوتر إفراده وقيل المراد الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال وقرئ الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان (والليل إذا يسر) أى إذا يذهب فهو كقوله والليل إذ أدبر وقيل أراد يسرى فيه فهو على هذا كقولهم ليله

لِّذِى حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ * فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ

قائم والمراد على هذا ليلة جمع لأنها التى يسرى فيها والأول أشهر وأظهر (هل فى ذلك قسم لذى حجر) هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التى أقسم بها والحجر هنا هو العقل كأنه يقول إن هذا لقسم عظيم عند ذوى العقول وجواب القسم محذوف وهو ليأخذنّ الله الكفار ويدل على ذلك ماذكره بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون (إرم) هى قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها كما يقال هاشم لبنى هاشم وإعرابه بدل من عاد أو عطف بيان وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم وقيل إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره : بعاد عاد إرم ، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة من غير تنوين عاد وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث (ذات العماد) من قال إرم قبيلة قال العماد أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر لأنهم كانوا أهل عمود وقال ابن عباس ذلك كناية عن طول أبدانهم ومن قال إرم مدينة فالعماد الحجارة التى بنيت بها وقيل القصور والأبراج (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما يقال كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أو صفة للمدينة وهذا أظهر لقوله فى البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا وروى أنها بناها شداد بن عاد فى ثلاثمائة عام وكان عمره تسعمائة عام وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية ، وروى أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة وكانت هذه المدينة باليمن ، وروى أن بعض المسلمين مر بها فى خلافة معاوية ، وقيل هى دمشق ، وقيل الإسكندرية وهذا ضعيف (جابوا الصخر بالواد) أى نقبوه ونحتوا فيه بيوتا والوادى ما بين الجبلين وإن لم يكن فيها ماء ، وقيل أراد وادى القرى (وفرعون ذى الأوتاد) ذكر فى سورة داود (الذين طغوا فى البلاد) صفة لعاد وثمود وفرعون ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمر (فصب عليهم ربك سوط عذاب) استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضى من التكرار مالا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية ، وقال الزمخشرى : ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة كما أن السوط أهون من القتل (إن ربك لبالمرصاد) عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه فى كل مكان وكل زمان ورقيب على كل إنسان وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار وفى ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه والإنسان هنا جنس وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وهى مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة وذكر الله فى هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال فى « ونبلوكم بالشر والخير » وأنكر عليه قوله حين الخير ربى أكرمن وقوله حين الشر

عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ *

ربى أهانن ويتعلق بالآية سؤالان : السؤال الأول : لم أنكر الله على الإنسان قوله ربى أكرمن وربى أهانى والجواب من وجهين : أحدهما أن الإنسان يقول ربى أكرمنى على وجه الفخر بذلك والكبر لاعلى وجه الشكر ويقول ربى أهاننى على وجه التشكى من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله ، فأنكر عليه مايقتضيه كلامه من ذلك فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر . والآخر أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة وتضييقه إهانة وليس الأمر كذلك فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيقه على أوليائه فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لايصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هى الغاية فأنكر عليه مايقتضيه كلامه من ذلك . السؤال الثانى : إن قيل قد قال الله فأكرمه فأثبت إكرامه فكيف أنكر عليه قوله ربى أكرمنى ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام وإنما أنكر عليه مايدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر أومن اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا فى معنى الإنكار . الثانى أنه أنكر عليه قوله ربى أكرمنى إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام على وجه التفضل والانعام كقول قارون إنما أوتيته على علم عندى . الثالث أن الإنكار إنما هو لقوله ربى أهانن لالقوله ربى أكرمنى فإن قوله ربى أكرمنى اعتراف بنعمة الله وقوله ربى أهانن شكاية من فعل الله (فقدر عليه رزقه) أى ضيقه وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفى التشديد مبالغة وقيل معنى التشديد جعله على قدر معلوم (كلا) زجر عما أنكر من قول الانسان (بل لاتكرمون اليتيم) هذا ذم لماذكر من الأعمال القبيحة ومعنى هذا الاضراب بيل كأنه أنكر على الإنسان ماتقدم ثم قال بل تفعلون ماهو شر من ذلك وهو ألا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم (ولا تحضون على طعام المسكين) الحض على الأمر هو الترغيب فيه ومن لايحض غيره على أمر فلا يفعله هو كأنه ذم لترك طعام المسكين ، والطعام هنا بمعنى الإطعام ، وقيل هو على حذف مضاف تقديره لاتحضون على بذل طعام المسكين وقرئ تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها بمعنى لايحض بعضكم بعضا (وتأكلون التراث أكلا لما) التراث هومايورث عن الميت من المال والتاء فيه بدل من الواو ، واللم الجمع واللف ، والتقدير أكلا ذا لم وهو أن يأخذ فى الميراث نصيبه ونصيب غيره لأن العرب كانوا لايعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال (وتحبون المال حباجما) أى شديدا كثيرا وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه (دكت الأرض) أى سويت جبالها (دكادكا) أى دكا بعد دك كما تقول تعلمت العلم بابا بابا (وجاء ربك) تأويله عند المتأولين جاء أمره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التى يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل (والملك) هو اسم جنس فإنه روى أن الملائكة كلهم يكونون صفوفا حول الأرض (صفاصفا) أى صفا بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس (وجىء يومئذ بجهنم) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام مع كل زمام

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝

سـورة البلد : مكية وآياتها ٢٠ نزلت بعد قَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا

سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الإنسان) يومئذ بدل من إذا دكت ويتذكر هو العامل وهو جواب إذا دكت ، والمعنى أن الانسان يتذكر يوم القيامة لأعماله فى الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه والإنسان هنا جنس ، وقيل يعنى عتبة بن ربيعة ، وقيل أمية بن خلف (وأنى له الذكرى) هذا على حذف تقديره أنى له الانتفاع بالذكرى كما تقول ندم حين لم تنفعه الندامة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) فيه وجهان : أحدهما أنه يريد الحياة فى الآخرة فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا للآخرة ، والآخر أنه يريد الحياة الدنيا فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا وقت حياتى فاللام على هذا كقوله كتبت لعشر من الشهر (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) من قرأ بكسر الذال من يعذب ، والثاء من يوثق فالضمير فى عذابه ووثاقه لله تعالى والمعنى أن الله يتولى عذاب الكفار ولا يكله إلى أحد ، ومن قرأ بالفتح فالضمير للإنسان أى لا يعذب أحد مثل عذابه ، ولا يوثق أحد مثل وثاقه ، وهذه قراءة الكسائى وروى أن أبا عمرو رجع إليها وهى قراءة حسنة ، وقد رويت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (ياأيتها النفس المطمئنة) أى الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك فى الإيمان ، وقيل المطمئنة التى لا تخاف حينئذ ويؤيد هذا قراءة أبىّ بن كعب « ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة » (ارجعى إلى ربك) هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت ، وقيل عند البعث وقيل عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار ، والأول أرجح ، لما روى أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له ياأبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك (راضية) معناه راضية بما أعطاها الله أو راضية عن الله ومعنى المرضية مرضية عند الله ، أو أرضاها الله بما أعطاها (فادخلى فى عبادى) أى ادخلى فى جملة عبادى الصالحين . وقرئ فادخلى فى عبدى بالتوحيد معناه ادخلى فى جسده وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الآية فى حمزة وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه الكفار بمكة ولفظها يعم كل نفس مطمئنة

سـورة البلد

(لا أقسم بهذا البلد) أراد مكة باتفاق ، وأقسم بها تشريفا لها ولا زائدة (وأنت حل بهذا البلد) هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده وفى معناها ثلاثة أقوال : أحدها أن المعنى أنت حال بهذا البلد أى ساكن لأن السورة نزلت والنبى صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ، والآخر أن معنى حل تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر ، وعلى هذا قيل لا أقسم يعنى لأقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية . الثالث أن معنى حل حلال يجوز لك فى هذا البلد ماشئت من قتلك الكفار وغير

الْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَٰهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا ٱقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا الْعَقَبَةُ *

ذلك مما لايجوز لغيرك وهذا هو الأظهر لقوله صلى الله عليه وسلم إن هذا البلد حرام حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، لم يحل لأحد قبلى ولا يحل لأحد بعدى وإنما أحل لى ساعة من نهار يعنى يوم فتح مكة ، وفى ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ، فإن قيل إن السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة ؟ فالجواب أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة أنت مكرم يعنى فيما يستقبل وقيل إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح ، وهذا ضعيف (ووالد وما ولد) فيه خمسة أقوال : أحدها أنه أراد آدم وجميع ولده ، الثانى نوح وولده ، الثالث إبراهيم وولده ، الرابع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وولده ، الخامس جنس كل والد ومولود وإنما قال وما ولد ولم يقل ومن ولد : إشارة إلى تعظيم المولود كقوله «والله أعلم بما وضعت» قاله الزمخشرى (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) أى يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة قال بعضهم لا يكابد أحد من المخلوقات مايكابد ابن آدم وأصل الكبد من قولك كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده وقيل معنى فى كبد واقفا منتصب القامة وهذا ضعيف والإنسان على هذين القولين جنس ، وقيل الإنسان آدم عليه السلام ومعنى فى كبد على هذا فى السماء وهذا ضعيف والأول هو الصحيح (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) فيه قولان ، أحدهما أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه ، والآخر : أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه ، فعلى الأول نزلت فى جنس الإنسان الكافر ، وعلى الثانى نزلت فى رجل معين وهو أبو الأشد رجل من قريش كان شديد القوة ، وقيل عمرو بن عبد ود وهو الذى اقتحم الخندق بالمدينة وقتله على بن أبى طالب (يقول أهلكت مالا لبدا) أى كثيرا وقرئ لبدا بضم اللام وكسرها وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة ونزلت الآية عند قوم فى الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا فى إفساد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فى الحرث بن عامر بن نوفل وكان قد أسلم وأنفق فى الصدقات والكفارات ، فقال لقد أهلكت مالى منذ تبعت محمدا (أيحسب أن لم يره أحد) يحتمل أن يكون هذا تكذيبا له فى قوله أهلكت مالا لبدا أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء (وهديناه النجدين) أى طريق الخير والشر فهو كقوله إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد وقيل يعنى ثدى الأم (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الدخول بشدة ومشقة والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس ، وقيل هو جبل فى جهنم له عقبة لايجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال ولاهنا تخصيص بمعنى هلا وقيل هى دعاء وقيل هى نافية واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضى لزم تكرارها وأجاب الزمخشرى بأنها مكررة فى المعنى ، والتقدير : فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينا وقال الزجاج قوله «ثم كان من الذين آمنوا» يدل على التكرار لأن التقدير فلا اقتحم العقبة ولا آمن (وما أدراك ما العقبة) تعظيم للعقبة ثم فسرها بفك الرقبة وهو إعتاقها وبالإطعام وقرئ فك رقبة بضم الكاف وخفض الرقبة ، وهو على هذا تفسير للعقبة وبفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير لاقتحم وفك الرقبة هو عتقها ، قال

فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ۝

سـورة الشمس : مكية وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل أنجو به فقال فك الرقبة وأعتق النسمة فقال الأعرابى ليس هذا واحد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إعتاق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها وأمافك أسارى المسلمين من أيدى الكافرين فإنه أعظم أجرا من العتق لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين ولكنه لا يجرى فى الكفارات عن عتق رقبة (أو إطعام) من قرأ فك بالرفع قرأ إطعام بالعطف مصدر على مصدر ومن قرأ فك بالفتح قرأ إطعام بفتح الهمزة والميم فعطف فعلا على فعل (فى يوم ذى مسغبة) أى مجاعة يقال سغب الرجل إذا جاع (يتيما ذا مقربة) أى ذا قرابة ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم (أو مسكينا ذا متربة) أى ذا حاجة ، يقال ترب الرجل إذا افتقر وهو مأخوذ من الصدقة بالتراب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه الذى مأواه المزابل (ثم كان من الذين آمنوا) ثم هنا للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام ، ولا يصح أن يكون للترتيب فى الزمان لأنه لا يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام ولا يقبل عمل إلا من مؤمن (وتواصوا بالصبر) أى وصى بعضهم بعضاً بالصبر على قضاء الله وكأن هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار (وتواصوا بالمرحمة) أى وصى بعضهم بعضا برحمة المساكين وغيرهم ، وقيل الرحمة كل ما يؤدى إلى رحمة الله (الميمنة) جهة اليمين و(المشأمة) جهة الشمال ، وروى أن الميمنة عن يمين العرش ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم (نار مؤصدة) أى مطبقة مغلقة يقال أوصدت الباب إذا أغلقته وفيه لغتان الهمزة وترك الهمزة

سـورة والشمس

(والشمس وضحاها) الضحى ارتفاع الضوء وكماله والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال وقيل الضحى النهار كله ، والأول هو المعروف فى اللغة (والقمر إذا تلاها) أى تبعها وفى اتباعه لها ثلاثة أقوال : أحدها أنه يتبعها فى كثرة الضوء لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر والآخر أنه يتبعها فى طلوعه لأنه يطلع بعد غروبها وذلك فى النصف الأول من الشهر والضمير الفاعل للنهار لأن الشمس تنجلى بالنهار فكأنه هو الذى جلاها وقيل الضمير الفاعل لله وقيل الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا وهذا كله بعيد لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه (والليل إذا يغشاها) أى يغطيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل لليل

زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ ۞ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۞

على الأصح (والسماء وما بناها) قيل إن ما في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى وقيل إنها مصدرية كأنه قال والسماء وبنيانها ، وضعف الزمخشري ذلك بقوله : فألهمها فإن المراد الله باتفاق ، وهذا القول يؤدي إلى فساد النظم ، وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق فإن قيل : لم عدل عن من إلى قوله ما في قول من جعلها موصولة ؟ فالجواب أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال والقادر الذي بناها (طحاها) أي مدها (ونفس وما سواها) تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها ، فإن قيل : لم نكر النفس ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس كقوله « علمت نفس ما أحضرت » والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار (فألهمها فجورها وتقواها) أي عرفها طريق الفجور والتقوى وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين ، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو ، كقوله : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا » (قد أفلح من زكاها) هذا جواب القسم عند الجمهور ، وقال الزمخشري : الجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه الصلاة والسلام ، قال وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله : « فألهمها فجورها وتقواها » على سبيل الاستطراد وهذا بعيد ، والفاعل بزكاها ضمير يعود على من ، والمعنى قد أفلح من زكى نفسه أي طهرها من الذنوب والعيوب ، وقيل الفاعل ضمير الله تعالى ، والأول أظهر ، (وقد خاب من دساها) أي حقرها بالكفر والمعاصي وأصله دسس بمعنى أخفى فكأنه أخفى نفسه لما حقرها وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم قصيت أظفاري وأصله قصصت (بطغواها) هو مصدر بمعنى الطغيان قلبت فيه الياء واواً على لغة من يقول طغيت والباء الخافضة كقولك كتبت بالقلم أو سببية والمعنى بسبب طغيانها وقال ابن عباس معناه كذبت ثمود بعذابها ويؤيده قوله فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (إذ انبعث أشقاها) العامل في إذ كذبت أو طغواها ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط وأشقاها هو الذي عقر الناقة وهو أحيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقعا على جماعة لأن أفعل التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه السلام (ناقة الله وسقياها) منصوب بفعل مضمر تقديره احفظوا ناقة الله أو احذروا ناقة الله وسقياها ، شربها من الماء (فعقروها) نسب العقر إلى جماعة لأنهم اتفقوا عليه وباشره واحد منهم (فدمدم) عبارة عن إنزال العذاب بهم وفيه تهويل (بذنبهم) أي بسبب ذنبهم وهو التكذيب أو عقر الناقة (فسواها) قال ابن عطية معناه فسوى القبيلة في الهلاك لم يفلت أحد منهم وقال الزمخشري الضمير للدمدمة أي سواها بينهم (ولا يخاف عقباها) ضمير الفاعل لله تعالى والضمير في عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أي لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقارهم وقيل إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد وقرئ فلا يخاف بالفاء وبالواو وقيل في القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة في موضع الحال أي انبعث ولم يخف عقبى فعلته وهذا بعيد

سـورة الليل : مكية وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي

سـورة الليل

(والليل إذا يغشى) أى يغطى وحذف المفعول وهو الشمس لقوله والليل إذا يغشاها أو النهار لقوله يغشى الليل النهار أو كل شىء يستره الليل (والنهار إذا تجلى) أى ظهر وتبين والنهار من طلوع الشمس واليوم من طلوع الفجر (وما خلق الذكر والأنثى) ما بمعنى من والمراد بها الله تعالى وعدل عن من لقصد الوصف كأنه قال والقادر الذى خلق الذكر والأنثى وقيل هى مصدرية وروى ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ والذكر والأنثى (إن سعيكم لشتى) هذا جواب القسم ومعناه إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات وشتى جمع شتيت (فأما من أعطى) أى أعطى ماله فى الزكاة والصدقة وشبه ذلك أو أعطى حقوق الله من طاعته فى جميع الأشياء واتقى الله (وصدق بالحسنى) أى بالخصلة الحسنة وهى الاسلام ولذلك عبر عنها بعضهم بأنها لا إله إلا الله أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة وقيل يعنى الأجر والثواب على الاطلاق وقيل يعنى الخلف على المنفق (فسنيسره لليسرى) أى نهيؤه للطريقة اليسرى وهى فعل الخيرات وترك السيئات وضد ذلك تيسيره للعسرى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى يهيؤه الله لما قدر له ويسهل عليه فعل الخير أو الشر (وأما من بخل واستغنى) أى بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق فيحتمل الوجهين لأنه فى مقابلة أعطى كما أن استغنى فى مقابلة اتقى وكذلك كذب بالحسنى فى مقابلة صدق بالحسنى ونيسره للعسرى فى مقابلة نيسره لليسرى ، ومعنى استغنى استغنى عن الله فلم يطعه واستغنى بالدنيا عن الآخرة ، ونزلت آية المدح فى أبى بكر الصديق ، لأنه أنفق ماله فى مرضات الله ، وكان يشترى من أسلم من العبيد فيعتقهم ، وقيل نزلت فى أبى الدحداح وهذا ضعيف ، لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدحداح بالمدينة وقيل إن آية الذم نزلت فى أبى سفيان بن حرب وهذا ضعيف لقوله فسنيسره للعسرى وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك (وما يغنى عنه ماله إذا تردى) هذا نفى ، أو استفهام بمعنى الإنكار ، واختلف فى معنى تردى على أربعة أقوال : الأول تردى أى هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت ، أو تردى أى سقط فى القبر ، أو سقط فى جهنم ، أو تردى بأكفانه من الرداء (إن علينا للهدى) أى بيان الخير والشر ، وليس المراد الارشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة (فأنذرتكم ناراً تلظى) خطاب من الله أو من النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على تقدير قل (لا يصلاها إلا الأشقى) استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله الذى كذب وتولى ، وتأولها الناس بثلاثة أوجه أحدها أن المعنى لا يصلاها صلى خلود إلا الأشقى ، والآخر أنه أراد نارا مخصوصة الثالث . أنه أراد بالأشقى كافراً معينا وهو أبو جهل وأمية

يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝

سـورة الضحى : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد الفجر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ

ابن خلف وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصديق فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم (يتزكى) من أداء الزكاة أو من الزكاة أى يصير زكيا عند الله أو يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتى ماله أو حال من الضمير (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم بل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله ، وقيل : المعنى لا يقصد جزاء من أحد فى المستقبل على ما يفعل والأول أظهر ويؤيده ماروى أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالا قالت قريش كان لبلال عنده يد متقدمة فنفى الله قولهم (إلا ابتغاء وجه ربه) استثناء منقطع (ولسوف يرضى) وعد بأن يرضيه الله فى الآخرة

سـورة والضحى

(والضحى) ذكر فى الشمس وضحاها (والليل إذا سجى) فيه أربعة أقوال : إذا أقبل وإذا أدبر وإذا أظلم وإذا سكن أى استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح وطرف ساج أى ساكن غير مضطرب النظر وهذا أقرب فى الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية (ماودعك ربك) بتشديد الدال من الوداع وقرئ بتخفيفها بمعنى ما تركك والوداع مبالغة فى الترك (وما قلى) أى ما أبغضك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارا لظهور المعنى ولموافقة رؤس الآى وسبب الآية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أبطأ عليه الوحى ، فقالت قريش إن محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت الآية : تكذيبا لهم وقيل رمى عليه الصلاة والسلام بحجر فى أصبعه فدميت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت امرأة ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه فنزلت الآية : (ولا الآخرة خير لك من الأولى) أى الدار الآخرة خير لك من الدنيا قال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة ، ويريد بالأولى حاله قبل نزولها ، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (ولسوف يعطيك ربك فترضى) روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت إذاً لا أرضى أن يبقى واحد من أمتى فى النار قال بعضهم هذه أرجى آية فى القرآن ، وقال ابن عباس رضاه أن الله وعده بألف قصر فى الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم وقيل رضاه فى الدنيا بفتح مكة وغيره والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله فى الآخرة وكل ما أعطاه فى الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك (ألم يجدك يتيما فآوى) عدد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاءه ووجد فى هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهى بمعنى علم فالمعنى ألم تكن يتيما فآواك وذلك أن والده عليه السلام توفى وتركه فى بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام ، وقيل ثمانية فكفله جده عبد المطلب ثم مات وتركه ابن اثنى عشر عاما فكفله عمه أبو طالب ، وقيل لجعفر الصادق لم نشأ النبى صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون عليه حق

عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

سـورة الشرح : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الضحى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝

لمخلوق (ووجدك ضالا فهدى) فيه ستة أقوال : أحدها : وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهداك إليها فالضلال عبارة عن التوقيف فى أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله فهو كقوله «ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان» وهذا هو الأظهر وهو الذى اختاره ابن عطية وغيره ومعناه أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها . والثانى وجدك فى قوم ضلال فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون وهذا قريب من الأول . والثالث وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها ، وهذا ضعيف ، لأن السورة نزلت قبل الهجرة . الرابع وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك وهذا بعيد عن المعنى المقصود . الخامس أنه من الضلال عن الطريق وذلك أنه صلى الله عليه و آله وسلم ضلّ فى بعض شعب مكة وهو صغير فرده الله إلى جده ، وقيل بل ضل من مرضعته حليمة فرده الله إليها ، وقيل بل ضل فى طريق الشام حين خرج إليها مع أبى طالب . السادس أنه بمعنى الضلال من المحبة أى وجدك محبا لله فهداك إليه ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم « تالله إنك لفى ضلالك القديم » أى محبتك ليوسف وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير (ووجدك عائلا فأغنى) العائل الفقير يقال عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجا وأعال فهو معيل إذا كثر عياله وهذا الفقر والغنى هو فى المال وغناؤه صلى الله عليه وآله وسلم هو أن أعطاه الله الكفاف ، وقيل هو رضاه بما أعطاه الله ، وقيل المعنى وجدك فقيرا إليه فأغناك به (فأما اليتيم فلا تقهر) أى لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه أو لا تقهره بالمنع من مصالحه ووجوه القهر كثيرة والنهى يعمّ جميعها (وأما السائل فلا تنهر) النهر هو الانتهار والزجر والنهى عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى « فقل لهم قولا ميسورا » ، ويحتمل السائل أن يريد به سائل الطعام والمال وهذا هو الأظهر ، والسائل عن العلم والدين وفى قوله تقهر وتنهر لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل معناه بث القرآن وبلغ الرسالة والصحيح أنه عموم فى جميع النعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التحدث بالنعم شكر » ولذلك كان بعض السلف يقول لقد أعطانى الله كذا ولقد صليت البارحة كذا وهذا إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر أو ليقتدى به فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز ، وانظر كيف ذكر الله فى هذه السورة ثلاث نعم ثم ذكر فى مقابلتها ثلاث وصايا فقابل قوله ألم يجدك يتيما بقوله فأما اليتيم فلا تقهر ، وقابل قوله ووجدك ضالا بقوله ، وأما السائل فلا تنهر ، على قول من قال إنه السائل عن العلم وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر ، وقابل قوله ووجدك عائلا فأغنى بقوله وأما السائل فلا تنهر على القول الأظهر ، وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر

سورة ألم نشرح

(ألم نشرح لك صدرك) هذا لصدره توقيف معناه إثبات شرح صدره صلى الله عليه وسلم وتعديد ما ذكر

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

سورة التين : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ

بعده من النعم وشرح صدره صلى الله عليه وسلم هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة ، وقيل هو شق جبريل لصدره فى صغره أو فى وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله (ووضعنا عنك وزرك) فيه ثلاثة أقوال : الأول قول الجمهور أن الوزر الذنوب ووضعها هو غفرانها فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة الثانى أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعد ما بالغ الرسالة الثالث أن الوزر هو تحيره قبل النبوة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأته من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة (الذى أنقض ظهرك) عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه قال الحارث المحاسبى : إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهى صغائر مغفورة لهم لهمهم بها وتحسرهم عليها فهى ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله ، وهى خفيفة عند الله وهذا كما جاء فى الأثر إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه . واشتقاق أنقض ظهرك من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شىء ثقيل (ورفعنا لك ذكرك) أى نوهنا باسمك وجعلناه شهيراً فى المشارق والمغارب وقيل معناه اقتران ذكره بذكر الله فى الأذان والخطب والتشهد وفى مواضع من القرآن ، وقد روى فى هذا حديث أن الله قال له : إذا ذكرت ذكرت معى فإن قيل لم قال لك ذكرك ولك صدرك مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب أن قوله لك يدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره (فإن مع العسر يسرا) هذا وعد لما يسر بعد العسر وإنما ذكره بلفظ مع التى تقتضى المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر فإن قيل ما وجه ارتباط هذا مع ماقبله ؟ فالجواب أنه صلى الله عليه وسلم كان بمكة هو وأصحابه فى عسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال ووعده الله باليسر وقد تقدم تعديد النعم تسلية وتأنيسا لتطيب نفسه ويقوى رجاؤه كأنه يقول إن الذى أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب ولذلك كرر إن مع العسر يسرا مبالغة وقال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وقد روى ذلك عن عمر وابن مسعود وتأويله أن العسر المذكور فى هذه السورة واحد ، لأن الألف واللام للعهد كقولك جاءنى رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتنكيره وقيل : إن اليسر الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة (فإذا فرغت فانصب) هو من النصب بمعنى التعب والمعنى اذا فرغت من أمر فاجتهد فى آخر ثم اختلف فى تعيين الأمرين فقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب فى النوافل وقيل إذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء وقيل إذا فرغت من شغل دنياك فانصب فى عبادة ربك (وإلى ربك فارغب) قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أى لا ترغب إلا إلى ربك وحده

سورة التين

(والتين والزيتون) فيها قولان : الأول أنه التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر أقسم الله بهما لفضيلتهما

فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝

على سائر الثمار روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل مع أصحابه تينا فقال لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلاعجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس وقال صلى الله عليه وسلم نعم السواك الزيتون فإنه من الشجرة المباركة هى سواكى وسواك الأنبياء من قبلى . القول الثانى أنهما موضعان ثم اختلف فيهما فقيل هما جبلان بالشام أحدهما بدمشق ينبت فيه التين والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون فكانه قال ومنابت التين والزيتون ، وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ، وقبل التين مسجد نوح والزيتون مسجد إبراهيم والأظهر أنهما الموضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذى كلم عليه موسى والبلد الذى بعث منه محمد صلى الله عليه وسلم فتكون الآية نظير مافى التوراة أن الله تعالى جاء من طور سيناء وطلع من ساعد وهو موضع عيسى وظهر من جبال باران وهى مكة وأقسم الله بهذه المواضع التى ذكر فى التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين (وطورسينين) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بالشام وأضافه الله إلى سينين ومعنى سينين مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة ، وقيل معناه ذو الشجر واحدها سينه قاله الأخفش وقال الزمخشرى ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالواو والياء وأن يلزم الياء وتحريك النون بحركات الإعراب (وهذا البلد الأمين) هو مكة باتفاق والأمين من الأمانة أو من الأمن لقوله اجعل هذا بلدا آمنا (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) فيه قولان : أحدهما أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة وأسفل سافلين الضعف والهرم والخرف فهو كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وقوله وجعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة وقوله إلا الذين آمنوا بعد هذا غير متصل بما قبله والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن لأنه خارج عن معنى الكلام الأول . والآخر أن حسن التقويم الفطرة على الإيمان وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة فى النار والاستثناء على هذا متصل لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين (غير ممنون) قد ذكر (فما يكذبك بعد بالدين) فيه قولان : أحدهما أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والدين شريعته والمعنى أى شىء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التى تشهد بصحة نبوتك والآخر أنه خطاب للإنسان الكافر والدين على هذا الشريعة أو الجزاء الأخروى ومعنى يكذبك على هذا يجعلك كاذبا لأن من أنكر الحق فهو كاذب والمعنى أى شىء يجعلك كاذبا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك فى أحسن تقويم ثم ردك أسفل سافلين ولاشك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا فلأى شىء تكذب بالبعث والجزاء (أليس الله بأحكم الحاكمين) تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين

سـورة العلق : مكية وآياتها ١٩ وهى أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۞ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۞ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۞ أَرَأَيْتَ

سـورة العلق

(نزل صدرها بغار حراء ، وهو أول مانزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة فى الحديث الذى ذكرناه فى أول الكتاب (اقرأ باسم ربك) فيه وجهان : أحدهما أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أو متبركا باسم ربك وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتتحا فيحتمل أن يريد ابتدإ القراءة بقول بسم الله الرحمن الرحيم أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا والوجه الثانى أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذى خلق فيكون باسم ربك مفعولا وهو المقروء (الذى خلق) حذف المفعول لقصد العموم كأنه قال الذى خلق كل شىء ثم خصص خلقة الإنسان لما فيه من العجائب والعبر ويحتمل أنه أراد الذى خلق الإنسان كما قال «الرحمن علم القرآن خلق الإنسان» ثم فسره بقوله (خلق الإنسان من علق) والعلق جمع علقة ، وهى النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بنى آدم ، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله « فإنا خلقناكم من نطفة ثم من علقة » لأنه أراد كل واحد على حدته ولم يدخل آدم فى الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين (اقرأ وربك الأكرم) كرر الأمر بالقراءة تأكيداً والواو للحال والمقصود تأنيس النبى صلى الله عليه وسلم كأنه يقول افعل ماأمرت به فإن ربك كريم وصيغة أفعل للمبالغة (الذى علم بالقلم) هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة ، وخص من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا ، وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (علم الإنسان مالم يعلم) يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة لأن الإنسان لم يكن يعلمها فى أول أمره أو يريد التعليم لكل شىء على الإطلاق ، وقيل إن الإنسان هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم (كلا إن الإنسان ليطغى) نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة فى أبى جهل بعد نزول صدرها بمدة ، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ فى عداوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكلا هنا يحتمل أن تكون زجرا لأبى جهل أو بمعنى حقاً أو استفتاحا (أن رآه استغنى) فى موضع المفعول من أجله أى يطغى من أجل غناه والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل فى الضمير ولا يكون ذلك إلا فى أفعال القلوب والمعنى رأى نفسه استغنى واستغنى هو المفعول الثانى (إن إلى ربك الرجعى) هذا تهديد لأبى جهل وأمثاله (أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى) اتفق المفسرون أن العبد الذى صلى هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن الذى نهاه أبو جهل لعنه الله وسبب الآية أن أبا جهل جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى المسجد الحرام فهم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة وروى أنه قال لئن رأيته يصلى لأطأن عنقه فجاءه وهو يصلى ثم انصرف عنه مرعوبا

إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب *

فقيل له ماهذا فقال لقداعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى) أرأيت فى الموضع الذى قبله والذى بعده بمعنى أخبرنى فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب وفيها معنى التعجيب والتوقيف والخطاب فيها يحتمل أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين وهى تتعدى إلى مفعولين وجاءت بعدها إن الشرطية فى موضعين وهما قوله إن كان على الهدى وقوله إن كذب وتولى فيحتاج إلى الكلام فى مفعولى أرأيت فى المواضع الثلاثة وفى جواب الشرطين وفى الضمائر المتصلة بهذه الأفعال وهى إن كان على الهدى وأمر بالتقوى وكذب وتولى على من تعود هذه الضمائر فقال الزمخشرى إن قوله الذى ينهى هو المفعول الأول لقوله أرأيت الأولى وأن الجملة الشرطية بعد ذلك فى موضع المفعول الثانى وكررت أرأيت بعد ذلك للتأكيد فهى زائدة لاتحتاج إلى مفعول وإن قوله ألم يعلم بأن الله يرى هو جواب قوله إن كذب وتولى فهو فى المعنى جواب للشرطين معاً وأن الضمير فى قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى الذى نهى عن الصلاة وهو أبو جهل وكذلك الضمير فى قوله إن كذب وتولى وتقدير الكلام على هذا أخبرنى عن الذى ينهى عبداً إذا صلى إن كان هذا الناهى على الهدى أو كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك فمقصود الآية تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه ، وخالفه ابن عطية فى الضمائر فقال إن الضمير فى قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للعبد الذى صلى وأن الضمير فى قوله إن كذب وتولى للذى نهى عن الصلاة وخالفه أيضا فى جعله أرأيت الثانية مكررة للتأكيد وقال إنها فى المواضع الثلاثة توقيف وأن جوابه فى المواضع الثلاثة قوله ألم يعلم بأن الله يرى فإنه يصلح مع كل واحد منها ، ولكنه جاء فى آخر الكلام اختصارا وخالفهما أيضا الغزنوى فى الجواب فقال إن جواب قوله إن كان على الهدى محذوف فقال إن تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب ، والضمير على هذا يعود على العبد الذى صلى وفاقا لابن عطية (لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى فى النار ، والناصية مقدم الرأس فهو كقوله «فيؤخذ بالنواصى والأقدام» والسفع هنا الجذب والقبض على الشىء وقيل هو الإحراق من قولك سفعته النار وأكد لنسفعا باللام والنون الخفيفة وكتبت فى المصحف بالألف مراعاة للوقف ويظهر لى أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجر إلى القليب (ناصية كاذبة خاطئة) أبدل ناصية من الناصية ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزا والكاذب الخاطئ فى الحقيقة صاحبها والخاطئ الذى يفعل الذنب متعمدا والمخطئ الذى يفعله بغير قصد (فليدع ناديه) النادى والندى المجلس الذى يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال أيتوعدنى محمد فوالله ما بالوادى أعظم ناديا منى فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له ، والمعنى فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب والزبانية فى اللغة الشرط واحدهم زبنية وقيل زبنى وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا

سـورة القدر : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۞

(واسجد واقترب) أى تقرب إلى الله بالسجود كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاجتهدوا فى الدعاء وهذا موضع سجدة عند الشافعى وليست عند مالك من عزائم السجود

سـورة القدر

اختلف الناس فى ليلة القدر على ستة عشر قولا وهى أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين فهذه خمسة أقوال فى ليالى الأوتار من العشر الأواخر من رمضان على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر فجعل ليالى الأوتار ليلة ثلاثين لأنها الأولى وليلة ثمان وعشرين لأنها الثانية وليلة ستة وعشرين لأنها الخامسة وليلة أربع وعشرين لأنها السابعة وليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة فهذه خمسة أقوال أخر فتلك عشرة أقوال والقول الحادى عشر أنها تدور فى العشر الأواخر ولا تثبت فى ليلة واحدة منه . الثانى عشر أنها مخفية فى رمضان كله وهذا ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم التمسوها فى العشر الأواخر . الثالث عشر أنها مخفية فى العام كله . الرابع عشر أنها ليلة النصف من شعبان وهذان القولان باطلان لأن الله تعالى قال إنا أنزلناه فى ليلة القدر وقال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن فدل ذلك على أن ليلة القدر فى رمضان . القول الخامس عشر أنها رفعت بعد النبى صلى الله عليه وسلم وهذا ضعيف . القول السادس عشر أنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان أو ليلة ثلاث وعشرين أو ليلة سبع وعشرين فقد جاءت فى هذه الليالى الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) الضمير فى أنزلناه للقرآن دل على ذلك سياق الكلام وفى ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه : أحدها أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته ، والثانى أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات والثالث أن الله أسند إنزاله إلى نفسه وفى كيفية إنزاله فى ليلة القدر قولان أحدهما أنه ابتدأ إنزاله فيها والآخر أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه فى شأن ليلة القدر وذكرها وهذا ضعيف وسميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها أو من القدر بمعنى الشرف ويترجح الأول بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم (وما أدراك ماليلة القدر) هذا تعظيم لها قال بعضهم كل ماقال فيه ماأدراك فقد علمه النبى صلى الله عليه وسلم وماقال فيه مايدريك فإنه لا يعلمه (ليلة القدر خير من ألف شهر) معناه أن من قامها كتب الله له أجر العبادة فى ألف شهر قال بعضهم يعنى فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وسبب الآية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر رجلا ممن تقدم عبد الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيراً من العبادة فى تلك المدة الطويلة

سـورة البينة مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن

وروى أن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما عوتب حين بايع معاوية فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى فى المنام بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فاهتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهى خير من ملك بنى أمية ألف شهر ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدى آخر ملوك بنى أمية بالمشرق ألف شهر (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) الروح هنا جبريل عليه السلام وقيل صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة وتنزلهم هو إلى الأرض ، وقيل إلى السماء الدنيا وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها (من كل أمر) هذا متعلق بما قبله والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضى الله فى ذلك العام فإنه روى أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون فى ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك ليمتثلوا ذلك فى العام كله ، وقيل على هذا المعنى أن من بمعنى الباء أى ينزلون بكل أمر وهذا ضعيف وقيل إن المجرور يتعلق بعده والمعنى أنها سلام من كل أمر أى سلامة من الآفات قال مجاهد لا يصيب أحد فيها داء والأظهر أن الكلام تم عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ قوله سلام هى واختلف فى معنى سلام فقيل إنه من السلامة وقيل إنه من التحية لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها وكذلك اختلف فى إعرابه فقيل سلام هى مبتدأ وخبر وهذا يصح سواء جعلناه متصلا مع ماقبله أو منقطعا عنه وقيل سلام خبر مبتدأ مضمر تقديره أمرها سلام أو القول فيها سلام وهى مبتدأ خبره حتى مطلع الفجر اى هى دائمة إلي طلوع الفجر ويختلف الوقف باختلاف الاعراب وقال ابن عباس إن قوله هى إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين لأن هذه الكلمة هى السابعة والعشرين من كلمات السورة

سـورة لم يكن

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين أهل الكتاب والمشركين وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى منفكين منفصلين ثم اختلف فى هذا الانفصال على أربعة أقوال : أحدها أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة لتقوم عليهم الحجة . الثانى لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله . الثالث اختاره ابن عطية وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة الرابع وهو الأظهر عندى أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فقامت عليهم الحجة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة فمنفكين على هذا كقولك لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا (رسول من الله) يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وإعرابه بدل من البينة أو خبر ابتداء مضمر (يتلوا صحفا مطهرة) يعنى

بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُولَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝

القرآن فى صحفه (فيها كتب قيمة) أى قيمة بالحق مستقيمة المعانى ووزن قيمة فيعلة وفيه مبالغة قال ابن عطية هذا على حذف مضاف تقديره فيها أحكام كتب ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الكتب بمعنى المكتوبات (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) أى ما اختلفوا فى نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما علموا أنه حق ويحتمل أن يريد تفرقهم فى دينهم كقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم فى أول السورة لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما يجدون فى كتبهم من ذكره (وما أمروا) الآية : معناها : ما أمروا فى التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ولكنهم حرفوا وبدلوا ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا فى القرآن إلا بعبادة الله فلأى شىء ينكرونه ويكفرون به (مخلصين له الدين) استدل المالكية بهذا على وجوب النية فى الوضوء وهو بعيد لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب فى التوحيد وفى الأعمال وهذا الاخلاص فى التوحيد هو الشرك الجلى وهذا الاخلاص فى الأعمال هو الشرك الخفى وهو الرياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء الشرك الأصغر وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول « أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشريكه » واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع مأمورات ومنهيات ومباحات فأما المأمورات فالاخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود وإن كانت النية مشتركة ففى ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها ولم يكن له أجر فى تركها وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام (حنفاء) جمع حنيف وقد ذكر (وذلك دين القيمة) تقديره الملة القيمة أو الجماعة القيمة وقد فسرنا القيمة ومعناه أن الذى أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام فلأى شىء لا يدخلون فيه (البرية) الخلق لأن الله برأهم وأوجدهم بعد العدم وقرئ بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالا عند العرب (رضى الله عنهم ورضوا عنه) اختلف هل هذا فى الدنيا أو فى الآخرة فرضاهم عن الله فى الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا ، ورضاهم عنه فى الآخرة : هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها ، أو رضا الله عنهم

سورة الزلزلة : مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۞

لما ورد فى الحديث أن الله يقول يا أهل الجنة هل تريدون شيئا أزيدكم فيقولون يا ربنا وأى شىء نريد وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول عندى أفضل من ذلك وهو رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (ذلك لمن خشى ربه) أى لمن خافه وهذا دليل على فضل الخوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الله رأس كل حكمة

﴿سورة الزلزلة﴾ (إذا زلزلت الأرض) أى حركت واهتزت (زلزالها) مصدر وإنما أضيف إليها تهويلا كأنه يقول الزلزلة التى تليق بها على عظم جرمها (وأخرجت الأرض أثقالها) يعنى الموتى الذين فى جوفها وذلك عند النفخة الثانية فى الصور وقيل هى الكنوز وهذا ضعيف لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال (وقال الإنسان مالها) أى يتعجب من شأنها فيحتمل أن يريد جنس الإنسان أو الكافر خاصة لأنه الذى يرى حينئذ مالا يظن (يومئذ تحدث أخبارها) هذه عبارة عما يحدث فيها من الأهوال فهو مجاز وحديث بلسان الحال وقيل هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة وتحدث يتعدى إلى مفعولين حذف المفعول منهما والتقدير تحدث الخلق أخبارها وانتزع بعض المحدثين من قوله تحدث أخبارها أن قول المحدث حدثنا وأخبرنا سواء وهذه الجملة هى جواب إذا زلزلت وتحدث هو العامل فى إذا ويومئذ بدل من إذا ويجوز أن يكون العامل فى إذا مضمر وتحدث عامل فى يومئذ (بأن ربك أوحى لها) الباء سببية متعلقة بتحدث أى تحدث بسبب أن الله أوحى لها ويحتمل أن يكون بأن الله أوحى لها بدلا من إخبارها وهذا كما تقول حدثت كذا وحدثت بكذا والمعنى على هذا تحدث بحديث الوحى لها وهذا الوحى يحتمل أن يكون إلهاما أو كلاما بواسطة الملائكة ولها بمعنى إليها ، وقيل معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها وهذا بعيد (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) معنى أشتاتا مختلفين فى أحوالهم وواحد الأشتات شت وصدر الناس هو انصرافهم من موضع وردهم فقيل الورد هو الدفن فى القبور والصدر هو القيام للبعث وقيل الورد القيام للحشر والصدر الانصراف إلى الجنة والنار وهذا أظهر وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) المثقال هو الوزن والذرة هى النملة الصغيرة ، والرؤية هنا ليست برؤية بصر وإنما هى عبارة عن الجزاء وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ماهو أكثر منه من طريق الأولى كأنه قال من يعمل قليلا أو كثيرا وهذه الآية هى فى المؤمنين لأن الكافر لا يجازى فى الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمن فى النار لأنه إذا خلد لم ير ثوابا على إيمانه وعلى ماعمل من الحسنات ، وروى عن عائشة أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها فى ذلك فقالت كم فيها من مثقال ذرة ، وسمع رجلا هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسبى الله لا أبالى أن أسمع غيرها (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) هذا على عمومه فى حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجازون بذنوبهم إلا بستة شروط: وهى أن تكون ذنوبهم كبائر وأن يموتوا قبل التوبة منها وأن لا تكون لهم حسنات أرجح فى الميزان منها وأن لا يشفع فيهم وأن لا يكون ممن استحق

سورة العاديات : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۞ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۞ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۞ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۞

المغفرة بعمل كأهل بدر وأن لا يعفو الله عنهم فإن المؤمن العاصى فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له

﴿ سورة العاديات ﴾ اختلف فى العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها الخيل أو الإبل وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعنى خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعنى إبل غزوة بدر أو إبل المجاهدين مطلقا أو إبل الحجاج أو الإبل على الإطلاق ومعنى العاديات التى تعدو فى مشيها ، والضبح هو تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهال وهو مصدر منصوب على تقدير يضبحن ضبحا أو هو مصدر فى موضع الحال تقديره العاديات فى حال ضبحها ، والموريات من قولك أوريت النار إذا أوقدتها والقدح هو صك الحجارة فيخرج منها شعلة نار وذلك عند ضرب الأرض لأرجل الخيل أو الإبل وإعراب قدحا كإعراب صبحا والمغيرات من قولك أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على الأعداء وصبحا ظرف زمان لأن عادة أهل الغارة فى الأكثر أن يخرجوا فى الصباح (فأثرن به نقعا) هذه الجملة معطوفة على العاديات وما بعده لأنه فى تقدير التى تعدو والنقع الغبار والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية أو للمكان الذى يقتضيه المعنى فالباء أيضا ظرفية أو للعدو وهو المصدر الذى يقتضيه العاديات فالباء سببية ومعنى أثرن حركن والضمير الفاعل للإبل أو للخيل أى حركن الغبار عند مشيهن (فوسطن به جمعا) معنى وسطن توسطن وجمعا اختلف هل المراد به جمع من الناس أو المزدلفة لأن اسمها جمع والضمير المجرور للوقت أو للمكان أو للعدو أو للنقع (إن الانسان لربه لكنود) هذا جواب القسم والكنود الكفور للنعمة فالتقدير إن الانسان لنعمة ربه لكفور والانسان جنس ، وقيل الكنود العاصى وقال بعض الصوفية الكنود هو الذى يعبد الله على عوض (وإنه على ذلك لشهيد) الضمير للانسان أى هو شاهد على نفسه بكنوده وقيل هو لله تعالى على معنى التهديد والأول أرجح لأن الضمير الذى بعده للإنسان باتفاق فيجرى الكلام على نسق واحد (وإنه لحب الخير لشديد) الخير هنا المال كقوله إن ترك خيرا والمعنى أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه وقيل الشديد البخيل والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حب المال والأول أظهر (إذا بعثر ما فى القبور) أى بحث عند ذلك عبارة عن البعث (وحصل ما فى الصدور) أى جمع ما فى الصحف وأظهر محصلا أو ميز خيره من شره (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) الضمير فى ربهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس وفى هذه الجملة وجهان : أحدهما أن هذه الجملة معمول أفلا يعلم فكان الأصل أن تفتح إن ولكنها كسرت من أجل اللام التى فى خبرها والثانى أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود على الإنسان والتقدير أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما فى القبور وهذا هو الذى قاله ابن عطية ويحتمل عندى أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرا يعود على الله والمفعول محذوف والتقدير أفلا يعلم الله أعمال

سورة القارعة : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝

الإنسان إذا بعثر مافى القبور ثم استأنف قوله إن ربهم بهم يومئذ لخبير على وجه التأكيد أو البيان للمعنى المتقدم والعامل فى إذا بعثر على هذا الوجه هو أفلا يعلم والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية هو المفعول المحذوف وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست بشرطية والعامل فى يومئذ خبير وإنما خص ذلك بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خبير على الإطلاق

﴿سورة القارعة﴾ (القارعة) من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بهولها وقيل هى النفخة فى الصور لأنها تقرع الأسماع (ماالقارعة) مبتدأ وخبر فى موضع خبر القارعة والمراد به تعظيم شأنها وكذلك وماأدراك ماالقارعة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) العامل فى الظرف محذوف دل عليه القارعة تقديره تقرع فى يوم والفراش هو الطير الصغير الذى يشبه البعوض ويدور حول المصباح والمبثوث هو المنتشر المتفرق شبه الله الخلق يوم القيامة به فى كثرتهم وانتشارهم وذلتهم ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم فى جهنم كما يتساقط الفراش فى المصباح قال بعض العلماء الناس فى أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ثم يدعوهم الداعى فيتوجهون إلى ناحية المحشر فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة ، وقيل الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن هو الصوف ، وقيل الصوف الأحمر وقيل الصوف الملون ألوانا شبه الله الجبال يوم القيامة به لأنها تنسف فتصير لينة ، وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء (من ثقلت موازينه) هو جمع ميزان أو جمع موزون وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور ، وقال قوم هو عبارة عن العدل (فى عيشة راضية) معناه ذات رضا عند سيبويه : وثقل الموازين بكثرة الحسنات وخفتها بقلتها ولايخف ميزان مؤمن خفة موبقة لأن الإيمان يوزن فيه (فأمه هاوية) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الهاوية جهنم سميت بذلك لأن الناس يهوون فيها أى يسقطون وأمه معناه مأواه كقولك المدينة أم فلان أى مسكنه على التشبيه بالأم الوالدة لأنها مأوى الولد ومرجعه . الثانى أن الأم هى الوالدة ، وهاوية ساقطة وذلك عبارة عن هلاكه كقولك أمه ثكلى إذا هلك : الثالث أن المعنى أم رأسه هاوية فى جهنم أى ساقطة فيها لأنه يطرح فيها منكوسا ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل لاأم لك فقال يارسول الله تدعونى إلى الهدى وتقول لى لاأم لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أردت لانار لك قال الله تعالى «فأمه هاوية» وهذا يؤيد القول الأول (وما أدراك ماهيه) الهاء للسكت والضمير لجهنم على القول بأنها الهاوية وهو للفعلة والخصلة التى يراد بها العذاب على القول الثانى والثالث والمقصود تعظيمها ثم فسرها بقوله (نار حامية)

سورة التكاثر : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

سورة العصر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

﴿سورة التكاثر﴾ (ألهاكم التكاثر) هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى ألهاكم شغلكم والتكاثر المباهاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول ابن آدم مالى مالى وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (حتى زرتم المقابر) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناه حتى متم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها . الثانى أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين فى المقابر فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها الآن بعض العرب تفاخر بآبائها الموتى فالمعنى ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى : الثالث أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره (كلا سوف تعلمون) زجر وتهديد ثم كرره للتأكيد وعطفه بثم إشارة إلى أن الثانى أعظم من الأول ، وقيل الأول تهديد للكفار والثانى تهديد للمؤمنين وحذف معمول تعلمون وتقديره تعلمون مايحل بكم ، أو تعلمون أن القرآن حق أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ فى اشتغالكم بالدنيا ، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم مايخطر بباله (لو تعلمون علم اليقين) جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة فينبغى الوقف على اليقين ومعمول لو تعلمون محذوف أيضا وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين العلم الذى لا يشك فيه قال بعضهم هو من إضافة الشىء إلى نفسه كقولك دار الآخرة وقال الزمخشرى معناه علم الأمور التى تتيقنونها بالمشاهدة (لترون الجحيم) هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمفعول لو تعلمون تقديره : لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم والتفسير بعد الابهام يدل على التهويل والتعظيم والخطاب لجميع الناس فهو كقوله وإن منكم إلا واردها وقيل للكفار خاصة فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها (ثم لترونها عين اليقين) هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بثم للتهويل والتفخيم والعين هنا من قولك عين الشىء نفسه وذاته أى لترونها الرؤية التى هى نفس اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) هذا إخبار بالسؤال فى الآخرة عن نعيم الدنيا فقيل النعيم الأمن والصحة وقيل الطعام والشراب وهذه أمثلة والصواب العموم فى كل ما يلتذ به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت يكنك وخرقة تواريك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم وقال صلى الله عليه وسلم كل نعيم فمسئول عنه إلا نعيم فى سبيل الله ، وأكل صلى الله عليه وسلم يوما مع أصحابه رطبا وشربوا عليه ماء فقال لهم هذا من النعيم الذى تسئلون عنه

﴿سورة العصر﴾ (والعصر) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله : الثانى أنه العشى أقسم به كما أقسم بالضحى ويؤيد

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝

سورة الهمزة : مكية وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝

سورة الفيل : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ

هذا قول أبي بن كعب سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال أقسم ربكم بآخر النهار : والثالث أنه الزمان (إن الانسان لفى خسر) الانسان جنس ولذلك استثنى منه الذين آمنوا فهو استثناء متصل (وتواصوا بالحق) أى وصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر فالحق هو الاسلام وما يتضمنه وفيه إشارة إلى كذب الكفار وفى الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذاية الكفار لهم بمكة

﴿سورة الهمزة﴾ (ويل لكل همزة لمزة) هو على الجملة الذى يعيب الناس ويأكل أعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة واختلف فى الفرق بين الكلمتين فقيل الهمز فى الحضور واللمز فى الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد والعين واللمز باللسان ، وقيل : هما سواء ونزلت السورة فى الأخنس بن شريق لأنه كان كثير الوقيعة فى الناس وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم فى كل من اتصف بهذه الصفات (وعدده) أى أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فمنعه من الخيرات ، وقيل معناه استعده وادخره عدة لحوادث الدهر (أيحسب أن ماله أخلده) أى يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده فى الدنيا وقيل يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد (كلا) رد عليه فيما ظنه (لينبذن فى الحطمة) هذا جواب قسم محذوف والحطمة هى جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهبه وقد عظمها بقوله وما أدراك ثم فسرها بأنها (نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة) أى تبلغ القلوب بإحراقها قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما فى القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها (مؤصدة) مغلقة (فى عمد ممددة) العمد جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع ، وقرئ عمد بضمتين ، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب والممددة الطويلة ، وفى المعنى قولان : أحدهما أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا فى الإغلاق والثقاف كما تثقف أبواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بمؤصدة ، والآخر أنهم موثوقون مغلولون فى العمد فالمجرور على هذا فى موضع خبر مبتدأ مضمر تقديره هم موثوقون فى عمد

﴿سورة الفيل﴾ نزلت هذه السورة منبهة على العبرة فى قصة الفيل التى وقعت فى عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه ، وقد ذكرت القصة فى كتب السير وغيرها

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝

سورة قريش : مكية وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝

واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتا باليمن وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة فذهب أعرابى وأحدث فى البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة فاحتفل فى جموعه وركب الفيل وقصد مكة فلما وصل قريبا منها فر أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة وأخذ لعبد المطلب مائتى بعير فكلمه فيها فقال له كيف تكلمنى فى الإبل ولا تكلمنى فى الكعبة وقد جئت لهدمها وهى شرفك وشرف قومك فقال له أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه فبرك الفيل بذى الغميس ولم يتوجه إلى مكة فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هرول وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضعوه بالحديد فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيوراً سوداً وقيل خضراً عند كل طائر ثلاثة أحجار فى منقاره ورجليه فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل من وقع عليه وروى أنه كان يدخل فى رأسه ويخرج من دبره ووقع فى سائرهم الجدرى والأسقام وانصرفوا فماتوا فى الطريق متفرقين فى المراحل وتقطع أبرهة أنملة أنملة (ألم تر كيف) معناه ألم تعلم وكيف فى موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر والجملة معمول ألم تر (فى تضليل) أى إبطال وتخسير (أبابيل) معناه جماعات شيئا بعد شىء قال الزمخشرى واحدها أبالة وقال جمهور الناس هو جمع لا واحد له من لفظه (بحجارة) روى أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة قال ابن عباس إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفتين من هذه الحجارة وأنها كانت مخططة بحمرة وروى أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوبا (سجيل) قد ذكر (كعصف مأكول) العصف ورق الزرع وتبنه والمراد أنهم صاروا رميما وفى تشبيههم به ثلاثة أوجه الأول أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته فجمع التلف والخسة ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن . الثانى أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود . الثالث أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقى هو لا شىء

﴿سورة قريش﴾ (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) قريش هم حىّ من عرب الحجاز الذين هم من ذرية معد بن عدنان إلا أنه لا يقال قريشىّ إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت نحو بنى هاشم وبنى أمية وبنى مخزوم وغيرهم وإنما سميت القبيلة قريشا لتقرشهم والتقرش التكسب وكانوا تجارا ، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا ؟ قال : لدابة فى البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى ، وكانوا ساكنين بمكة ، وكان لهم رحلتان فى كل عام للتجارة رحلة فى الشتاء إلى اليمن ورحلة فى الصيف إلى الشام ، وقيل كانت الرحلتان جميعا إلى الشام ، وقيل كانوا يرحلون فى الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل ، فيقيمون بها ويرحلون فى الشتاء إلى مكة لسكناهم بها والإيلاف مصدر من قولك آلفت المكان إذا ألفته وقيل هو منقول منه بالهمزة يقال ألف الرجل الشىء وألفه إياه غيره فالمعنى على القول الأول أن قريشا ألفوا رحلة الشتاء والصيف وعلى الثانى أن الله ألفهم الرحلتين واختلف فى تعلق قوله لإيلاف قريش على ثلاثة أقوال : أحدها أنه يتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم : الثانى أنه يتعلق بمحذوف تقديره اعجبوا لإيلاف قريش : الثالث أنه

الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝

سورة الماعون : مكية ثلاث الآيات الأول ، مدنية الباقى : وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝

يتعلق بسورة الفيل والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش فهو يتعلق بقوله فجعلهم أو بما قبله من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين فى مصحف أبىّ بن كعب سورة واحدة لافصل بينهما وقد قرأهما عمر فى ركعة واحدة من المغرب ، وذكر الله الإيلاف أولا مطلقا ثم أبدل منه الايلاف المقيد بالرحلتين تعظيما للأمر ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم وقال رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر ۝ كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ۝ (فليعبدوا رب هذا البيت) هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة واستدعاء لهم وتذكير بالنعم والبيت هو المسجد الحرام (الذى أطعمهم من جوع) يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد روى أنهم كانوا قبل ذلك فى شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف ويحتمل أن يريد إطعامهم على الاطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذى زرع ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله وارزقهم من الثمرات (وآمنهم من خوف) يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل ويحتمل أن يريد آمنهم فى بلدهم بدعوة إبراهيم فى قوله « رب اجعل هذا بلدا آمنا » وقد فسرناه فى موضعه أو يعنى آمنهم فى أسفارهم لأنهم كانوا فى رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل آمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذوما قال الزمخشرى : التنكير فى جوع وخوف لشدتهما

﴿ سورة الماعون ﴾ (أرأيت الذى يكذب بالدين) قيل إن هذا نزل فى أبى جهل وأبى سفيان بن حرب وقيل هو مطلق والدين هنا الملة أو الجزاء (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه ، والاحسان إليه أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد ، والذى لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى وهذه الجملة هى جواب أرأيت لأن معناها أخبرنى فكأنه سؤال وجواب والمعنى انظر الذى كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قيل إن هذا نزل فى عبدالله بن أبىّ ابن سلول المنافق والسورة على هذا نصفها مكى ونصفها مدنى قاله أبو زيد السهيلى وذلك أن ذكرى أبى جهل وغيره من الكفار أكثر ماجاء فى السور المكية وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا بالمدينة لاسيما على قول من قال إنها فى عبدالله بن أبىّ ، وقيل إنها مكية كلها وهو الأشهر ونزل آخرها على هذا فى رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الايمان ، وقيل مدنية ، والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاونا بها ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الذين يؤخرونها عن وقتها وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذى قال « عن صلاتهم ساهون » ولم يقل فى صلاتهم (الذين هم يراؤن) هو من الرياء أى صلاتهم رياء للناس لا لله (ويمنعون الماعون) وصف لهم

سورة الكوثر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝

سورة الكافرون : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا

بالبخل وقلة المنفعة للناس . وفى الماعون أربعة أقوال : الأول أنه الزكاة ، الثانى أنه المال بلغة قريش . الثالث أنه الماء ، الرابع أنه مايتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الشىء الذى لايحل منعه ؟ فقال الماء والنار والملح وزاد فى بعض الطرق الإبرة والخميرة

﴿سورة الكوثر﴾ (إنا أعطيناك الكوثر) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والكوثر بناء مبالغة من الكثرة وفى تفسيره سبعة أقوال : الأول حوض النبى صلى الله عليه وسلم : الثانى أنه الخير الكثير الذى أعطاه الله فى الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير ، فإن قيل إن النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم . الثالث أن الكوثر القرآن . الرابع أنه كثرة الأصحاب والأتباع . الخامس أنه التوحيد . السادس أنه الشفاعة ، السابع أنه نور وضعه الله فى قلبه ولاشك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ماالكوثر هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء (فصل لربك وانحر) فيه خمسة أقوال : الأول أنه أمره بالصلاة على الاطلاق وبنحر الهدى والضحايا ، الثانى أنه صلى الله عليه وسلم كان يضحى قبل صلاة العيد فأمره أن يصلى ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحى عن الصلاة الثالث أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم صل لربك وحده وانحر له أى لوجهه لالغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والاخلاص . الرابع أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك فى الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر . الخامس أن معناه ارفع يديك عند نحرك فى افتتاح الصلاة (إن شانئك هو الأبتر) الشانئ هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية فى العاصى بن وائل ، وقيل فى أبى جهل على وجه الرد عليه إذ قال إن محمدا أبتر أى لا ولد له ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أى مقطوع عنها ولأنه لايذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم

﴿سورة الكافرون﴾ سبب هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصى بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا يا محمد اتبع ديننا ونتبع دينك اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن نشرك بالله شيئا ونزلت السورة فى معنى البراءة من آلهتهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها فقد برئ من الشرك (لاأعبد ماتعبدون) هذا إخبار أنه لايعبد أصنامهم ، فإن قيل لم كرر هذا المعنى بقوله ولاأنا عابد ماعبدتم ؟ فالجواب من وجهين أحدهما قاله الزمخشرى وهو أن قوله لاأعبد ماتعبدون يريد فى الزمان المستقبل وقوله

أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝

سـورة النصر

نزلت بمنى فى حجة الوداع فتعد مدنية وهى آخر مانزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ

ولاأناعابد ماعبدتم يريد به فيما يضى أى ما كنت قط عابدآماعبدتم فيماسلف فكيف تطلبون ذلك منى الآن الثانى قاله ابن عطية وهوأن قوله لاأعبد ماتعبدون لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال ولاأنا عابد ماعبدتم أى أبداً ماعشت لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال بقوله لاأعبد لايحتمل أن يراد به الحال ويحتمل عندى أن يكون قوله لاأعبد ماتعبدون يرادبه فى المستقبل على حسب ماتقتضيه لامن الاستقبال ويكون قوله ولاأناعابدماعبدتم يريد به فى الحال فيحصل من المجموع نفى عبادته للأصنام فى الحال والاستقبال ومعنى الحال فى قوله ولاأنا عابد ماعبدتم ثم أظهر من معنى المضى الذى قاله الزمخشرى ومن معنى الاستقبال فان قولك مازيد بقائم ينفى الجملة الاسمية يقتضى الحال (ولاأنتم عابدون ماأعبد) هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لايعبدون الله كما قيل لنوح إنه لن يؤمن من قومك إلامن قد آمن إلاأن هذا فى حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر وقد روى أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبوجهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف وأبى بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارا فإن قيل لم قال ماأعبد بمادون من التى هى موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن ذلك لمناسبة قوله لاأعبد ماتعبدون فإن هذا واقع على الأصنام التى لاتعقل ثم جعل ماأعبد على طريقته لتناسب اللفظ . الثانى أنه أراد الصفة كأنه قال لاأعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشرى . الثالث أن ما مصدرية والتقدير لاأعبد عبادتكم ولاتعبدون عبادتى وهذا ضعيف، فإن قيل لم كرر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد مرة أخرى ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما قول الزمخشرى وهو أن الأول فى المستقبل والثانى فيما مضى والآخر قاله ابن عطية وهو أن الأول فى الحال والثانى فى الاستقبال فهو حتم عليهم أن لايؤمنوا أبداً (لكم دينكم ولى دين) أى لكم شرككم ولى توحيدى وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف

﴿سورة النصر﴾ سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا إن الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم ياعبدالله ماتقول أنت ؟ قال هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح فقال عمر ما أعلم منها إلا ماعلمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويؤيده قول عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إنى أستغفرك يتأول القرآن أى هذه السورة وقال لها مرة ماأراه إلا حضور أجلى وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق فى حجة الوداع وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما أو نحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع (إذاجاء نصر الله والفتح) يعنى بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التى فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس إن النصر صلح الحديبية والفتح فتح مكة وقيل النصر إسلام أهل

بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

سورة المسد : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝

اليمن والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه فى فتح مكة عشرة آلاف وكان معه فى غزوة تبوك سبعون ألفا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى العرب رجل كافر وقد قيل إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفا (فسبح بحمد ربك واستغفره) قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم، فإن قيل لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله ؟ فالجواب أنه أمر بالتسبيح والحمد ليكون شكرا على النصر والفتح وظهور الاسلام وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زادا للآخرة وعدة للقاء الله

﴿ سورة أبى لهب ﴾ سببها أنه لما نزل قوله تعالى «وأنذر عشيرتك الأقربين» صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ثم أنذرهم عموما وخصوصا فقال له أبو لهب تبا لك لهذا جمعتنا فنزلت السورة (تبت يدا أبى لهب) معنى تبت خسرت والتباب هو الخسران وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس عداوة له فإن قيل لم ذكره الله بكنيته دون اسمه ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبى بكر وغيره ويقال إنه كنى بأبى لهب لتلهب وجهه جمالا : الثانى أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية : الثالث أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب ولينا سب ذلك قوله سيصلى نارا ذات لهب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفى وماله هو رأس ماله وما كسب الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب (سيصلى نارا ذات لهب) هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا (وامرأته حمالة الحطب) اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهى أخت أبى سفيان وعمة معاوية وفى وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال أحدها أنها كانت تحمل حطبا وشوكا فتلقيه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم لتؤذيه. الثانى أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أى يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم . الثالث أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به: الرابع أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها (فى جيدها حبل من مسد) الجيد العنق والمسد الليف ، وقيل الحبل المفتول وفى المراد به ثلاثة أقوال : الأول أنه إخبار عن حملها الحطب فى الدنيا على القول الأول وفى ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها . والآخر أنه حالها فى جهنم يكون كذلك أى يكون فى عنقها حبل . الثالث أنها كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت لأنفقنها على عداوة محمد فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرجها ويحتمل قوله وامرأته ومابعده وجوها من الإعراب

سورة الإخلاص مكية : وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۞

يختلف الوقف باختلافهاوهى أن يكون امرأته مبتدأوحمالة الحطب خبره ، أويكون حمالة الحطب نعت والخبر فى جيدها حبل من مسد أويكون امرأته معطوفاعلى الضمير فى يصلى وحمالةالحطب نعت أوخبر ابتداء مضمر

﴿سورة الإخلاص﴾ سبب نزول هذهالسورةأن اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه فى التوراة ونسبها ، فارتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة ، وقيل إن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية ، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية ، واختلف فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . فقيل إن ذلك فى الثواب أى لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن ، وقيل إن ذلك فيما تضمنته من المعانى والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصص ، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهى ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث . ويؤيده أن فى بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن وخرج النسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرؤها فقال أما هذا فقد غفر له ، وفى رواية أنه قال وجبت له الجنة ، وخرج مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فى الصلاة قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لأى شىء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه وفى رواية خرجها الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال للرجل حبك إياها أدخلك الجنة ، وخرج الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين (قل هو الله أحد) الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذى يراد به التعظيم والتفخيم ، وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التى بعده وهى المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان أحدهما أن يكون من أسماء النفى التى لاتقع إلا فى غير الواجب كقولك ماجاءنى أحد وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفوا أحد والآخر أن يكون بمعنى واحد وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة فى حق الله تعالى . الأول أنه واحد لاثانى معه فهو نفى للعدد . والثانى أنه واحد لانظير ولا شريك له كما تقول فلان واحد عصره أى لانظير له والثالث أنه واحد لاينقسم ولايتبعض والأظهر أن المراد فى السورة نفى الشريك لقصد الرد على المشركين ومنه قوله تعالى « وإلهكم إله واحد » قال الزمخشرى أحد وصف بالوحدانية ونفى الشركاء قلت وقد أقام الله فى القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك فى القرآن كثير جدا وأوضحها أربعة براهين: الأول قوله « أفمن يخلق كمن لايخلق » لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكا له ، والثانى قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » والثالث قوله «قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا

إلى ذى العرش سبيلا » والرابع قوله « وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» وقد فسرنا هذه الآيات فى مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد فى قوله « وإلهكم إله واحد » (الله الصمد) فى معنى الصمد ثلاثة أقوال : أحدها أن الصمد الذى يصمد إليه فى الأمور أى يلجأ إليه ، والآخر أنه الذى لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله «وهو يطعم ولا يطعم» والثالث أنه الذى لا جوف له ، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها فهى مفتقرة إليه أى تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه فى القرآن حيثما ورد نفى الولد عن الله تعالى كقوله فى مريم «وقالوا اتخذ الله ولدا» ثم أعقبه بقوله « إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا » وقوله « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد» وقوله «وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافى السموات والأرض » وكذلك هنا ذكره مع قوله « لم يلد » فيكون برهانا على نفى الولد ، قال الزمخشرى : صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه فى الحوائج (لم يلد) هذا رد على كل من جعل لله ولدا فمنهم النصارى فى قولهم « عيسى ابن الله » واليهود فى قولهم « عزير ابن الله » والعرب فى قولهم « الملائكة بنات الله » وقد أقام الله البراهين فى القرآن على نفى الولد وأوضحها أربعة أقوال : الأول ، أن الولد لابد أن يكون من جنس والده . والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى « ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » فوصفهما بصفة الحدوث لينفى عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار ،الثانى: أن الوالد إنما يتخذ ولداً للحاجة إليه والله لا يفتقر إلى شىء فلا يتخذ ولداً وإلى هذا أشار بقوله « قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى» الثالث : أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافى النبوة وإلى هذا أشار بقوله تعالى « إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا» الرابع : أنه لا يكون له ولد إلا لمن له زوجة والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (ولم يولد) هذا رد على الذين قالوا انسب لنا ربك وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذى لاافتتاح لوجوده القديم الذى كان ولم يكن معه شىء غيره فلا يمكن أن يكون مولوداً تعالى عن ذلك (ولم يكن له كفؤاً أحد) الكفؤ هو النظير والمماثل قال الزمخشرى يجوز أن يكون من الكفاءة فى النكاح فيكون نفيا للصاحبة وهذا بعيد والأول هو الصحيح ومعناه أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولامثيل ويجوز فى كفؤا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ بالوجهين ويجوز أيضا كسر الكاف وإسكان الفاء ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفوا على أنه خبر كان وأحد اسمها قال ابن عطية ويجوز أن يكون كفوا حالا لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها ، فإن قيل لم قدم المجرور وهو له على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى وشأن العرب تقديم ماهو أهم وأولى . والآخر أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفى الكفؤ مطلقا إنما المقصود نفى الكفؤ عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذى يحرز هذا المعنى فقدم فإن قيل إن قوله « قل هو الله أحد» يقتضى نفى الولد والكفؤ فلم نص على ذلك بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشىء بالذكر بعد دخوله فى عموم ماتقدم كقوله تعالى « وملائكته ورسله وجبريل وميكال

سورة الفلق : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٥ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ٥ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٥ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٥ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٥ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

ويفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا أحدهما الاعتناء ولاشك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار . والآخر الإيضاح والبيان فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيدا لإقامة الحجة عليهم

﴿سورة الفلق﴾ (قل أعوذ برب الفلق) تقدم معنى أعوذ في التعوذ ومعنى رب في اللغات والفاتحة ، وفي الفلق ثلاثة أقوال : الأول أنه الصبح ومنه فالق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول ، الثاني : أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك ، الثالث : أنه جب في جهنم ، وقد روى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من شر ما خلق) هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعاذنا الله منها وما هنا موصولة أو موصوفة أو مصدرية (ومن شر غاسق إذا وقب) فيه ثمانية أقوال ، الأول : أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى « إلى غسق الليل » وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولذلك قال في المثل : الليل أخفى للويل . الثاني أنه القمر . خرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به . الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول . الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله ، الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا . السادس أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس . السابع قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ، الثامن أنه إبليس حكى ذلك السهيلي (ومن شر النفاثات في العقد) النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك وحكى ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرضع في الحين قال الزمخشري إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه : أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن ائتمن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنهن . والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصح لأنه روى أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعقدن له إحدى عشر عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد وشفى الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل لم عرف

سورة الناس : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ

النفاثات بالألف واللام ونكر ماقبله وهو غاسق ومابعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه ؟ فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما فى بعض دون بعض (من شر حاسد إذا حسد) الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها فى السماء والأرض أما فى السماء فحسد إبليس لآدم وأما فى الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه . الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام الثانية سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله فى فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغمه، فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود فى نعمة والحاسد فى كرب ونقمة ولله در القائل وإنى لأرحم حسادى لفرط ما ۝ ضمت صدورهم من الأوغار ۝ نظروا صنيع الله بى فعيونهم ۝ فى جنة وقلوبهم فى نار

وقال آخر : إن يحسدونى فإنى غير لائمهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم مابى ومابهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكى كأنه مظلوم ولقد صدق القائل

كل العداوة قد ترجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء : وأظلم خلق الله من بات حاسداً ... لمن بات فى نعمائه يتقلب

قال ابن عطية قال بعض الحذاق هذه السورة خمس آيات وهى مراد الناس بقولهم للحاسد الذى يخاف منه العين الخمسة على عينك، فإن قيل لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد بإذا التى تقتضى تخصيص بعض الأوقات ؟ فالجواب أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين فإن عين الحسود قاتلة وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة فمخرجه من الحسد أن لا يبغى ومخرجه من الظن أن لا يحقق ومخرجه من الطيرة ألا يرجع ، فلهذا خصه بقوله إذا وقب ، فإن قيل إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كل ماذكر بعده فلأى شىء ذكر مابعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم ولقد تأكد ما ذكر فى هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذى سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له

﴿سورة الناس﴾ (قل أعوذ برب الناس) إن قيل لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شىء ؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعويذ والمقصودون هنا دون غيرهم (ملك الناس إله الناس) هذا عطف بيان فإن قيل لم قدم وصفه تعالى برب ثم بملك ثم بإله؟ فالجواب أن هذا على الترتيب فى الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال فلان رب الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك ولا شك

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝

أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به فإن قيل لم أظهر المضاف إليه وهو الناس فى المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره فى المرتين لتقديم ذكره فى قوله برب الناس أو هلا اكتفى بإظهاره فى المرة الثانية ؟ فالجواب أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شيء ۝ يغص الموت ذا الغنى والفقير

(الوسواس) هو مشتق من الوسوسة وهى الكلام الخفى فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدل وصوم أو على حذف مضاف تقديره ذى الوسواس وقال الزمخشرى إنما المصدر وسواس بالكسر (الخناس) معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن فى الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر وهو يخنس فى تباعده ثم فى رجوعه بعد ذلك (الذى يوسوس فى صدور الناس) وسوسة الشيطان فى صدر الانسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك فى العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصى فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء فى الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد فى القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الانسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء واحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء فى ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه فإن قيل لم قال فى صدور الناس ولم يقل فى قلوب الناس ؟ فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة وأنها غير حالة فى القلب بل هى محومة فى الصدر حول القلب (من الجنة والناس) هذا بيان لجنس الوسواس وأنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى « شياطين الانس والجن » أو يريد به نفس الانسان إذ تأمره بالسوء فانها أمارة بالسوء والأول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس وليس الناس على هذا ممن يوسوس والأول أظهر وأشهر فإن قيل لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة فى ذلك ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله . الثانى يظهر لى أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما أنزلت علىّ آيات لم ير مثلهن قط كما قال فى فاتحة الكتاب لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الفرقان مثلها فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها . الوجه الثالث يظهر لى أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفى الابتداء والانتهاء وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذى استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا رب غيره

كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

١٧٥٠/١

فهرس الجزء الرابع من كتاب التسهيل

صفحة		صفحة		صفحة	
٢	سورة غافر	١٢٥	سورة الطلاق	١٩٩	سورة البلد
١٠	« فصلت	١٣٠	« التحريم	٢٠١	« الشمس
١٧	« الشورى	١٣٣	« الملك	٢٠٣	« الليل
٢٥	« الزخرف	١٣٧	« القـــلم	٢٠٤	« الضحى
٣٤	« الدخان	١٤١	« الحاقة	٢٠٥	« ألم نشرح
٣٧	« الجاثية	١٤٥	« المعارج	٢٠٦	« التين
٤١	« الأحقاف	١٤٩	« نوح عليه السلام	٢٠٨	« العلق
٤٦	« محمد عليه السلام	١٥٢	« الجن	٢١٠	« القدر
٥١	« الفتح	١٥٦	« المزمل	٢١١	« البينة
٥٧	« الحجرات	١٥٩	« المدثر	٢١٣	« الزلزلة
٦٢	« قّ	١٦٣	« القيامة	٢١٤	« العاديات
٦٧	« الذاريات	١٦٦	« الإنسان	٢١٥	« القارعة
٧١	« الطور	١٧٠	« المرسلات	٢١٦	« التكاثر
٧٥	« النجم	١٧٢	« النبأ	٢١٦	« والعصر
٧٩	« القمر	١٧٥	« النازعات	٢١٧	« الهمزة
٨٣	« الرحمن	١٧٨	« عبس	٢١٧	« الفيل
٨٧	« الواقعة	١٨٠	« التكوير	٢١٨	« قريش
٩٥	« الحديد	١٨٢	« الانفطار	٢١٩	« الماعون
١٠١	« المجادلة	١٨٣	« المطففين	٢٢٠	« الكوثر
١٠٦	« الحشر	١٨٦	« الانشقاق	٢٢٠	« الكافرون
١١٢	« الممتحنة	١٨٨	« البروج	٢٢١	« النصر
١١٧	« الصف	١٩١	« الطارق	٢٢٢	« المسد
١١٨	« الجمعة	١٩٣	« الأعلى جلّ جلاله	٢٢٣	« الإخلاص
١٢١	« المنافقون	١٩٥	« الغاشية	٢٢٥	« الفلق
١٢٣	« التغابن	١٩٦	« الفجر	٢٢٦	« الناس

(تم الفهرس)

c229639
m229223

I 1504399
B 13202546

FEB 18 1947

main

0 0 0 0 0 2 2 9 6 3 9

BP 130.4 I23 1936/v.3-4